المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية العلمية السعودية
للقرآن الكريم وعلومه



مجلة
الدراسات القرآنية

مجلة علمية دورية محكمة

موضوعات العدد



ردمد ٣٥١٥-١٦٥٨
ISSN.1658-3515
رقم الإيداع ١٤٢٨/٢١٩٠


بسم الله الرحمن الرحيم

قواعد وشروط النشر

مجلة الدراسات القرآنية مجلة دورية تصدر عن الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه. وتعنى بالبحوث العلمية، وفق الأمور الآتية:

١ - أن يكون البحث متسماً بالأصالة وسلامة الاتجاه.

٢ - أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج.

٣ - أن تتحقق له السلامة اللغوية.

٤ - مراعاة علامات الترقيم.

٥ - ألا يكون قد سبق نشره.

٦ - ألا يكون مستلاً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية.

٧ - توضع حواشي كل صفحة أسفلها على حدة ويكون ترقيم حواشي كل صفحة مستقلاً.

٨ - تثبت المصادر والمراجع في فهرس يلحق بآخر البحث.

٩ - توضع نماذج من صور الكتاب المخطوط الملحق في مكانها المناسب.

١٠ - ترفق جميع الصور والرسوم المتعلقة بالبحث واضحة جلية.

١١ - ألا تزيد صفحات البحث عن ثمانين صفحة (A4) ولا تقل عن عشرين صفحة.

١٢ - يرفق الباحث ثلاث نسخ مطبوعة، مع ملخص لا يزيد على صفحة واحدة.

١٣ - تُحكَّم البحوث والدراسات المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين على الأقل.

١٤- تُعاد البحوث معدلة على قرص حاسوبي.

١٥- لا تعاد البحوث والدراسات إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

١٦- يُعطى الباحث نسختين من المجلة وخمس مستلات من بحثه.

جميع المراسلات وطلبات الاشتراك باسم
رئيس هيئة التحرير على النحو التالي:

المملكة العربية السعودية - الرياض
ص. ب: ١٧٩٩٩ الرياض: ١١٤٩٤
هاتف وناسوخ ٢٥٨٢٧٠٥
البريد الإلكتروني: quranmag@gmail.com

عنوان الجمعية

ص - ب: ١٧٩٩٩ - الرياض - ١١٤٩٤ هاتف: ٢٥٨٢٦٩٥ - ٢٥٨٢٧٥٣

موقع الجمعية

www.alquran.org.sa

* * *

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على نبي الهدى والتقى محمد ﷺ ، وعلى آله الأطهار ، وأصحابه الأخيار ، وأتباعه الأبرار ، وبعد :

فيسر هيئة تحرير مجلة الدراسات القرآنية الصادرة عن الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه أن تضع بين أيدي الباحثين والمهتمين وعموم القراء المكرمين هذا العدد الجديد من أعداد مجلتكم التي بكم تنمو وتزهو ، فهي منكم ببحوثها ، وهي لكم بصفحاتها ، وهي ثمرة التواصل الكريم بينكم وبينها .

والعزم معقود ، والعمل موصول للرقي بالمجلة من الناحيتين العلمية والفنية ، والأمل موجود في أن تحقق المجلة ما نصبو إليه من رقي علمي ، وتميز بإضافة ما هو جديد مفيد ، وما هو ماتع نافع في خدمة الدراسات القرآنية ، ولا يتحقق ذلك إلا بحرص الباحثين والفاحصين على حسن اختيار الموضوعات ، وعمق الدراسات ، وهذا ما نظنه فيهم ونأمله منهم ، ولنا أمل آخر في تعاونهم مع المجلة في تحقيق الشروط الفنية والطباعة للمجلة والالتزام بها لما في ذلك من تسهيل العمل وتخفيف الجهد وتسريع صدور العدد .

ولابد في هذا المقام أن أشيد بجهود العاملين في الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه على جهدهم ودعمهم للمجلة واعتزازهم بها .

كما يطيب لي أن أشكر معالي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الأستاذ الدكتور / سليمان بن عبد الله أبا الخيل على تشجيعه للجمعية والمجلة ودعمها فالجامعة هي الأم الحاضنة للجمعية والمجلة .

كما يطيب لي أن أرفع لمقام خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبدالعزيز ، وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن

عبدالعزيز ، ولصاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض ورئيس شرف أعضاء الجمعية أن أرفع لهم من الشكر أجزله ، ومن الدعاء أخلصه وأعظمه على الدعم والتشجيع للجمعية والمجلة .

وفق الله الجميع لكل خير وأعانهم عليه

وهدانا للسداد في القول والعمل والاعتقاد .

رئيس تحرير المجلة

أ. د/ محمد بن عبدالرحمن الشايع

المحتويات

الإمام ابن مردويه ومنهجه في تفسيره
مقارنة مع أشهر التفاسير بالمأثور

د . محمد بن عبد الله الخضيري

- عضو هيئة التدريس بكلية أصول الدين بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته (المروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- في التفسير من أول القرآن إلى آخر سورة النساء دراسة وتحقيقاً) .
- حصل على درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته (تفسير التابعين عرض ودراسة).

بسم الله الرحمن الرحيم

منهج ابن مردويه في رواية الآثار في تفسيره

* المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾[2].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[3].

أما بعد :

فإن كل باحث يبحث في علوم القرآن، ويدقق في كتب التفسير، ويقارن ويوازن بين المصنفات والمناهج، لا ينازع في أهمية خدمة التفاسير التي تعنى بالتفسير بالمأثور، إذ يبنى عليها ما يصح ويمكن قبوله من الأقوال والآراء، ولاسيما المرفوع منها.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٧٠، ٧١.

وهذه يقال لها **خطبة الحاجة** انظر في تخريجها: سنن أبي داود، كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح: ٢/ ٢٣٨، ح: ٢١١٨؛ النسائي، كتاب الجمعة، باب كيفية الخطبة: ١/ ٥٢٩، ح: ١٧٠٩؛ سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح: ١/ ٦٠٩، ح: ١٨٩٢)؛ وانظر في تخريجها كتيب خطبة الحاجة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، وقد جمع رحمه الله طرقها ورواياتها، فأفاد وأجاد.

وقد وقفت على عدد من التفاسير التي تنقل التفسير المأثور، منها ما هو مطبوع، ومنها ما هو مخطوط، ومنها ما هو مفقود، ورأيت الباحثين اهتموا بالكتابة في مناهج من تفاسيرهم مطبوعة لأمور لا يبعد عن مقدمتها الأخذ بالأيسر المتاح، ومنهم من كتب في ما هو مخطوط، لكن فكرة **جمع آثار التفاسير المفقودة ودراستها،** كانت قليلة في كتابات هؤلاء أو أولئك، مع أن بعض هذه التفاسير قد يكون أولى بالبحث مما طبع، أو وجد مخطوطاً، ولذا وقع اختياري على أن أبحث في (الإمام ابن مردويه في التفسير ومنهجه في تفسيره مقارنة مع أشهر التفاسير بالمأثور).

أسباب اختيار الموضوع:

١ - إن دراسة مناهج العلماء في كتبهم تعين على تحديد أسس كتابة العلوم في عصر ما، مما يشكل الإطار العام للتصنيف في هذا العصر، ولاسيما إذا اختير من المصنفين بعض المتميزين، ممن فارق أترابه في التصنيف.

٢ - كما أن المقارنة بين المتشابهات تثمر سد خلة في بناء التصنيف في عصر ما، والمقارنة أيضاً تبرز ميزة المؤلف والكتاب.

٣ - ومعرفة هذا التميز يساعد على الاقتداء في المنهج، فإذا كنا مقرين باتفاق على تقدم جبال العلم هؤلاء في العلوم، فكيف نقتدي بهم؟ هذا يكون من خلال التعرف على علومهم تعليماً، وهذا متاح للكثيرين، ومن خلال التعرف على مصنفاتهم ومناهج تأليفهم، وهذا هو محور الباحثين المتخصصين.

وقد كتبت مصنفات كثيرة في مناهج المفسرين، إلا أني وجدت أن ابن مردويه وتفسيره لم يتناوله أحد بالدراسة من جهة كونه تفسيراً مفقوداً، فأحببت أن أتعرف عن قرب على هذا الإمام العلم وتفسيره.

أهمية الموضوع:

١ ـ منذ زمن، وأنا أطالع في كتب التفسير بالمأثور فأجد الروايات الكثيرة المنقولة من تفسير (ابن مردويه)، وعلى الرغم أنه من التفاسير المفقودة؛ إلا أن ما يورده المفسرون من تفسيره يدل الباحث على أهميته ولاسيما في التفسير المرفوع إلى النبي ﷺ والذي يشكل أكثر تفسيره، وهذه ميزة لم يشركه فيها أحد من المفسرين الذين اعتنوا بالآثار التفسيرية، **فهو الأوحد في هذا الباب بلا مقارب، مما** شكل أهمية كبرى لكتابه، وإمامته المنفردة فيه.

٢ ـ ولأجل هذه الأهمية؛ نجد كبار أئمة التفسير يعتمدون عليه في نقولاتهم في التفسير، فهو مصدر أساسي عند **ابن كثير والشوكاني**(١) وغيرهما، ويعد **السيوطي** في الدر أشهر من نقل عنه من المفسرين الذين نقلوا التفسير بالمأثور، فقد بلغ ما أورده عنه ما يزيد عن أربعة آلاف رواية، كان المرفوع منها ما يشكل نحو ثلاثة أرباعها(٢)، مما يشير إلى أهمية هذا الكتاب.

وقد تتبعت أعداد ما نقله السيوطي عن تفاسير الأثر المشهورة ، وتوصلت إلى أنه نقل نحو **ثلث** تفسير ابن جرير، ونفس النسبة أو تزيد في نقله عن ابن أبي حاتم، ولذا **فمن المتوقع أن يكون ما نقله عن ابن مردويه في هذه الحدود أيضاً أي لا يقل عن الثلث.**

وإذا أضفنا إلى هذا أن ابن مردويه كان **يعتني بجمع طرق الحديث في تفسيره،** أو ما يعبر عنه ابن كثير بـ(**تطريق الحديث**)(٣)، فإن المتوقع أن هذه

---

(١) بلغت عدد مرويات ابن مردويه في تفسير ابن كثير ما يزيد عن (٣٥٠) رواية؛ في حين بلغت في فتح القدير للشوكاني ما يزيد عن (١٠٠٠) رواية.

(٢) ما جاء صريحاً من تفسيره ﷺ قارب النصف، وهناك ما يقارب الربع مما جاء عنه ﷺ في الفضائل والوعظ وغيره مما نقله ابن مردويه عند تفسير الآيات كما سيأتي.

(٣) قال ابن كثير في تفسير سورة النساء، آية ٣٣: (وقد روى قصة العرنيين من حديث جماعة من الصحابة، منهم جابر وعائشة وغير واحد. **وقد اعتنى الحافظ الجليل أبو بكر بن مردُويه بتطريق هذا الحديث** من وجوه كثيرة جداً، فرحمه الله وأثابه)، تفسير ابن كثير (٣/ ٩٨).

النسبة تزيد عن الثلث، إذ لم يكن من عادة السيوطي أن يكرر الحديث من نفس المصدر إلا على سبيل الندور.

٣ـ كما أن **إمامة أبي بكر بن مردويه** في التفسير والحديث جعلت تفسيره محل أنظار العلماء دوماً، ولا سيما وأقوال ابن مردويه في الجرح والتعديل متناقلة في كتب الرجال، متناثرة في الحكم على الرواة.

فيرغب مع مؤلَّف هذه حاله أن يحرص على معرفة منهج المؤلِّف وطريقته في التفسير ولاسيما أنه من المصنفات المفقودة.

وتفسير هذه حاله، وهذه مكانته، وهذا ما اشتمل عليه؛ لحري أن تتم دراسته بتوسع من خلال ما أبقاه لنا السيوطي في دره، ولم أجد من خلال المراجعة والتتبع من كتب عن منهج هذا الإمام في التفسير، ولاسيما في روايته للآثار، وما حواه من الفضائل التي تقارب ربع تفسيره، كما أنه كانت له عناية ظاهرة بأسباب النزول، ولم يكن مكثراً في إيراد الروايات عن التابعين، وهذه الصفة الروائية للمرفوع دون المقطوع عن التابعين، لم يشركه فيها غيره، بل لم يقاربه.

لأجل ذلك كله؛ رأيت أن هذا التفسير في حاجة ماسة لدراسة منهج مؤلفه فيه، وبيان ما تميز واختص به، تتميماً للفائدة في أبواب التفسير بالمأثور.

ولعل هذه الدراسة تفتح باباً لدراسات متعددة لجملة من المسائل العلمية الأثرية وغيرها التي يمكن دراستها حول أمثال هذا الكتاب[1].

---

(١) كانت هناك بعض الرسائل التي اهتمت بابن مردويه، منها رسالة للدكتور غالب الحامضي الهوايشة في جامعة أم القرى استخرج مرويات التفاسير المفقودة من ابن كثير، وقام بدراستها، إلا أنه لم يعدُ تفسير ابن كثير حسب خطة بحثه، ورسالة مرويات ابن مردويه في التفسير من أول الفاتحة إلى سورة المائدة، رسالة ماجستير بأم القرى أيضاً في عام (١٤١٤هـ)، لشريف علي محمد، إلا أنه لم يدرس كامل الروايات حسب خطة بحثه، كما لم يتعرض أحد فيما أعلم للدراسات المقارنة قط.

*** الصعوبات التي واجهتني في البحث:**

البحث المقارن يحمل في طياته عدة إشكاليات؛ ففيه ضرورة أن يستوعب الباحث جل ما في طرفي المقارنة حتى يدرك أوجه الفروقات والتشابه وما بينهما.

فإذا انضم إلى ذلك أن المقارنة في كتب مطولات كالتفاسير، زادت إشكالية أخرى.

فإذا أضيف أن هذه التفاسير منها المفقود؛ فهذا يزيد الأمر صعوبة وعناء.

لذا فقد قمت بالنظر في تفسير **(الدر المنثور)** باعتباره أوسع الكتب التي حفظت لنا هذه التفاسير، وبدأت استخرج الآثار منها أثراً أثراً، ورغم وجود المكتبات الالكترونية المتوافرة؛ إلا أنها لم تفد شيئاً في هذا، لأن الأثر الواحد لا بد من تصنيفه هل هو من باب تفسير القرآن بالقرآن، أو من باب التفسير بالسنة، أو من باب تعيين المراد، أو في أسباب النزول وغير ذلك من التصانيف التي تربو على الثلاثين نوعاً، وبعضها مما ابتكرته استقراء من صنيعهم، فاحتجت إلى التعريف بها أول كل مطلب.

ولأجل هذا كله لم يكن بد من جمع كل الآثار وتصنيفها يدوياً، وهذا الذي استغرق زماناً طويلاً، ثم بدأت في عمل الإحصائيات التي أعانت على فهم مناهج كلٍّ، ثم في ترتيبها والنظر في نتائج تلك الإحصاءات، وعصف الذهن لمعرفة تلك المفارقات وتعليلها.

*** خطة البحث:**

وقد تحصل لي **خطة** في ذلك من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة

* **المقدمة** : وتشتمل على :

١ـ سبب اختيار الموضوع

٢ـ أهمية الموضوع.

٣ـ خطة البحث .

* **الفصل الأول: الإمام ابن مردويه والتفسير المرفوع** وفيه مبحثان:

المبحث الأول: في ترجمة الإمام ابن مردويه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول : اسمه ونسبه وحياته وطلبه للعلم وشيوخه.

المطلب الثاني : آثاره وتلاميذه ومكانته العلمية ووفاته.

المبحث الثاني: التعريف بالتفسير المرفوع إلى النبي ﷺ وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حد التفسير المرفوع.

المطلب الثاني: تفسير النبي ﷺ ومقدار ما صح منه.

المطلب الثالث: تفسير النبي ﷺ عند ابن مردويه مقارنة بغيره من مفسري الأثر.

* **الفصل الثاني: منهجه في نوع الرواية** و فيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في التفسير. و فيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن.

المطلب الثاني: التفسير بالسنة.

المطلب الثالث: التفسير بتعيين المراد.

المطلب الرابع: التفسير بشرح المفردات.

المطلب الخامس: تفسير آيات الأحكام.

المطلب السادس: التفسير بالإسرائيليات.

المطلب السابع: التفسير بالقراءات.

المطلب الثامن: عنايته بالعقيدة.

المبحث الثاني : في علوم القرآن وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أسباب النزول ـ المدني والمكي.

المطلب الثاني: المشكل.

المطلب الثالث: أسماء السور.

المطلب الرابع: الناسخ والمنسوخ.

المطلب الخامس: علوم أخرى (الكليات ـ الأمثال).

المبحث الثالث : مكملات وملح التفسير وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اللطائف التفسيرية.

المطلب الثاني: الوعظ.

المطلب الثالث: الفضائل.

المطلب الرابع: الدعوة.

الفصل الثالث: تأثره في الرواية، وتأثيره فيمن جاء بعده.وفيه مبحثان

المبحث الأول: تأثره في الرواية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تطريق الحديث.

المطلب الثاني: الرواة عند ابن مردويه.

المبحث الثاني: تأثر ابن كثير به.

الخاتمة:

وتشتمل على: **أهم نتائج البحث.**

الفهارس العلمية:

ـ فهرس المصادر و المراجع

ـ فهرس الموضوعات و المحتويات.

وأسأل الله تعالى أن يوفقني لما رمت الكتابة فيه وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الأول
الإمام ابن مردويه والتفسير بالمرفوع

المبحث الأول: في ترجمة الإمام ابن مردويه.
المطلب الأول: اسمه ونسبه وحياته وطلبه للعلم وشيوخه.

اسمه ونسبه: هو: أبو بكر أحمد بن موسى بن فورك بن موسى بن جعفر بن مردويه الأصبهاني[1].

وأصبهان: مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها ويسرفون في وصف عظمها حتى يتجاوزوا حد الاقتصاد إلى غاية الإسراف وأصبهان اسم للإقليم بأسره[2].

ومنهم من يفتح الهمزة وهم الأكثر وكسره آخرون منهم السمعاني وأبو عبيد البكري الأندلسي[3]، وينسب إلى أصبهان عدد من العلماء **لا يحصون** كثرة[4].

ومردويه: نظير سيبويه، ونفطويه، وأمثالها من **الأعلام المختومة بويه**، لها وجهان في النطق بها:

الأول: فتح الواو وما قبلها، وسُكون الياء، ثمَّ هاء.

الثاني: وعليه المُحدِّثون ينحون به نحو الفَارسية، فيقولون: هو بضم ما قبل الواو وسُكونها، وفتح الياء، وإسْكَان الهاء.

وعليه فآخره على الوجهين هاء على كلِّ حال، والتاء خطأ.

---

(١) تاريخ أصبهان، أبو نعيم: (١/ ٢٠٦)؛ تذكرة الحفاظ، الذهبي: (٣/ ١٠٥٠ـ ١٠٥١)؛ العبر، الذهبي: (٣/ ١٠٤)؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي: (١٧/ ٣٠٨)؛ الوافي بالوفيات، للصفدي: (٨/ ١٣١)؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي: (٤/ ٢٤٥)؛ طبقات الحفاظ، السيوطي: (ص٤١٢)؛ طبقات المفسرين، الداودي: (١/ ١٠١)؛ شذرات الذهب، ابن العماد: (٣/ ١٩٠)؛ الرسالة المستطرفة، الكتاني: ص٢٦؛ كشف الظنون، حاجي خليفة: (١/ ٤٣٩).

(٢) تذكرة الحفاظ، الذهبي: (٣/ ١٠٥٠).

(٣) معجم البلدان، ياقوت: (١/ ٢٠٦).

(٤) معجم البلدان، ياقوت: (١/ ٢٠٦)؛ معجم ما استعجم في أسماء البلاد والمواضع، البكري: (١/ ١٦٣).

قال السيوطي: وكان الحافظ أبو العَلاء العَطَّار يَقُول: أهل الحديث لا يُحبون ويه، قال ابن حجر: ولهم في ذلك سلف، رويناه في كتاب «مُعاشرة الأهلين» عن أبي عَمرو، عن **إبراهيم النَّخعي**: أنَّ ويه اسم شَيْطان[١].

وفي النكت على ابن الصلاح: (يجوز في **راهويه** فتح الهاء والواو وإسكان الياء ويجوز ضم الهاء وإسكان الواو وفتح الياء وهذا الثاني هو المختار وقال المصنف في بعض أماليه سمعت الحافظ أبا محمد عبد القادر بن عبد الله – ﷺ– يقول سمعت الحافظ أبا العلاء يقول أهل الحديث لا يحبون ويه، أي يقولون لفظ **ويه** ببدء الواو ساكنة تفاديا من أن يقع في آخر الكلمة ويه انتهى

وعن الحافظ جمال الدين المزي أنه قال: غالب ما عند المحدثين **فعلويه** بضم ما قبل الواو – إلا **راهويه** فالأغلب فيه عندهم **فتح** ما قبل الواو وفي **نفطويه** الوجهان والآكد الفتح)[٢].

وقد كثرت الأسماء المختومة بلفظ (ويْه)؛ مثل: سيبويْه، وقد أحْصى بعضُهم اثنينِ وتسعين اسماً مختومةً بلفظ (ويْهِ)[٣].

*** حياته وطلبه للعلم وشيوخه:**

ولد سنة ثلاثمائة وثلاث وعشرين هـ[٤]، ومات أبوه سنة ثلاثمائة وست وخمسين[٥]، وكان له من العمر ثلاث وثلاثون سنة، مما يشير إلى تفرغه فترة الشباب للطلب في ظل وجود والده، وهذا قد يفسر واسع سماعه، ورحلاته في ذلك، فقد نص مترجموه على ذلك، قال الذهبي: (سمع الكثير بإصبهان

---

(١) تدريب الراوي، السيوطي: (١/ ٣٣٨).

(٢) النكت على مقدمة ابن الصلاح، ابن حجر: (١/ ١٢٩).

(٣) معجم المناهي اللفظية، بكر أبو زيد: (١/ ٣٥٠).

(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي: (١٧/ ٣٠٨)؛ تذكرة الحفاظ، الذهبي: (٣/ ١٠٥١)؛ طبقات الحفاظ، السيوطي: (ص ٤١٢)؛ طبقات المفسرين للداودي: (١/ ٩٤).

(٥) سير أعلام النبلاء، الذهبي: (١٧/ ٣٠٩)؛ تذكرة الحفاظ، الذهبي: (٣/ ١٠٥١)؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي: (٤/ ٢٤٥)؛ طبقات المفسرين، الداودي: (١/ ٩٤)؛ المنتظم، ابن الجوزي: (٧/ ٢٩٤).

والعراق)[1]، وقال الصفدي: (خرّج حديث الأئمة، وسمع الكثير بأصبهان والعراق)[2]، وقال ابن تغري بردي: (سمع الكثير، وروى عنه جماعة)[3].

وكانت نشأته في بيئة علم ورواية، فقد عرف أبوه بالرواية، وحدث عنه ابنه أبو بكر[4].

وكان – رحمه الله تعالى – ورعاً، ديناً، ولاسيما فيما يتعلق بالرواية، فعن أبي بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن مردويه يقول: رأيت من أحوال جدي **من الديانة في الرواية** ما قضيت منه العجب من تثبته وإتقانه، وأهدى له كبير حلاوة، فقال: إن قبلتها، فلا آذن لك بعد في دخول داري وإن ترجع به، تزد عليَّ كرامة[5].

وفقد ابن مردويه بصره، قبل موته، ولم أجد السن الذي كان فيه ذلك، إلا أنه في أغلب الظن **في الكهولة**، رغم أنه كان محافظاً على بصره، فلم يجهده بالكتابة في الظلام، نقل عنه قوله: ما كتبت بعد العصر شيئا قط، وعميت قبل كل أحد يعني من أقرانه[6].

وكان من شغفه بالتحديث أنه استمر عليه حتى بعدما كبر وفقد بصره، فقد قال أبو موسى في ترجمته **أنه كان يملي حفظا بعدما عمي**[7].

وقد أبقى الله جميل الأحدوثة في نسله، فقد برع في العلم حفيده أحمد، والذي تلقب بلقبه، وتسمى باسمه، واكتنى بكنيته، فهو أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن مردويه، المعروف بـ(**ابن مردويه الصغير**)، وهو أحد شيوخ السلفي لم يلحق جده وسمع ابن عبدكويه وأبا نعيم[8]، توفي سنة (أربعمائة وثمان وسبعين.هـ).

---

(١) تاريخ الإسلام، الذهبي (٢٨/ ٢٠٠)؛ دول الإسلام، الذهبي: (١/ ٢٤٥)؛ العبر في خبر من غبر، الذهبي: (١/ ١٨٢).

(٢) الوافي بالوفيات، الصفدي: (٨/ ١٣١).

(٣) النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي: (٤/ ٢٤٥).

(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي: (١٧/ ٣٠٨)، ولم أعثر على ترجمة لوالده، ومن المتوقع أن يكون ترجم له ابنه في التاريخ.

(٥) سير أعلام النبلاء، الذهبي: (١٧/ ٣٠٩).

(٦) سير أعلام النبلاء، الذهبي: (١٧/ ٣٠٨).

(٧) سير أعلام النبلاء، الذهبي: (١/ ٣٠٨).

(٨) تذكرة الحفاظ، الذهبي: (٤/ ١٢١٢، ١٢٣٢)؛ طبقات الحفاظ، السيوطي: (١/ ٤٤٥).

قال السلفي: كتبنا عنه كثيرا، وكان ثقة جليلا، سمعته يقول: كتبوا عني في مجلس أبي نعيم الحافظ[١]، وكان أبو بكر يفهم الحديث، رأيت له جزءا فيه طرق (طلب العلم فريضة) يدل على معرفته، ولم يدرك السماع من جده[٢].

ولم تحدثنا المصادر عن الكثير عن حياة الحافظ أحمد بن موسى، إلا أنها أبقت لنا العديد من أسماء شيوخه، الذين بلغ عددهم المئات، فقد رزق الحافظ أبو بكر في رحلاته شيوخاً كثرا، من العسير حصر أسمائهم جميعاً، لكن يطلب ذلك من أسانيده.

وكثرة الشيوخ لها دلالة على سعة الرواية جداً، وعلى الرحلات المختلفة التي رحل فيها الحافظ أبو بكر لطلب الرواية، كما تدل على الميراث الكبير الذي خلفه لنا في تفسيره، والذي لهجت به ألسن العلماء كما يأتي ذكره.

أشهر شيوخه في التفسير.

اشتهر من شيوخ ابن مردويه كثيرون، وقد أبقى لنا ابن كثير على جملة أسانيد لابن مردويه تعرفنا منها على جملة من مشايخه في التفسير، فمن هؤلاء: **محمد بن أحمد بن إبراهيم**[٣]، ويليه في ذلك: **سليمان بن أحمد**

(١) وهذا يدل على النبوغ، بحيث يحرص الطلاب على الأخذ منه في مجلس شيخه.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي: (١٩/ ٢٠٧).

(٣) هو: **محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليمان بن محمد، القاضي أبو أحمد العسال**، قال الحاكم: كان أحد أئمة الحديث، وقال ابن مردويه: كان أبو أحمد العسال المعدل يتولى القضاء خليفة لعبد الرحمن بن أحمد الطبري، هو أحد الأئمة في الحديث، فهما، وإتقانا، وأمانة، وقال أبو سعيد النقاش: أخبرنا أبو أحمد العسال، ولم نر مثله في الإتقان والحفظ. وقال أبو نعيم: أبو أحمد من كبار الناس في المعرفة والإتقان والحفظ، صنف الشيوخ، والتفسير، وعامة المسند، ولي القضاء، قال ابن مردويه الحافظ في تاريخه: توفي القاضي أبو أحمد في يوم الاثنين في رمضان سنة ٣٤٩ هـ وانظر ترجمته في سير أعلام النبلاء، الذهبي: (٦/ ١٦)؛ تاريخ بغداد، الخطيب: (١/ ٢٧٠).

وقد جاء ذكره في تفسير ابن كثير في مرويات ابن مردويه في (٢٣) موضعاً، هي: (١/ ٣٠٦، ٤٧٥، ٤٩٦، ٦١١، ٦٤٤، ٦٦٩، ٧٠٧ ـ ٢/ ١١، ١٥٥، ١٧٨، ٢٣٤، ٢٤٠، ٢٥٥، ٣٢٢، ٣٣٧، ٤٧٤ـ ٣/ ٢٧٤، ٣١٣، ٣٤٧، ٣٨٨).

الطبراني[1]، فعبد الله بن جعفر[2]، فعبد الباقي بن قانع[3]، ثم دعلج بن أحمد[4].

---

(١) هو: **سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني الحافظ**. وهو الحافظ العلم، ومسند العصر، أبو القاسم، وكان ثقة صدوقاً، واسع الحفظ، بصيراً بالعلل والرّجال والأبواب، كثير التصانيف مات سنة ستين وثلاث مئة، عن مئة سنة. وقال سليمان بن إبراهيم الحافظ: كان ابن مردويه في قلبه شيء على الطبراني، فتلفظ بكلام، فقال له أبو نعيم: كم كتبت يا أبا بكر عنه ؟ فأشار إلى حزم، فقال: من رأيت مثله؟ فلم يقل شيئا، وانظر ترجمة الطبراني في: العبر في خبر من غبر الذهبي: (٢/ ٣٢١)؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي: (١٦/ ١٣).

وقد جاء ذكره في تفسير ابن كثير في روايات ابن مردويه في (١٤) موضعاً، هي: (١/ ١١٩، ٤٦٠، ٤٧٨، ٦٨٠، - ٢/ ١٤، ٥٤، ٢٧٩، ٣٥٥، ٣٦٧- ٣/ ١٥٣، ١٧٦، ٢٧٠- ٤/ ١٥، ٥١).

(٢) هو: **عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس**، من المحدثين المشهورين، روى عنه ابن مردويه وأبو نعيم، وغيرهما، وعمر طويلاً، وحكي عنه أنه قال عند الموت هذا ملك الموت قد جاء وقال اقبض روحي كما تقبض روح رجل يقول تسعين سنة أشهد أن لا إله ألا الله وأن محمدا رسول الله، توفي سنة ست وأربعين وثلاثمائة، انظر ترجمته في: طبقات المحدثين بأصبهان، ابن حيان الأنصاري: (٤/ ٢٣٧).

وقد جاء ذكره في تفسير ابن كثير في روايات ابن مردويه في (١١) موضعاً، هي: (١/ ١٦٦، ٢٧٦ - ٢/ ٨٤، ٦٣، ١٦٧، ٢٣٣، ٢٧٣، ٣٧٨، ٣٧٩ - ٣/ ١٤٩، ٣٩٢) .

(٣) هو: القاضي أبو الحسين **عبد الباقي بن قانع بن مرزوق** بن واثق الأموي مولاهم، البغدادي، صاحب كتاب معجم الصحابة، وتاريخ الوفيات، الإمام الحافظ البارع الصدوق، ولد سنة خمس وستين ومائتين، وكان واسع الرحلة كثير الحديث بصيرا به، حدث عنه: الدارقطني، وأبو عبد الله الحاكم، وأبو الحسين بن الفضل القطان، وعدد كثير، وقال الدارقطني: كان يحفظ، ولكنه يخطئ ويصر، توفي سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء، الذهبي: (١٥/ ٥٢٧)؛ تذكرة الحفاظ، الذهبي: (٣/ ٨٨٣)؛ تاريخ بغداد، الخطيب: (١١/ ٨٩)؛ الإكمال، ابن ماكولا: (٧/ ٧١).

وقد جاء ذكره في تفسير ابن كثير في روايات ابن مردويه في (٩) مواضع، هي: (١/ ٥٤١، ٥٥٩، ٦٧٦، ٧٣٥- ٢/ ٢٠٨، ٣٦٩- ٣/ ١٠٤، ١٤٣، ٢٠٠) .

(٤) وهو: **دعلج بن أحمد بن دعلج**، المحدث الحجة، الفقيه الإمام، أبو محمد السجستاني، ثم البغدادي التاجر، ذو الأموال العظيمة. ولد سنة تسع وخمسين ومائتين أو قبلها بقليل، وسمع بعد الثمانين ما لا يوصف كثرة بالحرمين، والعراق، وخراسان، والنواحي حال جولانه في التجارة. قال أبو سعيد بن يونس: حدث بمصر، وكان ثقة. وقال الحاكم: دعلج الفقيه شيخ أهل الحديث في عصره، له صدقات جارية على أهل الحديث بمكة وببغداد وسجستان، سمعت الدارقطني يقول: ما رأيت في مشايخنا أثبت من دعلج. مات لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة. انظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء، الذهبي: (١٦/ ٣٠)؛ تاريخ بغداد، الخطيب: (٨/ ٣٨٧ – ٣٩٢)؛ وفيات الأعيان، ابن خلكان: (٢/ ٢٧١ – ٢٧٢).

وقد جاء ذكره في تفسير ابن كثير في روايات ابن مردويه في (٦) مواضع، هي: (١/ ٢٥٤، ٤١٤ - ٢/ ١٧٠، ٣٧٨- ٣/ ١٠٧، ١٢٥).

ومن شيوخه في التفسير:

- **محمد بن عبد الله بن عمرويه الصفار**[١] أبو بكر علم الدين، توفي ٣٤٤هـ[٢].
- **إسماعيل بن علي بن إسماعيل**[٣]
- **أحمد بن الحسن بن أيوب**[٤]
- عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم الهاشمي، أبو جعفر المعروف بابن برية[٥].
- عبد الرحمن بن محمد بن حامد بن متوية البلخي[٦].
- عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم[٧].

المطلب الثاني: آثاره وتلاميذه ومكانته العلمية ووفاته.

العلم ميراث الأنبياء، فكما جاء في الحديث: (إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر)[٨]، وقد ترك لنا الحافظ أبو بكر بن مردويه ميراثاً كبيراً نافعاً من المصنفات المفيدة.

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٦٧٥).

(٢) تذكرة الحفاظ، الذهبي: (٣/ ٨٩٦).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٣٩٣). وهو: أبو محمد الخطبي البغدادي، الأديب الإخباري، صاحب التصانيف. وكان يرتجل الخطب، ولا يتقدّمه فيها أحد وكان فهماً عارفاً بأيام الناس وأخبار الخلفاء، وصنف تاريخاً كبيراً. سئل الدار قطني عنه فقال: ثقة، توفي سنة ٣٥١هـ. العبر في خبر من غبر، الذهبي: (٢/ ٢٩٢)؛ طبقات الحنابلة، ابن أبي يعلى: (٢/ ١٨١).

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٤٠٢)، وهو: وهو جد أبي سعيد، محمد بن علي بن عمرو النقاش الإمام الحافظ، البارع الثبت، وكان جده لأمه، وسمع النقاش منه، سير أعلام النبلاء، الذهبي: (١٧/ ٣٠٧).

(٥) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٧٣)، وانظر عنه: تاريخ دمشق، ابن عساكر: (٣٦/ ٧٣).

(٦) تفسير ابن كثير (١/ ٤١١).

(٧) تفسير ابن كثير (١/ ٥٠٥).

(٨) أخرجه أبو داود في العلم، باب الحث على طلب العلم، (٣/ ٣١٧)؛ والترمذي في العلم، باب ما جاء في الفقه والعبادة، (٥/ ٤٨)؛ و ابن ماجه في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، (١/ ٨١)، وحسنه الألباني في المشكاة، (١/ ٤٦، ح: ٢١٢).

قال الذهبي عنه: (طويل الباع مليح التصانيف)[1]، وقال في تاريخ أصبهان: وله المصنفات[2].

كما تميزت مؤلفاته بكثرة المرويات بها، وليس هذا بمستغرب على هذا الإمام، فقد استفرغ وسعه في السماع، وظهر ذلك في تصانيفه، ولاسيما في التفسير الذي اشتهر فيه بتطريق الأحاديث، قال عنه الذهبي في السير: (وكان من فرسان الحديث، فهماً يقظاً متقناً، **كثير الحديث جداً**، ومن نظر في تواليفه، عرف محله من الحفظ)[3]، وقال في المعين(ثقة صاحب حديث)[4]، وقال السيوطي: (وكان ذا فهم بالحديث، بصيراً بالرجال، طويل الباع)[5].

وأشهر مؤلفاته مطلقاً التفسير، فقل أن تجد من ترجم له، إلا ويقول: (صاحب التفسير)، أو (له التفسير)، ونحو ذلك.

ويمكن أن أعرض قائمة ما حصلت عليه من مصنفاته، حيث نجد منها ما يلي:

ـ **التفسير الكبير**: وهو في سبع مجلدات كبار[6]، وستأتي دراسته من خلال ما نقل عنه من نصوص في كتاب الدر المنثور.

ـ **تاريخ أصبهان**: وهو في تاريخ الرواة، وقد تكلم فيه عن الرواة جرحاً وتعديلاً، مما أبان عن قوة علمه بالرجال، وستأتي أمثلة لذلك، وألف كثير من العلماء في تاريخ أصبهان، مثل تاريخ أصبهان لأبي نعيم الأصبهاني، ولابن منده ولابن مردويه الأصبهاني[7]، مما يشير لك إلى كثرة المحدثين بها، وكثرة من دخلها من العلماء.

---

(١) تذكرة الحفاظ، الذهبي: (٣/ ١٠٥٠).
(٢) تاريخ أصبهان، أبو نعيم: (١/ ٢٠٦).
(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي: (١٧/ ٣١٠).
(٤) المعين في طبقات المحدثين، الذهبي: (ص١٢١).
(٥) طبقات الحفاظ، السيوطي: (ص٤١٢).
(٦) طبقات الحفاظ، السيوطي: (ص٤١٢)؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي: (١٧/ ٣٠٨)؛ طبقات المفسرين، الداودي: (١/ ٩٣).
(٧) الرسالة المستطرفة، الكتاني: (ص ١٣١).

ـ **المستخرج على البخاري**: قال الذهبي: (بعلو في كثير من أحاديث الكتاب حتى كأنه لقي البخاري)[(١)].

ـ كتاب **الأمثال**[(٢)]: والظاهر أنه في الأمثال النبوية، لا مطلق الأمثال العربية، فقد صنف في هذا المحدثون.

ـ **الأمالي**: وهي ثلاثمائة مجلس[(٣)].

فإذا عرفنا أن **ابن مردويه أملى ثلاثمائة مجلس**، فهو يشير إلى سني الإملاء الكثيرة،بل قل أن نجد أحداً من الحفاظ بلغت أماليه هذا المبلغ، فضلا أن تزيد عليه.

بل إنه كان يملي بعدما عمي**!!** فقد قال أبو موسى في ترجمته **أنه كان يملي حفظا بعدما عمي**..[(٤)]، وهنا يخضع له في الحفظ والإتقان رحمه الله تعالى.

ـ **المعجم**[(٥)].

---

(١) طبقات الحفاظ، السيوطي: (ص٤١٢)؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي: (١٧/ ٣٠٨)؛ الرسالة المستطرفة، الكتاني: (ص٣١) **والمستخرج** عندهم أن يأتي المصنف إلى الكتاب فيخرج أحاديثه بأسانيد لنفسه من غير طريق صاحب الكتاب، فيجتمع معه في شيخه أو في من فوقه ولو في الصحابي مع رعاية ترتيبه ومتونه وطرق أسانيده، وشرطه ألّا يصل إلى شيخ أبعد حتى يفقد سندا يوصله إلى الأقرب إلا لعذر من علو أو زيادة مهمة، وربما أسقط المستخرج أحاديث لم يجد له بها سندا يرتضيه، وربما ذكرها من طريق صاحب الكتاب. الرسالة المستطرفة. الكتاني: (ص ٣١).

(٢) التحبير في المعجم الكبير، السمعاني: (١/ ١٤٩).

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي: (١٧/ ٣٠٨)؛ وطبقات الحفاظ، السيوطي: (ص ٤١٢).

و**الأمالي**: جمع الإملاء؛ وهو: أن يقعد عالم وحوله تلامذته بالمحابر والقراطيس فيتكلم العالم بما فتح الله – سبحانه وتعالى – عليه من العلم ويكتبه التلامذة فيصير كتابا ويسمونه : الإملاء والأمالي، وكذلك كان السلف من : الفقهاء والمحدثين وأهل العربية وغيرها في علومهم فاندرست لذهاب العلم والعلماء وإلى الله المصير، كشف الظنون، حاجي خليفة: (١ / ١٦٠) وقال: (وعلماء الشافعية يسمون مثله: التعليق).

(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي: (١٧/ ٣٠٨)

(٥) ديوان الإسلام، ابن الغزي: (١/ ٨٧)، **والمعجم في اصطلاحهم**: ما تذكر فيه الأحاديث على ترتيب الصحابة أو الشيوخ أو البلدان أو غير ذلك، والغالب أن يكونوا مرتبين على حروف الهجاء. الرسالة المستطرفة، الكتاني: (ص ١٣٧).

ـ **كتاب التشهد وطرقه وألفاظه**، في مجلد صغير[1].

ـ كتاب **أولاد المحدثين**: ولم يذكروه في ترجمته، وإنما وقفت عليه في ترجمة محمد بن محمد بن **ماسن** الهروي[2]، ولم تطلعنا المصادر عن هذا الكتاب، لكن من عنوانه يحتمل أنه يترجم للعلماء الذين عنوا بالرواية هم وأبناؤهم، وفي مصطلح الحديث أبواب من هذا النوع، في معرفة رواية الآباء عن الأبناء، وعكسه[3].

ـ **العوالي**:[4] قال الذهبي: تقع عواليه في **الثقفيات**[5] وغيرها[6].

وكأن مراد الذهبي هنا المرويات، وليس مصنفاً مفرداً بهذا الاسم.

*** كلامه في الرجال:**

اشتهر الحافظ ابن مردويه بكلامه الدقيق في الرجال، وتاريخه مملوء بذلك، وأنقل هنا شيئاً من ذلك مما نقله عنه العلماء من أحكامه على الرواة مما انفرد به فتوبع عليه:

ـ **الفضل بن أحمد أبو العباس القرشي البرزاباداني** وهي قرية من قرى أصبهان يروي عن إسماعيل بن عمرو البجلي روى عنه أبو بكر عبد العزيز بن

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي: (١٧/ ٣١٠).

(٢) الإكمال، ابن ماكولا: (٧/ ١٥٣).

(٣) تدريب الراوي، السيوطي: (٢/ ٢٥٤).

(٤) **العوالي**: هي الأحاديث التي يقل فيها عدد الرواة في كل إسناد مقارنة بغيره، وطلب العلو سنة ولذلك استحبت الرحلة فيه، والعلو يبعد الإسناد من الخلل؛ لأن كل رجل من رجاله يحتمل أن يقع الخلل من جهته سهوا أو عمداً، ففي قلتهم قلة جهات الخلل، وفي كثرتهم كثرة جهات الخلل، وهذا جلي واضح . تدريب الراوي، السيوطي: (٢/ ١٥٩ـ ١٦٠).

(٥) **الثقفيات**: طائفة من أجزاء الحديث، للحافظ أبي عبد الله : القاسم بن الفضل الثقفي الأصفهاني المتوفى سنة ٤٨٩ فهي أحاديث ومرويات يرويها عن الحافظ ابن مردويه، فتكون من العوالي، وقد تقدم أن مستخرجه على البخاري جمع العلو وكأنه لقي البخاري، رغم أن ما بينهما من الوفاة يزيد عن ١٥٠ سنة، مما يشعر بعلو أسانيده رحمه الله تعالى. كشف الظنون، حاجي خليفة: (١/ ٥٢٢).

(٦) تذكرة الحفاظ، الذهبي: (٣/ ١٠٥٠).

محمد بن إبراهيم الخفاف ومحمد بن أحمد بن يعقوب **قال أبو بكر بن مردويه:** ضعيف جداً[١]

ولم يتعقب ابن حجر تضعيف ابن مردويه له مما يعني ارتضاءه لذلك.

ـ **الحسن بن سعيد بن جعفر،** أبو العباس العباداني المطوعي المقرئ المعمر، نزيل اصطخر في آخر عمره، كان رأساً في القرآن وحفظه، **وفي حديثه لينٌ**. وقال **أبو بكر بن مردويه:** هو ضعيف[٢].

وهذا إقرار من الصفدي أيضاً لحكم الحافظ ابن مردويه، والأمثلة كثيرة في ذلك.

ـ إلا أن العلماء توقفوا كثيراً في كلامه على **الحافظ الطبراني،** فقد لمزه من جهة الضبط، وانفرد بتليينه

ولين الحديث من ألفاظ الجرح، وهي أول مراتب الجرح وأسهلها، قال ابن أبي حاتم: إذا أجابوا في الرجل بلين الحديث، فهو ممن يكتب حديثه، وينظر فيه اعتبارا، ولما سئل الدار قطني: إذا قلت: **فلان لين**؛ ايش تريد به؟ قال: لا يكون ساقطاً متروك الحديث، ولكن مجروحا بشيء لا يسقط عن العدالة.

ونحوها تعرف وتنكر، ليس بذاك، لين، تكلموا فيه، ويخرج الحديث عنهم للاعتبار والمتابعات عند المحدثين[٣].

قال ابن حجر في اللسان: سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني الحافظ الثبت المعمر أبو القاسم: لا ينكر، له التفرد في سعة ما روى، **لينه الحافظ أبو بكر بن مردويه** لكونه غلط أو نسي؛ فمن ذلك أنه وهم وحدث بالمغازي عن أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقي، وإنما أراد عبد الرحيم أخاه فتوهم أن شيخه عبد الرحيم اسمه أحمد واستمر على هذا يروي عنه ويسميه أحمد وقد مات أحمد قبل دخول الطبراني مصر بعشر سنين أو أكثر.

---

(١) لسان الميزان، ابن حجر: (٢/ ٢٩٢).

(٢) الوافي بالوفيات، الصفدي: (٤/ ١٣٨).

(٣) مقدمة ابن الصلاح (١/ ٢٤)؛ التقرير والتحبير، ابن أمير حاج: (٤/ ١٢٧).

وأيضاً كان مما أخذه ابن مردويه على الطبراني ما كان في رواية الطبراني عن إدريس بن جعفر العطار، قال أبو بكر بن مردويه دخلت بغداد وتطلبت حديث إدريس بن جعفر العطار عن يزيد بن هارون وروح بن عبادة فلم أجد إلا أحاديث معدودة، وقد روى الطبراني عن إدريس عن يزيد بن هارون كثيراً وكان الطبراني لقي هذا الشيخ فاغتنمه، البغاددة لم يكن عندهم إدريس بذاك، فلم يكثروا عنه[1]

وقد **اعتذر عنه ابن حجر** بما أورده عن الضياء قال: لو كان كل من وهم في حديث أو حديثين اتهم لكان هذا لا يسلم منه أحد[2].وقال: (إلى الطبراني المنتهى في كثرة الحديث وعلوه فإنه عاش مائة سنة، وسمع وهو بن ثلاث عشرة سنة، وبقي إلى سنة ستين وثلاثمائة) [3]

وعلى الرغم من **دقة ابن مردويه** في نقده الرجال، إلا أنه لم يلتزم الرواية في تفسيره عن الثقات منهم، شأن الكثير من مفسري السلف.

وعلى سبيل المثال فطريق الضحاك بن مزاحم الكوفي (ت ١٠٢) عن: ابن عباس منقطعة فإن الضحاك لم يلقه، وإن انضم إلى ذلك : رواية : **بشر بن عمارة** فضعيفة ضعف بشر، وقد أخرج عنه ابن جرير وابن أبي حاتم، وإن كان من رواية: **جرير** عن الضحاك فأشد ضعفا لأن جريرا شديد الضعف متروك، وهذه الطريق شديدة الضعف إنما أخرجها: ابن مردويه، وأبو الشيخ في تفسيريهما، ولم يخرجها ابن جرير الطبري[4].

تلاميذه:

رزق **ابن مردويه** بالعديد من التلاميذ، وساعد على ذلك عدة عوامل ترجع إلى **شخصيته العلمية، ورحلاته، وما رزق من علو الأسانيد، وطول العمر**

---

(١) لسان الميزان، ابن حجر: (١/ ٤٤٨).

(٢) لسان الميزان، ابن حجر: (١/ ٤٤٧)

(٣) لسان الميزان، ابن حجر: (١/ ٤٤٨).

(٤) كشف الظنون، حاجي خليفة: (١/ ٤٢٧).

مع بقاء الذهن والذاكرة، حدث عنه: أبو بكر محمد بن إبراهيم **المستملي العطار** وأبو بكر العطار، هو مستملي الحافظ أبي نعيم. روى عن ابن مردويه ...، قال الدقاق: كان من الحفّاظ يملي من حفظه اهـ، فالعطار كان حافظاً، ولعله تأثر بابن مردويه في الإملاء من الحفظ[(١)].

وأخذ عنه أبو منصور محمد بن زكريا بن الحسن بن زكريا بن ثابت بن عامر ابن الحكم بن حكويه بن جنيد مولى الأنصار السيني الأديب الأصبهاني[(٢)].

وحدث عنه كذلك أبو عمرو عبد الوهاب، وأبو القاسم عبد الرحمن: ابنا الحافظ ابن مندة، وأبو الخير محمد بن أحمد بن ررا، والقاضي أبو منصور بن شكرويه، وأبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن سليم، وسليمان بن إبراهيم الحافظ، وأحمد بن عبد الرحمن الذكواني، وأبو عبد الله القاسم بن الفضل الثقفي وأبو مطيع محمد بن عبد الواحد الصحاف المصري، وخلق كثير[(٣)].

ولم تقتصر تلاميذه على الرجال، فمحدث حافظ مثل ابن مردويه، لا بد أن يجذب للسماع منه طلاب العلم من الرجال والنساء، **فممن أخذ عنه من النساء**: غنيمة: أم سعد بنت عبد الله بن أحمد بن شيبان الأصبهانية، عن ابن مردويه الحافظ[(٤)].

مكانته العلمية:

لم يزل العلماء يلهجون بالذكر الحسن، وجميل الحديث عن الحافظ أبي بكر بن مردويه، قال الذهبي: الحافظ المجود العلامة، محدث أصبهان، **ثم ساق عن** أبي بكر بن أبي علي قوله عنه: هو أكبر من أن ندل عليه وعلى فضله، وعلمه وسيره، وأشهر بالكثرة والثقة من أن يوصف حديثه، أبقاه الله، ومتعه

(١) العبر في خبر من غبر، الذهبي: (١/ ٢١٥).
(٢) الإكمال، ابن ماكولا: (٤/ ٥١٧).
(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي: (١٧/ ٣٠٨)؛ تذكرة الحفاظ، الذهبي: (٣/ ١٠٥٠ ـ ١٠٥١).
(٤) تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، ابن حجر: (١/ ٢٤٤).

بمحاسنه[(١)]. وذكر **الذهبي** أيضاً عنه أنه كان من فرسان الحديث، فَهِماً يقظاً متقناً كثير الحديث جدا، ومن نظر في تواليفه، عرف محله من الحفظ[(٢)] ووصفه أيضاً بأنه الثبت العلامة[(٣)]، وذكر عن الإمام إسماعيل قوله: لو كان ابن مردويه خراسانيا، كان صيته أكثر من صيت الحاكم[(٤)].

وقال **السيوطي**: ابن مردويه الحافظ الكبير العلامة ..كان فهما بهذا الشأن، بصيراً بالرجال، طويل الباع، مليح التصانيف[(٥)].

ومدحه ابن كثير في غير ما موضع من كتابه التفسير وذكر أنه (الحافظ الجليل)[(٦)]

وفاته:

اتفق المؤرخون لوفاته أنه مات لست بقين من رمضان سنة أربعمائة وعشرة من الهجرة، وقد قارب التسعين عن سبع وثمانين سنة[(٧)].قال ابن كثير: توفي في رمضان وقد قارب التسعين[(٨)].

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي: (١٧/ ٣٠٨).
(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي: (١٧/ ٣٠٨).
(٣) تذكرة الحفاظ، الذهبي: (٣ / ١٠٥٠).
(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي: (١٧/ ٣٠٨).
(٥) طبقات الحفاظ، السيوطي: (ص ٤١٢).
(٦) تفسير ابن كثير (٣/ ٩٨).
(٧) سير أعلام النبلاء، الذهبي: (١٧/ ٣٠٨)؛ العبر في خبر من غبر، الذهبي: (١/ ١٨٢)؛ طبقات الحفاظ، السيوطي: (١/ ٨٣)؛ الوافي بالوفيات، الصفدي: (٨/ ١٣١)؛ تذكرة الحفاظ، الذهبي: (٣/ ١٠٥٠)؛ المنتظم (٤/ ٣٢٩)؛ تاريخ أصبهان، أبو نعيم: (١/ ٨٧)؛ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي: (١/ ٤٧٠) ؛ البداية والنهاية (١٢/ ٨)، وأرخ وفاته في معجم المؤلفين (٢ / ١٩٠) بالميلادي في عام (١٠١٩ م).
(٨) دول الإسلام، الذهبي: ص٢٤٤؛ العبر في خبر من غبر؛ الذهبي: (٢/ ٢١٧ـ٢١٨).

المبحث الثاني: التعريف بالتفسير المرفوع إلى النبي ﷺ

المطلب الأول: حد التفسير المرفوع.

تختلف الحدود باختلاف أنظار الباحثين، وإذا كان الحد هو الجامع المانع؛ فلا بد أن يجمع صفات المحدود، ويمنع اختلاطه بغيره، ولم أجد من عرَّف التفسير المرفوع بتعريف دقيق، يمكن أن يبنى عليه، وذلك لأن لفظة (المرفوع) تعني عند المحدثين كل ما أضيف من الرواية للنبي ﷺ، وهذا العموم ليس مراداً هنا، ولذا اخترت أن أعرفه باسم (التفسير النبوي) كما يلي:

التفسير النبوي: هو الرواية التفسيرية التي ترد عن النبي ﷺ في تفسير آية من الآيات **قصداً**.

والمراد من (**الرواية**) أي المسندة لا التي يوردها بعض المفسرين بغير إسناد أو عزو لمسند، والمراد من (**التفسيرية**) أي المتعلقة بالتفسير، **وإنما عبرت بـ(قصداً)**، أي بصورة مباشرة، وإلا فكل السنة تعد تفسيراً للقرآن.

ولاشك أن من أهم أنواع التفسير هو التفسير المرفوع للنبي ﷺ ، فإنه إذا صح إسناده فلا يعدل عنه، وعلى هذا درج علماء الأمة، وما هذا إلا لأن النبي ﷺ أعلم بكتاب الله ومراد الله، وهو أحرص وأنصح للأمة بما يكون خيراً لها، فهو النبي الخاتم، ومنه تعلم الصحابة فمن بعدهم، ولهذا لا نجد رواية موقوفة أو مقطوعة يقدمها إمام من علماء التفسير على المرفوع الصحيح.

المطلب الثاني: تفسير النبي ﷺ ومقدار ما صح منه.

كان الصحابة يسألون النبي ﷺ عن بعض الآيات لا كلها، لأنه لم يستشكل لهم - **وهم العرب الأقحاح** - كثير من المعاني، بل كان الرجل يأتي النبي ﷺ يسأله عن الإسلام، فيقرأ عليه القرآن فتأخذه بلاغته ونوره ويمن الله عليه فيسلم.

ثم في معاصرة الصحابة للنبي ﷺ والأخذ عنه ما يعمل من أوامر القرآن يكون كالشرح العملي لهم، فتبين لهم معاني آيات الصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر المعاملات من خلال فعل النبي ﷺ وأوامره ونواهيه وتقريراته، وجميع سنته.

فإذا عنّ لأحدهم معنى من المعاني استشكله سأل عنه، ولاسيما أمنا **عائشة** التي كانت تسأل عن كل ما لاتعرفه، وأمثلة ذلك معروفة.

ما روى البخاري عن ابن أبي مليكة أن عائشة زوج النبي ﷺ كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي ﷺ قال: ((من حوسب عذب))، قالت عائشة فقلت: أوليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[1]، قالت فقال: ((إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يهلك))[2].

وكما روى جابر أن أم مبشر سمعت النبي ﷺ يقول عند **حفصة** ((لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها))، قالت: بلى يا رسول الله فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[3]، فقال النبي ﷺ : ((قد قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[4]))[5].

---

(١) سورة الإنشقاق، الآية: ٨.

(٢) صحيح البخاري: (١ / ٥١ـ ح: ١٠٣)، باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه ؛ بلفظه مسند أحمد: (٦/ ١٢٧، ح : ٢٥٠٠٢).

(٣) سورة مريم، الآية: ٧١.

(٤) سورة مريم، الآية: ٧٢.

(٥) صحيح مسلم ، باب من فضائل أصحاب الشجرة : (٤/ ١٩٤٢ـ ح ٢٤٩٦)؛ الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، الحميدي: (٤/ ٢٣٠)؛ مسند أحمد: (٦/ ٤٢٠)؛ سنن النسائي الكبرى: (٦/ ٣٩٥، ح: ١١٣٢١) باب قوله تعالى : {ولا تزر الظالمين فيها جثياً} .(١٢ / ٢٩٤).

وكذا كان حال جميع الصحابة، فعن أبي هريرة ﷺ قال: لما نزلت ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾[١] **بلغت من المسلمين مبلغا شديدا** فقال رسول الله ﷺ: ((قاربوا وسددوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها أو الشوكة يشاكها))[٢].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣] قال: **فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ**، فأتوا رسول الله ﷺ، ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة، والصيام، والجهاد، والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية، ولا نطيقها، قال رسول الله ﷺ: ((أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؛ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير))، قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم ذلت بها ألسنتهم، فأنزل الله في إثرها ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[٤]، فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى، فأنزل الله عز وجل﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ﴾[٥]، قال: نعم، ﴿رَبَّنَا

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٣.

(٢) صحيح مسلم: (٤/ ١٩٩٣ ـ ح ٢٥٧٤) باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾[1]، قال: نعم، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾[2]، قال: نعم، ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[3]، قال: نعم))[4].

وعن عبد الله - يعني ابن مسعود- قال: لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾[5]، قال **أصحاب رسول** الله ﷺ: ((أينا لم يظلم، فأنزل الله عز وجل ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[6]))[7].

وعن عبد الله -يعني ابن مسعود- رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، **قلنا**: يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه، قال: ((ليس كما تقولون ﴿لَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ بشرك، أولم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[8]))[9].

وفي رواية مسلم: (**شق ذلك على أصحاب رسول الله** ﷺ، وقالوا: أينا لا يظلم نفسه، فقال رسول الله ﷺ: ((ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾))[10]

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٤) صحيح مسلم : (١/ ١١٥، ح ١٢٥)، باب بيان أنه سبحانه لم يكلف إلا ما يطاق؛ سنن النسائي الكبرى: (٦/ ٣٢٨، ح ١١١٢٢)، باب قوله تعالى: {ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب}؛ مسند أحمد: (٢/ ٢٤٨).

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

(٦) سورة لقمان، الآية: ١٣.

(٧) صحيح البخاري (١/ ٥٦، ح: ٣١)؛ سنن النسائي الكبرى: (٦/ ٣٤١، ح: ١١١٦٦).

(٨) سورة لقمان، الآية: ١٣.

(٩) صحيح البخاري (١١ / ١٤٧، ح:٣١١٠)؛ مسند أحمد : (١/ ٤٤٤).

(١٠) صحيح مسلم (١/ ١١٤)، باب صدق الإيمان وإخلاصه.

وكما حدث لبعض الصحابة في فهم خيطي الليل والنهار، فعن عدي بن حاتم ﷺ قال: قلت يا رسول الله ما ﴿ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾[١] أهما الخيطان؟، قال: ((إنك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين، ثم قال: لا بل هو سواد الليل وبياض النهار))[٢]، وفي رواية (أخذ عدي عقالا أبيض وعقالا أسود حتى كان بعض الليل نظر فلم يستبينا، فلما أصبح قال يا رسول الله جعلت تحت وسادي عقالين، قال: ((إن وسادك إذا لعريض أن كان الخيط الأبيض والأسود تحت وسادتك))[٣].

وبهذا نتبين أنه لم تكن الحاجة ملحة للاجتهاد في معاني الآيات كلها في ذلك العهد، لوضوح معانيها، وما استشكلوه معدود قليل.

وهنا يرد سؤال، لماذا كان التفسير النبوي المبين لمعاني الآيات قليلاً؟.

والجواب، أن النبي ﷺ لم يفسر كامل القرآن رجاء أن يعمل الأئمة عقولهم في استخراج المعاني، والاجتهاد في التفسير، وذلك لأن القرآن حمال أوجه، ولا يزال كل عصر يلقي بظلاله، فيستنبط المجتهدون الأحكام والهداية في مشكلات العصر من القرآن الكريم، ألا ترى كيف لم يجب النبي ﷺ عمر ﷺ في الكلالة رغم أنه سأله وأرسل حفصة تسأل له، ولم يبين له النبي ﷺ رجاء أن يفقه بنفسه، وكان هذا دافعاً له للتفقه في كل الشريعة، وإن خفي هذا الحكم أو ذاك عليه.

روى عبد الرزاق، عن طاووس أن عمر ﷺ أمر حفصة أن تسأل النبي ﷺ عن الكلالة، فأمهلته حتى إذا لبس ثيابه فسألته ، فأملاها عليها في كتف، فقال: عمر أمرك بهذا ، ما أظنه أن يفهمها، أو لم تكفه آية الصيف؟، فأتت بها عمر

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٢)صحيح البخاري (١٣/ ٤٥٢، ح:٤١٥٠)، باب وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود.

(٣) صحيح البخاري (١٣/ ٤٥١، ح: ٤١٤٩).

فقرأها، [فلما قرأ] ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْۗ﴾ (١)، قال: اللهم من بينت له فلم تبين لي(٢).

قال النووي: (ولعل النبي ﷺ إنما أغلظ له لخوفه من اتكاله واتكال غيره على ما نص عليه صريحا، وتركهم الاستنباط من النصوص، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ﴾ (٣)، فالاعتناء بالاستنباط من آكد الواجبات المطلوبة، بأن النصوص الصريحة لا تفي إلا بيسير من المسائل الحادثة، فإذا أهمل الاستنباط، فات القضاء في معظم الأحكام النازلة أو في بعضها. والله أعلم)(٤).

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٧٦.

(٢) مصنف عبد الرزاق: الصنعاني: (١٠/ ٣٠٥، ح: ١٩١٩٤)؛ الجمع بين الصحيحين، الحميدي: (١/ ٤٣)؛ وأصله في مسلم باب نهي من أكل ثوماً: (١/ ٣٩٦، ح: ٥٦٧) و (٣/ ١٢٣٦، ح: ١٦١٧)؛ وينظر مسند أبي يعلى: (١/ ١٦٥)، (١/ ٢١٩)؛ ومسند أحمد: (١/ ١٥)، (١/ ٢٦)؛ ومسند الطيالسي: (١/ ١١).

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٣.

(٤) شرح النووي على مسلم : (١١/ ٥٧)؛ والديباج على مسلم: (٤/ ٢٠٧).

المطلب الثالث: تفسير النبي ﷺ عند ابن مردويه مقارنة بغيره من مفسري الأثر.

عند عقد مقارنة بين تفسير ابن مردويه، وبين أهم كتب التفسير بالأثر التي اعتمد عليها السيوطي، كابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر وعبد بن حميد وأبي الشيخ؛ نجد أن ابن مردويه من أكثرها اختلافاً في المنهج، فنجد التقارب الواضح بين ابن جرير وابن أبي حاتم ثم ابن المنذر وعبد بن حميد، ثم أبا الشيخ[(١)].

أما ابن مردويه فقد نهج نهجاً مختلفاً، فكان هدفه الرئيس في تأليفه لهذا التفسير جمع ما روي عن النبي ﷺ في الدرجة الأولى، ولذا شحن تفسيره بما يقارب نصفه بالروايات المرفوعة، في حين أن هذه النسبة لا تتجاوز العشر أو نصف العشر عند غيره، وهذا الاهتمام الكبير بالمرفوع أدى إلى إغفاله العديد من الطرق والأنواع في التفسير[(٢)].

وهنا يبرز سؤال، أنى لابن مردويه بهذا العدد، في حين تقدم تقرير الإمام أحمد في أن التفسير ليس له إسناد؟.

والجواب على هذا يبرز من خلال معرفة منهج ابن مردويه، وقد لمح لي فيه أمور سيأتي تفصيلها، ولكن أجمل منها هنا ما يتعلق بجواب هذا السؤال:

أولاً: يعنى ابن مردويه بجمع الروايات الواردة في الحديث الواحد- وهو ما يقال له (تطريق) الحديث - والإكثار من الشواهد والمتابعات للحديث الواحد، ولذا قد يكون الكثير مما رواه هو في أصله روايات معدودة، لكن زاد

---

(١) بلغت عدد مرويات تفسيره: (٤٦٥٢) رواية، بينما بلغت عند ابن جرير (١١١١٦) رواية، وعند ابن أبي حاتم (١١٢٨٢) رواية، وعند ابن المنذر (٨٩٨٨) رواية، وعند عبد بن حميد (٧٩٥٣) رواية، وعند أبي الشيخ (٣٣٨٧) رواية، فقد احتل المرتبة الخامسة بينهم في كثرة الروايات.

وهذه الأعداد هي ما حصرته من أعداد جميع المرويات في (**الدر المنثور**)، حتى تكون المقارنة أكثر دقة، وميزانها واحد.

(٢) مثل قلة عنايته بنقل تفسير الصحابة وأقل منه عنايته برواية تفسير التابعين، كما قل عنده الاهتمام بإيراد العديد من أنواع علوم القرآن.

عددها بطرقها، وهذا فيه فوائد كثيرة لا تخفى على طالب العلم، وسيأتي أمثلة لذلك عند الكلام على تأثر ابن كثير به.

ثانياً: يجتهد ابن مردويه في إيراد المرفوع مما ليس مسوقاً أصلاً لتفسير الآية؛ **بل اجتهاد منه لما يلحظه من معان مناسبة بين الآية والحديث**، وهو نوع **(التفسير بالسنة)**، ومثال ذلك ما أورده ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ﴾ [1]، قال ابن كثير: **وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مَرْدُويه** في تفسير هذه الآية من حديث أبي معشر، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما بين المشرق والمغرب قِبْلَة لأهل المدينة وأهل الشام وأهل العراق))، **وله مناسبة هاهنا**، وقد أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي معشر، واسمه نَجِيح بن عبد الرحمن السَّندي المدني، به ((ما بين المشرق والمغرب قبلة))[2].

وهذا يدخل ضمن **التفسير الاجتهادي**، وإن كان من المرفوعات.

ثالثاً: أن ابن مردويه يُعنى مع ذلك برواية ما ليس له مساس أصيل بالتفسير غير الاجتهادي، مما يدخل في باب الوعظ والفضائل، مع قلة مروياته مقارنة فيما يتعلق بما له أصل في التفسير أصالة، كتعيين المراد من الآيات، أو شرح مفردات القرآن، وهذان النوعان من التفسير كان لغيره من الأئمة الخمسة قصب السبق فيها، بل ظهر الخلاف بينهم فيها واضحاً، والبون فيها شاسعاً، وسيأتي تفصيله.

رابعاً: كثير مما أورده ابن مردويه ليس صحيحاً بل انتقده ابن كثير في كثير مما أورده عنه بأنه غرائب لا تصح، وبالتالي فهي لا تخالف ما جاء عن الإمام أحمد.

ولكن يبقى لنا جمع الطرق والروايات والاجتهاد في سياق الفضائل ونصوص الوعظ؛ فيتحصل لنا ثروة علمية تفسيرية بالمرفوعات ضخمة في ذلك.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٥.

(٢) تفسير ابن كثير: (١/ ٣٩٥).

الفصل الثاني
منهجه في نوع الرواية

المبحث الأول: في التفسير

من خلال معرفة تناول ابن مردويه لطرق التفسير يمكن دراسة منهجه في كتابه، وتقدم أن ما يزيد على ثلاثة أرباع مرويات تفسيره كانت في العناية بحديث النبي ﷺ[١]، وبعد حصر نوعي لمرويات ابن مردويه في التفسير وجدت أنها اشتملت أربعة وثلاثين نوعاً[٢]، لكن تباينت بصورة كبيرة في عدد المروي في كل نوع، فبينما تعدت بعض الأنواع المئات، بل الألوف عدداً؛ وجدنا أن بعضها الآخر كان دون العشر المرويات، وتبين لي أن أكثر ما أورده إنما هو في ثمانية أنواع من أنواع الرواية، في أبواب تعيين المراد في تفسيره ﷺ[٣]، ثم في سرد الفضائل المرفوعة[٤]، فالاعتماد على السنة في إيضاح المعنى[٥]، ثم سوق أسباب النزول[٦]، فاللطائف التفسيرية المروية من قوله عليه الصلاة والسلام[٧]، ثم نقل النصوص النبوية في شرح آيات الاعتقاد[٨]، وأخيراً الوعظ الذي غالبه من خبره عليه الصلاة والسلام[٩]، وما سوى ذلك دونه بكثير، ما دون الثلاثمائة بل عشرات أو آحاد.

(١) بلغت عدد مروياته في هذا الجانب: (٢٠٢٩) رواية.

(٢) بحثت عشرين نوعا منها في هذا البحث معتمداً على كثرة العدد والأهمية، وباقي الأنواع، وأعداد ما روى منها هو: ما يتعلق بالعام والخاص (٣١) رواية، أسرار الكلمات (٢٤) رواية، جمع المصحف (١٣) رواية ، البيان القرآني (١٢) رواية ، التفسير باللغة (١٢) ، القصص (١٢) رواية ، رسم المصحف (١١) رواية ، نزول القرآن (٩) روايات ؛ معرفة أول ما نزل (٩) روايات، آخر ما نزل (٧) روايات، فضائل السور (٧) ، ترابط الآيات (٥)، فضائل الآيات(٥)، القسم (٤).

(٣) بلغت عدد مروياته في هذا الجانب: (١٧٠٦) رواية.

(٤) بلغت عدد مروياته في هذا الجانب: (١٠٣٧) رواية.

(٥) بلغت عدد مروياته في هذا الجانب: (٧٢٨) رواية.

(٦) بلغت عدد مروياته في هذا الجانب: (٦٦٨) رواية.

(٧) بلغت عدد مروياته في هذا الجانب: (٥٥٠) رواية.

(٨) بلغت عدد مروياته في هذا الجانب: (٤٨٣) رواية.

(٩) بلغت عدد مروياته في هذا الجانب: (٤٨٠) رواية.

وفيما يلي بيان لبعض تلك الأنواع، عند ابن مردويه مقارنة بأشهر مفسري الأثر.

المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن.

تفسير القرآن بالقرآن هو أشرف أنواع التفسير وأجلها بالإجماع،[1] إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جل وعلا من الله جل وعلا، فأحسن طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فقد فصل في موضع آخر وما اختصر في مكان فإنه قد بسط في آخر[2].

والمراد بتفسير القرآن بالقرآن: أن تبين إحدى الآيات ما أريد به في آية أخرى، وهذا البيان له أنواع كثيرة، وقد أوصلها الشيخ الشنقيطي في كتابه الرائع "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" إلى نحو عشرين نوعاً[3]، كبيان الإجمال الواقع بسبب إبهام في اسم جنس جمعاً كان، أو مفرداً.

ومثال ذلك: قوله تعالى: {فتلقى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ}[4]، فإنه لم يبين هنا ما هذه الكلمات ، ولكنه بينها في سورة الأعراف بقوله: {قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخاسرين}[5] .

وابن مردويه هو من أقل مفسري الأثر عناية بهذا النوع[6]، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أنه نشط في نقل ما جاء عن النبي ﷺ، وقلة التفاته للمنقول عن الصحابة والتابعين، من حيث إن أكثر هذا النوع ورد في تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم.

---

(١) نقله الشنقيطي في أضواء البيان، (١/ ٦٧).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية: (٢/ ٣١١)؛ وينظر: البرهان، الزركشي: (٢/ ١٧٥).

(٣) راجع أضواء البيان، الشنقيطي: (١/ ٦٩ ـ ٩٠).

(٤) سورة البقرة، الآية: ٣٧.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٢٣ ؛ أضواء البيان، الشنقيطي: (١/ ٣٤).

(٦) بلغت النسبة عند ابن جرير (٠.٠١٦)، وعند ابن أبي حاتم (٠.٠١٧)، وعند ابن المنذر (٠.٠١٥)، وعند عبد بن حميد (٠.٠١٥)، وعند أبي الشيخ (٠.٠١)، بينما بلغت عند ابن مردويه (٠.٠١٣)، فهي لم تتعد: ٦٠ رواية، من مجموع مروياته.

المطلب الثاني: التفسير بالسنة

المراد بالتفسير بالسنة هو أن يأتي المفسر بالحديث الذي ليس مسوقاً في تفسير الآية قصداً، فيلمح فيه تشابهاً يصلح لتفسير الآية، فهو من أنواع **التفسير الاجتهادي**[١]، بل ومن أشرفه.

فالتفسير بالسنة: هو اعتماد الصحابة والتابعين وتابعيهم على فهم حديث من قوله أو فعله ﷺ والاجتهاد في التفسير به أو بنظيره.

ومثال ذلك: ما رواه ابن مردويه في تفسير قوله تعالى {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ}[٢]، عن عبد الله بن عَمْرو بن العاص، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة. فقال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وحرزًا للأميين، وأنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، لا فظٌّ ولا غليظ ولا سَخَّاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله. فيفتح به أعينا عُمْيًا، وآذانًا صُمًّا، وقلوبا غُلْفًا[٣].

ومن ذلك ما رواه ابن مردويه عن أبي سعيد قال: (سرنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كان من آخر الليل أجزنا في ثنية يقال لها : ذات الحنظل، فقال: ((ما

---

(١) المراد **بالاجتهاد**: بذل الجهد للتخلص من الشك والوصول إلى غلبة الظن فما فوقها، أو هو: استفراغ الوسع في طلب الظن بشيء من الأحكام الشرعية على وجه يحس من النفس بالعجز عن المزيد عليه، معجم لغة الفقهاء، قلعجي: (١/ ٤٣)؛ شرح الكوكب المنير، الفتوحي: (٣/ ٤٤)؛ القاموس الفقهي، سعدي أبو جيب: (١/ ٧١).

والمراد بالتفسير الاجتهادي هنا: استفراغ المفسر وسعه لدرك معنى الآية مما يسوغ فيه الاجتهاد وهو الظني، والاجتهاد يكون من خلال ما يحيط به المفسر من أنواع التفسير بالقرآن أو بالسنة، أو باللغة، ويشترط له المعرفة التامة بالعلوم التي اشترطها العلماء في المفسر، لأن الرواية عن الله تعالى ليست كالرواية عن أحد من الناس.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١١٩.

(٣) تفسير ابن كثير: (١/ ٤٠٢)، والحديث أخرجه البخاري في البيوع (ح٢١٢٥).

مثل هذه الثنية الليلة إلا كمثل الباب الذي قال الله لبني إسرائيل: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ﴾[(١)]))[(٢)].

وابن مردويه أكثر مفسري الأثر عناية بهذا النوع **بدون مقارب**[(٣)]، فما عنده يزيد أربعة أمثال ما عند غيره، والسبب في ذلك يرجع إلى اهتمامه بجمع الروايات المرفوعة كما تقدم.

المطلب الثالث: التفسير بتعيين المراد

المراد بتعيين المراد: تحديد المقصود من الآية، وبيان النوع، أو العدد أو الصفة، أو المقصود من الناس أو الفرق أو غيرها، أو النص على أن مراد الكلمة هو كذا.

ومثال ذلك: حديث عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: ((﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾[(٤)] ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي)). رواه مسلم[(٥)].

فهنا لفظ القوة نكرة مفيدة لأفرادها بعموم دخول (من) عليها، والنكرة في سياق النفي على العموم قسمان: قسم يكون نصا ومنه ما زيد فيها (من)

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٥٨.

(٢) تفسير ابن كثير: ١/ ٢٧٦.

(٣) بلغت النسبة عند ابن جرير (٠.٠٤٤)، وعند ابن أبي حاتم (٠.٠٣٤)، وعند ابن المنذر (٠.٠٤٣)، وعند عبد بن حميد (٠.٠٤٢)، وعند أبي الشيخ (٠.٠٣٥)، بينما بلغت عند ابن مردويه (٠.١٦)، في (٧٢٨) رواية، من مجموع مروياته. وللمزيد من الأمثلة ينظر الآثار من الدر المنثور ط د/ التركي، في المواضع الآتية: (١/ ٣١٣، ٣٨١، ٦٢١ ـ ٢/ ٤٨٣ ـ ٣/ ١٧٢، ١٨٢، ١٩٠، ١٩١، ٤٨٤ ـ ٤/ ٤٩٣، ٥٥٣ ـ ٥/ ١٨٦، ٤٠٨، ٤٢١، ٤٤٢، ٤٥٠، ٦٠٥، ٦٠٩ ـ ٧/ ٥٩٣، ٦٤٣).

(٤) سورة الأنفال: الآية: ٦٠.

(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٨٠)، والحديث أخرجه مسلم: (٣/ ١٥٢٢)، باب فضل الرمي والحث عليه.

فتكون نصاً أيضا[١]، وليس هنا نفي أو نهي، لكن جاء الحديث بقصر ذلك على الرمي، فتم **تعيين المراد** من هذا الإطلاق بأسلوب الحصر[٢].

وابن مردويه أقل مفسري الأثر عناية بهذا النوع[٣]، والسبب في ذلك يرجع إلى أن تعيين المراد أكثره من التفسير الموقوف والمقطوع على التابعي وتابع الأتباع، وهو مقل في هذه الأنواع لأن اهتمامه كان منصرفاً لجمع المرفوعات؛ بل لم نجد له رواية عن تابعي الأتباع أصلاً[٤].

المطلب الرابع: التفسير بشرح المفردات

قد يشتبه هذا النوع بالنوع الذي قبله من جهة أن تفسير الألفاظ الغريبة من جنس تعيين المراد، إلا أن المراد هنا **بشرح المفردات**: المعاني اللغوية لغريب القرآن، أو الألفاظ التي يقل دورانها على الألسن في اللغة، وقد يعز على كثير من الناس ولاسيما بعد دخول العجمة في اللسان العربي.

فالتفسير بشرح المفردات هو: اعتماد الصحابة والتابعين وتابعيهم على اللغة والاجتهاد في التفسير بها لغريب ما ورد بالقرآن.

ومثال ذلك: ما أورده السيوطي في نفس الموضع عن ابن عباس في قوله تعالى: {يؤمنون} قال: يصدقون. {يعهمون}: يتمادون. {مطهرة}: من القذر والأذى. {الخاشعين}: المصدقين بما أنزل الله. {وفي ذلكم بلاء}: نعمة.

---

(١) شرح الكوكب المنير، الفتوحي: (٣/ ١٣٠).

(٢) الحصر هنا بالمبتدأ والخبر المؤكد بإن.

(٣) بلغت النسبة عند ابن جرير (٠.٦٦)، وعند ابن أبي حاتم (٠.٦٥)، وعند ابن المنذر (٠.٦٤)، وعند عبد بن حميد (٠.٦٣)، وعند أبي الشيخ (٠.٥٨)، بينما بلغت عند ابن مردويه (٠.٣٧)، في (١٧٠٦) رواية، من مجموع مروياته. للمزيد من الأمثلة ينظر الدر ط التركي نماذج من هذا النوع: (١/ ٨٥، ١٢٢، ١٩٢، ٢١٠، ٣٢٣، ٣٦٧، ٣٨١، ٤٧٤، ٦٥٤، ٥٠٤، ٥٧١، ٦١٧، ٦٢١، ٧٣٠)؛ (٢/ ١٧، ١٤٤، ١٥٠، ٢٧٠، ٣٢٤، ٣٢٥، ٦٢٥)؛ (٣/ ٢٨٧، ٢٧١، ٣٣٠، ٣٣٧، ٤٤٧، ٤٥٤، ٤٧٨، ٤٧٩، ٥٠٢، ٦٢٥، ٦٥٩، ٦٨٨، ٦٩٠، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧١٧، ٧٥٥) وغيرها كثير.

(٤) يأتي بيان ذلك في مطلب (الرواة) الذين روى عنهم ابن مردويه تفسيره.

{وفومها}: الحنطة. {إلا أماني}: أحاديث. {قلوبنا غلف}: في غطاء. {ما ننسخ}: نبدل. {أو ننسها}: نتركها فلا نبدلها. {مثابة}: يثوبون إليه ثم يرجعون. {حنيفاً}: حاجاً... الرواية بتمامها[١].

وابن مردويه هو أقل مفسري الأثر عناية بهذا النوع مطلقاً[٢]، والسبب في ذلك يرجع إلى أن شرح المفردات أكثره من التفسير الموقوف والمقطوع على التابعي، وهو مقل في هذه الأنواع لأن اهتمامه كان منصرفاً لجمع المرفوعات[٣].

المطلب الخامس: تفسير آيات الأحكام.

المراد هنا من آيات الأحكام: أي الآيات التي تدل على الأحكام **صراحة.**

وإنما كان التعبير **بصراحة؛** حيث إن الفقيه يمكنه أن يستنبط الحكم من قصة أو مثل أو غير ذلك.

ويؤكد ذلك أنه اختلف في عددها، فقال الغزالي وغيره: آيات الأحكام خمسمائة آية. وقال بعضهم: مائة وخمسون.

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في كتاب "الإمام في أدلة الأحكام": معظم آي القرآن لا تخلو عن أحكام مشتملة على آداب حسنة وأخلاق جميلة، ثم من الآيات ما **صرح فيه بالأحكام**، ومنها ما يؤخذ بطريق **الاستنباط**، ... كاستنباط صحة أنكحة الكفار من قوله: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ

(١) وقد أخرجها ابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) بلغت النسبة عند ابن جرير (٠.١٣)، وعند ابن أبي حاتم (٠.١٣)، وعند ابن المنذر (٠.١٤)، وعند عبد بن حميد (٠.١٣)، وعند أبي الشيخ (٠.٠٨)، بينما لم تتجاوز عند ابن مردويه (٠.٠٢)، في (٩٥) رواية فقط، من مجموع مروياته. وللمزيد من الأمثلة ينظر نماذج من المروي في هذا النوع كما في الدرر، ط التركي: (١/ ٣٩٨، ٧٣٠)؛ (٢/ ١٧/ ٥٥٧)؛ (٣/ ٧٥٥)؛ (٧/ ٦٠٩)؛ (٨/ ١٤٥، ٢٨٩، ٣٦٦)؛ (٨/ ٦٣٧، ٦٣٩، ٦١١)؛ (٩/ ٧٠، ١٣٠، ٢٨٣، ٤١٠، ٤٥٦)؛ (١٠/ ٥٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٣١، ٥١٢، ٥٤٦، ٧٠٠)؛ (١١/ ١٧، ١٧٢، ٤١٤)؛ (١٢/ ٥٤، ٩٨، ١٠٥، ١١٦، ٣١٩، ٣٢٠، ٥٠٣)؛ (١٣/ ٢١٩، ٢٧٠، ٣٤٩، ٤٧٠، ٤٧٣، ٦١٨)، (١٤/ ١٦، ٤٥، ٥٩، ٦٤، ١٥٢، ١٥٣، ١٧٠) وغيرها.

(٣) يأتي بيان ذلك في مطلب (الرواة) الذين روى عنهم ابن مردويه تفسيره.

﴿ٱلۡحَطَبِ﴾[1]، وصحة صوم الجنب من قوله: ﴿فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ﴾ إلى قوله: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ﴾[2] الآية[3].

ومثال ذلك: ما رواه في تفسيره في تفسير قول الله: ﴿مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾[4]، أي فقيل ما السبيل؟ قال: (الزَّاد والرَّاحِلَة). وقد اعتنى الحافظ أبو بكر بن مَرْدُويه بجمع طرق هذا الحديث[5].

وابن مردويه تشابه مع مفسري الأثر في هذا النوع[6]، إذ جل هذه الآيات الصريحة وردت فيها مرفوعات، بل قلّ أن تجد آية من الصريح لا يوجد فيها ذلك، فغيره من المفسرين تميزوا برواية التفسير الموقوف والمقطوع في هذا النوع، فجبر ذلك عنده باستفراغ الوسع في إيراد المرفوع منه، ثم قل أن تجد أثراً في آيات الأحكام عن صحابي، إلا وقد روي من طريق مرفوعاً، وإن كان لا يصح رفعه، لكنه لم يلتزم الصحة فيما يورده.

---

(١) سورة المسد، الآية: ٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٣) الإتقان، السيوطي: (٢/ ٣٤٠)؛ البرهان، الزركشي: (٢/ ٣).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٥) تفسير ابن كثير: (٢/ ٨٣).

(٦) بلغت النسبة عند ابن جرير (٠.٠٥)، وعند ابن أبي حاتم (٠.٠٣٩)، وعند ابن المنذر (٠.٠٥١)، وعند عبد بن حميد (٠.٠٧٤)، وعند أبي الشيخ (٠.٠٤٣)، وعند ابن مردويه (٠.٠٥٤)، في (٢٤٩) رواية، من مجموع مروياته.

وللمزيد من الأمثلة ينظر نماذج من المروي في الدرر، ط التركي: (١/ ١٢، ٥٦٦، ٥٦٧)؛ (٢/ ١٣٢، ١٥٠، ١٦٩، ٣٢٤، ٣٢٩، ٣٧٨، ٣٧٩، ٤٠١، ٦٠٦، ٦١٣، ٧٠١، ٧٠٧)؛ (٣/ ٤٥٥)؛ (٤/ ٥٩، ١٩٢، ٣٤٠)؛ (٥/ ١٧٤، ٢٩٨، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣١٠، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٥)؛ (٦/ ٧٩)؛ (٨/ ١٤٩) وغيرها.

المطلب السادس: التفسير بالإسرائيليات

المقصود بالإسرائيليات: ما يكون من الأحاديث عن أهل الكتاب مما عندهم في كتبهم كالتوراة وغيرها.

وقد اختلف العلماء في روايتها تبعاً لفهم حديث ((وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج))[(١)]، وأرجح الأقوال فيها ما ذكره شيخ الإسلام في مقدمة التفسير حيث قال: (هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد فإنها على ثلاثة أقسام :

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح .

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه **وتجوز حكايته**.

إلى أن قال: (ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز كما قال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾[(٢)]، فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام وتعليم ما ينبغي في مثل هذا . فإنه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال ضعف القولين الأولين وسكت عن الثالث فدل على صحته؛ إذ لو كان باطلا لرده كما ردهما ثم أرشد إلى أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته فيقال في مثل هذا: ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ فإنه ما يعلم بذلك إلا قليل من الناس ممن أطلعه الله عليه؛

(١) صحيح البخاري، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، (٣/ ١٢٧٥، ح: ٣٢٧٤)، دار ابن كثير، ومسند أحمد (٢/ ٥٠٢، ح: ١٠٥٣٦)، (٣/ ٤٦، ح: ١١٤٤٢).
(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٢.

فلهذا قال: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَاهِرًا﴾ أي لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته ولا تسألهم عن ذلك فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب[١].

والذي أحب أن أضيفه هنا أن الكثير من المعاصرين لا يرى مطلقاً رواية الإسرائيليات، ولو كانت من القسمين الأول والثالث، ويبالغ في ذلك، وهذا مخالف لما عليه عمل الأمة، ففضلاً عن الاستدلال بالجواز كما تقدم، وفضلاً عن وجود نص الإباحة المتقدم، فإنه ثبت بأسانيد صحيحة عن جمع من الصحابة روايتها، ولم يتحرج أئمة التفسير من ذكرها فالمبالغة في رد ذلك طعن في أئمة الدين الذين قبلوا روايتها.

ومثال ذلك: ما أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ((أصحاب الكهف أعوان المهدي))[٢]

وابن مردويه هو من أقل مفسري الأثر عناية بهذا النوع مطلقاً[٣]، والسبب في ذلك يرجع إلى أن رواية الإسرائيليات تكثر جداً في التفسير الموقوف والمقطوع، وأما المرفوع منها فنادر أو قليل، وهو مقل في هذه الأنواع.

(١) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية : (ص١٠١).

(٢) الدر المنثور، السيوطي: (٥/ ٣٧٠).

(٣) بلغت النسبة عند ابن جرير (٠.٠٣٦)، وعند ابن أبي حاتم (٠.٠٦)، وعند ابن المنذر (٠.٠٤)، وعند عبد بن حميد (٠.٠٣١)، وعند أبي الشيخ (٠.٠٨)، بينما لم تتجاوز عند ابن مردويه (٠.٠١)،في (٤٥) رواية، من مروياته. وللمزيد من الأمثلة تراجع نماذج من الدر ، ط التركي: (١/ ٣١٣)؛ (٣/ ١٨٦، ٣١٠)؛ (٥/ ٩٦، ٥٩١)؛ (٧/ ٦٣١)؛ (٨/ ٤٢، ٢٠٦، ٢٦١، ٣٢٦، ٣٤١، ٣٤٢)؛ (٩/ ٤٨٨، ٥٧٩، ٦١٣، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٩، ٦٦٧، ٦٧٥)؛ (١٠/ ١٨٨، ٢٧٣، ٣١٩، ٣٢١)؛ (١١/ ١٧٠، ٣٥٣، ٣٥٤، ٤٥٤، ٥٣٧، ٦٤٩).

المطلب السابع: التفسير بالقراءات

تواتر عند العلماء أن القرآن نزل على سبعة أحرف[1].

واختلف في معناها على أربعين قولاً، والذي يهمنا منها الآن، هو أن الذي فعله عثمان ﷺ هو جمع الناس على حرف، وحرق ما سوى ذلك مما لم يكن موافقاً للعرضة الأخيرة.

قال **ابن حجر**: والحق أن الذي جمع في المصحف هو المتفق على إنزاله المقطوع به المكتوب بأمر النبي ﷺ، ...، وما عدا ذلك من القراءات مما لا يوافق الرسم فهو مما كانت القراءة جوزت به توسعة على الناس وتسهيلا ؛ فلما آل الحال إلى ما وقع من الاختلاف في زمن عثمان وكفر بعضهم بعضا اختاروا الاقتصار على اللفظ المأذون في كتابته وتركوا الباقي...

وقال **البغوي**: المصحف الذي استقر عليه الأمر هو آخر العرضات على رسول الله ﷺ، فأمر عثمان بنسخه في المصاحف وجمع الناس عليه، وأذهب ما سوى ذلك قطعا لمادة الخلاف، فصار ما يخالف خط المصحف في حكم المنسوخ والمرفوع كسائر ما نسخ ورفع، فليس لأحد أن يعدو في اللفظ إلى ما هو خارج عن الرسم[2].

والعلماء مختلفون في الاحتجاج بالقراءات الشاذة وحجة من جوز أن: "هذا إن كان قرآنا، فهو حجة؛ لأنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وإن لم يكن قرآنا، فهو رواية عن النبي ﷺ؛ إذ يحتمل أن يكونا سمعاه من النبي ﷺ تفسيرا فظناه قرآنا، فثبتت له رتبة الخبر، ولا ينقص عن درجة تفسير النبي ﷺ للآية، وعلى كلا التقديرين ، فهو حجة يصار إليه"[3]، ومن منع جعله كالحديث الشاذ مع المحفوظ.

(١) روي عن واحد وعشرين صحابياً، وقد نص أبو عبيد على تواتره. الإتقان، السيوطي: (١/ ٥١).

(٢) فتح الباري، ابن حجر: (٩/ ٣٠)؛ وانظر: تحريم كتابة القرآن الكريم بحروف غير عربية، صالح العود.

(٣) المغني، ابن قدامة: (١١/ ٢٧٤).

وأيا كان الأمر، في الاحتجاج الفقهي، إلا أن علماء التفسير يرون صحة التفسير بالقراءات، ولذا ورد عن مجاهد أنه لو كان اطلع على قراءة ابن مسعود لما بحث عن تفسير كثير من الآيات[(١)].

ومثال ذلك: ما أخرج ابن مردويه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه كان يقرأ هذه الآية «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم **وهو أب لهم** وأزواجه أمهاتهم»[(٢)].

فلما جعل المؤمنين كلهم أولاده وهو أب لهم؛ كان هذا ضد حال الأبتر الذي يشنؤه ويشنأ ما جاء به[(٣)].

وابن مردويه تشابه مع مفسري الأثر في هذا النوع[(٤)]، إذ جل هذه الآيات التي في القراءات تكون في المرفوعات، إذ القراءة سنة أثرية.

المطلب الثامن: عنايته بالعقيدة

المراد بآيات الاعتقاد: الآيات التي هي صريحة في تقرير العقيدة، وإلا فكل غالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد، بل كل سورة في القرآن. فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وهو التوحيد العلمي الخبري. وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي. وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته. وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده، وما فعل بهم في الدنيا، وما

---

(١) سنن الترمذي: (٥/ ٢٠٠)، باب الذي يفسر القرآن بنفسه؛ الأحرف السبعة، الداني، (ص٢٧)؛ التفسير والمفسرون، الذهبي: (٢/ ٤)، وتهذيب التهذيب: (١٠/ ٤٠).

(٢) الدر المنثور، السيوطي: (٦/ ٥٦٧).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٦/ ٥٢٨).

(٤) بلغت النسبة عند ابن جرير (٠.٠٣٦)، وعند ابن أبي حاتم (٠.٠٢٨)، وعند ابن المنذر (٠.٠٤٣)، وعند عبد بن حميد (٠.٠٧٧)، وعند أبي الشيخ (٠.٠٢٨)، وعند ابن مردويه (٠.٠٣٧)، في (١٧٠) رواية، من مجموع مروياته.

يكرمهم به في الآخرة، وهو جزاء توحيده. وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما فعل بهم في العقبى من العذاب، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد. فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم[1] .

ومثال ما جاء صريحاً مما رواه ابن مردويه: ما أخرج ابن مردويه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْۗ﴾[2]، قال: إن الله بعث نبيه ﷺ بشهادة أن لا إله إلا الله فلما صدق بها المؤمنون زادهم الصلاة، فلما صدقوا بها زادهم الزكاة، فلما صدقوا بها زادهم الصيام، فلما صدقوا به زادهم الحج، فلما صدقوا به زادهم الجهاد، ثم أكمل لهم دينهم فقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾[3]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: فأوثق إيمان أهل السماء وأهل الأرض وأصدقه وأكمله شهادة أن لا إله إلا الله .

وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود ﷺ ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْۗ﴾ قال: تصديقاً مع تصديقهم[4] .

فهذه من نصوص الاعتقاد في أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

ومثال آخر: ما أخرج **ابن مردويه** عن ابن عباس قال: رأى محمد ربه، قال عكرمة: فقلت له: أليس الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ﴾[5]، قال: لا أم لك! ذلك نوره وإذا تجلى بنوره لا يدركه شيء. وفي لفظ: إنما ذلك إذا تجلى بكيفيته لم يقم له بصر[6] .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز: (١/ ٨١).
(٢) سورة الفتح، الآية: ٤ .
(٣) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٤) الدر المنثور، السيوطي: (٧/ ٥١٤).
(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣ .
(٦) الدر المنثور، السيوطي: (٣/ ٣٣٥).

وابن مردويه هو أكثر مفسري الأثر عناية بهذا النوع **بدون مقارب**[1]، فما عنده يزيد ضعف أو ثلاثة أمثال ما عند غيره، والسبب في ذلك يرجع إلى أن تقرير الاعتقاد إنما يكون بالرواية عن معصوم، وقد زاد ابن مردويه عن سواه في المرويات المرفوعة.

(١) بلغت النسبة عند ابن جرير (٠.٠٢٨)، وعند ابن أبي حاتم (٠.٠٢٨)، وعند ابن المنذر (٠.٠٢٧)، وعند عبد بن حميد (٠.٠٢٦)، وعند أبي الشيخ (٠.٠٤٤)، بينما بلغت عند ابن مردويه (٠.١٠)، في (٤٨٣) رواية، من مجموع مروياته.

المبحث الثاني: علوم القرآن

لما بدأت الجمع في مرويات ابن مردويه في علوم القرآن؛ لاحت لي فائدة جديدة لهذا التفسير المبارك، وهو كثرة المرويات المرفوعة في كثير من علوم القرآن مما لم يبلغ شأوه باقي التفاسير، وقسم كبير منها، بل أكثرها من المرفوعات، وعادة المصنفين في علوم القرآن التمثيل بالموقوفات والمقطوعات، فوجود نصوص مرفوعة في هذا الجانب يسد خلة في ذلك، ويثري علوم القرآن.

المطلب الأول: أسباب النزول ـ المكي و المدني

الجامع الذي يجمع بين أسباب النزول والمكي والمدني، أن كلا منهما لا سبيل لمعرفته إلا عن طريق الرواية، فهي من العلوم الروائية الصرفة، ولا مجال فيها للاجتهاد، كما أن الكثير من مرويات المكي والمدني تحمل في طياتها سببا للنزول.

وأسباب النزول: هو العلم الذي يبحث في أسباب نزول الآيات على الوقائع. وهو من العلوم الضرورية لكل مفسر **لفوائده الكثيرة**، والتي منها: معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم. ومنها: تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب. ومنها: أن اللفظ قد يكون عاماً ويقوم الدليل على تخصيصه، فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ماعدا صورته، فإن دخول صورة السبب قطعي وإخراجها بالاجتهاد ممنوع، كما حكى الإجماع عليه القاضي أبو بكر في التقريب، ولا التفات إلى من شذ فجوز ذلك. ومنها: الوقوف على المعنى أو إزالة الإشكال(١).

ومن أمثلة ما رواه ابن مردويه من أسباب النزول: ما أخرج **ابن مردويه** عن أنس ﷺ في الآية قال: لما أراد النبي ﷺ السيرورة من الحديبية إلى مشركي قريش كتب إليها حاطب بن أبي بلتعة يحذرهم، فأطلع الله نبيه على ذلك، فوجد

(١) البرهان، الزركشي: (١/ ٢٧)؛ الإتقان، السيوطي: (١/ ٨٧)؛ لباب النقول، السيوطي: (ص ١٣).

الكتاب مع امرأة في قرن من رأسها فقال له: ما حملك على الذي صنعت؟ قال: أما والله ما ارتبت في أمر الله، ولا شككت فيه، ولكنه كان لي بها أهل ومال، فأردت مصانعة قريش، وكان حليفاً لهم ، ولم يكن منهم، **فأنزل الله فيه القرآن** ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ ﴾ الآية[١].

وقد أفادت هذه الرواية أن الآية سبب نزولها قصة حاطب، ولما كانت صورة سبب النزول قطعية الدخول في العام، لذا عرفنا أن ما فعله حاطب من الموالاة، لكنه لم يكفر وحاشاه لأن الحامل له ليس بمكفر.

وابن مردويه هو أكثر مفسري الأثر عناية بهذا النوع **بدون مقارب**[٢]، فما عنده يزيد ضعف أو ثلاثة أمثال ما عند غيره، والسبب في ذلك يرجع إلى أن سبب النزول روائي لا اجتهادي، فوافق ما نشط له ابن مردويه.

ومعرفة المكي والمدني: هو العلم الذي يبحث في زمان نزول القرآن ، فما كان قبل الهجرة فهو مكي، وبعد الهجرة فهو مدني ولو نزل بمكة في حجة الوداع[٣].

ومن فوائد هذا العلم وأنواعه: معرفة ذلك العلم بالمتأخر فيكون ناسخاً أومخصصاً على رأي من يرى تأخير المخصص[٤].

ومن أمثلة ذلك: ما أخرج ابن مردويه عن علي قال: أنزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ وهو قائم عشية عرفة ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[٥].

---

(١) سورة الممتحنة، الآية: ١؛ الدر المنثور، السيوطي: (٨/ ١٢٦).

(٢) بلغت النسبة عند ابن جرير (٠.٠٩)، وعند ابن أبي حاتم (٠.٠٧)، وعند ابن المنذر (٠.٠٨)، وعند عبد بن حميد (٠.٠٥٧)، وعند أبي الشيخ (٠.٠٥٣)، بينما بلغت عند ابن مردويه (٠.١٤)، في (٦٦٨) رواية، من مجموع مروياته. وللمزيد من الأمثلة انظر: نماذج من الدر، ط التركي: (١٤/ ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣٢، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٦٩، ٥٠١، ٥٠٣)؛ (١٥/ ٥، ١٠، ٦١، ٦٢، ٦٤، ١٠٧، ١٥٤، ١٨٩)، والأمثلة كما سبق في ذلك كثيرة.

(٣) البرهان، الزركشي: (١/ ١٨٧)؛ الإتقان، السيوطي: (١/ ٣٦).

(٤)البرهان، الزركشي: (١/ ١٩٢)؛ الإتقان، السيوطي: (١/ ٣٤).

(٥) سورة المائدة، الآية: ٣؛ الدر المنثور، السيوطي: (٣/ ١٩).

وابن مردويه هو أكثر مفسري الأثر عناية بهذا النوع **بدون مقارب**[1]، فما عنده يزيد ضعف أو ثلاثة أضعاف ما عند غيره، والسبب في ذلك أيضاً يرجع إلى أن سبب النزول روائي يقول القاضي أبو بكر الباقلاني إنما يرجع في معرفة المكي والمدني إلى حفظ الصحابة والتابعين ولم يرد عن النبي ﷺ في ذلك قول[2].

المطلب الثاني: المشكل

المراد بالمشكل من الروايات: هو ما احتاج إلى الجمع مع غيره من الروايات.

ومثاله: ما أخرج ابن مردويه عن معاوية بن أبي سفيان، أنه تلا هذه الآية ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾[3] الآية . قال: إنها آخر آية نزلت من القرآن.

قال ابن كثير: هذا أثر مشكل، فإن هذه الآية آخر سورة الكهف. والكهف كلها مكية، ولعل معاوية أراد أنه لم ينزل بعدها ما ينسخها ولا يغير حكمها بل هي مثبتة محكمة، فاشتبه ذلك على بعض الرواة، فروى بالمعنى على ما فهمه، والله أعلم[4].

ولعله أراد أنه لم ينزل بعدها آية تنسخها ولا تغير حكمها، بل هي مثبتة محكمة[5].

(١) بلغت النسبة عند ابن جرير (٠.٠٠١٩)، وعند ابن أبي حاتم (٠.٠٠١)، وعند ابن المنذر (٠.٠٠٣)، وعند عبد بن حميد (٠.٠٠١٤)،وعند أبي الشيخ (٠.٠٠٦)، بينما بلغت عند ابن مردويه (٠.٠٥)،في (٢٢٤) رواية، من مروياته.
وللمزيد من الأمثلة تراجع النماذج الواردة في الدر ط التركي: (١/ ٩٤، ١٧٧، ١٧٨)؛ (٤/ ١٧٧، ٢٠٧)؛ (٦/ ٥، ٦)؛ (٧/ ٦٣٥)؛ (٨/ ٥، ٥٨٤، ٥٨٦)؛ (٩/ ٥، ١٣٨، ٤٧٣)؛ (١٠/ ٥، ١٥٢، ٢٦٩، ٤٠٩، ٥٥٣) وغيرها.
(٢) البرهان، الزركشي: (١/ ٣٥)؛ الدر المنثور، السيوطي: (٥/ ٤٧٥)؛ الإتقان، السيوطي:(١/ ٨٥).
(٣) سورة الكهف، الآية: ١١٠.
(٤) الإتقان، السيوطي: (١/ ٨٥)؛ مناهل العرفان، الزرقاني: (١/ ٧٢).
(٥) الإتقان، السيوطي: (١/ ٣٠).

وابن مردويه تشابه مع مفسري الأثر في هذا النوع[١]، والسبب في ذلك أيضاً يرجع إلى أن هذا النوع يغلب عليه الاجتهاد وقوة الاستنباط، فسار فيه مسير غيره.

المطلب الثالث: أسماء السور

حد السورة: قرآن يشتمل على آي ذي فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات.

أو السورة الطائفة المترجمة توفيقاً، أي المسماة باسم خاص بتوقيف النبي ﷺ، وقد **ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف** من الأحاديث والآثار[٢] وذلك في الجملة.

ومن هذا النوع مناسبة أسماء السور لمقاصدها، نحو تسمية السور السبع حم على الاشتراك في الاسم لما بينهن من المتشاكل الذي اختصت به، وهوأن كل واحدة منها استفتحت بالكتاب أوصفة الكتاب مع تقارب المقادير في الطول والقصر وتشاكل الكلام في النظام[٣].

ومثال ذلك: ما أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: أوتي رسول الله ﷺ **السبع المثاني**، وهي الطوال، وأوتي موسى ستاً، فلما ألقى الألواح رفعت اثنتان وبقيت أربع[٤].

وابن مردويه هو أكثر مفسري الأثر عناية بهذا النوع **بدون مقارب**[٥]، فما عنده يزيد نحو عشرة أمثال ما عند غيره، والسبب في ذلك أيضاً يرجع إلى أن أسماء السور روائي لا اجتهادي.

---

(١) بلغت النسبة عند ابن جرير (٠.٠٢٠)، وعند ابن أبي حاتم (٠.٠٢١)، وعند ابن المنذر (٠.٠١٩)، وعند عبد بن حميد (٠.٠١٩)، وعند أبي الشيخ (٠.٠١٢)، بينما بلغت عند ابن مردويه (٠.٠١٦)، في (٧٤) رواية، من مروياته. وللمزيد من الأمثلة انظر : (١/ ١٥٣)؛ (٢/ ٢٣٢، ٦١٣، ٦٦٣)؛ (٣/ ١٩٠، ٤٤٧، ٦٩٢)؛ (٤/ ٤٣٤، ٤٤٥)؛ (٥/ ١٣٨، ٣٧٤)؛ (٦/ ٢٣، ٣٧٦، ٣٧٧)؛ (٨/ ٢٩٧، ٦٤٦)؛ (٩/ ٢٧٧، ٢٧٨، ٥٢٩)؛ (١٠/ ١٥٥، ١٥٨، ٢٥٥).

(٢) الإتقان، السيوطي: (١/ ١٤٧)، البرهان، الزركشي: (١/ ٢٦٤).

(٣) الإتقان، السيوطي: (٢/ ٣٠١).

(٤) الدر المنثور، السيوطي: (٣/ ٥٦٤).

(٥) بلغت النسبة عند ابن جرير (٠.٠٠٥)، وعند ابن أبي حاتم (٠.٠٠٣)، وعند ابن المنذر (٠.٠٠٨)، وعند عبد بن حميد (٠.٠٠٦)، وعند أبي الشيخ (٠.٠١٢)، بينما بلغت عند ابن مردويه (٠.٠٦)، في (٢٥٨) رواية، من مجموع مروياته.

المطلب الرابع: الناسخ والمنسوخ

علم الناسخ والمنسوخ من أجل علوم القرآن، قال الأئمة: لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ. وقد قال علي لقاص: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، قال: هلكت وأهلكت[1].

والمراد بمعرفة الناسخ والمنسوخ: تعيين الآية الناسخة، والمنسوخة، ليعمل بالناسخ.

ومعرفة الناسخ والمنسوخ علم **يتردد بين الرواية والدراية،** فقد يجتهد البعض من مفسري الأثر ويعد هذه الآية ناسخة اجتهادا منه[2].

والأصل أن النسخ **علم روائي،** إلا أنه يدخل فيه **الاجتهاد،** إذا تعذر الجمع، والترجيح، وعرف التاريخ.

ومثال ذلك: ما أخرج ابن مردويه من طريق سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لما نزل ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا ﴾ [3] فكتب عليهم ألّا يفر واحد من عشرة ، وألّا يفر عشرون من مائتين، ثم نزلت ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ... ﴾[4] الآية. فكتب ألّا يفر مائة من مائتين. قال سفيان: وقال ابن شبرمة ﷺ: وأرى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل هذا، إن كانا رجلين أمرهما وإن كانا ثلاثة فهو في سعة من تركهم[5].

---

(١) نواسخ القرآن، ابن الجوزي: (ص ٢٩)؛ الناسخ والمنسوخ، ابن حزم: (ص ٥)؛ البرهان، الزركشي: (٢/ ٢٩)؛ الناسخ والمنسوخ، هبة الله المقري: (ص ١٨)؛ الناسخ والمنسوخ، النحاس: (ص ٤٨).

(٢) وينبغي التنبه إلى أن النسخ عند السلف يكون أحياناً بمعنى النسء والتأخير، لا إزالة الحكم بحكم جديد، وبذا يدخل فيه العام والخاص أحياناً.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦٥.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٦٦.

(٥) الدر المنثور، السيوطي: (٤/ ١٠٢).

وأخرج ابن مردويه، عن ابن عباس في قوله: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم}[١]، قال: هذا حين أمر الله نبيه أن يقاتل من قاتله، ثم نزلت براءة وانسلاخ الأشهر الحرم. قال: فهذا من المنسوخ[٢].

وابن مردويه تشابه مع مفسري الأثر في العناية بهذا النوع[٣]، والسبب في ذلك أيضاً يرجع إلى أن الناسخ والمنسوخ **جزء منه اجتهادي**، وليس روائياً، وهو ما لم ينشط له كما تقدم.

المطلب الخامس: علوم أخرى (الكليات ـ الأمثال)

المراد بكليات التفسير: هو ما استنبطه العلماء من قاعدة مطردة في النظر في سياق آيات القرآن.

ومثال ذلك: قول ابن عباس: وكل عسى في القرآن فهي واجبة[٤].

وأخرج أبو الشيخ بن حبان في التفسير عن علقمة قال: كل شيء في القرآن {يا أيها الناس} فهو مكي، وكل شيء في القرآن {يا أيها الذين آمنوا} فهو مدني.

وأخرج **ابن مردويه عن الضحاك**. مثله[٥].

وابن مردويه هو من أقل مفسري الأثر عناية بهذا النوع مطلقاً[٦]، والسبب في ذلك يرجع إلى أن الكليات من التفسير الاجتهادي الاستقرائي، وهو مقل في هذه الأنواع لأن اهتمامه كان منصرفاً لجمع المرفوعات، وطرقها.

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٦.

(٢) الدر المنثور، السيوطي: (٥/ ١٧٩)؛ نواسخ القرآن، ابن الجوزي: (ص١٨٩).

(٣) بلغت النسبة عند ابن جرير (٠.٠١٤)، وعند ابن أبي حاتم (٠.٠١٢)، وعند ابن المنذر (٠.٠١٤)، وعند عبد بن حميد (٠.٠١١)، وعند أبي الشيخ (٠.٠١٢)، بينما بلغت عند ابن مردويه (٠.٠١٢)، في (٥٥) رواية، من مروياته.

(٤) الدر المنثور، السيوطي: (٤/ ١٤٠).

(٥) الدر المنثور، السيوطي: (١/ ٤٢)؛ العجاب في بيان الأسباب، السيوطي: (١/ ٢٤١).

(٦) بلغت النسبة عند ابن جرير (٠.٠٠٤)، وعند ابن أبي حاتم (٠.٠٠٤٥)، وعند ابن المنذر (٠.٠٠٥)، وعند عبد بن حميد (٠.٠٠٤)، وعند أبي الشيخ (٠.٠٠٤٧)، بينما لم تتجاوز عند ابن مردويه (٠.٠٠٢)، في (١٠) روايات فقط، من مجموع مروياته، ومواضعها هي:. (١/ ١٧٧) ث ٥٦٧ ط التركي؛ (١/ ٧٨) ث ٥٧٠؛ (١/ ١٧٨) ث ٥٧٢، ٥٧٣؛ (٥/ ٨٥) ث ١٠٧٥؛ (١١/ ٤٢٠) ٢٦٢٨٤؛ (١١/ ٥٩١) ٢٦٨٩٦؛ (١٣/ ٤٧٣) ٣١٥٢٩؛ (٧/ ١٩٦) ١٥٦٦٧؛ (٧/ ٤٠٩) ١٦٣٧٤.

وأما **الأمثال؛ فالمراد بالأمثال**: تصوير المعاني بصورة الأشخاص، لأنها أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس[1].

وأهمية علم الأمثال يظهر في كون الشافعي عده **مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن** فقال: ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدالة على طاعته المبينة لاجتناب ناهيه.

فضرب الأمثال في القرآن **تستفاد منه أمور كثيرة**: التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس، فإن الأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص لأنها أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس، ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيه الخفي والغائب بالمشاهد، وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان بتفاوت الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر أو إبطاله، قال تعالى: {وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ}[2]، فامتن علينا بذلك لما تضمنه من الفوائد[3].

ومثال ذلك: ما أخرج ابن مردويه عن ابن عمر - رضي الله عنهما- قال: لما نزلت هذه الآية {ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ}[4]، قال رسول الله ﷺ: ((أتدرون أي شجرة هذه؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هي النخلة. قال عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - فقلت: والذي أنزل عليك الكتاب بالحق لقد وقع في نفسي أنها النخلة، ولكني كنت أصغر القوم، لم أحب أن أتكلم. فقال رسول الله ﷺ عن ذلك: ليس منا من لم يوقر الكبير ويرحم الصغير))[5].

---

(١) الإتقان، السيوطي: (٢/ ٣٤٣).

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٤٥.

(٣) الإتقان، السيوطي: (٢/ ٣٤٤)؛ البرهان، الزركشي: (٥/ ٢٣).

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٢٤.

(٥) الدر المنثور، السيوطي: (٥/ ٢٣).

وابن مردويه تشابه مع بعض مفسري الأثر في هذا النوع[1]، وهذا النوع بطبيعة الحال قليل في القرآن إذا قورن بغيره من الأنواع السابقة.

(١) بلغت النسبة عند ابن جرير (٠.٠٠٩)، وعند ابن أبي حاتم (٠.٠٠٨)، وعند ابن المنذر (٠.٠٠٦)، وعند عبد بن حميد (٠.٠٠٥)، وعند أبي الشيخ (٠.٠٠٤٧)، بينما بلغت عند ابن مردويه (٠.٠٠٤)، في (١٨) رواية، من مجموع مروياته. ينظر الدر المنثور ط التركي الآثار (٨/ ٥١٢) ث ١٩٤٢٥؛ (١٠/ ٥٣٩) ث ٢٤٢١٥؛ (١١/ ٦١) ٢٥٠٠٠؛ (٦/ ٦٧٢) ث ١٤٨١٥؛ (٦/ ٦٧٥) ث ١٤٨٢٠؛ (٦/ ٦٧٦) ث ١٤٨٢٤؛ (٦/ ٦٧٦) ث ١٤٨٢٣؛ (١١١/ ٦٣) ث ٢٥٠٠١؛ (١١/ ٦٤) ث ٢٥٠٠٣؛ (١١/ ٦٥) ث ٢٥٠٠٤؛ (١٢/ ٣٧٧) ٢٨٧٦٤؛ (١٢/ ٣٧٨) ث ٢٨٧٦٥؛ (١٢/ ٣٧٩) ث ٢٨٧٦٦؛ (١٢/ ٣٧٩) ٢٨٧٦٨؛ (١٣/ ٥٢٣) ٣١٦٧٩؛ (١٤/ ٣٩٦) ث ٣٣٨١٤؛ (١٤/ ٣٨٩) ث ٣٣٨٠٠؛ (١٤/ ٣٩٣) ث ٣٣٨٠٦

المبحث الثالث: مكملات وملح التفسير

المطلب الأول: اللطائف التفسيرية.

المقصود باللطيفة: تفسير دقيق يلمح فيه المفسر أمراً لا يظهر بادي الرأي من سياق الآيات.

ومثال ذلك: ما أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله: {إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ}[1]. قال : ذاك حين نعى لهم نفسه يقول: إذا رأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً؛ يعني إسلام الناس، يقول **فذلك حين حضر أجلك** {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا}[2].

وابن مردويه تشابه مع بعض مفسري الأثر في هذا النوع[3]، والسبب في ذلك أيضاً يرجع إلى أن هذا النوع مما تنشط الهمم لروايته لطرافته، وقد يكون في بعض الأحاديث ما يشير إلى معنى في الآية بعيد؛ فيسوقه عند الآية، ليجمع أكبر قدر ممكن من الأحاديث عند الآية.

---

(١) سورة النصر، الآية: ١.

(٢) سورة النصر، الآية: ٣؛ الدر المنثور، السيوطي: (٨/ ٦٦٢)، دار الفكر، وهو يتشابه مع التفسير الإشاري إلا أنه يختلف معه أن التفسير الإشاري قد لا يستخدم المعاني التي في اللغة للمفردات، بل يلحظ أمراً يتفق معها في الحكم لا في الوضع اللغوي، كما يقال إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب، فَاعْتَبَرَ بِذَلِكَ أَنَّ الْقَلْبَ لَا يَدْخُلُهُ حَقَائِقُ الْإِيمَانِ إذَا كَانَ فِيهِ مَا يُنَجِّسُهُ مِنْ الْكِبْرِ وَالْحَسَدِ، مجموع فتاوى ابن تيمية: (٥/ ٥٥٢).

(٣) بلغت النسبة عند ابن جرير (٠.٠٦٦)، وعند ابن أبي حاتم (٠.٠٩)، وعند ابن المنذر (٠.٠٨٣)، وعند عبد بن حميد (٠.٠٧٧)، وعند أبي الشيخ (٠.١٢)، بينما بلغت عند ابن مردويه (٠.١٢)، في (٥٥٠) رواية، من مجموع مروياته.

المطلب الثاني: الوعظ.

الوعظ: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب[١]؛ والوعظ النصح والتذكير بالعواقب[٢] أو هو التذكير بما يردع عن الشر من الوعد بالثواب والوعيد بالعقاب[٣].

ومن أسمائه (**موعظة**)؛ قال تعالى: {قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ}[٤]، ومواعظ القرآن عظة لكل متعظ.

وأمثلة مرويات الوعظ كثيرة فمنها: أخرج ابن مردويه عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((قال الله عز وجل: أنفق يا ابن آدم، أنفق عليك)).

وأخرج ابن مردويه عن علي بن أبي طالب ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن لكل يوم نحساً، فادفعوا نحس ذلك اليوم بالصدقة، ثم قال: اقرأوا مواضع الخلف، فإني سمعت الله يقول: {وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ}[٥] إذا لم تنفقوا كيف يخلف))[٦].

وابن مردويه هو أكثر مفسري الأثر عناية بهذا النوع **بدون مقارب**[٧]، فما عنده يزيد ضعف ما عند غيره، والسبب في ذلك يرجع إلى قلة الآثار الصريحة في تفسير الآية، فلجأ ابن مردويه إلى سوق عدد من المواعظ لمناسبة الآيات، ولو كان المعنى فيه بعد، إنما الحديث يشهد للمعنى أو يقاربه، فيذكره.

---

(١) معجم لغة الفقهاء، القلعجي: (١/ ٥٠٦)؛ المطلع على أبواب الفقه، البعلي: (١/ ١١٠).

(٢) لسان العرب، ابن منظور: (٧/ ٤٦٦)؛ مختار الصحاح، الرازي: (١ / ٧٤٠)؛ المطلع على أبواب الفقه، البعلي: (١/ ١١٠)؛ تحرير ألفاظ التنبيه (لغة الفقه): (١/ ٨٩).

(٣) معجم لغة الفقهاء، قلعجي: (١/ ٥٠٦).

(٤) سورة يونس، الآية: ٥٧.

(٥) سورة سبأ، الآية: ٣٩.

(٦) الدر المنثور، السيوطي: (٦/ ٧٠٧).

(٧) بلغت النسبة عند ابن جرير (٠.٠٤)، وعند ابن أبي حاتم (٠.٠٥)، وعند ابن المنذر (٠.٠٤٢)، وعند عبد بن حميد (٠.٠٥٧)، وعند أبي الشيخ (٠.٠٥٥)، بينما بلغت عند ابن مردويه (٠.١٠)، في (٢٥٧) رواية، من مجموع مروياته.

المطلب الثالث: الفضائل

الفضيلة: الدرجة والرفعة في الفضل، والفضل والفضيلة ضد النقص والنقيصة. والإفضال الإحسان[1].

والمراد بالفضائل هنا: المرويات التي وردت في الفضائل لأشخاص أو بلدان أو غير ذلك، وهو من التفسير الروائي، ولا مجال للاجتهاد فيه.

ومثال ذلك: قوله: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ}[2]، يعني عبادة بن الصامت وأصحاب رسول الله ﷺ. قال: {وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ}[3].

وأخرج ابن مردويه من طريق عبادة بن الوليد عن أبيه عن جده عن عبادة بن الصامت قال: فيّ نزلت هذه الآية حين أتيت رسول الله ﷺ، فبرأت إليه من حلف اليهود، وظاهرت رسول الله ﷺ والمسلمين عليهم[4].

وابن مردويه هو أكثر مفسري الأثر عناية بهذا النوع **بدون مقارب**[5]، فما عنده يزيد أربعة أمثال ما عند غيره، والسبب في ذلك أيضاً يرجع إلى أن الفضائل مما كثر في النصوص المرفوعة فلذا اهتم بها، وساقها وأكثر منها عند ورود آية حول هذا المعنى.

---

(١) مختار الصحاح، الرازي: (١/ ٢٤١) العين، الخليل: (٢/ ٢٣)؛ معجم لغة الفقهاء، قلعجي: (١/ ٣٤٧).

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٨١.

(٤) الدر المنثور، السيوطي: (٣/ ٩٩).

(٥) بلغت النسبة عند ابن جرير (٠.٠٦٠)، وعند ابن أبي حاتم (٠.٠٦٤)، وعند ابن المنذر (٠.٠٦٣)، وعند عبد بن حميد (٠.٠٥٨)، وعند أبي الشيخ (٠.٠٧٢)، بينما بلغت عند ابن مردويه (٠.٢٣)، في (١٠٣٧) رواية، من مجموع مروياته.

المطلب الرابع: الدعوة

الداعية: الذي يدعو إلى دين، أو فكرة، والهاء للمبالغة، والنبي داعي الله. والدعاة: هم دعاة الحق، أو دعاة الباطل والضلالة.

وفي كتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل: ((أدعوك بدعاية الإسلام)).أي: بدعوته[١].

والمراد بالدعوة هنا: النصوص التي يستفاد منها كيفية دعوة الناس للخير ونهيهم عن الشر.

ومثال ذلك: ما أخرج **ابن مردويه** في تفسير قوله تعالى: {ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ}[٢] عن أبي ليلى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: ((تمسكوا بطاعة أئمتكم ولا تخالفوهم، فإن طاعتهم طاعة الله معصيتهم معصية الله، فإن الله إنما بعثني أدعو إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، فمن خالفني في ذلك فهو من الهالكين، وقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله، ومن ولي من أمركم شيئاً فعمل بغير ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين))[٣].

وابن مردويه هو أكثر مفسري الأثر عناية بهذا النوع **بدون مقارب**[٤]، فما عنده نحو ثلاثة أمثال ما عند غيره، والسبب في ذلك أيضاً يرجع إلى أن الدعوة مما وردت فيها بعض النصوص المرفوعة، فلذلك ساقه وعني به.

---

(١) أساس البلاغة، الزمخشري: (١/ ١٨٩)؛ القاموس الفقهي، سعدي أبو جيب: (١/ ١٣٠). الحديث أخرجه البخاري في بدء الوحي، (١/ ٨، ح: ٧) ؛ومسلم في الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه (٣/ ١٣٩٣، ح: ١٧٧٣).

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٣) الدر المنثور، السيوطي: (٥/ ١٧٨).

(٤) بلغت النسبة عند ابن جرير (٠.٠٠٣٠)، وعند ابن أبي حاتم (٠.٠٠٢٣)، وعند ابن المنذر (٠.٠٠٢٣)، وعند عبد بن حميد (٠.٠٠٣١)، وعند أبي الشيخ (٠.٠٠٢٩)، بينما كانت عند ابن مردويه (٠.٠٠٨٥)، في (٤٠) رواية، من مجموع مروياته.

الفصل الثالث
تأثره في الرواية، وتأثيره فيمن جاء بعده.

المبحث الأول: تأثره في الرواية

المطلب الأول: تطريق الحديث والرواة عنده.

اشتهر ابن مردويه بجمع الطرق والروايات للحديث الواحد، وجمع الطرق أصل في معرفة الحديث المعلل، فالطريق إلى معرفته جمع طرق الحديث والنظر في اختلاف رواته، وضبطهم، وإتقانهم[1].

وقد أثنى ابن كثير على صنيع ابن مردويه في جمع الطرق في غير ما موضع من كتابه، **فمن ذلك قوله**: (وقد **اعتنى الحافظ أبو بكر بن مَرْدُويه بجمع طرق** هذا الحديث أي في قول الله: {مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا}[2]، فقيل ما السبيل؟ قال: (الزَّاد والرَّاحِلَة)[3].

وقال: (وقد روى قصة العرنيين من حديث جماعة من الصحابة، منهم جابر وعائشة وغير واحد. وقد اعتنى **الحافظ الجليل** أبو بكر بن مردُويه **بتطريق** هذا الحديث من وجوه كثيرة جداً، فرحمه الله وأثابه)[4].

وقال في حديث: ((إن الَّذِي لا يؤدّي زكاة ماله يُمَثِّلُ اللهُ له ماله يوم القِيامة شُجاعا أَقْرَعَ له زَبِيبتَان، ثم يُلْزِمهُ يطَوّقه، يقول: أَنَا كنزك، أَنَا كنزك)): **(قد ساقه الحافظ أبو بكر بن مَرْدُويَه من غير وجه**، عن أبي صالح، عن أبي هريرة. ومن حديث محمد بن أبي حميد، عن زياد الخطمي، عن أبي هريرة، به)[5].

---

(١) تدريب الراوي، السيوطي: (١/ ٢٥٣).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٣) تفسير ابن كثير: (٢/ ٨٣).

(٤) تفسير ابن كثير: (٣/ ٩٨).

(٥) تفسير ابن كثير: (٢/ ١٧٤).

وفي سياق روايات صلاة الخوف، قال: (فصلى بهم رسول الله ﷺ ركعة أخرى، ثم سلم بهم، ثم قامت كل طائفة منهم فصلت ركعة ركعة. وقد روى هذا الحديث الجماعة في كتبهم من طريق معمر به، ولهذا الحديث طرق كثيرة عن جماعة من الصحابة، **وقد أجاد الحافظ أبو بكر بن مَرْدُويه في سرد طُرُقه وألفاظه**)[١].

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٠٢).

المطلب الثاني: الرواة عند ابن مردويه

قد تبين لي أن عددهم في تفسيره بلغ (٥٢٣) راو؛ إلا أنه لم يكثر إلا عن **تسعة** منهم، والباقون تكون مروياتهم عشرات دون المائة بل ربما دون العشرة.

فقد أكثر جداً في الرواية عن ابن عباس، ثم أبي هريرة، وأنس، وابن مسعود، وعائشة، وابن عمر، وعلي، وجابر، وأبي سعيد الخدري[(١)].

وإذا نظرنا لهذه القائمة نجدها هي قائمة المكثرين من رواية المرفوعات من الأحاديث قال الشيخ أحمد شاكر: (فأكثر الصحابة رواية للحديث **أبو هريرة، ثم عائشة** زوج النبي ﷺ ، **ثم انس بن مالك، ثم عبد الله بن عباس** حبر الأمة، **ثم عبد الله بن عمر، ثم جابر بن عبد الله الانصاري، ثم أبو سعيد الخدري، ثم عبد الله بن مسعود، ثم عبد الله بن عمرو**)[(٢)].

وبقي مرويات **(علي بن أبي طالب)**، وقد يعزى عدم احتسابها، خشية أن كثيراً من هذه المرويات مما وضعه الشيعة عليه.

وأما مرويات **عبد الله بن عمرو** فقد بلغت (٥٨) رواية، وقد يعزى سبب ذلك إلى أن عبد الله بن عمرو كان يحدث بالإسرائيليات من الزاملتين اللتين وجدهما يوم اليرموك، وابن مردويه أقل المفسرين نقلاً للإسرائيليات.

أما مروياته عن التابعين فنادرة جداً[(٣)]، وأما تابعو الأتباع فلم يرو عنهم مطلقاً لاهتمامه بالمرفوع دون غيره.

---

(١) بلغ عدد مروياته عن ابن عباس: (١٣٨٩) رواية؛ وبلغ عدد مروياته عن أبي هريرة: (٣٨٢) رواية؛ وبلغ عدد مروياته عن أنس: (٢٨١) رواية؛ وبلغ عدد مروياته عن ابن مسعود: (٢٥١) رواية؛ وبلغ عدد مروياته عن عائشة: (٢١١) رواية؛ وبلغ عدد مروياته عن ابن عمر: (٢٠٥) رواية؛ وبلغ عدد مروياته عن علي: (١٤٨) رواية؛ وبلغ عدد مروياته عن جابر: (١٤٤) رواية؛ وبلغ عدد مروياته عن أبي سعيد: (٩٩) رواية.

(٢) نقله صاحب مقدمة مسند ابن راهويه: (٤٨/٢).

(٣) بلغ عدد مروياته عن ابن جبير: (٢٠) رواية؛ وبلغ عدد مروياته عن الحسن: (١٩) رواية؛ وبلغ عدد مروياته عن مجاهد: (١٠) روايات؛ وبلغ عدد مروياته عن عكرمة: (٨) روايات؛ وبلغ عدد مروياته عن الشعبي: (٧) روايات؛ وبلغ عدد مروياته عن قتادة: (٧) روايات؛ في حين كانت مرويات بعض هؤلاء عند ابن جرير وابن أبي حاتم بالآلاف.

وقد اختلف عدد المروي عن كل راو تبعاً لاهتماماته، وفيما يلي بيان لأشهر ذلك عندهم[(١)]:

كان جل المروي عن **ابن عباس** ﷺ في تعيين المراد (٧٠٧ رواية)، ثم في أسباب النزول(٢٧٢ رواية)، فرواية المرفوع من تفسيره ﷺ (٢٣٧ رواية)، ثم في سَوق الفضائل من حديثه ﷺ (١٦٢ رواية)، فالتفسير بالسنة (١٥٢ رواية)، ثم إيراد اللطائف وغالبها من قوله ﷺ (١٦٣ رواية)، ثم في بيان أسماء السور (١٢١ رواية)، فمعرفة المكي والمدني (١١٥ رواية)، ثم في ذكر آيات الاعتقاد (٨٦ رواية)، فآيات الأحكام (٧٤ رواية)، ثم شرح المفردات (٥٧ رواية)، فالقراءات (٤٩ رواية)، ثم الوعظ (٤٩ رواية)، والناسخ والمنسوخ (٣٥ رواية)، والتفسير بالقرآن (٣٠ رواية).

وأما **أبو هريرة** ﷺ فكان لقصب السبق عنده الرواية لتفسيره ﷺ (٣١٨ رواية)، ثم ذكر الفضائل من قوله ﷺ (١٢٢ رواية)، فتعيين المراد من حديثه أيضاً ﷺ (١٢١رواية)، ثم آيات الاعتقاد (٧٧ رواية)، فالوعظ (٦٣ رواية)، ثم اللطائف (٤٨ رواية)، فالتفسير بالسنة (٣٩ رواية)، ثم أسباب النزول (٢٨ رواية)، فآيات الأحكام (١٥ رواية)، ثم بيان المشكل (١١ رواية)، ثم معرفة ما نزل (٩ روايات)، فالقراءات (٥ روايات)، ثم الدعوة (٣ روايات)، ففضائل السور (٣ روايات)، ثم الناسخ والمنسوخ (روايتان).

وكان المقدم عند **أنس** ﷺ العناية برواية تفسيره ﷺ (١٨٠ رواية)، وكان جل رواياته في ذلك، ثم في بيان الفضائل الواردة عنه ﷺ في ذلك (١٠٠ رواية) فتعيين المراد (٨٧ رواية)، ثم التفسير بالسنة (٥١ رواية)، فآيات الاعتقاد (٤٩ رواية)، ثم سرد أسباب النزول (٤٣ رواية)، فالوعظ (٢٧ رواية)، ثم اللطائف (٢٦ رواية)، فآيات الأحكام (١٥ رواية)، ثم القراءات (٧ روايات)، فرواية ما

(١) **ملحوظة**: قد يجتمع في الأثر الواحد عدد من الأنواع، كأن يصنف في تعيين المراد، والتفسير بالحديث النبوي، والفضائل معاً.

ورد في أسماء السور (٥ روايات)، ومعرفة ما نزل (٥ روايات)، ثم نصوص الدعوة (٤ روايات)، فرسم المصحف (٣ روايات)، ثم شرح المفردات (٣ روايات).

وكان جل ما جاء عن **عبد الله بن مسعود** ﷺ من رواية تفسيره ﷺ (٩٩ رواية)، ثم تعيين المراد (٧٢ رواية)، فالفضائل (٥٨ رواية)، فالتفسير بالسنة (٤٨ رواية)، ثم اللطائف (٣٩ رواية)، فآيات الاعتقاد (٣٥ رواية)، ثم الوعظ (٣٢ رواية)، فأسباب النزول (٢٦ رواية)، ثم القراءات (٢٠ رواية)، فآيات الأحكام (١٣ روايات)، ثم أسماء السور (١٠ رواية)، فمعرفة ما نزل (٨ روايات)، ثم شرح المفردات (٧ روايات)، ثم الناسخ والمنسوخ (٥ روايات) فتفسير القرآن بالقرآن (٤ روايات).

وكان جل ما جاء عن **عائشة** رضي الله عنها من رواية تفسيره ﷺ (٨٥ رواية)، ثم تعيين المراد (٥٧ رواية)، ثم التفسير بالسنة (٥٦ رواية)، ثم الفضائل (٤٨ رواية)، ثم أسباب النزول (٣٥ رواية)، ثم اللطائف (٣٠ رواية)، ثم الوعظ (٢٥ رواية)، ثم آيات الاعتقاد (٢٠ رواية)، ثم المكي والمدني (١٤ رواية)، ثم أسماء السور (١٢ رواية)، ثم آيات الأحكام (١٢ رواية)، ثم القراءات (١٠ روايات)، ثم شرح المفردات (٣ روايات)، ثم معرفة أول ما نزل (روايتان)، وجمع المصحف (روايتان).

وكان جل ما جاء عن **ابن عمر** ﷺ من رواية تفسيره ﷺ (١٠٤ رواية) ثم تعيين المراد (٧٤ رواية)، ثم الفضائل (٣٩ رواية)، ثم التفسير بالسنة (٣٣ رواية)، ثم الوعظ (٢٦ رواية)، ثم اللطائف (٢٥ رواية)، ثم تفسير آيات الأحكام (٢٢ رواية)، ثم أسباب النزول (٢١ رواية)، ثم آيات الاعتقاد (٢١ رواية)، ثم القراءات (١١ رواية)، ثم معرفة ما نزل (٩ روايات)، ثم تفسير القرآن بالقرآن (٤ روايات)، ثم شرح المفردات (٤ روايات)، ثم الدعوة (٣ روايات)، وأسماء السور (روايتان).

وكان جل ما جاء عن **علي** ﷺ من رواية تفسيره ﷺ (٥٦ رواية)، ثم تعيين المراد (٥٦ رواية)، ثم الفضائل (٤٣ رواية)، ثم (اللطائف (٢١ رواية)، ثم التفسير بالسنة (٢٠ رواية)، ثم أسباب النزول (١٨ رواية)، ثم آيات الاعتقاد (١٥ رواية)، ثم الوعظ (٩ روايات)، ثم القراءات (٨ روايات)، ثم معرفة ما نزل (٧ روايات)، ثم آيات الأحكام (٤ روايات)، ثم الإسرائيليات (روايتان)، ثم الناسخ والمنسوخ (روايتان)، ثم القصص (روايتان)، ثم أسماء السور (رواية واحدة).

وكان جل ما جاء عن **جابر** ﷺ من رواية تفسيره ﷺ (٨٧ رواية)، ثم تعيين المراد (٤٦ رواية)، ثم التفسير بالسنة (٣١ رواية)، ثم الفضائل (٢٥ رواية)، ثم أسباب النزول (٢٠ رواية)، ثم الوعظ (١٩ رواية)، ثم آيات الاعتقاد (١٣ رواية)، ثم آيات الأحكام (١٢ رواية)، ثم اللطائف (١٢ رواية) ثم القراءات (٥ روايات)، ثم الدعوة (٤ روايات)، ثم شرح المفردات (٣ روايات)، ثم أسماء السور (روايتان)، ثم معرفة ما نزل (روايتان)، ثم نزول القرآن (روايتان).

وكان جل ما جاء عن **أبي سعيد الخدري** ﷺ من رواية تفسيره ﷺ (٧١ رواية)، ثم تعيين المراد (٣٩ رواية)، ثم الفضائل (٣٣ رواية)، ثم الوعظ (١٦ رواية)، ثم التفسير بالسنة (١٥ رواية)، ثم آيات الاعتقاد (١٣ رواية)، ثم اللطائف (١٣ رواية)، ثم أسباب النزول (٥ روايات)، ثم آيات الأحكام (٤ روايات)، ثم معرفة ما نزل (٤ روايات)، ثم أسماء السور (روايتان)، ثم تفسير القرآن بالقرآن (رواية واحدة)، ثم الخاص والعام (رواية واحدة)، ثم الدعوة (رواية واحدة)، ثم فضائل الآيات (رواية واحدة).

المبحث الثاني: تأثر ابن كثير به

تفسير ابن كثير مملوء بالروايات عن ابن مردويه، وهو أصل في معرفتنا بهذا الكتاب الجليل، ومما يزيد في أهميته أنه نقل أسانيد ابن مردويه بتمامها في كثير من الروايات، وإذا أردنا أن نقارنه في هذا الصدد بما أورده ابن حجر في فتح الباري عن ابن مردويه، فإننا نجد الفرق واضحاً، فقد رجعت إلى الفتح من خلال المكتبات الإلكترونية (الشاملة)، وبحثت عن (مردويه)، فخرجت النتائج في (٢٢٠) موضعاً تشير إلى مرويات ابن مردويه، فعرضتها كلها، فلم أجد فيها ما صرح فيه ابن حجر بشيخ ابن مردويه أو بشيخ شيخه، وغالبها يقول: ومن طريق فلان أي من الصحابة، أو من التابعين، أو تابعيهم، وهذا مما يزيد من أهمية تفسير ابن كثير، حيث إننا حصلنا على جملة من أسانيد ابن مردويه من خلال تفسيره[1].

تأثر ابن كثير بالحافظ ابن مردويه في تفسيره، فقد تابعه على أمور، وأثنى عليه، ونقل منه وغير ذلك.

ـ **وقد** ذكره بلفظ **(الحافظ)** في كثير من المواضع[2].

ـ ومما تابع عليه ابنُ كثير ابنَ مردويه: **جمع طرق الحديث الواحد،** وقد سبق أنه أثنى على ابن مردويه بهذا.

ـ ومن ذلك أنه ربما **نقل عنه أكثر من نقل في الموضع الواحد،** ففي حديث: ((لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت آمن الناس كلهم، وذلك حين {لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ}[3] الآية)).

---

(١) وقام أحد الباحثين بدراستها مع غيرها من التفاسير، وهو الدكتور غالب الحامضي كما تقدمت الإشارة إليه في المقدمة.

(٢) أحصيت في هذا ٥٧ موضعاً.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

ذكر طرقاً وروايات، ثم قال: **أخرج هذه الطرق كلَّها الحافظ أبو بكر بن مَرْدُوَيه في تفسيره**[(١)].

وفي مسألة تحويل القبلة: قال ابن كثير: **وكذا روى ابن مَرْدويه،** عن ابن عمر: أن أول صلاة صلاها رسول الله ﷺ إلى الكعبة صَلاةُ الظهر، وأنها الصلاة الوُسطى. والمشهور أن أول صلاة صلاها إلى الكعبة صلاة العصر، ولهذا تأخر الخبر عن أهل قباء إلى صلاة الفجر.

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه: حدثنا سليمان بن أحمد، وساق الرواية، ثم قال: **وقال ابن مردويه** وساق الرواية أيضاً[(٢)].

- وربما اعتنى بما يزيده في الرواية عن سائر الروايات، فقد ذكر رواية أبي أمامة قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى قومي أدعوهم إلى الله ورسوله، وأعرض عليهم شرائع الإسلام، فأتيتهم، فبينا نحن كذلك إذ جاؤوا بقَصْعَة من دم، فاجتمعوا عليها يأكلونها، قالوا: هلم يا صُديّ، فكل. قال: قلت: ويحكم! إنما أتيتكم من عند مُحرِّم هذا عليكم، وأنزل الله عليه، قالوا: وما ذاك؟ قال: فتلوت عليهم هذه الآية: {حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ}[(٣)] الآية.

قال: **ورواه الحافظ أبو بكر بن مَرْدُوَيه** من حديث ابن أبي الشوارب بإسناد مثله، **وزاد بعد هذا السياق:** قال: فجعلت أدعوهم إلى الإسلام، ويأبون علي، فقلت لهم: ويحكم، اسقوني شربة من ماء، فإني شديد العطش - قال: وعليّ عباءتي- فقالوا: لا؛ ولكن ندعك حتى تموت عطشا. قال: فاغتممت وضربت برأسي في العباء، ونمت على الرمضاء في حر شديد، قال: فأتاني آت في منامي بقَدَح من زجاج لم ير الناس أحسن منه، وفيه شراب لم ير الناس [شرابا] ألذ

(١) تفسير ابن كثير: (٣/ ٣٧٢).

(٢) تفسير ابن كثير: (١/ ٤٦٠).

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣.

منه، فأمكنني منها فشربتها، فحيث فرغت من شرابي استيقظت، فلا والله ما عطشت ولا عريت بعد تيك الشربة[(١)].

وابن كثير ينتقي ما ينقله من ابن مردويه، ففي سورة البقرة قال: (**وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مَرْدُويه هاهنا أحاديث فيها غرابة والله أعلم؛ فمنها** ما رواه من حديث المنهال بن عمرو، عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود، عن مسروق، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال: ((يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم، قيامًا شاخصة أبصارهم إلى السماء، ينتظرون فَصْل القضاء وينزل الله في ظُلَل من الغمام من العرش إلى الكرسي))[(٢)].

لكن أشد ما ينتقده ابن كثير من مرويات ابن مردويه هو **غريب المرفوعات**[(٣)]، قال: (وقد جاء في حديث مرفوع رواه الحافظ أبو بكر بن مَرْدُوَيه وساق الحديث ثم قال: عمن استوت حسناته وسيئاته، فقال: أولئك أصحاب الأعراف، لم يدخلوها وهم يطمعون)، وعلق بقوله: **وهذا حديث غريب من**

(١) تفسير ابن كثير: (٣/ ١٥).

(٢) تفسير ابن كثير: (١/ ٥٦٧).

(٣) مراد ابن كثير بالغريب أي الضعيف، وهذا استقراء من فعله، شأنه شأن الترمذي إذا أطلق الغريب، علماً أن الغريب الاصطلاحي بتفرد راو في طبقة غالبه أيضاً **ضعيف**، فعن الإمام أحمد بن حنبل قال لا تكتبوا هذه الأحاديث الغرائب فإنها مناكير وعامتها عن الضعفاء. أدب الإملاء والاستملاء، السمعاني: (ص ٥٨). **ومن أمثلة إطلاق ابن كثير الغرابة على الضعيف**: في تفسير قوله {إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً} [الأنعام، آية ١٥٩] أن النبي × قال لعائشة ((هم أصحاب البدع))، قال ابن كثير: وهذا رواه ابن مردويه، وهو غريب أيضاً، ولا يصح رفعه. ٣/ ٣٧٧؛ وفي تفسير الشجرة الملعونة {والشجرة الملعونة في القرآن} [الإسراء: ٦٠] قال: (وقد قيل: المراد بالشجرة الملعونة: بنو أمية، وهو غريب ضعيف ٥/ ٩٢ ؛ وفي تفسير {وما نتنزل إلا بأمر ربك} [مريم، آية ٦٥] قال: عن عكرمة قال أبطأ جبريل النزول...وساق الحديث ثم قال : (رواه ابن أبي حاتم رحمه الله وهو غريب ٥/ ٢٤٩؛ ويبين أن مراده بالغرابة الضعف أنه في تفسير {وكل في فلك يسبحون} [يس، آية ٤٠]، ذكر أثر عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: في فلك بين السماء والأرض، قال رواه ابن أبي حاتم وهو غريب جداً بل منكر. ٦/ ٥٧٩؛ وقال مثل ذلك في أول سورة التغابن في رواية مرفوعة عند الطبراني ٨/ ١٣٥؛ ونحو ذلك في تفسير {له مقاليد السموات والأرض} [الزمر، آية ٦٣]، ذكر حديثاً مرفوعاً، ثم قال: (وهو غريب، وفيه نكارة شديدة).؛ وانظر كذلك: ٥/ ٣٥٣، ٧/ ٧٠، ٧/ ٢٦٨، ٧/ ٤٥٥، ٧/ ٤٦٧، وغيرها.

هذا الوجه ورواه من وجه آخر، عن سعيد بن سلمة عن أبي الحسام، عن محمد بن المنكدر عن رجل من مزينة قال: سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف، فقال: ((إنهم قوم خرجوا عصاة بغير إذن آبائهم، فقتلوا في سبيل الله))[(١)].

وفي موضع آخر يقول: وروى الحافظ أبو بكر بن مَرْدُويْه [في تفسيره] بإسناد له غريب، عن خالد بن سعيد بن أبي مريم، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: ((من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة، سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء، يضيء له يوم القيامة، وغُفر له ما بين الجمعتين))، وهذا الحديث في رفعه نظر، وأحسن أحواله الوقف[(٢)].

وفي موضع آخر قال: (وقد رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من طريق آخر، عن أبي هريرة، ...، قال: قال رسول الله ﷺ: ((الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين)). وهذا حديث غريب من هذا الوجه[(٣)].

وفي موضع آخر أيضاً قال: (ورواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من وجه آخر، {وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ}[(٤)] ما أعطوا أبدًا، ولو أنهم اعترضوا بقرة من البقر فذبحوا لأجزأت عنهم، ولكنهم شددوا، فشدد الله عليهم.

وهذا حديث غريب من هذا الوجه، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة، كما تقدم مثله عن السدي، والله أعلم[(٥)].

وأيضاً قال ابن كثير: رواه الحافظ أبو بكر بن مَرْدُوَيه في تفسيره من حديث عبد المنعم بن إدريس، عن أبيه، عن وَهْب ابن مُنَبِّه، عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا **فذكر حديثًا طويلا غريبًا منكرًا رفعه**، وفيه: أن الشمس والقمر يطلعان

(١)تفسير ابن كثير: (٣/ ٤١٨).

(٢) تفسير ابن كثير: (٥/ ١٣٤).

(٣) تفسير ابن كثير: (١/ ٢٧٠).

(٤) سورة البقرة، الآية: ٧٠.

(٥) تفسير ابن كثير (١/ ٣٠٠).

يومئذ مقرونين وإذا نَصَفا السماء رجعا ثم عادا إلى ما كانا عليه. **وهو حديث غريب جداً بل منكر؛ بل موضوع**[1].

وقال في قوله: {وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ}[2]: ورواه الحافظ أبو بكر بن مَرْدُويه في تفسيره بسنده، ...مرفوعًا. وهذا لا يثبت من هذا الوجه.

ثم رواه من طريقين آخرين، عن جابر، عن أبي الطفيل، عن علي، قال: قال رسول الله ﷺ: لعن الله الزّهَرة، فإنها هي التي فتنت الملكين هاروت وماروت. وهذا أيضًا لا يصح وهو منكر جداً. والله أعلم[3].

- **تقديمه على كتب الحديث**، وذلك بذكر روايته أولاً ثم يعقبها بمن أخرجه، ومن أمثلة ذلك:

قوله: (**وقد ذكر الحافظ أبو بكر بن مَرْدُوَيه**، من حديث حاتم بن إسماعيل، عن عبد الله بن هرمز، عن محمد وسعيد ابني عبيد، عن أبي حاتم المزني قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا أتاكم من تَرْضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض)). قالوا: يا رسول الله، وإن كان؟ قال: ((إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه)). ثلاث مرات.، **وأخرجه أبو داود والترمذي**[4]

وفي موضع آخر قال: (**قال الحافظ أبو بكر بن مردويه**: .. وساق الإسناد عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: ((لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة القلب، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي)). ثم قال: **رواه الترمذي** في كتاب الزهد من جامعه[5].

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٧٦).
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.
(٣) تفسير ابن كثير: (١/ ٣٥٥).
(٤) تفسير ابن كثير: (٤/ ٩٨).
(٥) تفسير ابن كثير: (١/ ٣٠٦).

وأيضاً قال ابن كثير: قال الحافظ أبو بكر بن مَردويه في تفسيره: وساق السند عن ابن عباس، أن جميلة بنت سلول أتت النبي ﷺ فقالت: والله ما أعتب على ثابت بن قيس بن شماس في دين ولا خلق، ولكنني أكره الكفر بعد الإسلام، لا أطيقه بغضًا. فقال النبي ﷺ: ((تردين عليه حديقته؟))، قالت: نعم ((فأمره رسول الله ﷺ أن يأخذ منها حديقته ولا يزداد)).

قال: وهكذا رواه **ابن ماجه** عن أزهر بن مروان، بإسناده مثله سواء **وهو إسناد جيد مستقيم**(١).

وفي موضع آخر قال: وقد روي من وجه آخر عن أبي هريرة بسياق آخر قريب من هذا، **فقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره**: وساق الإسناد أن أبا هريرة كان معه مفتاح بيت الصدقة، وكان فيه تمر فذهب يوما، ففتح الباب فوجد التمر قد أخذ منه ملء كف، ودخل يوما آخر فإذا قد أخذ منه ملء كف ثم دخل يومًا آخر ثالثًا، فإذا قد أخذ منه مثل ذلك. الحديث مطولاً، ثم قال: وقد رواه **النسائي**(٢)

بل ربما قدمه على البخاري: فقد قال ابن كثير: (وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه رحمه الله: وساق الإسناد عن أبي هريرة ﷺ قال: لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم الحديث، قال: **ورواه أحمد، والبخاري، والنسائي من حديث الليث بن سعد، بنحوه**(٣).

وفي موضع آخر قال: قال الحافظ أبو بكر بن مَرْدُوَيه في تفسير هذه الآية: وساق الإسناد عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: إذا سَرَّك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام {قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا

---

(١) تفسير ابن كثير: (١/ ٦١٦).

(٢) تفسير ابن كثير: (١/ ٦٧٥).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٣١٤).

رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ}[1]، **وهكذا رواه البخاري منفردًا في كتاب مناقب قريش من صحيحه**[2].

ـ وربما أشار ابن كثير إلى النصوص الواردة فيه دون أن ينقل منها، وهذا يدل على أن اهتمامه به تعدى كونه ينقل منه فقط، بل يرى أن في حالة عدم النقل فإن الأمر يحتاج إلى التنبيه على ما فيه وربما سبب الإعراض عن النقل.

قال ابن كثير: (وقد أورد **الحافظ أبو بكر بن مَردُويه** عند قوله تعالى: {تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ}[3]، **حديثا مطولا جدا**، من طريق غريب، عن الضحاك، عن ابن عباس مرفوعا، وفيه غرائب أيضا)[4].

ـ ومن أجلى ما يشير إلى تأثره به ما يتابعه عليه في إيراد المرفوعات التي لم تُسق قصداً لتفسير الآيات، بل هي من التفسير الاجتهادي لما يلحظه المفسر من علاقة بين الآية والنص الذي يورده في تفسيرها، ومن ذلك ما ذكره في تفسير قوله: {وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ}[5]، قال: (**وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مَرْدُويه** في تفسير هذه الآية من حديث أبي معشر عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما بين المشرق والمغرب قبْلَة لأهل المدينة وأهل الشام وأهل العراق))، **وله مناسبة هاهنا**، وقد أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي معشر)[6].

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤٠.
(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٤٧).
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.
(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٠٨).
(٥) سورة البقرة، الآية: ١١٥.
(٦) تفسير ابن كثير (١/ ٣٩٥).

وفي تفسير قوله تعالى: {إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ}[1]، قال: (وقد رواه الحافظ أبو بكر بن مَرْدُويه في تفسير هذه الآية من البقرة، عن أحمد بن الحسن بن أيوب، عن محمد بن أحمد بن البراء، عن المعافَى بن سليمان، عن فليح، به. وزاد: قال عطاء: ثم لقيت كعب الأحبار، فسألته فما اختلفا في حرف، إلا أن كعبًا قال بلُغَتِهِ: أعينًا عمومى، وآذانًا صمومى، وقلوبًا غلوفًا)[2]

وفي تفسير قوله: {إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ}[3]، قال: (وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مردويه هاهنا حديث محمد بن عمرو، عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ وبها طيف، فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يشفيني. فقال: ((إن شئت دعوت الله فشفاك، وإن شئت فاصبري ولا حساب عليك)). فقالت: بل أصبر، ولا حساب علي). **ورواه غير واحد من أهل السنن**، وأخرجه الحاكم في مستدركه، وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه[4].

وقد لاحظت أن ابن كثير لا يلتمس الروايات المطولة فيما يورده من تفسير ابن مردويه في الجملة، إلا ما كان فيما يتعلق **بروايات السيرة**، بل ربما أورد أكثر من رواية في الموضع الواحد؛ ففي تفسير قوله تعالى: {يُجَـٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ}[5]، قال: (قال الحافظ أبو بكر بن مَرْدُويه في تفسيره: حدثنا سليمان بن أحمد الطبراني، حدثنا بكر بن سهل، حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا ابن لَهِيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أسلم أبي عمران حدثه أنه سمع أبا أيوب الأنصاري يقول: قال

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٩.

(٢) تفسير ابن كثير: (١/ ٤٠٢).

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.

(٤) تفسير ابن كثير: (٣/ ٥٣٤).

(٥) سورة الأنفال، الآية: ٦.

رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة: ((إني أخبرت عن عير أبي سفيان أنها مقبلة فهل لكم أن نخرج قبل هذه العير لعل الله يُغْنمناهَا؟))، فقلنا: نعم، فخرج وخرجنا، فلما سِرْنا يوما أو يومين قال لنا: ((ما ترون في قتال القوم؛ فإنهم قد أخبروا بمخرجكم؟))، فقلنا: لا والله ما لنا طاقة بقتال العدو، ولكنا أردنا العير، ثم قال: ((ما ترون في قتال القوم؟))، فقلنا مثل ذلك، فقال المقداد بن عمرو: إذًا لا نقول لك يا رسول الله كما قال قوم موسى لموسى: {فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ}[1]، قال: فتمنينا -معشر الأنصار- أن لو قلنا كما قال المقداد أحب إلينا من أن يكون لنا مال عظيم، قال: فأنزل الله على رسوله ﷺ: {كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ}[2]، وذكر تمام الحديث ورواه ابن أبي حاتم، من حديث ابن لهيعة، بنحوه.

ورواه ابن مَرْدُوَيْه أيضًا من حديث محمد بن عمرو بن عَلْقَمة بن وقاص الليثي عن أبيه عن جده قال: (خرج رسول الله ﷺ إلى بدر، حتى إذا كان بالرَّوْحاء، خطب الناس فقال: ((كيف تَرَون؟))، فقال أبو بكر: يا رسول الله، بلغنا أنهم بمكان كذا وكذا. قال: ثم خطب الناس فقال: ((كيف ترون؟))، فقال عمر مثل قول أبي بكر. ثم خطب الناس فقال: ((كيف ترون ؟))، فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله إيانا تريد؟، فو الذي أكرمك [بالحق] وأنزل عليك الكتاب، ما سلكتها قط ولا لي بها علم، ولئن سرت [بنا] حتى تأتي بَرْك الغماد من ذي يمن لنسيرن معك، ولا نكون كالذين قالوا لموسى: {فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ}[3]، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما متبعون، ولعلك أن تكون خرجت لأمر، وأحدث الله إليك غيره، فانظر

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٤.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٥.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٢٤.

الذي أحدث الله إليك، فامض له، فَصِلْ حبال من شئت، واقطع حبال من شئت، وعاد من شئت، وسالم من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، فنزل القرآن على قول سعد: {كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ}(١)، الآيات)(٢).

وفي تفسير قوله تعالى: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(٣)، قال: (وروى الحافظ أبو بكر **بن مردويه**، عن عبد الله بن عمر، وأبي هريرة – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ نحوه، وفي الباب عن أبي أيوب الأنصاري).

وروى **ابن مردويه** أيضا –واللفظ له –والحاكم في مستدركه، من حديث عبيد الله بن موسى: حدثنا إسرائيل، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: لما أسر الأسارى يوم بدر، أسر العباس فيمن أسر، أسره رجل من الأنصار، قال: وقد أوعدته الأنصار أن يقتلوه. فبلغ ذلك للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: إني لم أنم الليلة من أجل عمي العباس، وقد زعمت الأنصار أنهم قاتلوه فقال له عمر: فآتهم؟ قال: نعم فأتى عمر الأنصار فقال لهم: أرسلوا العباس فقالوا: لا والله لا نرسله. فقال لهم عمر: فإن كان لرسول الله ﷺ رضى؟ قالوا: فإن كان لرسول الله ﷺ رضى فخذه. فأخذه عمر فلما صار في يده قال له: يا عباس، أسلم، فوالله لأن تسلم أحب إلي من أن يسلم الخطاب، وما ذاك إلا لما رأيت رسول الله ﷺ يعجبه إسلامك، قال: فاستشار رسول الله ﷺ أبا بكر، فقال أبو بكر: عشيرتك. فأرسلهم، فاستشار عمر، فقال: اقتلهم، ففاداهم رسول الله

(١) سورة الأنفال، الآية: ٥.
(٢) تفسير ابن كثير: (٤/ ١٥).
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦٧.

ﷺ ، فأنزل الله: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ} الآية، قال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه [1].

ـ **إلا أن ابن كثير لم يكن يتابعه في النقول دون تعليق وترجيح، بل لا يكاد يجد مجالاً للنقد الحديثي إلا أثبته، وكثر ذلك في تفسيره جداً**، ومن أمثلته:

ما أورده في سورة البقرة، قال: وقد قال الحافظ أبو بكر بن مَرْدُويه: حدثنا أبو عَمْرو، حدثنا محمد بن عبد الوهاب، حدثنا آدم، حدثنا شريك، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، قال: قال عمر: يا رسول الله لو صلينا خلف المقام؟، فأنزل الله: {وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى} [2]، فكان المقام عند البيت، فحوله رسول الله ﷺ إلى موضعه هذا. قال مجاهد: قد كان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن، هذا مرسل عن مجاهد، وهو مخالف لما تقدم من رواية عبد الرزاق، عن معمر، عن حميد الأعرج، عن مجاهد أن أول من أخَّر المقام إلى موضعه الآن عمر بن الخطاب رضي الله عنه **وهذا أصح من طريق ابن مَرْدُويه**، مع اعتضاد هذا بما تقدم، والله أعلم [3].

وكذا في تفسير آية الكرسي قال: (وقال شجاع بن مخلد في تفسيره: أخبرنا أبو عاصم عن سفيان عن عمار الدُّهْني عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: سئل النبي ﷺ عن قول الله: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ} [4]، قال: كرسيه موضع قدميه، والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل، كذا أورد هذا الحديث الحافظ أبو بكر بن مردويه من طريق شجاع بن مخلد الفلاس، فذكره **وهو غلط** [5].

---

(١) تفسير ابن كثير: (٤/ ٨٩).
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.
(٣) تفسير ابن كثير: (١/ ٤١٨).
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٥) تفسير ابن كثير: (١/ ٦٨٠).

وفي تفسير قوله تعالى: {إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا}[١]، قال: (طريق أخرى رواها الحافظ أبو بكر بن مَرْدُويه من حديث عبد العزيز بن محمد الدَّرَاوَرْدي، عن داود بن صالح، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه: أن أبا بكر الصديقﷺ وعُمَر بن الخطاب وأناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين، جلسوا بعد وفاة رسول الله ﷺ، فذكروا أعظم الكبائر، فلم يكن عندهم ما ينتهون إليه، فأرسلوني إلى عبد الله بن عَمْرو بن العاص أسأله عن ذلك، فأخبرني أن أعظم الكبائر شرب الخمر، فأتيتهم فأخبرتهم، فأنكروا ذلك، فوثبوا إليه حتى أتوه في داره، فأخبرهم أنهم تحدثوا عند رسول الله ﷺ أن مَلِكا من بني إسرائيل أخذ رجلا فخيَّره بين أن يشرب خمرًا أو يقتل نفسا، أو يزاني أو يأكل لحم خنزير، أو يقتله فاختار شُرْبَ الخمر وإنه لما شربها لم يمتنع من شَيْء أراده منه، وإن رسول الله ﷺ قال لنا مجيبا: ما من أحد يشرب خمرًا إلا لم تُقْبَلْ له صَلاةٌ أربعين ليلة، ولا يموت أحد في مَثَانَتِهِ منها شيء إلا حَرَّم الله عليه الجنة فإنْ مات في أربعين ليلة مات ميتَةً جاهلية.

ثم قال ابن كثير: هذا حديث غريب من هذا الوجه جداً، وداود بن صالح هو التَّمار المدني مولى الأنصار، قال الإمام أحمد: لا أرى به بأسا. وذكره ابن حبان في الثقات، ولم أر أحدًا جرحه[٢]

وفي تفسير قوله {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}[٣]، قال: (وروى الحافظ أبو بكر بن مَرْدُوَيه بسنده عن أبي الدرداء، وعن عبادة بن الصامت، كل منهما يقول: أوصاني خليلي ﷺ: أطع والديك، وإن أمراك أن تخرج لهما من الدنيا، فافعل، **ولكن في إسناديهما ضعف، والله أعلم**[٤].

(١) سورة النساء، الآية: ٣١.

(٢) تفسير ابن كثير: (٢/ ٢٧٦).

(٣) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٤) تفسير ابن كثير: (٣/ ٣٦١).

وفي تفسير قوله {وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ}[1]، قال: (ذكر سبب آخر غريب جدا: قال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى قراءة، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عبد الله بن لَهِيعة، عن أبي الأسود قال: اختصم رجلان إلى رسول الله ﷺ فقضى بينهما، فقال الذي قضى عليه: ردنا إلى عمر بن الخطاب فقال رسول الله ﷺ: انطلقا إليه فلما أتيا إليه قال الرجل: يا ابن الخطاب، قضى لي رسول الله ﷺ على هذا، فقال: ردنا إلى عمر. فردنا إليك. فقال: أكذاك؟ فقال: نعم فقال عمر: مَكَانَكُمَا حتى أخرج إليكما فأقضي بينكما. فخرج إليهما مشتملا على سيفه، فضرب الذي قال رُدَّنا إلى عمر فقتله، وأدبر الآخر فارا إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله قتل عُمَر والله صاحبي، ولولا أني أعجزتُه لقتلني، فقال رسول الله ﷺ: ما كنت أظن أن يجترئ عُمَر على قتل مؤمن فأنزل الله: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ}[2]، الآية، فهدر دم ذلك الرجل، وبرئ عمر من قتله، فكره الله أن يسن ذلك بعد، فقال: {وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتًا}[3]. وكذا **رواه ابن مَرْدُويه من طريق ابن لَهِيعة،** عن أبي الأسود به. **وهو أثر غريب، وهو مرسل، وابن لهيعة ضعيف والله أعلم**[4].

وفي تفسير قوله: {وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا}[5]. قال: (وقال ابن مَرْدُوَية: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا أحمد بن الحسين بن بَهْرَام، حدثنا محمد بن مرزوق، حدثنا هانئ بن يحيى، عن الحسن بن أبي جعفر، عن قتادة عن يحيى بن وَثَّاب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَمَّا كلم الله

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٤.
(٢) سورة النساء، الآية: ٦٥.
(٣) سورة النساء، الآية: ٦٦.
(٤) تفسير ابن كثير: (٢/ ٣٥١).
(٥) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

موسى كان يُبْصِرُ دبيبَ النمل على الصفا في الليلة الظلماء)). **وهذا حديث غريب، وإسناده لا يصح، وإذا صح موقوفًا كان جيدًا)**[(١)].

وفي تفسير {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ}[(٢)]، قال: (وقال الحافظ أبو بكر بن مَرْدُويَه عند تفسير هذه الآية: حدثنا أحمد بن محمد بن السُّرِّي: حدثنا محمد بن علي بن حبيب الرَّقي، حدثنا سعيد العلاف بن العلاف، حدثنا أبو النَّضْر، عن الأشجعي، عن سفيان، عن يحيى بن عبد الله عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما خلا يهودي قط بمسلم إلا هم بقتله)).

ثم رواه عن محمد بن أحمد بن إسحاق اليَشْكُرِي حدثنا أحمد بن سهل بن أيوب الأهوازي، حدثنا فرج بن عبيد، حدثنا عباد بن العوام، عن يحيى بن عُبَيد الله، عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما خلا يهودي بمسلم إلا حدثت نفسه بقتله)). **وهذا حديث غريب جداً**[(٣)].

والخلاصة أن ابن كثير قد اطلع على نسخة من تفسير ابن مردويه فأحسن الانتقاء، وقد اعتمد على مرويات ابن مردويه جمع من متأخري المفسرين، لكن لم يطلعوا فيما يبدو على تفسيره، بل أخذوه نقلاً من الدر المنثور وأشباهه، وذلك كالشوكاني، فقد زادت نقولاته عنه عن ألف رواية، وكذا الألوسي، فقد زادت نقولاته عنه عن خمسمائة، لكن لما كانت قد أخذوها بواسطة؛ لذا لم أجد في دراستها جديداً فتركت ذلك وبالله التوفيق.

---

(١) تفسير ابن كثير: (٢/ ٤٧٤).

(٢) سورة المائدة، الآية: ٨٢.

(٣) تفسير ابن كثير: (٣/ ١٦٦).

الخاتمة
نسأل الله حسنها
و تشتمل على أهم النتائج

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، لقد عشت مع هذا البحث زمنا طويلاً، أجمع وأصنف، وأرتب وأقارن، وجمعت مجموعة من النتائج، أحب أن ألخص بها البحث ها هنا.

* **في حياته** أوردت اسمه ونسبه وأشهر شيوخه، وفي **مطلب** آثاره وتلاميذه ومكانته العلمية ووفاته، خلصت إلى أنه طويل الباع في التصانيف، **وأشهر مصنفاته التفسير الكبير، وتاريخ أصبهان**: وهو في تاريخ الرواة، وقد كان ابن مردويه كثير الحديث جداً، وأخرج الحديث عن جملة كبيرة من الشيوخ، **وكان أشهر شيوخه** في التفسير محمد بن أحمد بن إبراهيم **أبو أحمد العسال الحافظ**، وأما **تلاميذه** فدون ذلك في الكثرة، ومن أشهرهم أبو بكر محمد بن إبراهيم **المستملي العطار** .

* **وفي مبحث: التعريف بالتفسير المرفوع إلى النبي ﷺ** ، وضعت تعريفاً **للتفسير النبوي**: بأنه الرواية التفسيرية التي ترد عن النبي ﷺ في تفسير آية من الآيات **قصداً**.

وذكرت في تفسير النبي ﷺ ومقدار ما صح منه، ما نقل عن الإمام أحمد أنه ليس له إسناد بأنه صحيح في الجملة لعدم الحاجة، فقد كان الصحابة يسألون النبي ﷺ عن بعض الآيات لا كلها، لأنه لم يستشكل لهم - **وهم العرب الأقحاح** - الكثير من المعاني، ثم إنهم عاصروا تطبيق النبي ﷺ لأوامر القرآن، **فإذا عنَّ لأحدهم معنى من المعاني قد استشكله سأل عنه النبي ﷺ**، لكنها في الجملة آثار معدودة.

وذكرت أن النبي ﷺ لم يفسر لهم كل الآيات رجاء أن يعمل الأئمة عقولهم في استخراج المعاني، والاجتهاد في التفسير.

وفي مطلب تفسير النبي ﷺ **عند ابن مردويه** مقارنة بغيره من مفسري الأثر، تكلمت عن السبب الرئيس في ورود هذا الكم الكبير من المرفوعات عند ابن مردويه مع اختيار أن التفسير المرفوع قليل العدد، وانفصلت عنه أنه يعنى بجمع الروايات الواردة في الحديث الواحد، وهو ما يقال له (**تطريق**) الحديث، وبذا قد يكون الكثير مما رواه هو في أصله روايات معدودة، لكن زاد عددها بطرقها، فضلاً عما يجتهد ابن مردويه في إيراد المرفوع مما ليس مسوقاً أصلاً لتفسير الآية، **بل اجتهاد منه لما يلحظه من معان مناسبة بين الآية والحديث**، وهو نوع (**التفسير بالسنة**) وهذا يدخل ضمن **التفسير الاجتهادي**، وإن كان من المرفوعات.

كما أنه كان يُعنى مع ذلك برواية ما ليس له مساس أصيل بالتفسير غير الاجتهادي، مما يدخل في باب الوعظ والفضائل، ثم بينت أن كثيراً مما أورده ابن مردويه ليس صحيحاً بل انتقد في كثير مما أورده بأنه غرائب لا تصح، وبالتالي فهي لا تخالف ما جاء عن الإمام أحمد.

وقد استنتجت أن اهتمام ابن مردويه بالمرفوع من التفسير أثَّر على أنواع التفسير عنده، فما كان ذا **طابع روائي** كثرت مروياته عنده، دون ما كان ذا **طابع اجتهادي**.

وفي دراسة منهجه في نوع الرواية، تبين لي أن أكثر ما أورده في **طرق التفسير** .إنما هو في أنواع من أنواع الرواية، **أفردتها بمطالب**.

ففي تفسير القرآن بالقرآن، وبعد دراسة مقارنة تبين أن **ابن مردويه هو من أقل** مفسري السلف عناية بهذا النوع، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أنه نشط في نقل ما جاء عن النبي ﷺ، وقلة التفاته للمنقول عن الصحابة والتابعين، من حيث إن أكثر هذا النوع ورد في الموقوف والمقطوع عنهم رضي الله عنهم.

وفي: **التفسير بالسنة**، اخترت أن المراد بها أن يأتي المفسر بالحديث الذي ليس مسوقاً في تفسير الآية قصداً، فيلمح فيه تشابهاً يصلح لتفسير الآية، فهو من أنواع التفسير الاجتهادي، بل ومن أشرفه.

وتبين لي أن ابن مردويه هو أكثر مفسري السلف عناية بهذا النوع **بدون مقارب،** فما عنده يزيد أربعة أمثال ما عند غيره، والسبب في ذلك يرجع إلى اهتمامه بجمع الروايات المرفوعة كما تقدم.

وفي مطلب **التفسير بتعيين المراد،** حددت **المراد بتعيين المراد بأنه** تعيين بيان المجمل، أو تخصيص العام، أو تقييد المطلق، بالجزم بأن المراد في الآية كذا وكذا في تعيين جهة، أو فرقة، أو شخص..

وخلصت من المقارنة إلى ابن مردويه هو أقل مفسري السلف عناية بهذا النوع، والسبب في ذلك يرجع إلى أن تعيين المراد أكثره من التفسير الاجتهادي، وهو مقل في هذا الجانب.

وفي **التفسير بشرح المفردات، رأيت أن المراد بشرح المفردات:** المعاني اللغوية لغريب القرآن، أو الألفاظ الغامضة، **وكان ابن مردويه أقل** مفسري السلف عناية بهذا النوع مطلقاً، والسبب في ذلك يرجع إلى أن تعيين المراد أكثره من التفسير الموقوف والمقطوع على التابعي، وهو مقل في هذه الأنواع.

وفي **تفسير آيات الأحكام،** بينت أن **المراد من ذلك** الآيات التي تدل على الأحكام مباشرة.

وبينت أن ابن مردويه تشابه مع مفسري السلف في هذا النوع، إذ جل هذه الآيات الصريحة وردت فيها مرفوعات، بل قلّ أن تجد آية من الصريح لا يوجد فيها ذلك، فغيره من المفسرين تميزوا برواية التفسير الموقوف والمقطوع في هذا النوع، فجبر ذلك عنده باستفراغ الوسع في إيراد المرفوع منه، ثم قل أن تجد أثراً في آيات الأحكام عن صحابي، إلا وقد روي من طريق مرفوعاً، وإن كان لا يصح رفعه، لكنه لم يلتزم الصحة فيما يورده رحمه الله.

وفي **التفسير بالإسرائيليات،** بينت أن **المقصود بالإسرائيليات:** ما يكون من الأحاديث عن أهل الكتاب مما عندهم في كتبهم كالتوراة وغيرها، ثم نبهت أن الكثير من المعاصرين لا يرى مطلقاً رواية الإسرائيليات، ولو كانت من القسمين الأول والثالث، ويبالغ في ذلك، وهذا مخالف لما عليه عمل الأمة.

وخلصت إلى أن ابن مردويه هو من أقل مفسري السلف عناية بهذا النوع مطلقاً، والسبب في ذلك يرجع إلى أن رواية الإسرائيليات تكثر جداً في التفسير الموقوف والمقطوع على التابعي، وهو مقل في هذه الأنواع لأن اهتمامه كان لجمع ما ورد في التفسير من الأحاديث عنه ﷺ.

وأما في **التفسير بالقراءات،** فقد بينت أنه تواتر عند العلماء أنه نزل القرآن على سبعة أحرف وأن الذي فعله عثمان رضي الله عنه هو جمع الناس على حرف، وذكرت مسألة الاحتجاج بالقراءات الشاذة، **ثم خلصت إلى أن ابن مردويه تشابه مع** مفسري السلف في هذا النوع، إذ جل هذه الآيات التي في القراءات تكون في المرفوعات، إذ القراءة سنة أثرية.

وفي مطلب **عنايته بالعقيدة،** بينت أن المراد من **آيات الاعتقاد:** الآيات التي هي صريحة في تقرير العقيدة، **وأن ابن مردويه هو أكثر** مفسري السلف عناية بهذا النوع **بدون مقارب،** فما عنده يزيد ضعف أو ثلاثة أمثال ما عند غيره، والسبب في ذلك يرجع إلى أن تقرير الاعتقاد إنما يكون بالرواية عن معصوم، وقد زاد ابن مردويه عن سواه في المرويات المرفوعة.

*** ثم تكلمت عن علوم القرآن عند ابن مردويه.**

وبينت أن ابن مردويه هو أكثر مفسري السلف عناية **بأسباب النزول** بدون مقارب، فما عنده يزيد ضعف أو ثلاثة أمثال ما عند غيره، والسبب في ذلك يرجع إلى أن سبب النزول روائي لا اجتهادي، فوافق ما نشط له رحمه الله.

وحددت معرفة المكي والمدني:وخلصت إلى أن ابن مردويه هو أكثر مفسري السلف عناية بهذا النوع **بدون مقارب،** فما عنده يزيد ضعف أو ثلاثة أمثال ما عند غيره، والسبب في ذلك أيضاً يرجع إلى أن مبناه على النقل.

وفي بيان معنى **المشكل** من الروايات، **بينت أن ابن مردويه تشابه** مع مفسري السلف في هذا النوع.

وفي معرفة **أسماء السور،** بينت أن **جميع أسماء السور ثبتت بالتوقيف** من الأحاديث والآثار، **وأن ابن مردويه هو أكثر** مفسري السلف عناية بهذا النوع

بدون مقارب، فما عنده يزيد نحو عشرة أمثال ما عند غيره، والسبب في ذلك أيضاً يرجع إلى أن أسماء السور مأخوذة بالنقل والرواية، وكلها توقيفية كما سبق نقله عن السيوطي.

وفي **معرفة الناسخ والمنسوخ، بينت أن ابن مردويه تشابه مع** مفسري السلف في العناية بهذا النوع، والسبب في ذلك أيضاً يرجع إلى أن الناسخ والمنسوخ **جزء منه اجتهادي**، وليس روائياً، وهو ما لم يهتم به رحمه الله كما تقدم.

وفي تحديد المراد بكليات القرآن ذكرت أنه ما استنبطه العلماء من قاعدة مطردة في القرآن، **وأن ابن مردويه هو من أقل** مفسري السلف عناية بهذا النوع مطلقاً، والسبب في ذلك يرجع إلى أن الكليات تحتاج إلى استقراء وتتبع، وهو مقل في هذا.

وأما **ألأمثال**؛ فذكرت أن **ابن مردويه تشابه** مع بعض مفسري السلف في هذا النوع.

* **وفي المبحث الثالث : مكملات وملح التفسير** ، ذكرت أن **المقصود باللطيفة**: تفسير دقيق يلمح فيه المفسر أمراً لا يظهر بادي الرأي من سياق الآيات.

وأن ابن مردويه تشابه مع بعض مفسري السلف في هذا النوع،ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن وجود شيء من ذلك كثير في المنقول عنه ﷺ.

وفي مطلب **الوعظ**، بينت أن **ابن مردويه هو أكثر** مفسري السلف عناية بهذا النوع **بدون مقارب**، فما عنده يزيد ضعف ما عند غيره، والسبب في ذلك أيضاً يرجع إلى أن المواعظ مما تنشط له النفس في باب الرواية، ووجوده كثير.

وأما في **الفضائل**، فبينت أن **ابن مردويه هو أكثر** مفسري السلف عناية بهذا النوع **بدون مقارب**، فما عنده يزيد أربعة أمثال ما عند غيره، والسبب في ذلك أيضاً يرجع إلى أن الفضائل قد كثرت في النصوص المرفوعة فلذا اهتم بها، وأكثر منها.

ثم بينت في مطلب: **الدعوة أن المراد بالدعوة هنا:** النصوص التي يستفاد منها كيفية دعوة الناس للخير ونهيهم عن الشر.

وأن ابن مردويه هو أكثر مفسري السلف عناية بهذا النوع **بدون مقارب،** فما عنده نحو ثلاثة أمثال ما عند غيره، والسبب في ذلك أيضاً يرجع إلى أن الدعوة جاءت النصوص المرفوعة الحاثة عليها، فاختار منها ما يناسب الآيات

*** وفي الفصل الثالث بينت مسألة تأثره في الرواية، وتأثيره فيمن جاء بعده،** أنه اهتم بتطريق الحديث، وأنه اشتهر ابن مردويه بجمع الطرق والروايات للحديث الواحد، وجمع الطرق أصل في معرفة الحديث المعلل

وأما الرواة؛ فقد تبين لي أن عددهم في تفسيره بلغ (٥٢٣) راو؛ إلا أنه لم يكثر إلا عن **تسعة** منهم، هم من المكثرين في الرواية بصفة عامة، والباقون تكون مروياتهم عشرات دون المائة بل ربما دون العشرة.

ثم بينت تأثر ابن كثير به وأنه ذكره بلفظ الحافظ وبلفظ الإمام في مواضع كثيرة، وبينت من خلال الدراسة أنه تابعه في جمع طرق الحديث الواحد، ومن أنه ربما نقل عنه أكثر من نقل في الموضع الواحد، وربما اعتنى بما يزيده في الرواية عن سائر الروايات، لكن أشد ما ينتقده ابن كثير من مرويات ابن مردويه هو غريب المرفوعات، وتقديمه على كتب الحديث، وذلك بذكر روايته أولاً ثم يعقبها بمن أخرجه، بل ربما قدمه في الذكر على البخاري، وربما أشار ابن كثير إلى النصوص الواردة فيه دون أن ينقل منها، وأن من أجلى ما يشير إلى تأثره به ما يتابعه عليه في إيراد المرفوعات التي لم تُسق قصداً لتفسير الآيات، بل هي من التفسير الاجتهادي، كما لاحظت أن ابن كثير لا يلتمس الروايات المطولة فيما يورده من تفسير ابن مردويه في الجملة، إلا ما كان فيما يتعلق بروايات السيرة، بل ربما أورد أكثر من رواية في الموضع الواحد، إلا أن ابن كثير لم يكن يتابعه في النقول دون تعليق وترجيح، بل لا يكاد يجد مجالاً للنقد الحديثي إلا أثبته، وكثر ذلك في تفسيره جداً.

ـ والخلاصة أن ابن كثير قد اطلع على نسخة من تفسير ابن مردويه فأحسن الانتقاء، وقد اعتمد على مرويات ابن مردويه جمع من متأخري المفسرين، لكن لم يطلعوا فيما يبدو على تفسيره، بل أخذوه من الدر المنثور وأشباهه، وذلك **كالشوكاني**، فقد زادت نقولاته عنه عن ألف رواية، وكذا **الألوسي**، فقد زادت نقولاته عنه عن خمسمائة، لكن لما كانت قد أخذوها بواسطة؛ لذا لم أجد في دراستها جديداً فتركت ذلك وبالله التوفيق.

وفي ختام الختام، أسأل الله للجميع حسنه، وأن يجعل هذا مسكه، فبعد أن عشت زمناً طويلاً في دراسة هذه المقارنات، تبين لي أهمية علم المقارنات، وكيف أنه يعطي صورة واضحة عن الكتب والمصنفات، فأوصي الجامعات ومراكز البحث وطلاب العلم من الأساتذة وغيرهم، بضرورة الاهتمام به، وتوجيه الطلبة الباحثين له، مع الإشراف العلمي المتخصص، وبالله التوفيق.

فهرس المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، دار الفكر ، لبنان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ط١، تحقيق: سعيد المندوب.
- الأحرف السبعة للقرآن، أبو عمرو الداني. مكتبة المنارة، مكة، ١٤٠٨هـ، ط١، تحقيق عبد المهيمن طحان.
- أدب الإملاء والاستملاء، عبد الكريم بن محمد السمعاني. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، تحقيق: ماسك فايسفايلر.
- أساس البلاغة، جار الله محمود بن عمر الزمخشري. دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، طبع وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء ١٤٠٣هـ، الرياض.
- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف في الأسماء والكنى، علي بن هبة الله بن أبي نصر بن ماكولا. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ، ط١.
- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفدا. مكتبة ا لمعارف، بيروت.
- البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر الزركشي. دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
- تاريخ أصبهان، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠/ ١٩٩٠، ط١، تحقيق: شيد كسروي حسن.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام، أحمد بن عثمان الذهبي. دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ط١، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري.
- تاريخ بغداد، أحمد بن علي الخطيب البغدادي. دار الكتب العلمية، بيروت.
- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، علي بن الحسن هبة الله بن عساكر، دار الفكر ، تحقيق: علي شيري.
- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. المكتبة العلمية،

بيروت، تحقيق: محمد علي النجار.

- التحبير في المعجم الكبير، السمعاني، موقع الوراق.
- تحرير ألفاظ التنبيه ، يحيى بن شرف الدين النووي . دار القلم ، دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ، تحقيق: عبد الغني الدقر.، ١٤٠٨هـ.
- تحريم كتابة القرآن الكريم بحروف غير عربية، صالح العود. وزارة الشؤون الإسلامية، ١٤١٦هـ، ط١.
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف.
- تذكرة الحفاظ، أحمد بن عثمان الذهبي. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.
- التعريفات، الشريف الجرجاني. دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ط١، تحقيق: إبراهيم الأبياري.
- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير. دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، تحقيق: سامي سلامة.
- التقرير والتحبير، ابن أمير حاج، موقع الإسلام.
- تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ط١.
- الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل البخاري . دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، للحميدي، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٣هـ، ط.٢، تحقيق د/ علي البواب.
- خطبة الحاجة ، محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي، ط ٤.
- الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣.
- دول الإسلام، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.
- الديباج على مسلم، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. دار ابن عفان، الخبر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، تحقيق: أبو إسحاق الجويني الأثري.

- ديوان الإسلام ، محمد أبو المعالي الغزي، موقع الوراق.
- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة، محمد بن جعفر الكتاني. دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ط٤، تحقيق: محمد المنتصر الكتاني.
- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني. دار الفكر، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الفكر، بيروت.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة. دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد شاكر وآخرين.
- سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري سيد كسروي حسن.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ، ط١.
- شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، وزارة الشؤون الإسلامية، ١٤١٨، ط١، تحقيق: أحمد شاكر.
- شرح الكوكب المنير، ابن النجار الفتوحي. دار الفكر للنشر، جامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ، تحقيق: محمد الزحيلي.
- شرح النووي على مسلم ، دار إحياء التراث ، بيروت، ١٣٩٢هـ، ط٢.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري. دار ابن كثير، بيروت، ١٤٠٧هـ، ط٣، تحقيق: مصطفى ديب البغا.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم. دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ، ط١.
- طبقات الحنابلة، محمد بن أبي يعلى، دار المعرفة، بيروت.
- طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، عبد الله بن محمد بن حيان

الأنصاري. مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، تحقيق: عبد الغفور عبد الحق البلوشي.

- طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الداودي. مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ط١، تحقيق: سليمان ابن صالح الخزي.
- العبر في خبر من غبر، أحمد بن عثمان الذهبي. مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط٢، ١٩٨٤م، تحقيق: صلاح الدين المنجد.
- العجاب في بيان الأسباب، أحمد بن علي أبو الفضل بان حجر العسقلاني. دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ط١، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس.
- علوم القرآن، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ط١، تحقيق: سعيد المندوب.
- العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي. دار مكتبة الهلال، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩م.
- فتح القدير الجامع بين علمي الرواية والدراية في التفسير، محمد بن علي الشوكاني
- القاموس الفقهي، سعدي أبو جيب. دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني حاجي خليفة. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣/ ١٩٩٢م.
- لباب النقول في أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. دار إحياء العلوم، بيروت.
- لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط١.
- مجموع فتاوى ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية. مكتبة ابن تيمية، ط٢، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن القاسم.
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي. مكتبة لبنان، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، تحقيق: محمود خاطر.

- مسند ابن راهويه، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ١٤١٢هـ/ ط١.
- مسند أبي داود الطيالسي، سليمان بن داود البصري الطيالسي. دار المعرفة، بيروت.
- مسند أبي يعلي، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلي التميمي. دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ط١.
- مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، القاهرة.
- مشكاة المصابيح، الخطيب التبريزي. المكتب الإسلامي، ، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٦٨٥م، ط٣، تحقيق: أحمد ناصر الدين الألباني.
- مصنف عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق همام الصنعاني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ، ط٢، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.
- المطلع على أبواب الفقه، البعلي، المكتب الإسلامي، ١٤٠١هـ.
- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي. دار الفكر، بيروت.
- معجم المناهي اللفظية، بكر أبو زيد، موقع صيد الفوائد.
- معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع للبكري الأندلسي، عالم الكتب، بيروت، تحقيق، مصطفى السقا.
- المعين في طبقات المحدثين، محمد بن أحمد الذهبي. دار الفرقان، عمان، ١٤٠٤هـ، ط١، تحقيق: همام عبد ا لرحيم سعيد.
- المغني شرح مختصر الخرقي، عبد الله بن قدامة، دار الفكر، بيروت.
- مقدمة في أصول التفسير، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار القرآن، ١٣٩٩هـ، ط٣، تحقيق: عدنان زرزور.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني. دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي. دار صادر، بيروت، ١٣٥٨هـ، ط١.

- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، علي بن محمد بن حزم الظاهري. دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٠٦هـ، ط١، تحقيق: عبد ا لغفار سليمان البنداري.
- الناسخ والمنسوخ، أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس. مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٨هـ، تحقيق: محمد عبد ا لسلام محمد.
- الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامه المقري. المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ، ط١، تحقيق: زهير الشاويس، ومحمد كنعان.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين يوسف ابن تغري بردي الأتابكي. وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة.
- النكت على مقدمة ابن الصلاح، بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي، أضواء السلف، الرياض، ط١، تحقيق : زين العابدين محمد بلافريح.
- نواسخ القرآن، عبد الرحمن بن محمد ابن الجوزي. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ، ط١.
- الوافي بالوفيات، خليل صلاح الدين بن أيبك الصفدي. دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وزكي مصطفى.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان. دار الثقافة ، بيروت، تحقيق: إحسان عباس.

آيات إقراء القرآن وتلاوته

جمعاً ودراسة

د . عبد العزيز بن محمد السحيباني

- عضو هيئة التدريس بكلية أصول الدين بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته (الطاعة وأنواعها في القرآن الكريم - دراسة موضوعية) .
- حصل على درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتحقيق كتاب (فتح المنان بتفسير القرآن للحسن بن أحمد عاكش الضمدي ، من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة الرعد) .

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

فإن الله عز وجل مدح نفسه بما أنعم على عباده من النعم، وخص نعمة تعليم القرآن بالتشريف، وقدمها على نعمة الخلق، فقال تبارك وتعالى : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الرحمن: ١ – ٣ . وما ذاك إلا لعظم شأن تعليم القرآن وإقرائه، وذلك، لعظم المعلوم المقروء، وعلو منزلته . وكيف لا يتبوأ القرآن هذه المنزلة، وهو كلامه عز وجل، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد .

ولهذا اشتمل القرآن على آيات كثيرة، دالة على فضل وأهمية تلاوته وإقرائه، فلاحت لي فكرة جمع هذه الآيات ودراستها دراسة موضوعية تحليلية، وبفضل الله سرعان ما تحولت هذه الفكرة إلى مشروع بحث قرآني، واضح المعالم والأهداف؛ فعزمت على الشروع فيه، وجعلت عنوانه هو: **آيات إقراء القرآن وتلاوته، جمعا ودراسة.**

أهمية البحث وأسباب اختياره :

– أهمية البحث ظاهرة من موضوعه وعنوانه؛ لأنه يتناول دستور الأمة وسبب سعادتها في الدنيا والآخرة.

– كما أن هذا الموضوع يسهم في علاج ما تعانيه الأمة المسلمة من قصور في تلقيها للقرآن وكيفية التعامل معه .

أهداف الموضوع :

- بيان عناية القرآن بموضوع تلاوة القرآن وإقرائه، وأسباب تحقيق ذلك .

- بيان المنهج الصحيح في إقراء القرآن وتعليمه والركائز التي يقوم عليها. خصوصا مع انتشار حلق القرآن وإقبال الناس على تعلمه وتعليمه .

- تصحيح المفاهيم الخاطئة في أوساط المسلمين حول معنى تلاوة القرآن والغرض منها .

الدراسات السابقة :

لم أقف على بحث مقارب عني بجمع ودراسة آيات إقراء القرآن وتلاوته وما يتعلق بها .

خطة البحث :

وتتألف من مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، على النحو التالي :

التمهيد.

وفيه مبحثان :

الأول: نعمة القرآن والغاية من إنزاله

الثاني:فضل تعلم القرآن وتعليمه

الفصل الأول : آيات إقراء القرآن وتعليمه وفقهها.

وفيه مدخل، وخمسة مباحث :

المبحث الأول : إقراء القرآن لغة واصطلاحا

المبحث الثاني : مرادفات الإقراء في القرآن

المبحث الثالث : الوظائف الرئيسة المنوطة بمقرئ القرآن

المبحث الرابع : أصول الإقراء في القرآن " العرض والسماع "

المبحث الخامس : ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾

منهج البحث:

- سلوك المنهج الاستقرائي التحليلي في دراسة الآيات، مع الحرص على تصنيف الآيات بما يعين على وضوح المراد.
- عزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن.
- عزو القراءات القرآنية في الهامش وتوثيقها من مصادرها الأصلية .
- تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية بذكر الكتاب والباب ورقم الحديث مع الحرص على بيان درجة الحديث .
- سلوك المنهج العلمي في توثيق النصوص بعزوها لقائليها من كتبهم مباشرة، إلا مع تعذر الأصل .
- شرح غريب الألفاظ من المعاجم اللغوية وكتب غريب القرآن.

التمهيد

وفيه مبحثان:

الأول: نعمة القرآن والغاية من إنزاله

الثاني: فضل تعلم القرآن وتعليمه

المبحث الأول
نعمة القرآن والغاية من إنزاله

كانت البشرية قبيل بعثة النبي - ﷺ - في ضلال مبين كما بين القرآن، وانحدرت إلى أدنى دركات الانحطاط في شتى مجالات الحياة، وانطمست معالم الدين الحق، وانطفأت أنوار النبوات، وانحسر المعروف، وساد المنكر، وظهر الفساد في البر والبحر، فكان نزول القرآن على النبي محمد - ﷺ - أعظم نعمة امتن الله بها على أهل الأرض .

قال الله تعالى: ﴿ **لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ** ﴾ آل عمران:١٦٤.

وقال تعالى في الحديث القدسي: (**خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظان**) الحديث أخرجه مسلم من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه(١).

وقوله تعالى: (**لا يغسله الماء**): أي أنه محفوظ في الصدور، لا يتطرق إليه الذهاب، بل يبقى على مر الأزمان، وأما قوله تعالى: (**تقرؤه نائما ويقظان**): فمعناه أنه يكون محفوظا لك في حالتي النوم واليقظة، وقيل: تقرؤه في يسر وسهولة(٢).

---

(١) صحيح مسلم ٤/ ٢١٩٧ - باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار- حديث ٢٨٦٥ .

(٢) انظر غريب الحديث للخطابي ١/ ٣٤٩ ، وشرح النووي على صحيح مسلم ١٧/ ١٩٨ .

ولما كان القرآن بهده المثابة كان من يؤتى هذه النعمة هو المغبوط حقا.

أخرج البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: (**لا حسد إلا في اثنتين رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار**) الحديث [١].

وأخرج مسلم عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي - ﷺ - قال: (**لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار**) الحديث [٢]. والمراد بالقيام به العمل به تلاوة وطاعة [٣].

الغاية من إنزاله:

إن الغاية من إنزال القرآن هي أن يكون كتاب هداية، ومنهج حياة، ومنقذا من الضلالة.

قال الله تعالى: ﴿ **وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ النحل: ٦٤ .

وصيغة القصر في الآية لقصد الإحاطة بالأهم من غاية القرآن وفائدته التي أنزل لأجلها، أي: وما أنزلنا عليك يا محمد هذا القرآن إلا لغايات سامية ومقاصد عظيمة هي تبيين الحق للناس فيما كان موضع اختلافهم من التوحيد والقدر وأحكام الأفعال وأحوال المعاد، فالقرآن لا يترك للباطل مسلكا إلى

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ١٩١٩ - باب اغتباط صاحب القرآن – حديث رقم ٤٧٣٨ .

(٢) صحيح مسلم ١/ ٥٥٨ - باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه- حديث رقم ٨١٥ . المراد بالحسد هنا الغبطة، قال النووي: " الغبطة هو أن يتمنى مثل النعمة التي على غيره من غير زوالها عن صاحبها فإن كانت من أمور الدنيا كانت مباحة، وإن كانت طاعة فهي مستحبة، والمراد بالحديث لا غبطة محبوبة إلا في هاتين الخصلتين وما في معناهما" . شرح النووي على صحيح مسلم ٦/ ٩٧ . ويؤيد أن المراد بالحسد الغبطة ما جاء في بعض طرق هذا الحديث عند البخاري، فقال فيه: (**ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل**) . انظر عمدة القاري ٢/ ٥٧ .

(٣) انظر فتح الباري ٩/ ٧٣ .

النفوس، وهو مفصح عن الهدى إفصاحا لا يترك للحيرة مجالا في العقول، وهو هداية تامة ورحمة عامة، الناس محتاجون إليها ومضطرون لها أشد الاضطرار [1].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ النحل: ٤٤ .

قال السعدي في تفسيرها: " ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ ﴾ أي القرآن الذي فيه ذكر ما يحتاج إليه العباد من أمور دينهم ودنياهم الظاهرة والباطنة، ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ : وهذا شامل لتبيين ألفاظه وتبيين معانيه، ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ فيه، فيستخرجون من كنوزه وعلومه بحسب استعدادهم وإقبالهم عليه" [2].

ولما كانت حاجة الناس إلى هذا الذكر بهذا القدر أتم الله النعمة بأن تكفل بحفظه من التبديل والتحريف والتغيير والزيادة والنقصان .

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ الحجر: ٩ ، والضمير في قوله: لَهُۥ عائد على الذكر، على الصحيح في تفسير هذه الآية [3].

وهذا الحفظ المذكور في الآية له وجوه عديدة شاملة للفظه ومعناه في جميع الأحوال .

قال الإمام السعدي: " ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ : أي في حال إنزاله وبعد إنزاله، ففي حال إنزاله حافظون له من استراق كل شيطان رجيم، وبعد إنزاله أودعه الله في قلب رسوله، واستودعه في قلوب أمته، وحفظ الله ألفاظه من التغيير فيها والزيادة والنقص، ومعانيه من التبديل، فلا يحرف محرف معنى من معانيه إلا وقيض الله له من يبين الحق المبين، وهذا من أعظم آيات الله ونعمه على عباده المؤمنين، ومن حفظه أن الله يحفظ أهله من أعدائهم ولا يسلط عدوا يجتاحهم" [4].

---

(١) انظر تفسير السعدي ص ٤٤٣ ، والتحرير والتنوير ١٤/ ٢٣٦٣ .
(٢) تفسير السعدي ص ٤٤١ .
(٣) انظر أضواء البيان ٢/ ٢٥٥ .
(٤) تفسير السعدي ص ٤٢٩ .

ومن أدلة حفظه: قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾ فصلت: ٤١ – ٤٢[١].

قال قتادة والسدي: الباطل هو الشيطان لا يستطيع أن يغيره أو يزيد فيه أو ينقص منه[٢].

وقال الزجاج:" في تفسيرها وجهان أحدهما: أن الكتب التي تقدمت لا تبطله، ولا يأتي بعده كتاب يبطله، والوجه الثاني: معناه أنه محفوظ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه، والدليل على هذا قوله: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾"[٣]، وكلا القولين من معاني الحفظ، فلا إشكال.

ومعنى قوله: ﴿عَزِيزٞ﴾ أي منيع من كل من أراده بتحريف أو سوء، ولهذا أكد هذا المعنى بقوله: ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ ﴾ أي: لا يقربه شيطان من شياطين الإنس والجن، لا بسرقة ولا بإدخال ما ليس منه به، ولا بزيادة ولا نقصان، فهو محفوظ في تنزيله محفوظ في ألفاظه ومعانيه[٤].

ومن أدلة حفظه أيضا: قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ﴾ القيامة: ١٧ .

وقد نقل الإمام الزركشي الإجماع على أن المراد بهذه الآية هو حفظ الله للقرآن، فقال عند إيراده لها: "وأجمعت الأمة أن المراد بذلك حفظه على المكلفين للعمل به، وحراسته من وجوه الغلط والتخليط"[٥].

ومن تمام النعمة – أيضا – إضافة إلى حفظه- أي الذكر- أن يسره الله للناس .

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ٧/ ٢٢٥٨ .

(٢) انظر تفسير الطبري ٢٤/ ١٢٥ ، تفسير البغوي ٤/ ١١٦ ، والدر المنثور ٧/ ٣٣٢ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٨٨ .

(٤) انظر تفسير السعدي ص ٧٥٠ .

(٥) البرهان في علوم القرآن ٢/ ١٢٧ .

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ القمر: ١٧،٢٢،٣٢،٤٠ .

أي سهلنا لفظه، ويسرنا معناه لمن أراده والانتفاع به؛ لأنه أحسن الكلام لفظا وأصدقه معنى وأبينه تفسيرا، وهذه الآية يفسرها قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ ص: ٢٩ ، وقوله: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ مريم: ٩٧، وقوله: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ الدخان: ٥٨ [(١)].

وقال مجاهد: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾ يعني هونا قراءته، وقال السدي: يسرنا تلاوته على الألسن [(٢)].

وقال سعيد بن جبير: يسرناه للحفظ والقراءة، وليس شيء من كتب الله يقرأ كله ظاهرا إلا القرآن [(٣)]. يعني عن ظهر قلب .

وقال الضحاك عن ابن عباس: لولا أن الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله عز وجل [(٤)].

وقال القرطبي :" ولولا أنه سبحانه جعل في قلوب عباده من القوة على حمله ما جعله؛ ليتدبروه وليعتبروا به وليتذكروا ما فيه من طاعته وعبادته وأداء حقوقه وفرائضه لضعفت ولاندكت بثقله أو لتضعضعت له، وأنى تطيقه، وهو يقول تعالى جده وقوله الحق: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ الحشر: ٢١ ، فأين قوة القلوب من قوة الجبال، ولكن الله تعالى رزق عباده من القوة على حمله ما شاء أن يرزقهم فضلا منه ورحمة" [(٥)].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٤/ ٢٦٥، وتفسير السعدي ص٨٢٤ .

(٢) انظر صحيح البخاري ٤/ ١٨٤٤ ، وتفسير الطبري ٢٧/ ٩٦ ، وتفسير ابن كثير ٤/ ٢٦٥ .

(٣) انظر الوسيط للواحدي ٤/ ٢٠٩ ، وتفسير البغوي ٤/ ٢٦١ .

(٤) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٦٥ .

(٥) تفسير القرطبي ١/ ٤ .

" والذكر شامل لكل ما يتذكر به العاملون من الحلال والحرام وأحكام الأمر والنهي وأحكام الجزاء والمواعظ والعبر والعقائد النافعة والأخبار الصادقة ولهذا كان علم القرآن حفظا وتفسيرا أسهل العلوم وأجلها على الإطلاق وهو العلم النافع الذي إذا طلبه العبد أعين عليه" [١].

قال قتادة في قول الله: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾، قال: هل من طالب خير يعان عليه [٢].

وهذا اليسر المذكور في الآية حاصل في القرآن من وجوه متعددة في مبانيه ومعانيه وحروفه ولغته والمتلقين له [٣].

فأما المباني فلكونها في أعلى درجات الفصاحة؛ في ألفاظها وتراكيبها، وكذا انتظام مجموعها بحيث يخف حفظها وأداؤها على الألسنة .

وأما اليسر في معانيه فحاصل بوضوح انتزاعها من التراكيب ووفرة ما تحتوي عليه تلك التراكيب من مقاصد سيقت لغرض معين، وبتولد معان من معان أخر كلما كرر المتدبر تدبره في فهمه .

ووسائل تحقيق يسر معانيه لا يحيط بها الوصف، ومن أهمها: إيجاز اللفظ لأجل سرعة تعلقه بالحفظ. ومنها إجمال المدلولات لتذهب نفوس السامعين في انتزاع المعاني منها كل مذهب يسمح به اللفظ والغرض والمقام .ومنها الإطناب بالبيان إذا كان في المعاني بعض الدقة والخفاء .

وأما اليسر في حروفه؛ فإن القرآن أنزل على سبعة أحرف تيسيرا لتلاوته.

عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – عن رسول الله – ﷺ – أنه قال: (**إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه**) متفق عليه [٤].

(١) تفسير السعدي ص٨٢٤ .

(٢) تفسير الطبري ٢٧/ ٩٧ .

(٣) هذه الوجوه مستفادة من تفسير ابن كثير ٤/ ٢٦٥ ، وتفسير السعدي ص٨٢٤ ، والتحرير والتنوير ٢٧/ ٤٢٢٦ .

(٤) صحيح البخاري ٤/ ١٩٠٩– باب أنزل القرآن على سبعة أحرف – حديث رقم ٤٧٠٦، وصحيح مسلم ١/ ٥٦٠ – باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه– حديث رقم ٨١٨ .

وعن أبي بن كعب أن النبي – ﷺ – كان عند أضاة بني غفار، قال: فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتُك القرآن على حرف، **فقال: (أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك)، ثم أتاه الثانية، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين، فقال: (أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك)، ثم جاءه الثالثة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: (أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك)، ثم جاءه الرابعة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا)** رواه مسلم [1].

وأما اليسر في لغته فقد جاء تأليف نظم القرآن بلغة هي أفصح لغات البشر، وأسمحها ألفاظا وتراكيب، وأغزرها معان ودلالات. فهذا القرآن خيار من خيار من خيار، كما قال تعالى: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ الشعراء: ١٩٥ .

وأخيرا فإن من كمال هذا اليسر أن الله جعل المتلقين لهذا القرآن أمة هي أذكى الأمم عقولا وأسرعها أفهاما وأشدها وعيا لما تسمعه وأطولها تذكرا له، دون نسيان، وأفرادها على تفاوتهم في هذه الخلال إذا اجتمع أصحاب الأفهام منهم على مدارسة القرآن وتدبره بدت لمجموعهم معان لا يحصيها الواحد منهم وحده .

ولذا فقد مدح الله كتابه ومجده وعظمه؛ لما فيه من الكمالات، فقال عز شأنه: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥ .

يقول السعدي عند تفسيره لهذه الآيات:" وتأمل كيف اجتمعت هذه الفضائل الفاخرة في هذا الكتاب الكريم: فإنه أفضل الكتب، نزل به أفضل الملائكة، على أفضل الخلق، على أفضل أمة أخرجت للناس، بأفضل الألسنة وأفصحها وأوسعها وهو اللسان العربي المبين" [2].

(١) صحيح مسلم ١/ ٥٦٢ –باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه– حديث رقم ٨٢١ .
(٢) تفسير السعدي ص ٥٩٨ .

المبحث الثاني
فضل تعلم القرآن وتعليمه

الأصل في هذا المبحث من القرآن آيات عدة:

منها قول الله تعالى: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾ البقرة: ١٥١ .

وقوله عز وجل: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ آل عمران: ١٦٤ .

وقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ الجمعة: ٢ .

فهذه الآيات الثلاث سيقت على سبيل الامتنان وتعداد النعم، ولهذا عقب على الآية الأولى بقوله: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ البقرة: ١٥٢، وصُدِّرت الآية الثانية بقوله: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ والثالثة بقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ على سبيل الامتنان، فبعثة الرسول - ﷺ - لنا نعمة، وتلاوته الآيات علينا نعمة، وتزكيته إيانا نعمة، وتعليمنا الكتاب والحكمة نعمة، فهذه هي أصول النعم على الإطلاق، وهي أكبر نعم ينعم الله بها على عباده [1].

ودلت هذه الآيات على عظيم فضل تعليم القرآن، وكيف لا يكون كذلك وهو وظيفة سيد الخلق أجمعين .

---

(١) انظر تفسير السعدي ١/ ٧٤ .

ومن الأدلة من القرآن أيضا: قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ آل عمران: ٧٩ [١].

وسيأتي الحديث عن هذه الآية مفصلا في الفصل القادم ، وأكتفي هنا بالإشارة إلى الشاهد من الآية، وهو قوله: ﴿رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ ، والمراد بهم سادات الناس من العلماء الذين انتصبوا لتعليم الناس القرآن والحكمة، وهذا الوصف لا يتحقق إلا لمن قامت فيه صفتان؛ الأولى: التعليم المشار إليها بقوله: ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ ، والصفة الثانية: القراءة والمقارأة المشار إليها بقوله: ﭼﮋﭽ، ومعناه تقرؤون وتحفظون .

ومنها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ فاطر: ٢٩ [٢].

فمدح الله القراء العاملين بما يحملون من قرآن . قال قتادة: "كان مطرف بن عبد الله – رحمه الله – إذا قرأ هذه الآية يقول هذه آية القراء" [٣]. وقال القرطبي: "هذه آية القراء العاملين العالمين الذين يقيمون الصلاة؛ الفرض والنفل، وكذا في الإنفاق" [٤].

ومنها قوله تعالى: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ البقرة: ٢٦٩ .

وقد ذهب كثير من المفسرين إلى أن المراد بالحكمة في الآية هو القرآن واستظهاره والفقه فيه.

(١) انظر فضائل القرآن لمحمد بن عبد الوهاب ص٣ .
(٢) انظر التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص١١ .
(٣) تفسير الطبري ٢٢/ ١٣٢ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ٥٥٥ .
(٤) تفسير القرطبي ١٤/ ٣٤٥ .

فعن ابن عباس ومجاهد وأبي العالية وقتادة أن المراد بالحكمة هنا الفقه في القرآن، وعن أبي الدرداء أنه فسرها بـ "قراءة القرآن والفكرة فيه"، وفسرها كل من مقاتل بن حيان وقتادة والحسين ابن واقد بأنها استظهار القرآن، أي حفظه وقراءته عن ظهر قلب [١]. وقال مقاتل بن سليمان في تفسيرها: "يقول ومن يعط الحكمة وهي علم القرآن والفقه فيه" [٢].

ومنها قوله تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النحل: ٤٣ .

قال السعدي عند تفسيرها: "وعموم هذه الآية فيها مدح أهل العلم، وأن أعلى أنواعه العلم بكتاب الله المنزل؛ فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم؛ حيث أمر بسؤالهم، فدل على أن الله ائتمنهم على وحيه وتنزيله، وأنهم مأمورون بتزكية أنفسهم والاتصاف بصفات الكمال" [٣].

ومنها قول الله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ﴾ الرحمن: ١ - ٤ .

فقدم تعليم القرآن على خلق الإنسان؛ لأن نعمة الدين مقدمة على سائر النعم؛ مما يدل على شرف تعليم القرآن وأهميته [٤].

ومنها قوله تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ المجادلة: ١١ [٥].

وأما الأحاديث، فمنها حديث عثمان - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال: (**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**) رواه البخاري [٦].

---

(١) انظر تفسير الطبري ٣/ ٨٩ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٥٣٣ ، والدر المنثور ٢/ ٦٦ .

(٢) تفسير مقاتل ١/ ١٤٦ .

(٣) تفسير السعدي ص٤٤١ .

(٤) انظر التحرير والتنوير ٢٧/ ٤٢٤٢ .

(٥) انظر فضائل القرآن لمحمد بن عبد الوهاب ص٣ .

(٦) صحيح البخاري ٤/ ١٩١٩ -باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه- حديث رقم ٤٧٣٩ .

وكفى بهذا الحديث دليلا، فقد حاز معلم القرآن به الخيرية المطلقة .

ومنها: حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وفيه: (**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**) رواه مسلم [(١)].

ومنها: حديث عقبة بن عامر قال خرج رسول الله - ﷺ - ونحن في الصفة، فقال: (**أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق**[(٢)] **فيأتي منه بناقتين كَومَاوَين** [(٣)] **في غير إثم ولا قطع رحم**)، فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك، قال: (**أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل**) [(٤)].

(١) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٧٤ - باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر- حديث رقم ٢٦٩٩ .

(٢) بُطْحان والعَقيق واديان بالمدينة. انظر أخبار المدينة لعمر بن شبة ص١٠٧ .

(٣) الناقة الكَوْمَاء : بفتح الكاف عظيمة السنام عاليته. انظر النهاية لابن الأثير ٤/ ٢١١ ، وشرح النووي على صحيح مسلم ٦/ ٨٩ .

(٤) صحيح مسلم ١/ ٥٥٢ - باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه- حديث رقم ٨٠٣ . وانظر أخلاق حملة القرآن للآجري ص٢٠ .

الفصل الأول
آيات إقراء القرآن وتعليمه وفقهها

وفيه مدخل، وخمسة مباحث :

مدخل : أهمية إقراء القرآن وتعليمه
المبحث الأول : إقراء القرآن لغة واصطلاحا
المبحث الثاني : مرادفات الإقراء في القرآن
المبحث الثالث : الوظائف الرئيسة المناطة بمقرئ القرآن
المبحث الرابع : طريقة القرآن في الإقراء " العرض والسماع "
المبحث الخامس : ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾

مدخل

أهمية إقراء القرآن وتعليمه

يكتسب إقراء القرآن وتعليمه أهميته ومنزلته من موضوعه الذي يتعلق به، وبقدر قيمة هذا العلم وشرفه والحاجة إليه يكون إقراؤه وتعليمه .

ولما كان القرآن هو أشرف معلوم على الإطلاق، والخلق مضطرون إليه أشد الاضطرار كان إقراؤه وتعليمه والاشتغال به أشرف الأعمال وأزكاها وأرجاها ثمرة وأعظمها أجرا، لذا قال ﷺ :(**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**) [(١)] .

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ: (**يقول الرب عز وجل: من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه**) . قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب [(٢)] .

"والجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره، جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدي، وهو من جملة من عنى سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ فصلت: ٣، والدعاء إلى الله يقع بأمور شتى من جملتها تعليم القرآن وهو أشرف الجميع" [(٣)] .

ولا غرو؛ فالقرآن حياة القلوب، ونور البصائر، وشفاء الصدور، ورياض العقول، ولذة الأرواح، وأنس المستوحشين، ودليل المتحيرين .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يونس: ٥٧ .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ١٩١٩ –باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه– حديث رقم ٤٧٣٩ .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ٥/ ١٨٤ – كتاب فضائل القرآن – حديث رقم ٢٩٢٦ . قال ابن حجر في الفتح ٩/ ٦٦ : "رجاله ثقات إلا عطية العوفي ففيه ضعف، وقد بين العسكري أنه من قول أبي عبد الرحمن السلمي، وقال البخاري في خلق أفعال العباد: وقال أبو عبد الرحمن السلمي، فذكره، وأشار في خلق أفعال العباد إلى أنه لا يصح مرفوعا" انتهى باختصار .

(٣) فتح الباري ٩/ ٧٦ .

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ الإسراء: ٨٢ .

قال قتادة: "لم يجالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان" [(١)].

وهو الميزان الذي به توزن الأقوال والأعمال والأحوال.

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ الإسراء: ٩ .

وهو الفرقان بين الشك واليقين، والحق والباطل، والغي والرشاد، والهدى والضلال.

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ الفرقان: ١ .

وهو الصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والأنيس في الوحشة .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ الرعد: ٢٨ .

وهو الغنى الذي لا فقر على من ظفر بكنزه، والكنف الذي لا ضيعة على من آوى إلى حرزه.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾ الحجر: ٨٧ – ٨٨ ، قال ابن كثير : " أي استغن بما آتاك الله من القرآن العظيم عما هم فيه من المتاع والزهرة الفانية " [(٢)].

تلاوته لذة وقربة، وترتيله علو وارتقاء، وتعليمه رحمة وسكينة، ومدارسته شرف وذكر في الملأ الأعلى، والحاجة إليه أعظم منها إلى الشراب والطعام؛ لأن الرجل يحتاج إلى الطعام والشراب في اليوم مرة أو مرتين وحاجته إلى العلم بعدد أنفاسه [(٣)].

---

(١) انظر أخلاق حملة القرآن لأبي بكر الآجري ص ٧٣، والدر المنثور ٥/ ٣٣٠ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٥٨ . وانظر تفسير القرطبي ١٠/ ٥٦ .

(٣) ما تقدم من وصف للقرآن، جله مقتبس من حديث رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٥٥ عن معاذ بن جبل، ثم قال:" وهو حديث حسن جدا، ولكن ليس له إسناد قوي ورويناه من طرق شتى موقوفا "اهـ ، وانظر مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٤٦٩ .

المبحث الأول
إقراء القرآن لغة واصطلاحا

إقراء القرآن مركب إضافي مكون من كلمتين : إقراء، والقرآن، وهو من باب إضافة المصدر إلى مفعوله.

أما القرآن، فيأتي بمعنى المفعول، ويراد به نفس الكلام المقروء، أي القرآن كعَلَمٍ على كتاب الله، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾ الأعراف: ٢٠، وقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ الإسراء: ٩، وقوله: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ الحشر: ٢١ ، ونظائره كثيرة [١].

ويأتي بمعنى المصدر، أي القراءة، وهذا هو الأصل فيه، مثل كفران وغفران، يقال: قرأ القرآن يقرؤه قراءة وقرآنا، أي تلاه تلاوة،،ومنه قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ الإسراء: ٧٨ ، أي قراءته، وقوله: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ القيامة: ١٧ – ١٨.

والقراءة : مصدر قرأ يقرأ،واسم الفاعل : قارِئ ، ويجمع على قَرَأَة وقُرَّاءٍ، وهما جَمعا تكسير، وعلى قَارِئينَ، وهو جمع مذكر سالم، وأما قَارَأَهُ مُقَارَأَةً وقِرَاءً، فمعناه: دَارَسَه، واسْتَقْرَأَه طَلَب إِليه أَن يَقْرأَ، والقَرَّاءُ على وزن فَعَّال هو الحَسَنُ القِرَاءَة، وجمعه قَرَّاؤونَ ولا يُجْمع جَمْعَ تكسيرٍ، والقُرَّاءُ على وزن فُعَّال هو الناسِك المُتَعَبِّد، ويقال قرأْتُ أَي صِرْتُ قارِئاً نَاسِكا [٢].

---

(١) انظر لسان العرب ١/ ١٢٨ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ١٢/ ١٩٨ . وقد تكرر لفظ القرآن في القرآن سبعين مرة، وهذا اللفظ كعلم هو الغالب في القرآن، ولم يأت لفظ القرآن بمعنى المصدر، أي القراءة إلا في خمسة مواضع من القرآن في أربع آيات: الآية: ٧٨ من سورة الإسراء، والآية: ١١٤ من سورة طه، والآيتان: ١٧، ١٨، من سورة القيامة، وسيأتي بيانها في ثنايا البحث .

(٢) انظر المفردات للراغب ص ٤٠٢، ولسان العرب ١/ ١٢٩ ، وتاج العروس ١/ ٣٦٥ .

وأصل القراءة عند أهل اللغة على قولين :

الأول : أن أصلها الجمع والضم، أي ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل [١] .

والثاني : أن القراءة أصلها هو الإظهار والبيان، وهذا القول محكي عن قطرب [٢] .

وسبب الخلاف في أصل هذا الحرف أن طائفة من العلماء لم يفرقوا بين قرأ المهموز، وقرى غير المهموز؛ فالذي بمعنى الجمع هو قرى غير المهموز، ومنه القرية؛ لاجتماع الناس بها، ويقال: قريت الضيف أقريه أي جمعته وضممته إليك، وقريت الماء في الحوض جمعته، ومنه استقرى الشيء أي تتبعه وجمعه.

وأما قرأ المهموز، فمشتق من الظهور والخروج والبيان، ومنه قولهم: ما قرأت الناقة سلا جزور قط، أي ما أظهرته، وأخرجته من رحمها، والقارئ هو الذي يظهر القرآن ويخرجه مقدارا محدودا، لا يزيد ولا ينقص ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ ، ففرق بين الجمع والقرآن، ولهذا فسر ابن عباس – رضي الله عنهما – في هذه الآية – في إحدى الروايتين عنه – القراءة بالبيان، فقال :﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ ﴾ أي : بيناه، ﴿ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ : اعمل به" [٣] . ومن هذا الباب قولهم : قرأت المرأة أي حاضت، والمراد خروج دم الحيض وظهوره [٤] .

وهذا القول هو الأرجح فيما يظهر، ورجحه عدد من المحققين، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية [٥]، وابن القيم [٦]، والشنقيطي [٧] .

---

(١) انظر المفردات للراغب ص ٤٠٢، والنهاية لابن الأثير ٤/ ٥٢ ، ولسان العرب ١/ ١٢٨ ، وتاج العروس ١/ ٣٦٤ .

(٢) ذكره الزجاج في معاني القرآن ١/ ٣٠٥ ، والسيوطي في الإتقان ١/ ١٤٤ .

(٣) صحيح البخاري ٤/ ١٨٧٦ – باب قوله: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ القيامة: ١٨.

(٤) أفاده شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٢٠/ ٤٧٨ ، وابن القيم في زاد المعاد ٥/ ٦٣٥ .

(٥) مجموع الفتاوى ٢٠/ ٤٧٨ .

(٦) زاد المعاد ٥/ ٦٣٥ .

(٧) أضواء البيان ٦/ ٣٢٥ .

وإذا كانت معاني الظهور والبيان ألصق بمعنى القراءة؛ فهذا لا يعني استبعاد معنى الجمع ؛ لأن القارئ عند القراءة يلفظ بالحروف والكلمات مجموعة ومتصلة . قال الزجاج:" قولك قرأت القرآن أي لفظت به مجموعا" [(١)].

وخلاصة القول: أن القرآن في اللغة مصدر قرأ، ويأتي بمعنى القراءة أحيانا وبمعنى المفعول – وهو الغالب – أي الكلام المقروء ، وسمي قرآنا؛ لأن القارئ يخرج القرآن من فيه ويظهره ويبينه.

وأما أقرأ فمعناه حمل غيره أن يقرأ عليه، يقال: أَقْرَأْتُه أَنا وأَقْرَأَ غيرَه يُقْرِئه إِقراءً ، ومنه: فُلانٌ الْمُقْرِئ ، وإِذا قَرأَ الرّجُلُ القُرآنَ على الشيْخِ يقول أَقْرَأَنِي فُلانٌ ، أَي حَمَلَني على أَنْ أَقْرَأَ عليه [(٢)].

قال البخاري: "ويقرأ على المقرئ فيقول القارئ أقرأني فلان" [(٣)].

وعليه فيكون إقراء القرآن اصطلاحا هو: **أن يحمل الشيخ تلميذه على أن يقرأ عليه القرآن؛ ليسمع قراءته؛ ليقومها، أو يجيزه عليها .**

---

(١) معاني القرآن ١/ ٣٠٥ .

(٢) انظر لسان العرب ١/ ١٣٠ ، وتاج العروس ١/ ٣٦٦ .

(٣) صحيح البخاري ١/ ٣٤ .

المبحث الثاني
مرادفات الإقراء في القرآن

المتأمل في الآيات التي تناولت إقراء القرآن يجد أنها جاءت بألفاظ متعددة تعود في جملتها إلى خمس كلمات أو أفعال، هي: **أقرأ، علَّم، درَّس، ربَّى، زكَّى** .

وحيث بينت في المبحث السابق معنى :" أقرأ "، وأصلها في اللغة، فلعل من المناسب هنا أن أقف عند بقية الكلمات المرادفة لها في القرآن؛ ليتبين ما بينها من ترادف وفروق .

١- علَّم :

التعليم : تفعيل من العلم، وهو نقيض الجهل، وقد وَقَع خِلافٌ طَوِيلٌ في تعريفه حتى ذهب جماعةٌ من العلماء إلى أَنّهُ لا يُحَدُّ لِظُهورِه وكَونِه من الضَّرورِيَّاتِ [١].

ولكن الباقلاني عرَّفه بأنه:" معرفة المعلوم على ما هو به" [٢].

وقال الراغب: "العلم إدراك الشيء بحقيقته" [٣].

وذكر ابن فارس أن العين واللام والميم أصل صحيح واحد، يدل على أثرٍ بالشيء يتميز به عن غيره، ومن ذلك العلامة، والجبل، وتعلَّمْتُ الشيء إذا أخذت علمَه [٤].

ويكون متعديا ولازما، يقال: علِمَ علما وعَلُمَ هو نفْسُه،والمتعدي يكون إلى مفعول واحد، ويراد منه إدراك ذات الشيء، كما ذكر الراغب، نحو قوله

(١) انظر تاج العروس للزبيدي ٣٣/ ١٢٦ .

(٢) تمهيد الأوائل صفحة ٢٥ .

(٣) المفردات في غريب القرآن ص ٣٤٣ .

(٤) انظر معجم المقاييس لابن فارس ٤/ ١٠٩ . قال ابن القيم في بدائع الفوائد ٢/ ٢٩٥ : " أصل وضع عرف لتمييز الشيء وتعيينه حتى يظهر للذهن منفردا عن غيره، وهذه المادة تقتضي العلو والظهور كعرف الشيء وهو أعلاه "اهـ بتصرف يسير .

تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ الأنفال: ٦٠، ويكون إلى مفعولين، ويراد منه العلم بأحوال الشيء، نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ الممتحنة: ١٠ [(١)].

والعِلْم ليس هو المعرفة، بل بينهما فروق من وُجُوه؛ لَفظًا ومَعْنًى، أما اللَّفْظُ ففِعلُ المَعْرِفَة يَقَعُ على مَفْعولٍ واحِدٍ وفِعْلُ العِلْم يقْتَضِي مَفْعولَيْنِ وإذا وَقَعَ على مَفْعولٍ كان بِمَعْنَى المعْرِفَة. وأمَّا من جِهَة المَعْنى فمِنْ وُجوهٍ؛ منها أنَّ المعْرِفَةَ تَتَعَلَّقُ بذاتِ الشَّيء والعِلْمُ يَتَعَلَّقُ بأحوالِه، ومنها أنَّ المعرِفَةَ في الغالبِ تكونُ لِما غَابَ عن القَلْبِ بَعْدَ إدْراكِه، فإذا أدركَه قيل عَرَفه بِخِلافِ العِلْم، فالمعْرِفَةُ حُضورُ ما كان غائِبًا عن الذَّاكِرِ، ولهذا كان ضِدُّها الإنْكارَ وضِدُّ العِلْم الجَهْلَ، ومنها أنَّ المعْرِفَةَ عِلْمٌ لعَيْنِ الشَّيءِ مُفَصَّلاً عمَّا سِواهُ بخِلاف العِلْمِ فإنَّه قَدَ يَتعلَّقُ بالشَّيءِ مُجْمَلاً [(٢)].

والمُعلِّم اسم فاعل من عَلَّم يُعلِّم، والمصدر هو التعليم، أي جعله ذا علم، مثل أدبه جعله ذا أدب [(٣)]. وقال الراغب:"قال بعضهم: التعليم تنبيه النفس لتصور المعاني" [(٤)].

وأعلمته وعَلَّمْتُه في الأصل واحد،وقيل: لا يُسْتَعْمَلُ تَعَلَّمْ بِمَعْنَى اعْلَمْ إلاّ فِي الأمْرِ، ومِنْهُ حَدِيثُ الدَّجَّال (**تَعَلَّمُوا أنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**) [(٥)(٦)].

---

(١) انظر المفردات للراغب الأصفهاني ص ٣٤٣ ، ولسان العرب لابن منظور ١٢/ ٤١٧،ومدارج السالكين لابن القيم ٣/ ٣٣٥، وتاج العروس ٣٣/ ١٢٨ .

(٢) انظر تاج العروس للزبيدي ٣٣/ ١٢٧ .قال ابن القيم في مدارج السالكين ٢/ ٤٧٢ : " والفرق بين العلم وبين المعرفة من وجوه ثلاثة أحدها أن المعرفة لب العلم ونسبة العلم إليها كنسبة الإيمان إلى الإحسان، وهي علم خاص متعلقها أخفى من متعلق العلم وأدق، والثاني أن المعرفة هي العلم الذي يراعيه صاحبه بموجبه ومقتضاه فهي علم تتصل به الرعاية، والثالث أن المعرفة شاهد لنفسها وهي بمنزلة الأمور الوجدانية التي لا يمكن صاحبها أن يشك فيها ولا ينتقل عنها"اهـ .

(٣) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور ١/ ٤١٠ .

(٤) المفردات ص ٣٤٣ .

(٥) ذكره ابن الأثير في غريب الأثر ٣/ ٥٦٠ ، ولم أقف عليه في كتب السنة بهذا اللفظ.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ١/ ١٨٣، والمفردات للراغب الأصفهاني ص ٣٤٣ ، ولسان العرب لابن منظور ١٢/ ٤١٧، وتاج العروس ٣٣/ ١٢٨ .

وفرق الراغب بينهما فذكر أن الإعلام اختص بما كان بإخبار سريع والتعليم اختص بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم [(١)].

مما تقدم أخلص في تعريف التعليم لغة إلى أنه: جعل المتعلم ذا علم، وذلك بتنبيه النفس مرارا لتصور المعاني حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم .

وإذا قارنا الفعل: "علَّم" بالفعل: " أقرأ " نجد أن بينهما ترادفا؛ لأن علَّمه معناه ترك فيه أثرا هو التعلم، كما أن أقرأه معناه حمله أن يقرأ عليه؛ كي يعلمه القراءة، فالتعليم يتضمن الإقراء، وكذلك العكس: الإقراء يتضمن التعليم، فالترادف بينهما من باب التضمن لا المطابقة . والفرق بين التعليم والإقراء: أن الأول أعم لشموله الإقراء وغيره، وأما الإقراء فهو مقصور على تعلم القراءة فحسب .

٢-درّس:

درَّس على وزن فعَّل، والتفعيل هنا للتكرار، ومادة درس في كلام العرب تحوم حول معاني التأثر من تكرر عمل يُعمل . ويأتي لازما ومتعديا، يقال: دَرَسَ الشيْءُ والرَّسْمُ يَدْرُسُ دُرُوساً عَفَا، ودَرَسَتْهُ الرِّيحُ دَرْساً مَحَتْه إذا تَكَرَّرَتْ عليه فعَفَّتْه، ودَرَسَ الثَّوْبُ دَرْساً أي خَلَقَ، ودَرَسَ الثَّوْبَ يَدْرُسُه دَرْساً أَخْلَقَه، وطَرِيقٌ مَدْرُوسٌ كَثُرَ طارِقوه حتَّى ذَلَّلوه، ودَرَسَ الكِتابَ يَدْرُسُه ويَدْرِسُه دَرْساً ودِرَاسَةً ودِرَاساً، أي قَرَأَه والمراد كَرَّرَ قِرَاءَتَه باللِّسَان، فذَلَّله بكَثْرة القِرَاءَةِ حَتّى خَفَّ حِفْظُه عليه، ومن ذلِكَ أن يقال أيضا: دارَسَهُ، كأَنّه عالجه حَتّى انْقَادَ لِحِفْظِهِ، والمُدَرِّسُ الكَثِيرُ الدَّرْسِ أَي التِّلاَوَة بالكِتَابة والمُكَرِّر له، ويسمى – أيضا – المُقَارِئُ، وهو الذي قَرَأَ الكُتُبَ، والمُدَارَسَةُ والدِّرَاسَةُ القِرَاءَةُ، ودارَسْتُ الكُتُبَ وتَدَارَسْتُهَا وادَّارَسْتُهَا أَي دَرَسْتُها، وتَدَارَسَ القرْآنَ قرأَه وتَعَهَّدَهُ لِئلاَّ يَنْسَاهُ، وأَصْل المُدَارَسَةِ الرِّيَاضةُ والتعهُّدُ للشّيْءِ، ومادة

(١) المفردات ص ٣٤٣ .

"درس" تستلزم التمكن من المفعول فلذلك صار قولنا: " دَرَسَ الكتابَ " مجازا في فهمه وإتقانه [(١)].

وعند مقارنة هذا اللفظ بلفظ الإقراء نلحظ أن بينهما ترادفا من حيث إن التدريس -كالتعليم - أعم من الإقراء . كما أن الإقراء أخص؛ فهو من لوازم تعليم القرآن .

بيد أن الترادف بين التعليم والتدريس أظهر؛ فقد تقدم أن التعليم في اللغة : هو تنبيه النفس مرارا لتصور المعاني حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم، فهو تكرار للعلم في نفس المتلقي كي يبقى أثره في نفسه، وكذلك التدريس؛ لأن "درس" في كلام العرب تحوم حول معاني التأثر من تكرر عمل يعمل كما تقدم .

لكن هناك فرق لغوي بين التعليم والتدريس، وهو أن التعليم نقل العلم إلى المتعلم، وأما التدريس فلا يقف عند نقل العلم بل يتعداه إلى النظر والتدبر في هذا العلم كي يتولد منه علم آخر من خلال البحث والاستنباط .

والحاصل أن تدريس القرآن وإقراءه لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ فالمدارسة تتضمن الإقراء، كما أن من لوازم الإقراء المدارسة، كما سيأتي بيانه في المبحث القادم .

٣- ربَّى:

الأصل في كلمة: "رب" يعود إلى إصلاح الشيء وتنميته شيئا فشيئا[(٢)]، قال الراغب: "الرب في الأصل التربية، وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام، يقال رَبَّهُ ورَبَّاهُ ورَبَّبَهُ" اهـ[(٣)]، وقال الأصمعي: " رَبَوْت في بني فلان أَرْبُو إذا نَبَتّ فيهم ونَشأت، ورَبَّيْت فلاناً أُرَبِّيه تَرْبِيةً وتَرَبَّيْته ورَبَبْته ورَبَّيته بمعنًى واحد" [(٤)].

---

(١) انظر المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص١٦٧، وتاج العروس للزبيدي ١٦/ ٦٤-٧١ ، والتحرير والتنوير لابن عاشور ٣/ ٧٧٧ .

(٢) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢/ ٣٨١ .

(٣) المفردات ص ١٨٤.

(٤) نقلا عن تهذيب اللغة للأزهري ١٥/ ١٩٨ .

إذاً فهذا اللفظ – أيضا – أقرب في معناه إلى لفظ التعليم؛ فالتربية تقوم على معنيين: الإنشاء والتدرج، وهما موجودان في التعليم، وهذا وجه الترادف، ولذا صارت التربية شق التعليم، لا ينفك أحدهما عن الآخر، فإذا كان التعليم هو أس التربية، فالتربية – أيضا – هي ثمرة التعليم ،وإذا كان التعليم يُعنى بالجانب النظري المعرفي في النفس، فالتربية تُعنى بالجانب العملي السلوكي، فالتربية والتعليم من الألفاظ المشتركة، يشتركان في المعنى عند الافتراق، وعند الاجتماع يتمايزان، كالإسلام والإيمان، والفقير والمسكين، والبر والتقوى، ونحوها، إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا .

والخلاصة أنه إذا كان الإقراء لا ينفك عن التعليم؛ فهو – أيضا – لا ينفك عن التربية .

٤- زكّى:

هذا الفعل مشتق من الزكاء، وهو الزيادة، وكلُّ شيءٍ يَزْدَادُ ويسمَنُ فهو يَزْكُو زَكاءً، قال الخليل: "زكا الزرع يزكو زكاء ازداد ونما، وكل شيء ازداد ونما فهو يزكو زكاء" اهـ[1]، وقال ابن فارس: "الزاء والكاف والحرف المعتل أصل يدل على نماء وزيادة" اهـ [2].

وزكّى الرجل نفسه إذا وصفها وأثنى عليها، وزكى الرجل ماله بالتشديد تزكية أخرج زكاته، فالزكاة اسم منه، وهي في الأصل زكوة على وزن فَعلة كالصدقة، فلما تحركت الواو وانفتح ما قبلها انقلبت ألفا، والزكاة تأتي بمعنى الصلاح والإصلاح، يقال: زَكا الرَّجُلُ يَزْكُو زكواً: صَلُحَ، وبه فُسِّر قوْلُه تعالى: ﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ النور: ٢١ ، أَي ما صَلُحَ ، وقوله : ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾ الكهف: ٨١ ، أي صلاحا، وقوله عز وجل: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً﴾ مريم: ١٣ ، أي: صلاحا، وتأتي بمعنى التطهير، وزكاة المال هو تطهيره، يقال: زكّى يزكي

(١) العين للخليل بن أحمد ٥/ ٣٩٤ .

(٢) معجم مقاييس اللغة ٣/ ١٧ .

تزكية [1]. وهي من الأسماء المشتركة، فتطلق على القدر المخرج من المال المزكى بها، وتطلق على المصدر، وهو التزكية، وتسمية القدر المُخْرَجِ مِن المالِ زَكاةً؛ لأنه تطهير للمال وتثمير وإصلاح ونماء [2].

والقول بأن الزكاة تطهير وإصلاح لا يعارض أصل معناها وهو النماء؛ لأن النفوس -في أصل خلقها- فيها كمالات وطهارات تعترضها أرجاس ناشئة عن ضلال أو تضليل، فتهذيب النفوس وتقويمها وتطهيرها وإرشادها إلى الصلاح والكمال يزيدها من ذلك الخير المودع في الفطرة وينميه [3]، قال ابن القيم:" الزكاة في اللغة : هي النماء والزيادة في الصلاح وكمال الشيء يقال : زكا الشيء إذا نما، قال الله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ التوبة: ١٠٣، فجمع بين الأمرين : الطهارة والزكاة؛ لتلازمهما، فإن نجاسة الفواحش والمعاصي في القلب بمنزلة الأخلاط الرديئة في البدن، والقلب إذا تخلص من الذنوب بالتوبة فقد استفرغ من تخليطه، فتخلصت قوة القلب وإرادته للخير؛ فاستراح من تلك الجواذب وزكا ونما وقوي واشتد"اهـ باختصار [4].

إذاً فالتزكية : هي تطهير النفس من الرذائل؛ لتنمية الصلاح فيها وزيادته؛ للوصول بها إلى الكمال. وهي بهذا الوصف شبيهة بالتقوى، قال تعالى: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ النجم: ٣٢، فدلت الآية على أن الزكاة هي التقوى، والتقوى تنتظم الأمرين جميعا؛ تطهير النفس من الرذائل، وهو ترك السيئات، وتنمية الصلاح فيها، وهو فعل الحسنات، كما أن إرادة الحسنات وفعلها مستلزم للبعد عن السيئات [5].

وبعد هذا البيان لمعنى التزكية في اللغة، فهل بينها وبين الإقراء من ترادف ؟

---

(١) انظر العين ٥/ ٣٩٤، وتهذيب اللغة للأزهري١٠/ ١٧٥، وتاج العروس ٣٨/ ٢٢٠ .

(٢) انظر المصباح المنير ١/ ٢٥٤، ولسان العرب ١٤/ ٣٥٨ .

(٣) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور ١/ ٤٥٤ .

(٤) إغاثة اللهفان ١/ ٤٧ .

(٥) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ١٥/ ٣٩١ .

أما من حيث اللغة فليس بينهما شيء من ذلك على ما يظهر. لكن هناك نوع ترادف من حيث إن التزكية تعد من لوازم الإقراء بمعناه الاصطلاحي كما سيأتي قريبا .

لكن من المفيد الإشارة إلى أن هناك ترادفا من حيث الجملة بين التزكية والتعليم، وهذا يتبين بالنظر في معنى اللفظين:

فالتعليم في اللغة كما تقدم : هو جعل المتعلم ذا علم، وذلك بتنبيه النفس مرارا؛ لتصور المعاني؛ حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم، ويلاحظ هنا معنيان: الزيادة والتكرار، وهما موجودان في اللفظين؛ إذ أن المتعلم يزداد علما مع تكرار التعليم، كما أن المتزكي يزداد صلاحا وتهذيبا بالتزكية وتكرارها، هذا وجه في الترادف. وهذا المعنى أو بعضه موجود في الإقراء .

ووجه ثان: أن الغرض من التعليم هو العمل، والتزكية تقع ضمنه، فهي من ثمرات التعليم . ويمكن القول أيضا: إنها من ثمرات الإقراء .

وأما وجه الافتراق، فالتزكية أخص من التعليم، وتُعنى بتهذيب السلوك بإصلاح القلب وتنمية الخير فيه، والجوارح من ثم تبع له، والتعليم أعم ويُعنى أكثر بالجانب التصوري المعرفي في النفس الإنسانية .

المبحث الثالث
الوظائف الرئيسة المنوطة بمقرئ القرآن

الحديث عن إقراء وتعليم القرآن في القرآن كثير ومتنوع، وربما تجاوز عدد الآيات التي تناولت هذا الموضوع الثمانين آية، وتناولت بمجملها الوظائف التي ينبغي لمقرئ القرآن أن يتصدى لها، والأهداف التي ينبغي له أن يسعى لتحقيقها في طلابه.

والذي يعنينا في هذا المبحث أربع آيات جامعة نصت على الوظائف الرئيسة المنوطة بمقرئ القرآن :

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ البقرة: ١٢٩ ، ﴿مِّنْهُمْ ﴾ ، ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ - في الآية الأخرى- تشير إلى أهمية التجانس والتفاعل بين المعلم والمتعلمين؛ لأنه أحرى بقوة التأثير.

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ١٥١ .

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ آل عمران: ١٦٤ .وقوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ جاءت على قراءة شاذة بفتح الفاء أي من أشرفهم[(١)] . وهي تشير إلى أهمية أن يكون معلم القرآن معظما محترما.

---

(١) انظر روح المعاني ٤/ ١١٣، وفتح القدير للشوكاني ١/ ٣٩٥ .

الآية الرابعة:

قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ الجمعة: ٢ .

نصت هذه الآيات الأربع على ثلاث وظائف رئيسة لمقرئ القرآن، لابد أن يقوم بها؛ كي يؤدي رسالته :

الوظيفة الأولى: التلاوة من خلال السماع والعرض .

أما السماع: فهو أن يتلو المقرئ القرآن على طلابه تلاوة صحيحة مؤثرة .

وصفة هذه التلاوة مبينة في قوله تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴾ المزمل: ٤ .

قال ابن عباس: بيِّنه بيانًا. وقال الحسن: اقرأه قراءة بيّنة. وقال مجاهد: تَرَسَّل فيه ترسلا [(١)].

فالمعنى: اقرأه على تمهل؛ فإنه يكون عونا على فهم القرآن وتدبره. وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه. قالت عائشة رضي الله عنها: كَانَ يَقْرَأُ بِالسُّورَةِ فَيُرَتِّلُهَا حَتَّى تَكُونَ أَطْوَلَ مِنْ أَطْوَلَ مِنْهَا. رواه مسلم [(٢)]. وأخرج البخاري بسنده عَنْ قَتَادَةَ قَالَ سُئِلَ أَنَسٌ كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ - ﷺ - فَقَالَ: كَانَتْ مَدًّا ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ يَمُدُّ بِسۡمِ ٱللَّهِ وَيَمُدُّ ٱلرَّحۡمَٰنِ وَيَمُدُّ ٱلرَّحِيمِ [(٣)]. وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ - رضي الله عنها - أَنَّهَا سُئِلَتْ عَنْ قِرَاءَةِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَتْ: كَانَ يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ آيَةً آيَةً : ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ رواه الإمام أحمد [(٤)].

---

(١) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري ٢٩/ ١٥١، وتفسير البغوي .

(٢) صحيح مسلم ١/ ٥٠٧- كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب جواز النافلة قائما وقاعدا...- حديث رقم ٧٣٣ .

(٣) صحيح البخاري ٦/ ٤٣٢- كتاب فضائل القرآن - باب مد القراءة - حديث رقم ٥٠٤٦ .

(٤) المسند حديث رقم ٢٥٣٧١ . ورواه أيضا أبود داود والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع - حديث رقم ٥٠٠٠ .

وهذه التلاوة المجودة من المقرئ تحقق غرضين، أحدهما: تصحيح القراءة لدى المتعلمين بإسماعهم القراءة الصحيحة المجودة المتقنة من فم معلمهم، قال السعدي في تفسير الآية ١٢٩ من سورة البقرة: " ﴿ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ ﴾ أي: لفظا وحفظا وتحفيظا "[١].

والغرض الآخر: هو تحقيق الجانب الدعوي التربوي بإسماعهم آيات القرآن لوعظ قلوبهم والتأثير فيها، لاسيما وهي حاضرة ومقبلة على ما يتلى من القرآن، مع كمال في الاستماع والإنصات، مما يعين على تحصيل المقصود، وهذا يكشف لنا سرا من أسرار قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ الأعراف: ٢٠.

وأما العرض؛ فيستمع المقرئ إلى تلاوة طلابه؛ لتقويمها، وتصحيحها، وإجازتها .

وجيء بالمضارع في قوله: ﴿ يَتْلُواْ ﴾ ؛ للإشارة إلى أن هذا الكتاب تتكرر تلاوته[٢]، وهذا التكرار يحتاجه الطالب كي يتقن حفظه، كما أنه يعين على تدبر الآيات والانتفاع بها .

وسيأتي مزيد بيان لهذه الوظيفة في المبحث القادم .

الوظيفة الثانية: تعليمهم الكتاب والحكمة.

تعد هذه الوظيفة من أهم وظائف مقرئ القرآن. وقد عظم الله شأنها حين قال جل وعلا في أول سورة الرحمن : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ﴾ الرحمن: ١ – ٤ .

فافتتح الله سورة الرحمن باسمه الرحمن الدال على إحسانه وسعة رحمته، التي أعظمها : نزول القرآن، وتعليم عباده ألفاظه ومعانيه، وتيسيرها عليهم،

---

(١) تفسير السعدي ص ٦٦ .

(٢) التحرير والتنوير ١/ ٤١٤ .

فأنزل الله عليهم قرآنا عربيا، على أحسن الألفاظ، وأوضح المعاني، قد اشتمل على كل خير، وزجر عن كل شر، ولكي يتحقق هذا التعليم على أحسن الوجوه وأكملها؛ خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، وعلمه البيان والإفصاح عما في ضميره، وهذا البيان شامل للنطق والخط[١].

ففي هذه الآيات تعظيم لإقراء القرآن وتعليمه ورفع لمنزلة أهله.

قال ابن عطية:" وقوله: ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ تعديد نعمه، أي هو منَّ به وعلمه الناس، وخص حفاظه وفهمته بالفضل، قال رسول الله ﷺ: **(خيركم من تعلم القرآن وعلمه)** [٢].

وقد نصت الآيات الأربع السابقة على أن تعليم الكتاب والحكمة من وظائف مقرئ القرآن الرئيسة، فقال تعالى في كل آية : ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ .

والمراد بالكتاب هو القرآن، وأما الحكمة: فذهب ابن زيد واختاره مالك أنها الفقه في الدين ومعرفة التأويل والفهم الذي هو سجية ونور من الله تعالى، وذهب قتادة واختاره الشافعي إلى أنها سنة الرسول - ﷺ - [٣]، ونقل عن مقاتل أن الحكمة في القرآن على أربعة أوجه، أحدها:أن الحكمة مواعظ القرآن، وثانيها: الحكمة معناها الفهم والعلم، وثالثها: الحكمة بمعنى النبوة، ورابعها: أن الحكمة هي القرآن، واستشهد بآيات لكل معنى، قال الرازي معقبا على ما نقل عن مقاتل:" وجميع هذه الوجوه عند التحقيق ترجع إلى العلم" اهـ [٤]، وجمع الطبري بين ما قاله ابن زيد وقتادة، فرجح أنها العلم بأحكام الله التي لا يدرك علمها إلا ببيان الرسول - ﷺ - وذكر ابن القيم أن الحكمة هي السنة باتفاق السلف [٥].

---

(١) انظر تفسير الرازي ٢٩/ ٧٦ ، وتفسير البيضاوي ٥/ ٢٧٢ ، وتفسير السعدي ص ٨٢٨ .

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٣ . والحديث تقدم تخريجه في التمهيد .

(٣) انظر تفسير الطبري ١/ ٦٠٦ ، والمحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٢١٢، وتفسير القرطبي ٢/ ١٢٩، والتحرير والتنوير ١/ ٤١٥.

(٤) تفسير الرازي ٢/ ١٦٤ .

(٥) الروح ص ٧٥ .

والذي يظهر أن المراد بالحكمة في الآيات الأربع يحتمل جميع ما قيل في تفسيرها، وأقواها دخولا في معنى الحكمة قول من قال بأنها السنة، وكذا قول من قال بأنها الفقه في الدين ومعرفة التأويل .وعليه فمعلم القرآن يعتمد في تفسير الآيات وبيان دلالاتها على ثلاثة مصادر: القرآن نفسه، لأن خير ما يفسر به القرآن هو القرآن، وهذا أشار إليه قوله: ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ في قوله : ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾.

والمصدر الثاني هو السنة، وهي خير ما يفسر به القرآن بعد القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل: ٤٤ .

والمصدر الثالث: أقوال العلماء، لاسيما ما أثر عن الصحابة والتابعين.

والمصدران : الثاني، والثالث، أشار إليهما قوله: ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ بناء على ما رجحت في تفسير الآية .

وقوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ عموم بعد خصوص ، فالتعليم هنا عام، يشمل تعليم القراءة الذي دل عليه قوله: ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ عرضا وسماعا ، ويشمل – أيضا – تفسيرها وبيان مقاصدها وأسرارها .

الوظيفة الثالثة: تزكية الطلاب وتربيتهم .

والتزكية في الآيات الأربع تعني إصلاح القلب والجوارح وتطهيرها حتى تخضع لباريها، عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس – رضي الله عنهما– : " ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾،قال: يعني بالزكاة طاعة الله والإخلاص" [(١)].

والتزكية تعني – أيضا – التطهير من النقائص، وأكبر النقائص الشرك بالله ثم ما يليه من الكبائر والفواحش، قال السعدي في تفسير قوله:

(١) تفسير الطبري ١/ ٦٠٦ .

﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ "أي يطهر أخلاقكم ونفوسكم بتربيتها على الأخلاق الجميلة وتنزيهها عن الأخلاق الرذيلة، وذلك كتزكيتهم من الشرك إلى التوحيد، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الكذب إلى الصدق، ومن الخيانة إلى الأمانة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن سوء الخلق إلى حسن الخلق، ومن التباغض والتهاجر والتقاطع إلى التحابب والتواصل والتوادد، وغير ذلك من أنواع التزكية"اهـ [١].

ولما كان المقام مقام دعاء وتضرع ختمت الآية الأولى بقوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تمجيدا لله بأسمائه الحسنى، أي إنك أنت القاهر لكل شيء الذي لا يمتنع على قوته شيء، الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها،فبعزتك وحكمتك ابعث فيهم هذا الرسول، ولذا جاء ترتيب الجمل في الآية في الذكر على حسب ترتيب وجودها؛ لأن أول تبليغ الرسالة تلاوة القرآن، ثم يكون تعليم معانيه، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ القيامة: ١٨ – ١٩، ثم بالعلم تحصل التزكية وهي بالعمل بما أرشد إليه القرآن [٢].

أما الآيات الثلاث الباقية، فجاء ذكر التزكية فيها بعد التلاوة؛ لأن المقام فيها مقام امتنان وتعداد للنعم، كما تقدم في التمهيد [٣].

ولم يراعَ في هذه الآيات ترتيب هذه النعم حسب وجودها؛ حتى لا يوهم أنها نعمة واحدة، فقدمت التزكية؛ لأنها نعمة مقصودة لذاتها، والتعليم إنما هو وسيلة لتحصيلها، هذا من وجه . ومن وجه آخر يمكن أن يقال: إن تقديم التزكية على التعليم؛ لأن تعليم الكتاب وتفهيم ما انطوى عليه من الحكم الإلهية والأسرار الربانية إنما يكون بعد التخلي عن دنس الشرك ونجس الشك بالاتباع، وأما قبل ذلك فالكفر حجاب [٤].

---

(١) تفسير السعدي ١/ ٧٤.

(٢) انظر تفسير أبي السعود ١/ ١٧٨، وروح المعاني للألوسي ٢/ ١٩، وتفسير السعدي ص٦٦، والتحرير والتنوير ١/ ٤١٥.

(٣) انظر التمهيد– المبحث الثاني من فضل تعلم القرآن وتعليمه.

(٤) انظر تفسير أبي السعود ١/ ١٧٩، وروح المعاني ٢/ ١٩.

ووجه ثالث: أنه إذا كانت التلاوة بلاغ فالتزكية تعني الاستجابة له.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" التلاوة هي تبليغ كلامه تعالى إليهم، وهذا لابد منه لكل مؤمن، وتزكيتهم هو جعل أنفسهم زكية بالعمل الصالح الناشئ عن الآيات التي سمعوها وتليت عليهم، فالأول سمعهم والثاني طاعتهم، والمؤمنون يقولون سمعنا وأطعنا، والأول علمهم والثاني عملهم والإيمان قول وعمل"اهـ[1].

ويعني بالأول في الموضعين التلاوة، فهي سمعهم لما تلي عليهم من الآيات وعلمهم بها، ويعني بالثاني التزكية، فهي حاصلة بطاعتهم واستجابتهم لما اشتملت عليه تلك الآيات من أوامر وهدايات .

(١) مجموع الفتاوى ١٥/ ٣٨٩ .

المبحث الرابع
أصول الإقراء في القرآن
" العرض والسماع "

تقدم في المبحث السابق أن الوظيفة الأولى لمقرئ القرآن هي التلاوة من خلال العرض والسماع .

وعندما جمعت الآيات المتعلقة بإقراء القرآن، لاحظت كثرتها وتنوعها، فبعضها جاء بلفظ التعليم أو مشتقاته، وبعضها جاء بلفظ القرآن أو مشتقاته [١]، غير أن معظم الآيات جاءت بلفظ التلاوة أو مشتقاته، وهذا أمر لافت، وجدير بالتأمل والنظر.

ولن يطول العجب إذا تسنى للناظر أن يستكشف بعضا من أسرار هذه الكلمة وبلاغتها؛ فالتلاوة مسلك مؤثر من أعظم مسالك نبينا محمد - ﷺ - في دعوته الناس وتبليغهم دين الله تعالى، كما أنها وسيلة تربوية بالغة استعملها في إصلاح قلوب أصحابه وتزكية نفوسهم، وما ذاك إلا لما للقرآن من سلطان على النفوس، حين تستمع وتنصت لحديثه الآذان وتلين لآياته قلوب الإنس والجان [٢].

والتلاوة واحدة من أهم الوظائف المنوطة بمقرئ القرآن، يعرض بها المتعلم قراءته على شيخه؛ ليسمع منه تلاوته، فيقومها له، كما أن المتعلم يحتاج إلى أن يسمع التلاوة من شيخه مشافهة؛ ليعرف منه القراءة الصحيحة المجودة . فسماع الشيخ من التلميذ والتلميذ من الشيخ سنة من سنن إقراء القرآن، يعبر عنها **بالعرض والسماع**، وهي سنة تلقوها من المعلم الأول نبينا محمد ﷺ .

---

(١) تكرر لفظ القرآن في ثلاثة وأربعين موضعا من القرآن في ثلاث وأربعين آية، بعضها جاء بمعنى المصدر أي القراءة وبعضها بمعنى المقروء أي القرآن كعلم .

(٢) يأتي الحديث عن وجه الإعجاز اللغوي في لفظ التلاوة ومشتقاته في مبحث التخلق بالقرآن في الفصل القادم.

وقد جاءت آيات عديدة تدل على أن المعلم الذي تلقى عنه النبي - ﷺ - القرآن هو جبريل عليه السلام .

قال الله تعالى: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ النجم: ٥ .

فدلت الآية على أن جبريل قد علَّم محمدا - ﷺ - القرآن، وأنه شديد القوى الظاهرة والباطنة، قوي في تعليم الرسول - ﷺ - وإيصال الوحي إليه ومنعه من اختلاس الشياطين له أو إدخالهم فيه ما ليس منه، وهذا من حفظ الله لوحيه وعنايته به أن أرسله مع هذا الرسول القوي الأمين [(١)] .

وقال تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾ يس: ٦٩

وإذا كانت الآية السابقة دالة بمنطوقها على تعليم القرآن، فهذه الآية كذلك بمفهومها تتضمن الدلالة نفسها، أي أن الله تعالى ما علم نبيه الشعر وإنما علمه الذكر والقرآن المبين عن طريق جبريل عليه السلام[(٢)] .

وقال عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ النحل: ١٠٣ .

وهذه الآية كالآية السابقة تؤكد أن الذي علَّم النبيَ - ﷺ - القرآن هو الله تعالى، وهي تعرض شبهة أخرى من شبه المشركين، فالآية خبر من الله تعالى عن مقالة المشركين وزعمهم أن القرآن إنما يتلقاه محمد ويتعلمه من أحد الأعاجم في مكة، فالذي يشيرون إليه أعجمي اللسان، وهذا القرآن جاء بلغة ولسان عربي مبين، وهو قول ظاهر البطلان، وزعم في غاية التناقض والفساد [(٣)] . وجاء في موضع آخر الإشارة إلى هذا الافتراء عند قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴾ الدخان: ١٤، فقوله: ﴿ مُعَلَّمٌ ﴾ أي يعلمه بشر [(٤)] .

---

(١) انظر تفسير السعدي ص ٨١٨ .

(٢) انظر التحرير والتنوير ٢٣/ ٣٥٣٨ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٢/ ٥٨٧ ، وتفسير السعدي ص٤٥٠ .

(٤) تفسير البغوي ٤/ ١٥٠ .

والتعليم المذكور في الآيات مجمل تفسره آيات أخرى، تدل على أنه - ﷺ - قد تلقى القرآن من ربه جل وعلا بواسطة جبريل من خلال العرض والسماع [(١)].

فالإقراء في القرآن يقوم على هذين الأصلين .

أما **السماع** فدل عليه قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ** ﴾ .

أخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال كان النبي - ﷺ - إذا أنزل عليه جبريل بالقرآن أتعب نفسه في حفظه حتى يشق على نفسه، يتخوف أن يصعد جبريل ولم يحفظه، فينسى ما علمه، فقال الله تعالى: ﴿ **وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا** ﴾ طه: ١١٤، وقال: ﴿ **لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ** ﴾ القيامة: ١٦ [(٢)]. ومعنى قوله: ﴿ **وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ** ﴾ أي لا تعجل بالقراءة [(٣)].

وأخرج البخاري في صحيحه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان رسول الله - ﷺ - يعالج من التنزيل شدة، فأنزل الله تعالى: ﴿ **لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾** ﴾ القيامة: ١٦ - ١٩، قال ابن عباس :"﴿ **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ** ﴾ أي أن نجمعه في صدرك، ﴿ **وَقُرْءَانَهُۥ** ﴾: أن تقرأه، ﴿ **فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ** ﴾ أي: أنزل عليك، ﴿ **فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ** ﴾: أي استمع ، ﴿ **ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ** ﴾ أي أن نبينه على لسانك" [(٤)]، وفي رواية: ﴿ **ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ** ﴾ : ثم إن علينا أن تقرأه، فكان رسول الله - ﷺ - بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي - ﷺ - كما قرأه [(٥)].

---

(١) انظر أضواء البيان للشنقيطي ٧/ ٤٦٥ .

(٢) الدر المنثور ٥/ ٦٠٢ .

(٣) انظر تفسير مقاتل ٢/ ٣٤٢ ، وتفسير البغوي ٣/ ٢٣٣ .

(٤) صحيح البخاري ٤/ ١٨٧٧ -باب قوله: ﴿ **فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ** ﴾ القيامة: ١٨ - حديث رقم ٤٦٤٥.

(٥) صحيح البخاري ١/ ٦ - باب كيف كان بدء الوحي - حديث رقم ٥ .

وقول ابن عباس: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ نبينه على لسانك، وقوله: "فإذا انطلق جبريل قرأه النبي - ﷺ - كما قرأه" - يعني كما قرأه جبريل- يشير إلى تجويد النبي - ﷺ - للقراءة؛ لمطابقتها لقراءة جبريل عليه السلام، ولأن إبانتها على لسانه - ﷺ - لا تتحقق إلا إذا كانت مجودة [١].

ودل على السماع - أيضا - قوله تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾ الأعلى: ٦، قال البغوي: " أي سنعلمك بقراءة جبريل عليك " [٢]. وعلى هذا القول يكون الإقراء قد فسر بالسماع ، أي سماع النبي - ﷺ - لقراءة جبريل عليه السلام، لاسيما عند نزوله بالوحي .

وأما **العرض**، فدل عليه قوله تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾ الأعلى: ٦، فقد فسرها الواحدي بقوله:" ﴿ سَنُقْرِئُكَ ﴾: سنجعلك قارئا لما يأتيك به جبريل عليه السلام من الوحي" [٣]. وإذا كان القارئ هو النبي - ﷺ - فالمقرئ هو جبريل عليه السلام، فهذا التفسير للآية يعني أنه بعد أن يسمع النبي - ﷺ - الوحي من جبريل سيتمكن -بوعد الله له- من قراءته على جبريل، وهو العرض، ويؤيد هذا المعنى أن الإقراء في اللغة يعني قراءة التلميذ على الشيخ، كما تقدم في المبحث السابق .

ودل على العرض - أيضا - قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ القصص: ٤٥، بناء على ما ذهب إليه صاحب الكشاف في تفسيرها، وتبعه عليه عدد من المفسرين [٤]. والشاهد من الآية هو قوله: ﴿ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ﴾ .

---

(١) انظر سنن القراء ومناهج المجودين للدكتور عبد العزيز القارئ ص٢٣ .

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٤٧٦ ، وانظر تفسير السمرقندي ٣/ ٥٤٩، وتفسير الثعلبي ١٠/ ١٨٤ .

(٣) الوجيز ٢/ ١١٩٤ ، وانظر تفسير الرازي ٣١/ ١٢٨ .

(٤) منهم البيضاوي في تفسيره ٤/ ٢٩٥، وأبو حيان في البحر المحيط ٧/ ١١٧، والنسفي في تفسيره ٣/ ٢٣٩ ، وأبو السعود في تفسيره ٧/ ١٦ ، والألوسي في روح المعاني ٢٠/ ٨٧ .

قال الزمخشري: " ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾ أي مقيماً، ﴿فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ وهم شعيب والمؤمنون به، ﴿تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا﴾ تقرؤها عليهم تعلماً منهم، يريد الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه، ولكنا أرسلناك وأخبرناك بها وعلمناكها" [1].

وأما الأحاديث الدالة على أن النبي - ﷺ - قد تلقى القرآن من الحكيم العليم بواسطة جبريل عليه السلام، من خلال العرض والسماع - فكثيرة، في الصحيحين، وغيره:

منها حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: **(كان رسول الله - ﷺ - أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله - ﷺ - أجود بالخير من الريح المرسلة)** [2].

وفي رواية: **(كان النبي - ﷺ - أجود الناس بالخير وأجود ما يكون في شهر رمضان؛ لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه رسول الله - ﷺ - القرآن)** [3].

ومنها حديث عائشة رضي الله عنها، وفيه: **(إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة وإنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي)** [4].

وفي رواية عند الطيالسي في مسنده: **(إن جبريل عليه السلام كان يعرض علي القرآن كل عام مرة فعرضه علي العام مرتين ولا أرى إلا أجلي قد اقترب)** [5].

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٢٢ .

(٢) صحيح البخاري ١/ ٦ - باب كيف كان بدء الوحي - حديث رقم ٦ ، وصحيح مسلم ٤/ ١٨٠٣ - باب كان النبي - صلى الله عليه وسلم - أجود الناس بالخير من الريح المرسلة- حديث رقم ٢٣٠٨ .

(٣) صحيح البخاري ٤/ ١٩١١ -باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم- حديث رقم ٤٧١١ .

(٤) صحيح البخاري ٣/ ١٣٢٦ - باب علامات النبوة في الإسلام - حديث رقم ٣٤٢٦ ، وصحيح مسلم ٤/ ١٩٠٤ - باب فضائل فاطمة عليها السلام - حديث رقم ٢٤٥٠ .

(٥) مسند الطيالسي ١/ ١٩٦ - حديث رقم ١٣٧٣ .

ومنها حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: (**كان يعرض على النبي – ﷺ – القرآن كل عام مرة فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه**) [(١)].

فقوله: (**يعرض عليه رسول الله – ﷺ – القرآن**) في الرواية الثانية من حديث ابن عباس صريح في أن الرسول – ﷺ – كان يقرأ على جبريل عليه السلام، فهذا هو العرض . كما أن حديث أبي هريرة وحديث عائشة – رواية الطيالسي – صريحان في أن جبريل عليه السلام كان يقرأ والنبي – ﷺ – كان يسمع، وهذا هو السماع، وظاهر قوله : (**فيدارسه**) في الرواية الأولى من حديث ابن عباس يدل على أن كلا منهما كان يقرأ على الآخر، كما يقول ابن حجر، وهي موافقة لقوله: (**يعارضني**) في حديث عائشة[(٢)]، قال العيني : "لما كان النبي – ﷺ – وجبريل عليه السلام يتناوبان في قراءة القرآن كما هو عادة القراء بأن يقرأ مثلا هذا عشرا والآخر عشرا أتى بلفظة المدارسة أو أنهما كانا يتشاركان في القراءة أي يقرأان معا، وقد علم أن باب المفاعلة لمشاركة اثنين، نحو ضاربت زيدا وخاصمت عمرا "اهـ [(٣)]. فالمدارسة والمعارضة على هذا الوزن لفظان دالان على العرض والسماع .

ومنها – أيضا – حديث الأحرف السبعة في بعض رواياته:

أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله – ﷺ – قال: (**أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف**) [(٤)]. فمعنى أقرأني، أي قرأت عليه، بدلالة حديث أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: (**يا أبي بن كعب إن ملكين أتياني فقال**

(١) صحيح البخاري ٤/ ١٩١١ – باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم – حديث رقم ٤٧١٢ .
(٢) انظر فتح الباري ٩/ ٤٥ .
(٣) عمدة القاري ١/ ٧٥ . وانظر سنن القراء ومناهج المجودين للدكتور القارئ ص ٢٥،٢٦ .
(٤) صحيح البخاري ٤/ ١٩٠٩ – باب أنزل القرآن على سبعة أحرف – حديث رقم ٤٧٠٥، وصحيح مسلم ١/ ٥٦١ – باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف – حديث رقم ٨١٩ .

أحدهما اقرأ القرآن على ستة أحرف فقال الآخر زده فقلت زدني فقال اقرأ القرآن على سبعة أحرف) [١]. فقوله: **(اقرأ القرآن)** في الموضعين، أي: على جبريل، على ما يظهر، والله أعلم .

ومنها كذلك حديث أبي في الصحيحين .

عَـنْ أَنَـسِ بْـنِ مَالِـكٍ – رضي الله عنـه – قَـالَ: قَـالَ النَّبِـيُّ – ﷺ – لِأُبَيٍّ: **(إِنَّ اللهَ أَمَـــرَنِي أَنْ أَقْـــرَأَ عَلَيْـــكَ: ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾)** [٢]. قَالَ: وَسَمَّانِي قَالَ: **(نَعَمْ)**، فَبَكَى [٣].

والحديث ظاهر الدلالة على أن عرض القرآن سنة . كما أن فيه دلالة على أن النبي صلى الله عليه كان يُعِدُّ جملة من نجباء الصحابة؛ ليكونوا أئمة في إقراء القرآن .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام :"معنى هذا الحديث عندنا: أن رسول الله – ﷺ – إنما أراد بذلك العرض على أبي أن يسمع منه القراءة، ويستثبت فيها، وليكون عرض القرآن سنة، وليس هذا على أن يستذكر النبي – ﷺ – منه شيئا بذلك العرض" اهـ [٤].

وقال النووي: " وَاخْتَلَفُوا فِي الْحِكْمَة فِي قِرَاءَته – ﷺ – عَلَى أُبَيّ ، وَالْمُخْتَار أَنَّ سَبَبهَا أَنْ تَسْتَنّ الْأُمَّة بِذَلِكَ فِي الْقِرَاءَة عَلَى أَهْل الْإِتْقَان وَالْفَضْل،

---

(١) الأحرف السبعة لأبي عمرو الداني ١/ ١٥ .

(٢) قال النووي في شرحه على صحيح مسلم :" وَأَمَّا تَخْصِيص هَـذِهِ السُّورَة فَلِأَنَّهَا وَجِيزَة جَامِعَة لِقَوَاعِد كَثِيرَة مِنْ أُصُول الدِّين وَفُرُوعه وَمُهِمَّاته وَالْإِخْلَاص وَتَطْهِير الْقُلُوب، وَكَانَ الْوَقْت يَقْتَضِي الِاخْتِصَار" اهـ .

(٣) صحيح البخاري ٤/ ٦٠٣– كتاب مناقب الأنصار– باب مناقب أبي بن كعب – حديث رقم ٣٨٠٩، وصحيح مسلم ١/ ٥٥٠– كتاب صلاة المسافرين وقصرها– باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل والحذق فيه، وإن كان القارئ أفضل من المقروء عليه– حديث رقم ٧٩٩ .

(٤) فضائل القرآن ص ٢١٥ .

وَيَتَعَلَّمُوا آدَاب الْقِرَاءَة، وَلَا يَأْنَف أَحَد مِنْ ذَلِكَ . وَقِيلَ : لِلتَّنْبِيهِ عَلَى جَلَالَة أُبَيّ وَأَهْلِيَّتِهِ لِأَخْذِ الْقُرْآن عَنْهُ، وَكَانَ يَعُدّهُ - ﷺ - رَأْسًا وَإِمَامًا فِي إِقْرَاء الْقُرْآن " اهـ [1].

وإقراء القرآن بمعنى عرض القارئ قراءته على الشيخ أمر مستقر عند العلماء، قال البخاري: "ويقرأ على المقرئ فيقول القارئ أقرأني فلان" [2]. وروى الخطيب في الكفاية من طريق ابن وهب قال سمعت مالكا وسئل عن الكتب التي تعرض عليه أيقول الرجل حدثني ؟ قال: نعم، كذلك القرآن، أليس الرجل يقرأ على الرجل، فيقول أقرأني فلان [3].

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٦/ ٣٣٣ .
(٢) صحيح البخاري ١/ ٣٤ .
(٣) فتح الباري ١/ ١٤٩ .

المبحث الخامس
وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ

إقراء القرآن وتعليمه مهمة كبيرة، لا تؤتي أكلها إلا إذا سلك المقرئ المسالك الصحيحة في أدائها . وأهم من ذلك أن يملك في ذاته أسباب النجاح . وأعني بهذا أن يكون مؤهلا بالصفات التي كان عليها المعلم الأول محمد ﷺ .

وأعظمها : صفة نص عليها القرآن، جامعة لكثير من الخصال، هي :

صفة الربانية:

والأصل في هذه الصفة قوله تعالى: ﴿ **مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ** ﴾ آل عمران: ٧٩ .

سبب نزولها:

قيل المراد بالبشر في الآية هو عيسى عليه السلام، وقد جاءت الآية في سياق الحديث عن علماء أهل الكتاب وأن من عادتهم التحريف والتبديل فأتبعه بما يدل على أن من جملة ما حرّفوه ما زعموا من أن عيسى عليه السلام كان يأمر قومه بعبادته، فلهذا قال تعالى: ﴿ **مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ** ﴾ الآية [(١)] .

وقيل المراد بالبشر محمد - ﷺ - وورد في سبب نزولها ما أخرجه ابن إسحاق بسنده والطبري وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: قال أبو رافع القرظي: حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله - ﷺ - ودعاهم إلى الإسلام، قالوا: أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس أو ذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعونا؟ -أو كما قال - فقال رسول الله ﷺ: معاذ الله أن نعبد غير الله أو أن نأمر بعبادة غير الله، ما بذلك بعثني ولا

(١) انظر تفسير الرازي ٨/ ٩٦ .

بذلك أمرني -أو كما قال ﷺ -، فأنزل الله في ذلك من قولهما ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ إلى قوله: ﴿ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ آل عمران:٧٩- ٨٠ [١].

ومعنى الآية: ما ينبغي لبشر آتاه الله الكتاب والحكمة والنبوة أن يقول للناس اعبدوني من دون الله أي مع الله، فإذا كان هذا لا يصلح لنبي ولا لمرسل فلأن لا يصلح لأحد من الناس غيرهم بطريق الأولى والأحرى، قال الحسن البصري : " لا ينبغي هذا لمؤمن أن يأمر الناس بعبادته، وذلك أن القوم كان يعبد بعضهم بعضا" [٢]، يعني أهل الكتاب كانوا يعبدون أحبارهم ورهبانهم كما قال الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١[٣].

وقد اشتملت هذه الآية كسابقاتها على الوظائف المناطة بمعلم القرآن، وهي المذكورة في قوله: ﴿رَبَّـٰنِيِّـۧنَ ﴾ ، وقوله: ﴿تُعَلِّمُونَ ﴾ ، وقوله: ﴿ تَدْرُسُونَ ﴾ .

لكن الآية جاءت بوصفين لمعلم القرآن لم يذكرا في الآيات الأربع السابقة، وهما قوله: ﴿رَبَّـٰنِيِّـۧنَ ﴾، وقوله : ﴿تَدْرُسُونَ ﴾ ، ولابد من وقفة لتجلية المراد بهؤلاء الكلمات عند أهل التفسير:

-أما قوله: ﴿رَبَّـٰنِيِّـۧنَ ﴾ فهي جمع رباني منسوب إلى الرب وأصله ربي، فزيدت فيه الألف والنون للتأكيد والمبالغة في النسبة [٤]، وقال سيبويه: "زادوا ألفا ونونا في الرباني إذا أرادوا تخصيصا بعلم الرب دون غيره كأن معناه صاحب علم بالرب دون غيره من العلوم وهو كما يقال رجل شعراني ولحياني ورقباني إذا خص بكثرة الشعر وطول اللحية وغلظ الرقبة" [٥]. وقال البغوي: "

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٣٧٨ ، والدر المنثور للسيوطي ٢/ ٢٥٠ .
(٢) تفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٦٩١ ، والدر المنثور للسيوطي ٢/ ٢٥٠ .
(٣) انظر تفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٦٩١ ، وتفسير ابن كثير ١/ ٣٧٨.
(٤) انظر معاني القرآن للنحاس ١/ ٤٢٨ ، وعمدة القاري للعيني ٢/ ٤٣ .
(٥) لسان العرب ١/ ٤٠٣ .

﴿كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾ : تدينون لربكم، من الربوبية، كان في الأصل ربي، فأدخلت الألف للتفخيم ثم أدخلت النون لسكون الألف كما قيل صنعاني وبهراني" [١] .

وقد جاء في تفسير قوله:﴿رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾ عدة روايات عن ابن عباس وغيره تتفق في مضمونها مع القول بأن أصل رباني ربي[٢]، كما أنها تتفق – أيضا – مع سياق الآية وما ورد فيها من سبب نزول:

فعن ابن عباس من طريق سعيد بن جبير أنه فسرها بقوله: "**فقهاء معلمين**".

ومن طريق عكرمة عن ابن عباس أنه فسرها بقوله: "**حلماء علماء حكماء**". وبه قال مجاهد[٣].

ومن طريق الضحاك عن ابن عباس أنه فسرها بقوله: "**علماء فقهاء**" .

ومن طريق العوفي عن ابن عباس أنه فسرها بقوله: "**حكماء فقهاء** ".

وعن ابن مسعود أنه فسرها بقوله: " **حكماء علماء** ". وهو موافق لقول ابن عباس السابق من طريق العوفي [٤].

وعن سعيد بن جبير أنه فسرها بقوله: "**حكماء أتقياء**" .

وعن عباد بن منصور قال: سألت الحسن عن قوله: ﴿وَلَـٰكِن كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾ ، يقول: "**كونوا أهل عبادة وأهل تقوى لله**" .

وقال مقاتل بن سليمان: ﴿كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾ يعني متعبدين لله عز وجل " [٥].

وقيل الرباني منسوب إلى الربان أو إلى الرب وهو المصدر، بمعنى التربية [٦]، قال المبرد: "الربانيون هم أرباب العلم، سموا به؛ لأنهم يربون العلم ويقومون

---

(١) تفسير البغوي ١/ ٣٢١ .

(٢) انظر تفسير الطبري ٣/ ٣٢٥ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٦٩١ ، والدر المنثور ٢/ ٢٥٠ .

(٣) تفسير مجاهد ص ١٢٩ .

(٤) وصحح العيني إسناد رواية ابن مسعود، انظر عمدة القاري ٢/ ٤٣ .

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان ١/ ١٧٨ .

(٦) انظر المفردات للراغب ص ١٨٤ .

به، ويربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها، وكل من قام بإصلاح الشيء وإتمامه فقد ربه يربه، واحدها ربان، كما قالوا ريان وعطشان وشبعان، ثم ضمت إليه ياء النسبة، كما يقال: لحياني ورقباني"[١].

وقال ابن الأعرابي: " الرباني العالم المعلم الذي يغذو الناس بصغار العلم قبل كبارها"[٢]. وأورد البخاري هذا القول في صحيحه، ولم ينسبه لأحد[٣]. وشرحه العيني فقال : "وهو من التربية أي الذي يربي الناس بجزئيات العلم قبل كلياته أو بفروعه قبل أصوله أو بمقدماته قبل مقاصده"[٤].

وبناء على هذا الأصل فسر ابن زيد الربانيين، فذكر أنهم ولاة الأمر الذين يربون الناس، ويلونهم"، وقرأ: ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ ﴾ المائدة: ٦٣، قال: " **الربانيون الولاة والأحبار العلماء**"، وظاهر كلام الطبري ترجيح هذا القول[٥].

وبناء على هذا الأصل - أيضا - روي عن مجاهد أنه قال: " الربانيون فوق الأحبار، فالأحبار العلماء، والربانيون الذين جمعوا مع العلم البصيرة بسياسة الناس "[٦].

والمتأمل في الأقوال السابقة على كثرتها يلحظ أنها معان متنوعة، ولكن ليس بينها تضاد، وتحتملها كلمة: ﴿ رَبَّٰنِيِّـۧنَ ﴾ ، فهي من الكلمات الجامعة التي تحكي طرفا من إعجاز القران وبلاغته ، وعليه يمكن القول بأن المراد بالربانيين في الآية-والله أعلم- **هم العلماء الحلماء الحكماء العباد الأتقياء الذين يعلمون الناس ويربونهم بصغار العلم قبل كباره**[٧].

---

(١) نقلا عن تفسير البغوي ١/ ٣٢١، وانظر تفسير الثعلبي ٣/ ١٠٢ .

(٢) لسان العرب ١/ ٤٠٤ .

(٣) صحيح البخاري ١/ ٣٧ .

(٤) عمدة القاري ٢/ ٤٣ .

(٥) انظر تفسير الطبري ٣/ ٣٢٥، والدر المنثور ٢/ ٢٥٠ .

(٦) انظر تفسير الطبري ٣/ ٣٢٥، وتفسير السمعاني ١/ ٣٣٦ .

(٧) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٤٦٣ .

قال السعدي: "﴿ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ أي: ولكن يأمرهم بأن يكونوا ربانيين، أي: **علماء حكماء حلماء معلمين للناس ومربيهم، بصغار العلم قبل كباره، عاملين بذلك** "[١].

- وأما قوله: ﴿ تُعَلِّمُونَ ﴾ ففيها قراءتان: قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: " **تَعْلَمُون** "، بسكون العين وتخفيف اللام، من العلم، أي تفهمون، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿ تُعَلِّمُونَ ﴾ مثقلا بضم التاء وكسر اللام، من التعليم، وهذا على تعدية الفعل بالتضعيف، والمفعول الثاني على هذه القراءة محذوف، تقديره: تعلمون الناس الكتاب [٢]. والقراءتان بمجموعهما تؤكدان المعنى الراجح في قوله: ﴿ رَبَّٰنِيِّۦنَ ﴾ ؛ لأن قراءة التخفيف تفيد العلم والفقه، وقراءة التضعيف تفيد التعليم، وكلا المعنيين متحقق في الرباني كما تقدم .

- وأما قوله: ﴿ تَدْرُسُونَ ﴾ : ففسره مقاتل بن سليمان بـ " تقرؤون " [٣]، وكذا قال الطبري والبغوي، وغير واحد [٤] .

وذهب ابن عاشور إلى أن ﴿ تَدْرُسُونَ ﴾ معناه تقرءون، لكنها قراءة بإعادة وتكرير؛ باعتبار أصل "درس" في اللغة- كما تقدم في المبحث السابق- ومنه : درس الكتاب إذا قرأه بتمهل لحفظه أو للتدبر، واستدل بحديث أبي هريرة، وفيه: (**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم**) رواه مسلم [٥]،حيث عطف التدارس على القراءة، فعلم أن الدراسة أخص من القراءة ، وقال أيضا: إن مادة "درس" تستلزم التمكن من المفعول

---

(١) تفسير السعدي ص١٣٦ .

(٢) انظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٢١٣ ، وتفسير البغوي ١/ ٣٢١ ، والمحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٤٦٣ ، وتفسير ابن كثير ١/ ٣٧٨ .

(٣) تفسير مقاتل ١/ ١٧٨ .

(٤) انظر تفسير الطبري ٣/ ٣٢٨ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ١٠٣ ، وتفسير البغوي ١/ ٣٢١ .

(٥) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٧٤ - باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر- حديث رقم ٢٦٩٩ .

فلذلك صار درس الكتاب مجازا في فهمه وإتقانه، ولذلك عطف في هذه الآية ﴿ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ على ﴿ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [(1)].

وما ذهب إليه ابن عاشور وجيه، ويؤيده تفسير ابن كثير للآية حيث قال: " ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾: أي تحفظون ألفاظه " [(2)]. والحفظ يلزم منه الإعادة والتكرار . ويؤيده – أيضا – أنه إذا كان الربانيون هم العلماء الفقهاء؛ فإنهم لن يقتصروا في دراستهم للقرآن على القراءة، بل يتعداها إلى الحفظ والفهم والتدبر . وقرأ سعيد بن جبير: **" تُدَرِّسون "** من التدريس، وروي أن أبا حيوة قرأ بها [(3)]. وهي تؤكد قوله: ﴿تُعَلِّمُونَ ﴾ على قراءة التشديد، وتتفق – أيضا – مع سياق الآية الدال على أن وظيفة الأنبياء والعلماء هي تعليم الناس القرآن ودعوتهم إلى التوحيد .

وصيغة المضارع في قوله: ﴿تُعَلِّمُونَ ﴾ ، وقوله: ﴿ تَدْرُسُونَ ﴾ تشير إلى الاستمرارية في التعليم والمدارسة، فمن خصال المعلم الرباني أنه مداوم على تعليم القرآن ومدارسته.

وحاصل ما تقدم أن الربانية صفة جامعة لعدد من الخصال، وأهمها :

- العلم والفقه.
- والحكمة وحسن التدبير.
- والحلم والتحلم.
- والتقوى والإخلاص.
- والمداومة على إقراء القرآن ومدارسته .

– أما **العلم والفقه** فيحتاجه مقرئ القرآن؛ ليبين لطلابه معاني الآيات ودلالاتها، والأحكام المتعلقة بها، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والمكي

(1) انظر التحرير والتنوير ٣/ ٧٧٧ .

(2) تفسير ابن كثير ١/ ٣٧٨ .

(3) تفسير الثعلبي ٣/ ١٠٣ ، والمحرر الوجيز ١/ ٤٦٣ .

والمدني، وكذلك أوجه القراءات والفروق بينها، وأحكام الوقف والابتداء، ونحو ذلك مما يحتاج إلى بيانه مما له علاقة بالتفسير أو علوم القرآن مما يعرض له وهو يؤدي رسالته.

- وأما **الحكمة وحسن التدبير** فهي سر النجاح، فبها يسوس مقرئ القرآن طلابه، فيغرس في قلوبهم محبة القرآن وتعظيمه، وينشط نفوسهم لحفظ القرآن ومدارسته، ويجنبهم أسباب الملل والسآمة، ويربيهم بالقرآن شيئا فشيئا، ويأخذهم في مدارج الكمال خطوة خطوة، ويختار لهم الأوقات المباركة والأماكن المناسبة، ويقتصر على بضع آيات في الدرس الواحد؛ كي يسهل إتقان حفظها وفهمها والعمل بها، ويبدأ طلابه بصغار العلم قبل كباره، وينظر إلى ما بينهم من فروق في الاستعداد وتفاوت في القدرات نظرة تقدير واعتبار، ويقترب منهم؛ ليعرف أحوالهم وحوائجهم ويَشْركهم في آمالهم وآلامهم.

قال الإمام النووي: "وينبغي له -يعني معلم القرآن- أن يُذَكِّر المتعلم فضيلة تعلم القرآن؛ ليكون سببا في نشاطه وزيادة في رغبته، ويزهده في الدنيا ويصرفه عن الركون إليها والاغترار بها، ويذكره فضيلة الاشتغال بالقرآن، وأن ذلك رتبة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وينبغي أن يشفق على الطالب ويعتني بمصالحه كاعتنائه بمصالح ولده ومصالح نفسه .

وينبغي أن يؤدبه على التدريج بالآداب السنية والشيم المرضية، ويعوده الصيانة في جميع أموره الباطنة والجلية، ويحرضه بأقواله وأفعاله المتكررات على الإخلاص والصدق وحسن النيات ومراقبة الله تعالى في جميع اللحظات، وأنه لذلك تنفتح عليه أنوار المعارف وينشرح صدره وتتفجر من قلبه ينابيع الحكم واللطائف، ويبارك له في علمه وحاله، ويوفق في أفعاله وأقواله .

وينبغي أن يكون حريصا على تفهيمهم -يعني المتعلمين- وأن يعطي كل إنسان منهم ما يليق به، فلا يكثر على من لا يحتمل الإكثار، ولا يقصر لمن يحتمل الزيادة ويأخذهم بإعادة محفوظاتهم، ويثني على من ظهرت نجابته ما لم يخش

عليه فتنة بإعجاب أو غيره، ومن قصر عنفه تعنيفا لطيفا ما لم يخش عليه تنفيره، وينبغي أن يظهر لهم البشر وطلاقة الوجه، ويتفقد أحوالهم، ويسأل عمن غاب منهم" [1].

- وأما **الحلم** فمن الصفات الضرورية لمعلم القرآن لما قد يلقاه من بعض المتعلمين من صعوبة في الحفظ أو بطء في الفهم أو تلبس ببعض المعاصي أو سوء أدب -لاسيما صغار السن منهم- ونحوها من مثيرات الغضب، فتجيء صفة الحلم في المعلم لاستيعاب ذلك كله .

وإذا كانت هذه الصفة ضعيفة لدى المقرئ فعليه أن يجلبها لنفسه بالتحلم؛ لأنها وإن كانت صفة جبلية إلا أنه يمكن تعويد النفس عليها بكظم الغيظ حتى تقوى فيها مع الوقت .

قال الإمام الغزالي: "اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ؛ لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلم أي تكلف الحلم، ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غيظه ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة، ولكن إذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا، فلا يهيج الغيظ، وإن هاج فلا يكون في كظمه تعب، وهو الحلم الطبيعي، وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل، ولكن ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفا، قال ﷺ: (**إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، ومن يتخير الخير يعطه، ومن يتوق الشر يوقه**)[2] " اهـ[3].

- وأما **التقوى والإخلاص** فهي الصفة الأم؛ فهي التي من أجلها نزلت الآية، وهي التي يدل عليها لفظ: ﴿رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾ ، كما قال مقاتل : متعبدين لله عز وجل، وكما قال الحسن: كونوا أهل عبادة وأهل تقوى لله .

(١) باختصار وتصرف من التبيان في آداب حملة القرآن ١/ ١٣.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط ٣/ ١١٨ – حديث رقم ٢٦٦٣ ، والدارقطني في العلل ١٠/ ٣٢٦ من حديث أبي الدرداء وأبي هريرة ، وقال: المحفوظ وقفه على أبي الدرداء ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع – حديث رقم ٢٣٢٨ .

(٣) إحياء علوم الدين ٣/ ١٧٦ .

وتحقق التقوى والإخلاص لله تعالى في قلب المقرئ؛ سيحمله على الحرص على تعليم تلاميذه على أحسن وجه وأكمل طريقة، مؤثرا ذلك على مصالح نفسه الدنيوية التي ليست بضرورية. وسيحمله - أيضا - على تفريغ قلبه في حال جلوسه لإقرائهم من الأسباب الشاغلة كلها.

ولا عجب أن ترى المقرئ المخلص يحب لتلاميذه ما يحب لنفسه من الخير، ويكره لهم ما يكره لنفسه من النقص مطلقا؛ لأنه ممتثل لقول الرسول ﷺ : (**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**) [1].

- **وأما المداومة على تعليم القرآن ومدارسته فهي كذلك من أهم** الخصال؛ لأن ثمرة الإقراء موقوفة عليها، ولهذا - كما تقدم - جاء وصف الربانيين بقوله: ﴿**تُعَلِّمُونَ**﴾، وقوله: ﴿**تَدْرُسُونَ**﴾ بصيغة المضارع ؛ للدلالة على الدوام والاستمرار .

بل إن المداومة على العبادة عموما مما يحبه الله ويرتضيه لعبده؛ فكيف بتعليم القرآن وإقرائه الذي يعد من أعظم وظائف نبينا محمد ﷺ .

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ : (**أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ**) . وكانت عائشة إذا عملت العمل لزمته [2].

(١) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه . صحيح البخاري ١/ ١٤ -كتاب الإيمان - باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه - حديث رقم ١٣، وصحيح مسلم ١/ ٦٧ -كتاب الإيمان - باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير- حديث رقم ٤٥ .

(٢) متفق عليه . صحيح البخاري ٥/ ٢٣٧٣- كتاب الرقاق - باب القصد والمداومة على العمل - حديث رقم ٦٠٩٩ ، وصحيح مسلم ١/ ٥٤١ -كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره - حديث رقم ٧٨٣.

الفصل الثاني
آيات التلاوة والقراءة وفقهها

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التلاوة والقراءة والفرق بينهما عند أهل اللغة
المبحث الثاني: آيات التلاوة وفقهها
المبحث الثالث: التخلق بالقرآن
المبحث الرابع: آيات القراءة وفقهها

المبحث الأول
التلاوة والقراءة والفرق بينهما عند أهل اللغة

تقدم أن القراءة مصدر قرأ يقرأ، وأن لفظ القرآن يأتي في القرآن بمعنى المصدر أي القراءة [1].

وأما التلاوة : فمصدر تلا أي قرأ، ويكون بمعنى تبع، قال الخليل:"تلا فلان القرآن يتلو تلاوة وتلا الشيء تبعه تلوا " [2].

ولعل الأصل في معنى تلا هو تبع، وليس قرأ ، ويكون وجه إطلاق التلاوة على القراءة؛ لأن القارئ في قراءته كأنه يتبع الحروف والكلمات والجمل حرفا حرفا وكلمة كلمة وجملة جملة،أو لأن الآيات أو الكلمات أو الحروف يتلو بعضها بعضا في الذكر [3].

قال القرطبي:"وأصل التلاوة الاتباع، ولذلك استعمل في القراءة؛ لأنه يتبع بعض الكلام ببعض في حروفه حتى يأتي على نسقه" [4].

ومعنى التلاوة هو قراءة المكتوب أو استعراض المحفوظ، وهي تعني إعادة الكلام دون زيادة عليه ولا نقص منه، وهي كالقراءة اسم لحكاية كلام؛ لإرادة تبليغه بلفظه، إلا أن القراءة تختص بحكاية كلام مكتوب [5].

وغلب استعمال لفظ التلاوة ومشتقاته في القرآن دون القراءة؛ لما يتضمنه هذا الحرف من بلاغة وفصاحة [6].

---

(١) انظر ص ١٧ .

(٢) العين ٨/ ١٣٤ ، وانظر تهذيب اللغة للأزهري ١٤/ ٢٢٥ .

(٣) انظر التبيان تفسير غريب القرآن لشهاب الدين المصري ، والتحرير والتنوير ٢٤/ ٧٠.

(٤) تفسير القرطبي ١/٤٠٨ .

(٥) انظر التحرير والتنوير ٤/ ٨٠٣ .

(٦) يأتي الحديث عنه بالتفصيل في المبحث القادم .

يضاف أن إسناد التلاوة للنبي - ﷺ - مناسب؛ لكونه أميا، لا يقرأ، ولا يكتب، كما أن الأمة التي بعث بها وهم العرب قوم غلبت فيهم الأمية[1] .

وأما العلاقة بين القراءة والإقراء؛ فالأخير أعم؛ لأنه متضمن للقراءة . بيد أن القراءة أعم من حيث إنها تكون في الإقراء وخارجه .

(١) انظر التحرير والتنوير ٩/ ١٦٧٢ .

المبحث الثاني
آيات التلاوة وفقهها

تجاوز عدد الآيات المشتملة على لفظ التلاوة أو مشتقاته الستين آية، منها الآيات الأربع التي سبق تناولها في الفصل الأول، وكانت - أيضا - إضافة إلى التلاوة - مشتملة على التعليم والتزكية من وظائف مقرئ القرآن .

وأما بقية الآيات،فكانت مشتملة على لفظ التلاوة أو مشتقاته، وجاءت منوعة في موضوعاتها. أستعرضها على النحو التالي:

النوع الأول من آيات التلاوة:

وموضوعه: التنويه بتلاوة القرآن وعظيم نفعها للتالي والمستمع.

فهي وظيفة الرسل في الدعوة إلى الله، كما سيأتي، وهي - أيضا - ركن من أركان تعليم القرآن وإقرائه؛ فإذا لم تكن معظمة لدى الداعية والمصلح والمعلم والمتعلم لم تؤت نتائجها المرجوة .

وهي تسع آيات:

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿ **وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا** ﴾ الأحزاب: ٣٤ .

جاءت هذه الآية ضمن الآيات التي وعظ الله بهن أمهات المؤمنين، وختمها بها؛ مبينا عظم آيات القرآن وكثرة بركاتها .

قال الإمام الطبري في تفسيرها: " يقول تعالى ذكره لأزواج نبيه محمد ﷺ: واذكرن نعمة الله عليكن؛ بأن جعلكن في بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة، فاشكرن الله على ذلك، واحمدنه عليه" [(١)] .

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ٩ .

وقوله: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ ﴾ لفظ جامع، يشمل التذكر بمعنى تعلم آيات القرآن وحفظها وتدبرها والعمل بها، كما يشمل تذكرها كنعمة من أجل النعم التي امتن الله بها على عباده؛ لأن هذه التلاوة صارت سببا في الثبات على دين الله والعصمة من الزلل[1].

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا ﴿١٠﴾ رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا ﴾ الطلاق: ١١ .

فإن الله تعالى لما بين في الآيتين السابقتين ما حل بالأمم المكذبة لرسله بقوله : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴿٨﴾ فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرًا ﴾ الطلاق: ٨ -٩ ، امتن الله على عباده في الآيتين بعدهما؛ بأن شرفهم بإنزال أعظم كتبه إليهم على قلب أفضل رسله. وحصر وظيفته الدعوية التي بعث من أجلها؛ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور في تلاوة القرآن على الناس؛ تنويها بهذه التلاوة، وتعظيما لأثرها. بل جعلها سببا في تحقيق الإيمان وتحصيل العمل. والآية تشير - أيضا - إلى أن تعظيم تلاوة القرآن والاحتفاء بها هو دليل التقوى، وهو من أعظم أسباب النجاة من العذاب .

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ آل عمران: ١٠١ .

---

(١) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ٤/ ٣٨٤، وتفسير السعدي ص ٦٦٤، والتحرير والتنوير ١٨/٢٢ .

وهنا عظَّم الله تلاوة آيات القرآن على المؤمنين، مشيرا إلى عظم بركتها لمن أقبل عليها وأنصت لها وتدبرها، وأنها حصن وعاصم من الوقوع في طاعة الكفار والافتتان بهم.

الآية الرابعة:

قال الله تعالى: ﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾ البينة: ٢ .

جاءت هذه الآية عقب قوله تعالى في أول السورة: ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ البينة: ١ .

أي: لم يكن الكفار من اليهود والنصارى والمشركين من سائر أصناف الأمم – منكفين عن كفرهم وضلالهم الذي هم عليه؛ ﴿ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ الواضحة، والبرهان الساطع، ثم فسر تلك البينة بقوله: ﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾ أي: أرسله الله، يدعو الناس إلى الحق، وأنزل عليه كتابًا يتلوه، ليعلم الناس الحكمة ويزكيهم، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، وقوله: ﴿ مُّطَهَّرَةً ﴾ أي: محفوظة عن قربان الشياطين، لا يمسها إلا المطهرون، لأنها في أعلى ما يكون من الكلام [1].

فنوه بالقرآن وتلاوته، واعتبرها حجة على أهل الكتاب والمشركين .

الآية الخامسة:

قال الله تعالى: ﴿ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾ الصافات: ٣ .

وهم الملائكة الذين يتلون كلام اللهّ تعالى. وتنوين : ﴿ ذِكْرًا ﴾ للتفخيم ، وهو بمعنى المذكور المتلو [2].

وهذا القسم دليل على تعظيم الله تعالى لتلاوة القرآن وعلو شأنها. والدلالة جاءت من وجهين، الأول: من حيث هو قسم، والثاني: من حيث نوع التالين للذكر، وهم الملائكة الذين شرفهم الله وأعلى منزلتهم .

---

(١) انظر تفسير السعدي ص ٩٣١ .

(٢) انظر روح المعاني للألوسي ٢٣/ ٦٥، وتفسير السعدي ص٧٠٠ .

الآية السادسة:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ يونس: ٦١ .

فنصت الآية على أن أجل شأنه – ﷺ – ومعظمه هو تلاوة القرآن .

قال الألوسي : " والتلاوة أعظم شؤونه – ﷺ – ولذا خصت بالذكر "[١].

الآية السابعة:

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ العنكبوت: ٤٨ –٤٩ .

فدلت الآية الأولى على أن من أعظم دلائل صدق النبي – ﷺ – كونه أميا لا يقرأ ولا يكتب، ثم أتى بهذا القرآن العظيم المعجز يتلوه على قومه أحسن تلاوة .

ودلت الآية الثانية على أن من دلائل إعجاز القرآن أمرين:

الأول: أنه آيات بينات باهرات.

والثاني: أنه محفوظ في صدور العلماء؛ لأنهم يتلونه آناء الليل والنهار، ويتدارسونه بينهم، ويتبعون ما جاء فيه. وهذا يدل على عظم شأن تلاوة القرآن والمداومة عليها، وأنها من أعظم أسباب حفظ القرآن في الصدور .

الآية الثامنة:

قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ يونس: ١٦ .

وهذه الآية بمعنى الآية الأولى السابقة .

---

(١) روح المعاني ١١/ ١٤٣ . وانظر الكشاف ٢/ ٣٣٧ .

الآية التاسعة:

قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ العنكبوت: ٥١ .

لما طلب المشركون – في الآية السابقة – من نبينا – ﷺ – أن يأتيهم بالآيات الدالة على صدقه، كالأمم السابقة قبلهم، فقالوا : ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ العنكبوت: ٥٠ ؛ أمره الله عز وجل بأن يجيبهم هنا بقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ ، أي: أولم يكفهم آية مغنية عما اقترحوه أنا أنزلنا عليك –وأنت رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب، ولم تخالط أحدا من أهل الكتاب– هذا الكتاب العظيم، الذي فيه خبر ما قبلهم، ونبأ ما بعدهم، وحكم ما بينهم، تتلوه عليهم على الدوام، وتتحداهم به، فلا يزال معهم آية ثابتة، لا تضمحل، بخلاف سائر الآيات [1].

والمقصود أن هذه الآية قد نوهت بتلاوة الرسول – ﷺ – للقرآن على الكفار، وأنها وسيلة عظيمة من أنجع وسائل الدعوة، وهي تكشف عن إعجاز القرآن الدائم المتجدد .

ويشير قوله : ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ إلى عظم أثر تلاوة آيات القرآن على التالي والمستمع لها.

يقول الطاهر بن عاشور : " وقد أشار قوله : ﴿يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ وما بعده إلى خمس مزايا للقرآن على غيره من المعجزات .

المزية الأولى: ما أشار إليه قوله: ﴿يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ من انتشار إعجازه، وعمومه في المجامع والآفاق والأزمان المختلفة، بحيث لا يختص بإدْراك إعجازه فريق خاص في زمن خاص، شأن المعجزات المشهودة، مثل عصا موسى، وناقة صالح، وبرء الأكمة، فهو يتلى، ومن ضمن تلاوته الآيات التي تحدّت الناس

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٤١٩، وتفسير البيضاوي ٤/ ٣٢٠ .

بمعارضته، وسجلت عليهم عجزهم عن المعارضة من قَبل محاولتهم إياها، فكان كما قال، فهو معجزة باقية، والمعجزات الأخرى معجزات زائلة .

المزية الثانية : كونه مما يُتلى، فإن ذلك أرفع من كون المعجزات الأخرى أحوالاً مرئية؛ لأن إدراك المتلوّ إدراك عقلي فكري، وهو أعلى من المدركات الحسية، فكانت معجزةُ القرآن أليق بما يستقبل من عصور العلم التي تهيأت إليها الإنسانية .

المزية الثالثة : ما أشار إليه قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً﴾ ؛ فإنها واردة مورد التعليل؛ للتعجيب من عدم اكتفائهم بالكتاب، وفي التعليل تتميم لما اقتضاه التعبير بـ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ وبـ ﴿يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ ؛ فالإشارة بـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ ؛ ليستحضر بصفاته كلها، وللتنويه به؛ بما تقتضيه الإشارة من التعظيم . وتنكير "رحمة"؛ للتعظيم ، أي لا يقدّر قدرها. فالكتاب المتلو مشتمل على ما هو رحمة لهم اشتمال الظرف على المظروف؛ لأنه يشتمل على إقامة الشريعة، وهي رحمة وصلاح للناس في دنياهم؛ فالقرآن مع كونه معجزة دالّة على صدق الرسول - ﷺ - ومرشدة إلى تصديقه، -مثل غيره من المعجزات - وهو - أيضا - وسيلة علم وتشريع وآداب للمتلو عليهم، وبذلك فضَل غيره من المعجزات، التي لا تفيد إلا تصديق الرسول الآتي بها .

المزية الرابعة: ما أشار إليه قوله: ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ ؛ فإن القرآن مشتمل على مواعظ ونذر وتعريف بعواقب الأعمال، وإعدادٍ إلى الحياة الثانية، ونحو ذلك مما هو تذكير؛ بما في تذكره خيرُ الدارين، وبذلك فضَل غيره من المعجزات الصامتة، التي لا تفيد أزيد من كون الآتية على يديه صادقاً.

المزية الخامسة : أن كون القرآن كتاباً متلواً مستطاعاً إدراك خصائصه لكل عربي، ولكل من حذق العربية من غير العرب مثل أئمة العربية؛ يبعده عن مشابهة نفثات السحرة والطلاسم، فلا يستطيع طاعن أن يزعم أنه تخيلات، كما قال قوم فرعون لموسى : ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ الزخرف: ٤٩" اهـ[1].

---

(١) التحرير والتنوير ٢١/ ١٥ .

النوع الثاني من آيات التلاوة:

وموضوعه: التلاوة وسيلة رئيسة من وسائل الدعوة والتعليم والتربية.

يتناول هذا النوع بمجمله موضوع تلاوة القرآن باعتباره وسيلة من أهم وأنجع وسائل الدعوة إلى الله تعالى وتبليغ رسالته للعالمين، كما أنه أسلوب فاعل في تربية وتعليم المؤمنين.

بل إن الله عز وجل جعله الوظيفة الوحيدة لرسله؛ حجة على الظالمين.

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ القصص: ٥٩ .

وقال عز وجل: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ الزمر: ٧١ .

وقال: ﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴾ المؤمنون: ٦٦ .

وقال: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ المؤمنون: ١٠٥ .

ويؤكد ذلك كثرة الآيات التي نصت على أن وظيفة الرسول في دعوة الكفار هي تلاوة القرآن عليهم، وقد قارب عددها الثلاثين آية، أو يزيد .

وهذا النوع وثيق الصلة بمقرئ القرآن، وسبق الحديث عنه عند تناول الآية الأولى من الآيات الأربع، في الفصل السابق، وأن الغرض من التلاوة لا يقتصر على التعليم، بل يتعداه إلى التربية والتزكية، وهي الثمرة المرجوة من التعليم .

وسأتناول في هذا النوع من آيات التلاوة أربع آيات رئيسة، وأشير إلى بقيتها .

الآية الأولى:

هي قول الله تعالى ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَاْ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ النمل: ٩١- ٩٢ .

فصرحت هاتان الآيتان بأن ما أمر به النبي - ﷺ - من قبل ربه محصور في ثلاثة أمور: عبادة الله وحده، والاستسلام لحكمه، والثالث تلاوة القرآن على الناس، فحصر وظيفة البلاغ والإنذار بتلاوة القرآن، قال ابن كثير:" وقوله: ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ أي على الناس، أبلغهم إياه، كقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ آل عمران: ٥٨ ، وكقوله تعالى: ﴿ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ ﴾ القصص: ٣ الآية، أي: أنا مبلغ ومنذر" [(١)].

والآية الثانية :

هي قول الله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ الرعد: ٣٠ .

قال الإمام ابن جرير :"﴿ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ يقول: لتبلغهم ما أرسلتك به إليهم من وحيي الذي أوحيته إليك" [(٢)].

ودلت لام التعليل هنا أن الغرض من الإرسال هو دعوة الناس وإرشادهم، وأن المعجزة التي يطلبها الكفار هي في هذا القرآن الذي يتلى عليهم.

قال ابن عاشور: "وتضمن لام التعليل في قوله: ﴿ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ﴾ أن الإرسال لأجل الإرشاد والهداية بما أمر الله، لا لأجل الانتصاب لخوارق العادات. والتلاوة : القراءة، فالمقصود لتقرأ عليهم القرآن، كقوله: ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ ﴾ النمل: ٩٢ الآية، وفيه إيماء إلى أن القرآن هو معجزته؛ لأنه ذكره في مقابلة إرسال الرسل الأولين، ومقابلة قوله: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ ﴾ الرعد: ٢٧. وقد جاء ذلك صريحا في قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ العنكبوت: ٥١ " [(٣)].

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٧٩ .

(٢) تفسير الطبري ١٣/ ١٥٠ .

(٣) التحرير والتنوير ١٣/ ٢٢٤٥ .

والآية الثالثة:

هي قول الله تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴾ الكهف: ٢٧ .

والأمر بالتلاوة في الآية يعني قراءة القرآن وتبليغه للناس كما ذهب إليه ابن كثير [١] .ويعني – أيضا – اتباع القرآن والعمل بما جاء به كما ذهب إليه ابن جرير[٢] . قال البغوي: "قوله عز وجل: ﴿ وَٱتۡلُ ﴾ أي: واقرأ يا محمد، ﴿ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ﴾ يعني القرآن، واتبع ما فيه " [٣].فالأمر بالتلاوة شامل للقراءة والاتباع .

والآية الرابعة:

هي قول الله تعالى: ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴾ العنكبوت: ٤٥ .

والتلاوة المأمور بها في هذه الآية ليست قراءة مجردة، بل المراد التقرب إلى الله بالمداومة على قراءة القرآن وحفظه وتدبره واتباع أحكامه وهداياته.

قال البيضاوي: "﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾: تقربا إلى الله تعالى بقراءته وتحفظا لألفاظه واستكشافا لمعانيه؛ فإن القارئ المتأمل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له أول ما قرع سمعه" [٤].

وقال أبو السعود:" أمره عليه السلام بالمداومة على دراسته، فقال : ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ " [٥].

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٨١ .
(٢) انظر تفسير الطبري ١٥/ ٢٣٣ .
(٣) تفسير البغوي ٣/ ١٥٨ .
(٤) تفسير البيضاوي ٤/ ٣١٨ .
(٥) تفسير أبي السعود ٥/ ٢١٨ .

ويقول السعدي عند تفسيره لهذه الآية : "ومعنى تلاوته: اتباعه بامتثال ما يأمر به واجتناب ما ينهى عنه، والاهتداء بهداه، وتصديق أخباره، وتدبر معانيه، وتلاوة ألفاظه، فصارت تلاوة لفظه جزء المعنى وبعضه، وإذا كان هذا معنى تلاوة الكتاب علم أن إقامة الدين كلها داخلة في تلاوة الكتاب فيكون قوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ من باب عطف الخاص على العام؛ لفضل الصلاة وشرفها وآثارها الجميلة" [(١)].

فقوله: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ ﴾ في هذه الآية كسابقتها، معناه اقرأ القرآن واتبع ما فيه من أحكام .

وإذا كانت الآيات الأربع السابقة تناولت الأمر بتلاوة القرآن من حيث العموم، فقد جاءت آيات أخرى بالأمر بتلاوة بعض القرآن، وهذا البعض على الأغلب يتناول قصة من قصص القرآن، مسوقة لأغراض دعوية وتعليمية وتربوية:

منها قول الله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ الأنعام: ١٥١ .

قال القرطبي: " هذه الآية أمر من الله تعالى لنبيه عليه السلام بأن يدعو جميع الخلق إلى سماع تلاوة ما حرم الله" [(٢)].

ومنها قول الله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ يونس: ٧١ .

(١) تفسير السعدي ص ٦٣٢ .

(٢) تفسير القرطبي ٧/ ١٣١ .

ومن الأغراض الدعوية لتلاوة قصة نوح على الكفار: إثبات نبوته – ﷺ – حيث أخبر عن قصص الأنبياء ولم يكن يقرأ الكتب، ومنها موعظة قومه وتخويفهم بذكر خبر قوم نوح وما حل بهم من العقوبة بسبب التكذيب، ومن الأغراض التربوية والتعليمية: تحريض النبي – ﷺ – هو وأصحابه على الصبر والثبات [١].

ومنها قول الله تعالى ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ الشعراء: ٦٩ – ٨٩ .

وتضمنت هذه القصة جملة من المقاصد التعليمية والتربوية والدعوية النافعة للتالي والمستمع .

قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية:" هذا إخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله وخليله إبراهيم عليه السلام إمام الحنفاء أَمَرَ الله تعالى رسولَه محمدا – ﷺ – أن يتلوه على أمته؛ ليقتدوا به في الإخلاص والتوكل وعبادة الله وحده لا شريك له والتبري من الشرك وأهله" [٢].

ومنها قوله تعالى في قصة ابني آدم : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ المائدة: ٢٧ .

وقوله في قصة من لم ينتفع بعلمه: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ الأعراف: ١٧٥ .

وقوله في قصة ذي القرنين: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ الكهف: ٨٣ .

(١) انظر زاد المسير لابن الجوزي ٤/ ٤٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٣٨ .

وقوله في قصة موسى عليه السلام : ﴿ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ القصص: ٤٥ .

ومن الآيات الدالة على هذا النوع - أيضا - تلك الآيات الخاصة بالنوع الخامس من آيات التلاوة، والتي تناولت حال الكفار عندما يتلى عليهم القرآن، كما سيأتي في موضعه .

النوع الثالث من آيات التلاوة:

وموضوعه: منهج المؤمنين في تلاوة القرآن: أنهم يجمعون بين العلم والعمل؛ بإقامة حروف القرآن وحدوده.

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ البقرة: ١٢١ .

جاء في تفسيرها [١]، عن ابن عباس وابن مسعود - رضي الله عنهم - وغير واحد من المفسرين أن معنى قوله: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾: أي يحلون حلاله ويحرمون حرامه ولا يحرفونه عن مواضعه .

قال ابن مسعود رضي الله عنه: والذي نفسي بيده إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله، ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأول منه شيئا على غير تأويله.

وفي لفظ قال : يتبعونه حق اتباعه .

ومن طريق أخرى قال ابن عباس : ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾: يتبعونه حق اتباعه .

وأخرج الخطيب عن مالك بسند فيه مجاهيل عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي - ﷺ - في قوله: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ ، قال: (يتبعونه حق اتباعه). وأورده ابن كثير وعقب على علة إسناده، فقال: " إلا أن معناه صحيح " [٢].

---

(١) انظر تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٢١٨، وتفسير ابن كثير ١/ ١٦٤ ، والدر المنثور ١/ ٢٧٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ١٦٥ .

ورغم أن الآية قد جاءت ثناء على المؤمنين من أهل الكتاب الذين يتلون القرآن، فهم ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ ؛ فيحلون حلاله، ويحرمون حرامه، ويعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، وهؤلاء هم السعداء من أهل الكتاب، الذين عرفوا نعمة الله وشكروها، وآمنوا بكل الرسل، ولم يفرقوا بين أحد منهم، وهم المؤمنون حقا، لا من قال منهم: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ البقرة: ٩١ (١).

رغم ذلك، إلا أن مقصودها الأعظم هو **الدلالة على أن منهج المؤمنين في تلاوة القرآن، هو أنهم يتلونه حق تلاوته، وهو برهان ساطع على صدق إيمانهم؛ فهم قد تخلقوا بالقرآن جملة وتفصيلا، كما سيأتي بيانه في المبحث القادم .**

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ فاطر: ٢٩ .

هذه الآية هي آية القراء العاملين العالمين، كما تقدم (٢). وهي تؤكد منهج المؤمنين في تلاوة القرآن، وتزيد في بيانه بالإشارة إلى أن من يتلو القرآن حق تلاوته لابد وأن تظهر فيه ثلاث صفات كبار دالة على صدقه في تلاوة الكتاب حق تلاوته، وهي :

إقامة الصلاة، وبها تقوم صلة العباد بربهم، وبها صلاح القلب والجوارح، وهي العبادة البدنية التي لا حظ في الإسلام لمن ضيعها .

الإنفاق في جميع الوجوه والأحوال، وبه تقوم صلة العباد فيما بينهم وتصلح، وهو برهان الإيمان. وأدنى درجات الإنفاق إيتاء الزكاة التي هي حق المال، وهي العبادة المالية التي عاقب الله تاركها بإيقاع النفاق في قلوبهم، ومن أجلها قاتل أبو بكر المرتدين .

---

(١) انظر تفسير السعدي ص ٦٥.

(٢) انظر ص ١٢ .

حسن القصد، وهو دليل على صدق التوحيد وكماله، ومدار قبول العمل منوط بتحقيقه .

قال الإمام السعدي : " ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ﴾ أي: يتبعونه في أوامره فيمتثلونها، وفي نواهيه فيتركونها، وفي أخباره فيصدقونها ويعتقدونها، ولا يقدمون عليه ما خالفه من الأقوال، ويتلون – أيضا – ألفاظه بدراسته، ومعانيه بتتبعها واستخراجها.

ثم خص من التلاوة بعد ما عم الصلاة التي هي عماد الدين، ونور المسلمين، وميزان الإيمان، وعلامة صدق الإسلام، والنفقة على الأقارب والمساكين واليتامى وغيرهم، من الزكاة والكفارات والنذور والصدقات، ﴿ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ ، في جميع الأوقات .

﴿ يَرْجُونَ ﴾ بذلك ﴿ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ أي: لن تكسد وتفسد، بل تجارة، هي أجل التجارات وأعلاها وأفضلها، ألا وهي رضا ربهم، والفوز بجزيل ثوابه، والنجاة من سخطه وعقابه، وهذا فيه أنهم يخلصون بأعمالهم، وأنهم لا يرجون بها من المقاصد السيئة والنيات الفاسدة شيئا " [(١)].

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ البقرة: ٤٤ .

وهذه الآية تأكيد – أيضا – لمنهج المؤمنين في تلاوة القرآن، لكنها تشير – أيضا – إلى أهمية القدوة في التأثير في المدعوين والمتعلمين لكتاب الله .

قال ابن جريج في تفسيرها : " أهل الكتاب والمنافقون كانوا يأمرون الناس بالصوم والصلاة، وَيَدَعُونَ العملَ بما يأمرون به الناس، فعيرهم الله بذلك، فمن أمر بخير فليكن أشد الناس فيه مسارعة" [(٢)].

---

(١) تفسير السعدي ص ٦٨٩.

(٢) تفسير الطبري ١/ ٢٥٨.

"والآية، وإن كانت نزلت في سب بني إسرائيل، فهي عامة لكل أحد؛ لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ الصف: ٢ – ٣، وليس في الآية أن من لم يقم بما أمر به أنه يسوغ له ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنها دلت على التوبيخ، وإلا فمن المعلوم أن على الإنسان واجبين: أمر غيره ونهيه، وأمر نفسه ونهيها، فترك أحدهما لا يكون رخصة في ترك الآخر؛ فإن الكمال أن يقوم الإنسان بالواجبين، والنقص الكامل أن يتركهما، وأما قيامه بأحدهما دون الآخر، فليس في رتبة الأول، وهو دون الأخير، وأيضا فإن النفوس مجبولة على عدم الانقياد لمن يخالف قوله فعله، فاقتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجردة" [1].

ويدل على خطورة هذا الخلل في منهج تلاوة القرآن حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: (**يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ أَيْ فُلَانُ مَا شَأْنُكَ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنْ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ**) متفق عليه [2].

ويدل عليه – أيضا – حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: (**مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ**) قَالَ: (**قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ**) رواه الإمام أحمد [3].

---

(١) منقول من تفسير السعدي ص ٥١، باختصار قليل وتصرف.

(٢) صحيح البخاري ٣/ ١١٩١ – كتاب بدء الخلق – باب صفة النار وأنها مخلوقة – حديث رقم ٣٠٩٤، وصحيح مسلم ٤/ ٢٢٩٠ – كتاب الزهد والرقائق – باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله – حديث ٢٩٨٩. ومعنى تندلق أقتابه أي تخرج أمعاؤه.

(٣) المسند ٣/ ٢٣٩ – حديث رقم ١٣٥٣٩، من طريق علي بن زيد جدعان، وأخرجه الضياء في المختارة ٦/ ١٦٠ من طريق آخر، وقال: إسناده صحيح، كما صحح إسناده الألباني في الصحيحة، حديث رقم ٢٩١.

ومعنى قوله : ﴿ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أي تدرسونه وتقرؤونه، كما قال ابن عباس [١]. فتلاوتهم للكتاب ناقصة؛ مقصورة على تتبع حروفه ومعانيه، دون إقامة حدوده واتباع ما يأمر به وينهى عنه .

الآية الرابعة:

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ البقرة: ١١٣ .

تحكي هذه الآية ما بين اليهود والنصارى من تجهيل وتضليل عظيمين؛ فكل فرقة تزعم أن الأخرى ليست على شيء من الحق البتة، مع أنهم جميعا أهل كتاب يتلونه، وهم على علم ودراية به؛ فقالت اليهود للنصارى : ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بعيسى والإنجيل، وقالت لهم النصارى: ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بموسى والتوراة [٢].

وقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ يشير إلى أن الأميين من مشركي العرب وغيرهم قد قالوا مقالتهم، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ الأنعام: ٩١ [٣].

والجملة تشير – أيضا وهو مقصودنا من الآية – إلى جهل اليهود والنصارى مع أنهم يتلون الكتاب ويتدارسونه، لكن لما كان علمهم مجردا عن الإيمان والعمل؛ لم ينتفعوا بما علموه من التوراة والإنجيل؛ فنفى عنهم العلم [٤].

ولهذا وصف الله تعالى أهل القنوت والعبادة بأنهم هم أهل العلم؛ لما عملوا بما علموا، فقال تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الزمر: ٩ .

---

(١) تفسير الطبري ١/ ٢٥٩.
(٢) انظر تفسير الطبري ١/ ٤٩٥، وتفسير البغوي ١/ ١٠٦ .
(٣) انظر التحرير والتنوير ١/ ٦٧٧.
(٤) انظر تفسير ابن كثير ١/ ١٥٦.

الآية الخامسة:

قال الله تعالى: ﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ آل عمران: ١١٣ .

روى العَوْفِيّ عن ابن عباس - وهو قول جمهور المفسرين - أن هذه الآيات نزلت فيمن آمن من أحبار أهل الكتاب، كعبد الله بن سَلام وأَسَد بن عُبَيْد وثعلبة بن سَعْية وأَسَيد بن سعْية وغيرهم، أي: لا يستوي من تقدم ذكرهم بالذم من أهل الكتاب وهؤلاء الذين أسلموا، ولهذا قال تعالى: ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾ أي: قائمة على كتاب الله وحدوده وفرائضه، كما قال الربيع بن أنس وقتادة، واختاره الطبري[(١)].

وقوله: ﴿ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾: حال أو صفة لـ ﴿ أُمَّةٌ ﴾[(٢)]، أي: يقومون الليل، ويكثرون التهجد، ويتلون القرآن في صلواتهم، بخضوع وخشوع وتدبر[(٣)].

والتعبير عن الصلاة بالسجود؛ لأنه أدل على كمال الخضوع، وهو سر التعبير به عنها في قوله - ﷺ - لمن طلب أن يدعو له بأن يكون رفيقه في الجنة : (**فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**)[(٤)(٥)].

وإيثار الجملة الاسمية؛ للدلالة على المداومة والاستمرار على هذه التلاوة . واختيار صيغة المضارع في قوله : ﴿ يَتْلُونَ ﴾ ، وقوله : ﴿ يَسْجُدُونَ ﴾ ؛ للدلالة على التجدد[(٦)].

---

(١) انظر تفسير الطبري ٤/ ٥٣، وتفسير ابن كثير ١/ ٣٩٨، وتفسير السعدي ص ١٤٣ .
(٢) انظر التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء ١/ ٢٨٦، والبحر المحيط لأبي حيان ٣/ ٣٧ .
(٣) انظر تفسير الطبري ٤/ ٥٤، وتفسير ابن كثير ١/ ٣٩٨ .
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٣٥٣ - كتاب الصلاة - باب فضل السجود والحث عليه - حديث رقم ٤٨٩ من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه .
(٥) انظر روح المعاني للألوسي ٤/ ٣٤ .
(٦) انظر تفسير أبي السعود ٢/ ٧٣، وروح المعاني ٤/ ٣٤ .

وإذا كانوا يقومون بكتاب الله، ويتلونه في صلاة الليل، وهي نافلة، في هذا الوقت الذي يشق على النفوس العمل فيه؛ فلا ريب أنهم سيكونون في بقية الأوقات لفريضة الصلاة ولسائر الفرائض أقوم وأحرص .

فهذه الصفة الدالة على إقامة القرآن واتباعه تبرهن على صدق هذه الأمة من أهل الكتاب في قيامها بكتاب الله تعالى .

ويؤيد هذا ما جاء في الصحيحين عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : **(لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ؛ رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ)** [(١)].

قال ابن حجر: " والمراد بالقيام به : العمل به مطلقا، أعم من تلاوته داخل الصلاة أو خارجها، ومن تعليمه، والحكم والفتوى بمقتضاه . ولأحمد من حديث يزيد بن الأخنس السلمي: **(رَجُل آتَاهُ اللهُ الْقُرْآن فَهُوَ يَقُوم بِهِ آنَاء اللَّيْل وَآنَاء النَّهَار وَيَتَّبِع مَا فِيهِ)** [(٢)]" اهـ[(٣)].

ثم ذكر في الآية التالية [**آل عمران : ١١٤**] أربع صفات لتلك الأمة القائمة بكتاب الله، وهي صفات جامعة، وكأنها ثمرة لهذا القيام، وترجمة، وبرهان له [(٤)]:

الصفة الأولى : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾.

والإيمان بالله يوجب لهم الإيمان بكل أركانه، وعلى وجه الخصوص الإيمان بجميع كتب الله ورسله، الذي ينازع فيه أهل الكتاب، وإنما خص الإيمان

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ١٩١٩ – كتاب فضائل القرآن– باب اغتباط صاحب القرآن – حديث رقم ٤٧٣٧، وصحيح مسلم ١/ ٥٥٨ – كتاب فضائل القرآن وما يتعلق به – باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه – حديث رقم ٨١٥ .

(٢) المسند ٤/ ١٠٤ – حديث رقم ١٧٠٠٧ .

(٣) فتح الباري ١/ ١٦٧، باختصار .

(٤) انظر نظم الدرر للبقاعي ٥/ ٣٢ .

باليوم الآخر بالذكر؛ لأنه يستلزم الحذر من المعاصي، وهؤلاء اليهود ينكرون أنبياء الله، ولا يحترزون عن معاصي الله ، فلم يحصل لهم الإيمان بالمبدأ والمعاد [1].

الصفة الثانية : ﴿ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾.

وهذه الصفة الجامعة تشتمل على صفتين متلازمتين، تكمل إحداهما الأخرى، ولا تنفك عنها .

فحصل منهم بهذه الصفة تكميل أنفسهم بالإيمان ولوازمه، وتكميل غيرهم بأمرهم بكل خير، ونهيهم عن كل شر، ومن ذلك حثهم أهل دينهم وغيرهم على الإيمان بمحمد – ﷺ – وبما جاء به [2].

وبهاتين الصفتين – الإيمان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – تكون هذه الأمة من أهل الكتاب قد نالت الخيرية التي تميزت بها أمة محمد – ﷺ – على سائر الأمم، كما قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ آل عمران: ١١٠ .

الصفة الثالثة : ﴿ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾.

وهي تدل على هممهم العالية، وأنهم يستكثرون من الطاعات، ويبادرون إليها؛ خوف الفوت بالموت، محبين لها، غير متثاقلين لها، عارفين بفوائدها، موقنين بحسن عوائدها [3].

وهذه الصفة تدل على أنهم من السابقين المقربين، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ فاطر: ٣٢، وقال عز شأنه : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ الواقعة: ١٠ – ١١ .

---

(١) انظر التفسير الكبير للرازي ٨/ ١٦٦، وتفسير أبي السعود ٢/ ٧٣، وتفسير السعدي ص ١٤٣ .

(٢) انظر تفسير الطبري ٤/ ٥٥، وتفسير السعدي ص ١٤٣ .

(٣) انظر التفسير الكبير للرازي ٨/ ١٦٦ ، وتفسير السعدي ص ١٤٣، والتحرير والتنوير ٤/ .

الصفة الرابعة : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ .

وهذه الصفة بمثابة النتيجة للصفات السابقة .

يقول الطاهر بن عاشور : " وموقع اسم الإشارة التنبيه على أنّهم استحقوا الوصف المذكور بعد اسم الإشارة بسبب ما سبق اسمّ الإشارة من الأوصاف " اهـ .

ووصفهم بالصالحين يدل على غاية المدح .

يقول الفخر الرازي : " واعلم أن الوصف بذلك – يعني الصلاح – غاية المدح، ويدل عليه القرآن، والمعقول .

أما القرآن: فهو أن الله تعالى مدح بهذا الوصف أكابر الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، فقال بعد ذكر إسماعيل وإدريس وذي الكفل وغيرهم: ﴿ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ الأنبياء: ٨٦ . وذكر حكاية عن سليمان عليه السلام أنه قال: ﴿ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ النمل: ١٩ . وقال : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ التحريم: ٤ .

وأما المعقول : فهو أن الصلاح ضد الفساد، وكل ما لا ينبغي أن يكون فهو فساد، سواء كان ذلك في العقائد، أو في الأعمال، فإذا كان كل ما حصل من باب ما ينبغي أن يكون؛ فقد حصل الصلاح؛ فكان الصلاح دالاً على أكمل الدرجات " اهـ [١].

النوع الرابع من آيات التلاوة

وموضوعه : حال المؤمنين عندما يتلى عليهم القرآن

وقد جاءت في أربعة مواضع من القرآن :

الموضع الأول:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ الأنفال: ٢ .

---

(١) التفسير الكبير ٨/ ١٦٦ .

والشاهد من الآية هو قوله : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾.

وقد بين الإمام السعدي وجه هذه الزيادة بأنهم يلقون له السمع ويحضرون قلوبهم لتدبره؛ لأن التدبر من أعمال القلوب، ولأنه – أي التدبر – لا بد أن يبين لهم معنى كانوا يجهلونه، أو يتذكروا ما كانوا نسوه، أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير واشتياقا إلى كرامة ربهم، أو يحدث فيها وجلا من العقوبات وازدجارا عن المعاصي . وكل هذا مما يزداد به الإيمان [(١)].

وهذه الزيادة في الإيمان إنما تتحقق للمؤمنين، المتلمسين لأسباب رحمة الله؛ فتراهم عندما يتلى عليهم كلام الله معظمين له، مستمعين، منصتين، ذلك؛ لأنهم يحملون قلوبا توجل عند ذكر الله، كما وصفهم في الجملة الأولى، ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ .

وذكرُ الله يكون : بذكر الله بأسمائه وصفاته وعظمته، وبذكر عقابه وسطوته، وبذكر ثوابه ورحمته .

واستحضار جلال الله وشدة بأسه وسعة ثوابه يحمل المؤمن على الاستكثار من الخير وتوقي ما لا يرضي الله تعالى، ويدفعه إلى ملاحظة الوقوف عند حدود الله في أمره ونهيه [(٢)].

الموضع الثاني :

قال الله تعالى : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ مريم: ٥٨ .

هذه الآية الكريمة تبين لنا جانبا آخر من حال المؤمنين عندما يتلى عليهم كلام الرحمن، ممثلا بخيار خلق الله، وهم الأنبياء، الذين خصهم الله بإنعامه

(١) تفسير السعدي ص ٣١٥ .

(٢) انظر التحرير والتنوير ٩/ ٢٥٦.

وكراماته، ورفع منزلتهم وأعلى شأنهم في الدارين؛ فكانوا كما قال جل وعلا : ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾. أي أن حالهم عندما تتلى عليهم آيات الرحمن ويستمعون لكلام الله المتضمن لصفاته وحججه ودلائله وبراهينه خشعوا له، وأثَّر في قلوبهم من الإيمان والرغبة والرهبة؛ ما أوجب لهم السجود لربهم، والبكاء، والإنابة؛ استكانة، وخضوعا، وحمدًا، وشكرًا، على ما هم فيه من النعم العظيمة [١].

أخرج البيهقي في الشعب بسنده أن عمر – رضي الله عنه – قرأ سورة مريم فلما قرأ آية السجدة سجد ، ثم قال : « هذا السجود فأين البكاء ؟ » [٢].

الموضع الثالث:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ الإسراء: ١٠٧ – ١٠٩ .

إذا كانت الآية السابقة في بيان حال الأنبياء عندما تتلى عليهم آيات الرحمن؛ فهذه الآيات في حال ورثتهم من العلماء .

وهي امتداد للآيات التي سبقتها، والتي كان حديثها عن القرآن . وقد أجمل الطبري تفسيرها، مبينا صلتها بما قبلها، فقال : " يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء القائلين لك ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ الإسراء: ٩٠ : آمنوا بهذا القرآن الذي لو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله، لم يأتوا به ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، أو لا تؤمنوا به؛ فإن إيمانكم به لن يزيد في خزائن رحمة الله، ولا ترككم الإيمان به يُنقص ذلك، وإن تكفروا به؛ فإن الذين أوتوا العلم بالله وآياته من قبل نزوله من مؤمني أهل

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ١٢٨، وتفسير السعدي ص ٤٩٦ .

(٢) شعب الإيمان ٥/ ٦٩ – حديث رقم ١٩٩٩ .

الكتابين إذا يتلى عليهم هذا القرآن يخرّون – تعظيما له وتكريما، وعلما منهم بأنه من عند الله – لأذقانهم [١]؛ سجدا بالأرض" اهـ [٢].

لكن الصلة المباشرة هي في آيتين سبقت هذه الآيات، وهما قوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ الإسراء: ١٠٥ –١٠٦.

وهاتان الآيتان كالمقدمة لقوله: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا...﴾ الآيات.
فقد وُصف القرآن في الآية الأولى بصفتين عظيمتين، كل واحدة منهما تحتوي على ثناء عظيم، وتنبيه للتدبر فيهما، الأولى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ﴾، فالذي أنزل القرآن هو الله تعالى؛ لأمر العباد ونهيهم، وثوابهم وعقابهم. والصفة الثانية: ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ أي: بالحفظ من كل شيطان رجيم، مشتملا على الصدق والعدل، الذي به قوام صلاح الناس، وفوزهم في الدنيا والآخرة [٣].

وامتدح الله في الآية الثانية كتابه؛ لكونه مقروءا، منزلا على مهل؛ تسهيلا لفهمه وإتقانه [٤].

فإذا تبين أنه الحق، الذي لا شك فيه ولا ريب، بوجه من الوجوه؛ فقل لمن كذب به، وأعرض عنه: ﴿آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾؛ فليس لله حاجة فيكم، ولستم بضاريه شيئًا، وإنما ضرر ذلك عليكم؛ فإن لله عبادًا غيركم، آتاهم الله العلم النافع والعمل الصالح؛ فحالهم مع القرآن عندما يتلى عليهم حميدة، يعظمون الله بأفعالهم وأقوالهم؛ فهم ﴿إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾؛ خاضعين له، متأثرين به غاية التأثر. بل وينزهون الله تعالى،

---

(١) الأذقان جمع ذقن، بفتح الذال والقاف، وهو مجمع اللحيين من الوجه، وبه فسره الحس البصري . وذكر الذقن هنا؛ للدلالة على تمكينهم الوجوه كلها من الأرض؛ من قوة الرغبة في السجود؛ لما فيه من استحضار الخضوع لله تعالى . انظر تفسير الطبري ١٥/ ١٨٠، والتحرير والتنوير ١٥/ ٢٣٤ .

(٢) تفسير الطبري ١٥/ ١٨٠.

(٣) انظر تفسير السعدي ص٤٨٦، والتحرير والتنوير ١٥/ ٢٢٩.

(٤) سيأتي الحديث عنها بالتفصيل في موضعها من المبحث الرابع .

﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ ﴾ عما لا يليق بجلاله، مما نسبه إليه المشركون، ومن ذلك زعمهم بأن لا بعث ولا حساب، ولذا أعلن المؤمنون بيقين: ﴿ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا ﴾ بالبعث والجزاء بالأعمال ﴿ لَمَفْعُولًا ﴾ ، لا خلف فيه، ولا شك. بل ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾ ؛ تذللا وإخباتا لله عز وجل، وإيمانًا، وتصديقًا بكتابه ورسوله، ﴿ وَيَزِيدُهُمْ ﴾ الله؛ بتعظيمهم القرآن، وسجودهم له، وبكائهم - ﴿ خُشُوعًا ﴾ ، وإيمانا وتسليما، كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ محمد: ١٧ [(١)].

الموضع الرابع:

قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾ القصص: ٥٣ .

جاءت هاتان الآيتان ضمن عدد من الآيات المتعلقة بموقف العلماء العارفين من أهل الكتاب؛ فموضوعها شبيه بموضوع الآيات السالفة في الموضع الثالث.

قال سعيد بن جبير: نزلت في سبعين من القسيسين بعثهم النجاشي، فلما قدموا على النبي - ﷺ - قرأ عليهم: ﴿ يس ۝١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾ يس: ١ -٢ حتى ختمها؛ فجعلوا يبكون، وأسلموا، ونزلت فيهم هذه الآية الأخرى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾ القصص: ٥٢ - ٥٣ [(٢)].

وذكر البغوي أنها نزلت في مؤمني أهل الكتاب، عبد الله بن سلام وأصحابه [(٣)].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٦٩، وفتح البيان لصديق حسن القنوجي ٧/ ٤٦٧، وتفسير السعدي ص ٤٦٨ .

(٢) نقلا عن تفسير ابن كثير ٣/ ٣٩٤ .

(٣) تفسير البغوي ٣/ ٤٤٩ .

وظاهر قوله : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ يدل على أنها في المؤمنين من أهل الكتاب .

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ قال: يعني من آمن بمحمد – ﷺ – من أهل الكتاب.

وعن مجاهد قال: قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ ... إلى قوله: ﴿ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ القصص: ٥٢ – ٥٥ في مسلمة أهل الكتاب .

وعن قتادة : قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ ، قال : كنا نُحدَّث أنها نزلت في أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحقّ، يأخذون بها، وينتهون إليها، حتى بعث الله محمدا – ﷺ – فآمنوا به، وصدّقوا به؛ فأعطاهم الله أجرهم مرتين؛ بصبرهم على الكتاب الأوّل، واتباعهم محمدًا – ﷺ – وصبرهم على ذلك، وذكر أن منهم سلمان، وعبد الله بن سلام [(١)] .

والمقصود أن القرآن قد وصف حال هذه الطائفة المؤمنة من أهل الكتاب – عندما يتلى عليها القرآن – بقوله : ﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾ .

يقول السعدي : " يذكر تعالى عظمة القرآن وصدقه وحقه، وأن أهل العلم بالحقيقة يعرفونه ويؤمنون به ويقرون بأنه الحق، ﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ استمعوا له وأذعنوا و ﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ ﴾ ؛ لموافقته ما جاءت به الرسل، ومطابقته لما ذكر في الكتب، واشتماله على الأخبار الصادقة، والأوامر والنواهي الموافقة، لغاية الحكمة .

وهؤلاء الذين تفيد شهادتهم، وينفع قولهم؛ لأنهم لا يقولون ما يقولون إلا عن علم وبصيرة؛ لأنهم أهل الصنف وأهل الكتب، وغيرهم لا يدل ردهم

---

(١) انظر هذه الآثار في تفسير الطبري ٢٠/ ٨٩، وتفسير ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٨٨، والدر المنثور ٦/ ٤٢٢ .

ومعارضتهم للحق على شبهة، فضلا عن الحجة؛ لأنهم ما بين جاهل فيه، أو متجاهل معاند للحق .

قال تعالى: ﴿ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ الآيات " اهـ [١].

وقوله: ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾ ، أي : موحدين، مخلصين لله، مستجيبين له [٢].

وهذا يدل على سلامة قلوبهم من الأمراض التي تحول بينها وبين الإيمان، وأعظمها الكبر، كما سيأتي عند الحديث عن أحوال الكفار عندما يتلى عليهم القرآن .

وخلاصة القول : قد دلت الآيات السابقة في المواضع الأربعة على أن حال المؤمنين عندما تتلى عليهم آيات القرآن هي :

– أنهم معظمون للقرآن، فإذا قرئ عليهم ألقوا له أسماعهم، وأنصتوا، وأحضروا قلوبهم؛ لتدبر آياته، والفقه فيها، كما قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ الفرقان: ٧٣ .

أي أنهم عقلوا عن الله، وانتفعوا بما سمعوا من كتابه، كما قال قتادة [٣].

فهم ليسوا كالمنافقين الذين يخرون رياء، وهم في الحقيقة صم عمي عن فقه القرآن [٤].

وما فعل المؤمنون ذلك إلا طلبا لرحمة الله التي وعد بها المستمعين المنصتين لكتابه، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ الأعراف: ٢٠٤ .

---

(١) تفسير السعدي ص ٦٢٠، باختصار .

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٩٤ .

(٣) انظر تفسير ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٤٠، وتفسير ابن كثير ٣/ ٣٣٠ .

(٤) انظر الكشاف ٣/ ٣٠١ .

- أن هذا الاستماع والإنصات يورثهم خشوعا وخضوعا وتذللا لله تعالى في قلوبهم؛ فهم لشدة تأثرهم يخرون للأذقان سجدا وبكيا. وهو طرف من الرحمة الموعود بها.

- أن من الرحمة - أيضا - ما يحصل في القلوب من زيادة في الإيمان والإيقان . وفي ذلك تقوية وتربية للقلوب على العبودية لله تعالى. وفيه إصلاح وتطهير لها من أدران الشهوات والشبهات .

- أن ذلك يؤدي إلى سلامة القلب واستقامته على عبودية الله تعالى، وذلك بسببين: أحدهما استقرار محبة الله في قلبه؛ فلا يقدم محبوبات نفسه على محبوبات مولاه . والثاني : كمال الذل لله تعالى المصحوب بكمال التعظيم للرب جل جلاله، وعلامة ذلك : تعظيمه لأوامر الله واتباعها، وتعظيمه لنواهيه واجتنابها . وبهذا يستقيم القلب والجوارح، وتنقاد لحكم الله ورسوله [1].

- أن أسعد الناس بالقرآن، وأشدهم تعظيما لآيات الله هم الأنبياء، ثم ورثتهم من العلماء العاملين، الذين يتلون القرآن حق تلاوته، ويخشعون لسماعه، فمن رام الكمال في الإيمان والانتفاع بآيات القرآن؛ فليطلبه في طريقة هؤلاء، الذين أنعم الله عليهم، وهداهم، واجتباهم .

النوع الخامس من آيات التلاوة:

وموضوعه : حال الكفار عندما يتلى عليهم القرآن .

وحيث بينت الآيات في النوع السابق حال المؤمنين عندما يتلى عليهم القرآن؛ يحسن أن أتبعها بالآيات التي بينت حال الكافرين عندما يتلى عليهم، كما هي عادة القرآن، في ذكره لأحوال المؤمنين، مقرونا بأحوال الكافرين .

وقد بلغت الآيات التي تناولت حال الكفار عندما يتلى عليهم القرآن ثلاث عشرة آية، ودلت بمجموعها على أن الوصف المجمل لحالهم هو : الاستكبار والإعراض والتكذيب .

---

(١) انظر الوابل الصيب لابن القيم ص ٢٤ .

والناظر في هذه الآيات يجد أنها – أيضا – قد بينت تفاصيل حالهم تجاه ما يتلى عليهم من القرآن على أحسن وجه .

ويمكن تقسيم هذه الآيات إلى ثلاث مجموعات :

الأولى : دلت على استكبارهم وإعراضهم عن القرآن، وسعيهم الشديد لصد الناس عن سماعه .

والثانية : دلت على تكذيبهم للقرآن عندما تتلى عليهم آياته. وقد تنوعت صور هذا التكذيب، كما سيأتي عند استعراض الآيات .

والثالثة : دلت وكشفت عما في نفوسهم من كره شديد لآيات القرآن وأهله المؤمنين به .

أما المجموعة الأولى فتضم ست آيات :

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴾ المؤمنون: ٦٦.

وقال بعدها : ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴾ المؤمنون: ٦٧ .

فهي وصف لحالهم عند نكوصهم وإعراضهم عن آيات القرآن . أي أنهم قد أعرضوا حال كونهم مستكبرين، سامرين بالهجر من القول .

فقوله: ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ ﴾ حال من قوله : ﴿ تَنكِصُونَ ﴾ ، وقوله : ﴿ سَٰمِرًا ﴾: مفرد، بمعنى الجمع، وهو حال – أيضا– والسامر المتحدث في ظلمة الليل، أو في ضوء القمر، وقوله : ﴿ تَهْجُرُونَ ﴾ صفة لـ ﴿ سَٰمِرًا ﴾ ، يجوز أن تكون من الهجر بفتح الهاء، وهو الهذيان ، أي تهذون في شأن القرآن ، ويجوز أن يكون من الهجر بالضم ، وهو الفاحش من الكلام [1] .

(١) انظر الفريد في إعراب القرآن للهمداني ٣/ ٥٧٦، والتحرير والتنوير ١٨/ ٨٦ .

والـضمير في قولـه : ﴿ بِهِۦ ﴾ عائـد إمـا إلى البيـت؛ لأنهـم يفتخـرون بـه، ويعتقدون أنهم أولياؤه وليسوا كذلك . أو إلى الحرم؛ لأنهـم كـانوا يـسمرون فيـه بالهجر – يعني القبيح – من الكلام .

وإما إلى القرآن؛ باعتبار أنه المقصود بهذا الهجر، كقولهم : إنه سـحر، إنـه شعر، إنه كهانة، إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة؛ لأن قوله : ﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ يشير إلى القرآن .

وإمـا إلى محمـد – ﷺ – لأنهـم كـانوا يذكرونـه في سـمرهم بـالأقوال الفاسـدة، ويـضربون لـه الأمثـال الباطلـة، مـن أنـه شـاعر أو كـاهن أو سـاحر أو كـذاب أو مجنـون، وتكـون ﴿ بِهِۦ ﴾ عـلى هـذا القـول للتعديـة، وضـمن قولـه : ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ ﴾ معنى مكذبين، أي مكذبين بالنبي ومستكبرين [1] .

والحاصل أن الآيتين دلتا على أن هؤلاء الكفار قد جمعـوا بـين الإعـراض والاستكبار والاستهزاء بالقرآن في أحاديث سمرهم .

الآية الثانية:

قـال الله تعـالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ لقمان: ٧ .

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ الجاثية: ٨ .

الآية الرابعة:

قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾الجاثية:٣١.

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ١٩٦، والمحرر الـوجيز لابـن عطيـة ٤/ ١٥٠، وتفـسير ابـن كثـير ٣/ ٢٥٠، والتحرير والتنوير ١٨/ ٨٦ .

فدلت هذه الآيات الثلاث على إعراض الكفار عن سماع آيات القرآن واستهزائهم بها، كما قال تعالى بعد آية الجاثية : ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ﴾ الجاثية: ٩ ، وكما قال عز وجل : ﴿ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴾ الكهف: ٥٦ .

ولذا كانوا يتواصون فيما بينهم على عدم سماع القرآن، كما قال عز شأنه : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ فصلت: ٢٦ [١] .

ودلت هذه الآية على أنهم لم يكتفوا بالإعراض عن سماع القرآن، بل سعوا إلى صرف العامة - أيضا - عن سماعه؛ بالتشويش واللغو فيه عندما يتلى عليهم .

وقد نصت الآيات الأربع السابقة على أن الذي حملهم على الإعراض عن القرآن هو الكبر الذي استولى على قلوبهم؛ فطمسها، وحال دون قبولها للحق .

أما المجموعة الثانية فتضم سبع آيات :

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ المؤمنون: ١٠٥ .

وهذا التكذيب الذي نصت عليه الآية هنا هو ديدن الكفار عندما تتلى عليهم آيات القرآن . وقد جاء على صور متعددة، كما تفصله بقية الآيات .

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ القلم: ١٥ .

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ الأنفال: ٣١ .

(١) انظر تفسير السعدي ص ٥٥٤ .

فهذه الآية والتي قبلها دلتا على أن من صور تكذيب الكفار للقرآن عندما يتلى عليهم قولهم – بهتانا وزورا – بأنه أساطير الأولين، كما قال تعالى عنهم : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ الفرقان: ٥ .

يقول السعدي : " وهذا القول منهم فيه عدة عظائم :

منها: رميهم الرسول الذي هو أبر الناس وأصدقهم بالكذب والجرأة العظيمة.

ومنها: إخبارهم عن هذا القرآن الذي هو أصدق الكلام وأعظمه وأجله بأنه كذب وافتراء.

ومنها: أن في ضمن ذلك أنهم قادرون أن يأتوا بمثله وأن يضاهي المخلوق الناقص من كل وجه للخالق الكامل من كل وجه بصفة من صفاته، وهي الكلام.

ومنها: أن الرسول قد علمت حالته وهم أشد الناس علما بها، أنه لا يكتب ولا يجتمع بمن يكتب له وقد زعموا ذلك" [1] .

وقولهم في آية الأنفال عند سماعهم للقرآن :﴿ لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ من أقبح الكذب، وبطلانه ظاهر، وهو دليل على عنادهم وظلمهم، وإلا فقد تحداهم اللهّ أن يأتوا بمثل هذا القرآن، ثم بعشر سور، أو بسورة من مثله، ويدعوا من استطاعوا من دون اللهّ، فلم يقدروا على ذلك، وانقطعوا، وتبين عجزهم، وهم أحوج ما يكونون للمعارضة، وما حملهم على هذا القول الباطل إلا عنادهم وعتوهم وإصرارهم على الكفر والصد عن سبيل الله والقرآن .

---

(١) تفسير السعدي ص ٥٧٨ .

روى سعيد بن جبير، والسدي، وابن جُرَيج، وغيرهم أن القائل لذلك هو النضر بن الحارث، كان قد ذهب إلى بلاد فارس، وتعلم من أخبار ملوكهم رُسْتم واسفنديار، ولما قدم وجد رسول الله - ﷺ - قد بعثه الله، وهو يتلو على الناس القرآن، فكان إذا قام - ﷺ - من مجلس، جلس فيه النضر؛ فيحدثهم من أخبار أولئك، ثم يقول: بالله أيهما أحسن قصصا؟ أنا أو محمد؟ (١).

"فهذا القول الصادر من هذا القائل مجرد دعوى، كذبه الواقع،وقد علم أنه - ﷺ - أُمِّيٌّ، لا يقرأ، ولا يكتب، ولا رحل؛ ليدرس من أخبار الأولين، فأتى بهذا الكتاب الجليل، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد" (٢).

الآية الرابعة:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ الأحقاف: ٧ .

الآية الخامسة:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ سبأ: ٤٣ .

فمن صور تكذيبهم للقرآن عندما يتلى عليهم وصفهم له بأنه سحر مبين .

الآية السادسة:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ الجاثية: ٢٥ .

---

(١) انظر تفسير الطبري ٩/ ٢٣١، وتفسير ابن كثير ٢/ ٣٠٥.

(٢) تفسير السعدي ص ٣٢٠ .

الآية السابعة:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ يونس: ١٥ .

ودلت هذه الآية والتي قبلها على صورة أخرى من صور تكذيبهم، وهي المجادلة بالباطل .

الآية الثامنة:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ مريم: ٧٣ .

ومن صور تكذيبهم التلبيس على العامة، بشبه ظاهرة البطلان، كما جاء في هذه الآية .

فهم حين تتلى عليهم آيات الله، ظاهرة الدلالة، بينة الحجة، واضحة البرهان؛ يعرضون عنها، ويموهون على الدهماء من الناس بشبه ساقطة؛ لصرفهم عن الحق الذي سطعت به آيات القرآن؛ فإنهم يقولون عن الذين آمنوا، مفتخرين عليهم، ومحتجين على صحة ما هم عليه من الدين الباطل - بأنهم أكثر أموالا وأولادا، وأن ناديهم أعمر وأكثر واردًا وطارقًا، وأنه دليل على أنهم على الحق، والمسلمون على الباطل؛ لأنهم فقراء، أراذل، مختفون، مستترون في دار الأرقم بن أبي الأرقم ونحوها من الدور.

وهذا دليل في غاية الفساد، وهو من باب قلب الحقائق، وإلا فكثرة الأموال والأولاد، وحسن المنظر والوجاهة في الدنيا، كثيرا ما يكون سببا لهلاك صاحبه، وشقائه، ولهذا قال تعالى رادًّا عليهم شبهتهم بقوله: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴾ مريم: ٧٤ أي: أن الله أمضى فيهم سنته، فأهلكهم، وقد كانوا أحسن من هؤلاء أموالا وأمتعة ومناظر وأشكالا[1] .

---

(١) انظر في تفسير هذه الآية تفسير ابن كثير ٥/ ٢٥٧، وتفسير السعدي ص ٤٩٩ .

أما المجموعة الثالثة الدالة على بغض الكفار للقرآن، وشدة حنقهم على من يتلو آياته؛ فهي آية واحدة .

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ الحج: ٧٢ .

أي أنهم من شدة بغضهم للقرآن يلوح على وجوههم الغَيْظ والغضب عندما تُتلى عليهم آياته. وهذا كناية عن امتلاء نفوسهم من الإنكار والغيظ حتى تجاوز أثرُه بواطنهم، فظهر على وجوههم، حتى إنهم ليكادون أن يبسطوا إلى المؤمنين أيديهم وألسنتهم بالسوء[١] .

والسطو: شدة البطش والوثوب، كما يقول الخليل وغيره[٢] .

ومما يدل على معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ الزمر: ٤٥ .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٢٣٥، والتحرير والتنوير ١٧/ ٣٣٤ . وتنطبق هذه الآية أيضا على من شابه الكفار في مجافاة الكتاب والسنة من أهل الأهواء والبدع، يقول الإمام الشوكاني عند تفسيره لهذه الآية: "وهكذا ترى أهل البدع المضلة إذا سمع الواحد منهم ما يتلوه العالم عليهم من آيات الكتاب العزيز، أو من السنة الصحيحة مخالفاً لما اعتقده من الباطل والضلالة؛ رأيت في وجهه من المنكر ما لو تمكن من أن يسطو بذلك العالم لفعل به ما لا يفعله بالمشركين، وقد رأينا وسمعنا من أهل البدع ما لا يحيط به الوصف، والله ناصر الحقّ ومظهر الدين وداحض الباطل ودامغ البدع وحافظ المتكلمين بما أخذه عليهم، المبينين للناس ما نزل إليهم، وهو حسبنا ونعم الوكيل" اهـ . فتح القدير ٣/ ٤٦٨ .

(٢) العين ص ٤٢٦، وانظر تفسير الرازي ٢٣/ ٥٩ .

المبحث الثالث
التخلق بالقرآن

تقدم القول بأن معظم الآيات التي تناولت إقراء القرآن جاءت بلفظ التلاوة أو مشتقاته، وهو أمر لافت، يدعو إلى البحث والنظر في أسرار هذه الكلمة .

إن التلاوة لفظ معجز يتضمن معنيين عظيمين متلازمين، أشرت لهما في مبحث سابق عند تناول الأصل اللغوي لهذه الكلمة [1].

المعنى الأول: تلاوة القرآن بمعنى اتباعه، وهذا هو الأصل في هذا الحرف، فأتلو القرآن أو الوحي أي أتبع توجيهاته وإرشاداته وأعمل بمقتضى أحكامه .

المعنى الثاني: تلاوة القرآن بمعنى قراءته سواء كان مكتوبا أو محفوظا، وهي تعني إعادة الكلام دون زيادة عليه ولا نقص منه؛ لأن معنى التتبع متأصل في هذه الكلمة، ففعل (يتلو) أو (يتلى) أو (اتل) ونحوها مؤذن بأن المقروء كلام لا تبدل ألفاظه، وهو الوحي المنزل [2]. فالنبي – ﷺ – يقرأ ما أوحي إليه قراءة مطابقة بهيئتها وكيفيتها وصفة أدائها لما سمعه من جبريل عليه السلام .
وأما التلازم فظاهر مما تقدم، فتلاوة القرآن تعني قراءته واتباعه، أي إقامته بإقامة حروفه وحدوده .

ولهذا مدح الله من يتلون الكتاب حق تلاوته، فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ البقرة: ١٢١ أي يتبعونه حق اتباعه كما تقدم في تفسيرها [3].

---

(١) انظر ص ٤٥ .
(٢) انظر التحرير والتنوير ٣٠/ ٤٨٧٩ .
(٣) انظر ص .

وعاب الله على أهل الكتاب اقتصارهم في تناولهم للكتاب على القراءة فحسب دون الاتباع، فقال: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ البقرة: ٧٨ ، والأماني هي القراءة على قول الأكثرين في تفسير الآية [١]، وهو الأرجح، ويدل عليه آية الحج: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ الحج: ٥٢ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "التمني هو التلاوة والقرآن كما عليه المفسرون من السلف كما في قوله: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [٢]. ومراده بالقرآن القراءة .

إن أولى الناس بتلاوة القرآن حق تلاوته هو مقرئ القرآن، وله في رسول الله أعظم قدوة وأسوة . وإذا كانت خلاصة جهد معلم القرآن وثمرة بذله وسعيه هي إيجاد حملة للقرآن يحملونه بأفئدتهم وألسنتهم ويظهر أثره جليا في أخلاقهم وصفاتهم وسلوكهم؛ فإن هذا لا يتحقق إلا إذا كان المعلم في نفسه مثالا كاملا لحامل القرآن، متخلقا به في جميع أحواله .

وهاهو المعلم الأول الذي امتن الله به على هذه الأمة يحقق ما بعث من أجله، فيصنع جيلا فريدا متخلقا بالقرآن مستمسكا بحبله المتين،كما دلت عليه الآيات الأربع التي مضى الحديث عنها، والتي اشتملت على الأهداف الرئيسة لمعلم القرآن،ومنها قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ آل عمران: ١٦٤ ، فأصبحوا بعد بعثته – ﷺ – وتربيته لهم وتزكيتهم بالقرآن في هداية تامة .

---

(١) انظر تفسير الرازي ٣/ ١٢٨ .

(٢) مجموع الفتاوى ١٥/ ١٩٠ ، وانظر ١٦/ ١٢ من هذا المجموع .

والسر الأكبر في نجاحه - ﷺ - في صناعة ذلك الجيل أنه كان هو في نفسه متخلقا بالقرآن، متمثلا به في جميع صفاته وأحواله.

لقد أوجز القرآن مهمته - ﷺ - التي كلف بها في ثلاثة أمور، فقال عز وجل على لسان نبيه: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴾ النمل:٩١- ٩٢.

فصرحت هاتان الآيتان بأن ما أمر به النبي - ﷺ - من قبل ربه محصور في ثلاثة أمور: عبادة الله وحده، والاستسلام لحكمه، والثالث تلاوة القرآن.

والتلاوة هنا تعني تلاوة القرآن على الناس ودعوتهم إلى الخضوع لأحكامه والاستجابة لهداياته.

وتعني أيضا -وهذا هو الشاهد- اتباع القرآن والتخلق به [(١)].

وقد فعل ﷺ ذلك على أكمل وجه، ولذا مدحه الله تعالى، وعظم شأنه بقوله عز وجل: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾ القلم: ٤ ، وسبب هذا أنه اجتمع فيه - ﷺ - ما تفرق في غيره من الفضائل؛ لأنه استجاب لأمر الله تعالى له بقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ الأنعام: ٩٠ ، ولا بد لكل نبي من خصلة فاضلة، فاجتمع له - ﷺ - جميع خصال الفضل عند جميع الأنبياء [(٢)].

ولما سئلت أم المؤمنين عائشة رضي عنها عن خلقه صلى الله عليه وسم، أجابت بأن خلقه القرآن، واستشهدت بآية سورة القلم .

عن سعد بن هشام بن عامر قال: قلت يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله - ﷺ - قالت: **(ألست تقرأ القرآن ؟)** قلت: بلى، قالت: **(فإن خلق نبي الله - ﷺ - كان القرآن)** رواه مسلم [(٣)].

---

(١) انظر تفسير البيضاوي ٤/ ٢٨١ ، وتفسير النسفي ٣/ ٢٢٥ ، وفتح القدير ٤/ ١٥٦ .

(٢) انظر تفسير الرازي ٣٠/ ٧١ ، وأضواء البيان ٨/ ٢٥٢ .

(٣) صحيح مسلم ١/ ٥١٢ – باب جامع صلاة الليل – حديث رقم ٧٤٦ .

ورواه الإمام أحمد بلفظ: أتيت عائشة رضي الله عنها، فقلت: يا أم المؤمنين أخبريني بخلق رسول الله – ﷺ – قالت: (**كان خلقه القرآن أما تقرأ القرآن قول الله عز وجل: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾**)[١]. ومعنى الآية: أي وإنك لعلى دين عظيم، كما يقول ابن عباس وسعيد ابن جبير وغير واحد [٢]. وتفسير الخلق بالدين مطابق لقول عائشة رضي الله عنه: (**كان خلقه القرآن**) ؛ لأن القرآن هو أصل الدين ومادته، والخضوع للقرآن خضوع للدين وكذلك العكس .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وأما الخلق العظيم الذي وصف الله به محمدا فهو الدين الجامع لجميع ما أمر الله به مطلقا هكذا قال مجاهد وغيره، وهو تأويل القرآن كما قالت عائشة رضي الله عنها: (**كان خلقه القرآن**) ، وحقيقته المبادرة إلى امتثال ما يحبه الله تعالى بطيب نفس وانشراح صدر" اهـ [٣].

ويؤيد هذا المعنى زيادة في رواية أبي عبيد والبيهقي لحديث عائشة، فقد أخرجا عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: سئلت عائشة – رضي الله عنها – عن خلق رسول الله – ﷺ – فقالت : (**كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه**) [٤] .

ويشير حرف الجر "على" في قوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ إلى تمكنه – ﷺ – في تخلقه بالقرآن العظيم وبلوغه الغاية في مكارم الأخلاق[٥].

يقول ابن كثير معلقا على تفسير عائشة لهذه الآية:" ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمرا ونهيا سجية له وخلقا تطبعه، وترك

---

(١) مسند الإمام أحمد ٦/ ٩١ – حديث رقم ٢٤٦٤٥ ، قال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح .

(٢) انظر تفسير الطبري ٢٩/ ١٨، والدر المنثور ٨/ ٢٤٣ .

(٣) مجموع الفتاوى ١٠/ ٦٥٨ .

(٤) فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام ص ٥١، ودلائل النبوة للبيهقي ١/ ٢٤٦ – حديث رقم ٢٥٦ .

(٥) انظر التحرير والتنوير ٢٩/ ٤٥١٥ .

طبعه الجبلي، فمهما أمره القرآن فعله ومهما نهاه عنه تركه، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلق جميل" اهـ [1].

إن التخلق بالقرآن صفة عظيمة الأثر كثيرة الفوائد، فحقيق بمعلم القرآن أن يتخلق بها وأن يسعى جهده إلى بلوغ مراقي الكمال فيها، وإن من أعظم الثمار التي سيجنيها معلم القرآن إذا تلبس بهذه الصفة ثمرتين:

الأولى: أنه بتخلقه بالقرآن سيكون قدوة حسنة لطلابه، ودعوة صامتة لهم؛ ليكونوا من أهل هذه الصفة . وسيغرس بسمته القرآني في قلوبهم محبة القرآن وتعظيمه والانقياد لأحكامه؛ لما يشاهدونه في معلمهم من تبجيل وتوقير للقرآن واستمساك بأوامره وتوجيهاته .

الثانية: الدين شطران، عبادة وخلق، والعبادة هي حسن العلاقة بالخالق، والخُلُق حسن العلاقة بالخلْق، وهذا المعنى قد دل عليه الكتاب والسنة، كقوله تعالى: ﴿ **وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا** ﴾ النساء: ٣٦ ، وقوله: ﴿ **وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ** ﴾ النساء: ١ ، وقوله: ﴿ **فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ** ﴾ الأنفال: ١ ، وقوله - ﷺ - لأبي ذر: (**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**) رواه الترمذي [2].

وعن أبي ذر - رضي الله عنه -قال: قلت : يا رسول الله أي العمل أفضل قال: (**إيمان بالله تعالى وجهاد في سبيله**)، قلت: يا رسول الله فأي الرقاب أفضل قال: (**أنفسها عند أهلها وأغلاها ثمنا**) قال: فإن لم أجد قال: (**تعين صانعا أو تصنع**

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٤٠٣ .

(٢) سنن الترمذي ٤/ ٣٥٥ – باب ما جاء في معاشرة الناس – حديث رقم ١٩٨٧ . قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وحسنه الألباني .

لأخرق) قال: فإن لم أستطع قال: (**كف أذاك عن الناس فإنها صدقة تصدق بها عن نفسك)** رواه الإمام أحمد[١]. وعن عبد الله بن سلام عن رسول الله - ﷺ - قال: (**أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام)** رواه الترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي حديث حسن صحيح [٢].

ولا عجب أن يتبوأ حسن الخلق هذه المنزلة من الدين، فقد قال ﷺ: (**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)** رواه البيهقي والحاكم من حديث أبي هريرة[٣]. فجعل إتمام مكارم الأخلاق غاية بعثته؛ تعظيما لها، وتنويها بشأنها.

وعن النواس بن سمعان الأنصاري - رضي الله عنه - قال: سألت رسول الله - ﷺ - عن البر والإثم، فقال: (**البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس)** رواه مسلم[٤]. فجعل الدين هو حسن الخلق.

قال ابن القيم :" فقابل البر بالإثم وأخبر أن البر حسن الخلق والإثم حواز الصدور، وهذا يدل على أن حسن الخلق هو الدين كله" اهـ [٥].

وبعد هذا الاستطراد في ذكر النصوص الدالة على مكانة مكارم الأخلاق من الدين، فحريٌّ بمقرئ القرآن أن يتسنم منها ذروتها وأن يصطبغ قلبا وقالبا بصبغتها؛ كي يقطف كل حين ثمرتها.

---

(١) مسند الإمام أحمد ٥/ ١٥٠ – حديث رقم ٢١٣٦٩ . قال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين .

(٢) سنن الترمذي ٤/ ٦٥٢ – باب ٤٢ –حديث رقم ٢٤٨٥ ، وسنن ابن ماجه ٢/ ١٠٨٣ – باب إطعام الطعام – حديث رقم ٣٢٥١ . قال الألباني: صحيح، انظر صحيح الترغيب والترهيب ١/ ١٥٠ – حديث رقم ٦١٦ .

(٣) السنن الكبرى ١٠/ ١٩١– باب بيان مكارم الأخلاق – حديث رقم ٢٠٥٧١، والمستدرك ٢/ ٦٧٠ – حديث رقم ٤٢٢١ ، وقال الذهبي في التلخيص : على شرط مسلم .

(٤) صحيح مسلم ٤/ ١٩٨٠ – بابن تفسير البر والإثم – حديث رقم ٢٥٥٣ .

(٥) مدارج السالكين ٢/ ٣٠٦ .

ومن أظهر هذه المكارم: الرفق بالطلاب، والتواضع لهم، وإظهار محبتهم، والبشاشة في وجوههم، والبذل من أجلهم، وتفقد أحوالهم، والصبر على تعليمهم، وكف الأذى عنهم .

وبهذه الصفات الجليلة والأخلاق الجميلة يستطيع مقرئ القرآن أن يقيم جسرا متينا بينه وبين طلابه يعتمد على الثقة والمحبة والرحمة والاحترام .

وبهذه الأخلاق النبوية والمناقب السوية يستولي مقرئ القرآن على قلوب تلاميذه، ويأسرها طائعة رضية، ويرتقي بها بيسر وسهولة إلى أخلاق الكبار ومناقب الأبرار، فترى هؤلاء الطلاب معظمين لمعلمهم، محبين له، ساعين في توقيره وإكرامه، مصغين لنصحه وإرشاده، مستجيبين لوعظه وتوجيهاته.

وهذا الأثر يمتد إلى كتاب الله، فتراهم محبين للقرآن، معظمين له، باذلين كرائم أوقاتهم لحفظه وتعلمه، مغتبطين لفهمه ومدارسته، مسابقين لامتثاله والتخلق به .

المبحث الرابع
آيات القراءة وفقهها

والمراد بها تلك الآيات التي اشتملت على فعل أو مصدر ونحوه من مشتقات القراءة.

وقد جاءت في ثمانية مواضع من القرآن:

الموضع الأول:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾ الإسراء: ٤٥ – ٤٦ .

والمعنى: وإذا قرأت يا محمد على هؤلاء المشركين القرآن جعلنا بينك وبينهم حجابا مستورا. وللمفسرين في المراد بالحجاب المستور قولان [(١)]:

الأول: ذهب إليه قتادة وابن زيد، وهو أن المراد بالحجاب المستور هو الأكنة على قلوبهم، وقوله: مستورا بمعنى ساتر، فهو مفعول بمعنى فاعل .

الثاني: قال زهير بن محمد [(٢)]:"﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ ذاك رسول الله – ﷺ – إذا قرأ القرآن على المشركين بمكة سمعوا صوته ولا يرونه" . ومعنى مستورا على ظاهره، أي مستورا عن الأبصار، فلا تراه، واختاره الطبري والقرطبي [(٣)]. ويؤيد هذا القول من القرآن قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٥/ ٩٤، وتفسير ابن أبي حاتم ٧/ ٢٣٣٢ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ٤٤ .

(٢) هو زهير بن محمد بن قُمير المروزي، ثقة ثبت زاهد، من شيوخ ابن ماجه والبزار، ، مات سنة سبع وخمسين ومائتين . انظر سير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٦٠ .

(٣) انظر تفسير الطبري ١٥/ ٩٤، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٧٠ . قال صاحب الدر المنثور ٥/ ٢٩٥: " وأخرج أبو يعلى وابن أبي حاتم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي معا في الدلائل عن أسماء بنت أبي بكر – رضي الله عنهما – قالت: لما نزلت ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ المسد:١ أقبلت العوراء أم جميل، ولها ولولة، وفي يدها فهر، وهي تقول: مذمما أبينا ودينه قلينا وأمره عصينا، ورسول الله – ﷺ – جالس وأبو بكر – رضي الله عنه – إلى جنبه، فقال أبو بكر: لقد أقبلت هذه وأنا أخاف أن تراك، فقال: إنها لن تراني، وقرأ قرآنا اعتصم به، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ الإسراء: ٤٥ ، فجاءت حتى قامت على=

سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ البقرة: ٧ ، وقوله: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً ﴾ الجاثية: ٢٣، فالغشاوة في الآيتين هي الحجاب المستور المذكور في الإسراء .

والدرس المستفاد من هذه الآية أن قراءة القرآن طاردة لشياطين الإنس والجن عاصمة من أذاهم .

قال النووي في كتابه الأذكار : "باب ما يقول إذا عرض له شيطان أو خافه، قال الله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ فصلت: ٣٦ ، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ ، فينبغي أن يتعوذ، ثم يقرأ من القرآن ما تيسر" اهـ[1].

وأسعد الناس بهذه الآية وأوفرهم حظا منها هم حفظة القرآن وحملته، المكثرون من قراءته وترتيله، وفي مقدمة هؤلاء معلمو القرآن المنهمكون في إقرائه وتلاوته .

الموضع الثاني:

قال الله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَـٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ الشعراء: ١٩٨ – ١٩٩ .

جاءت هاتان الآيتان في سياق الحديث عن القرآن وتمجيده؛ لما تميز به من الصفات المعجزة والمفاخر العظيمة[2]. ومع ذلك قابله الكفار بأشد الجحود والتكذيب، لذا عاقبهم الله بقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَـٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ الشعراء:

= أبي بكر رضي الله عنه، فلم تر النبي – ﷺ – فقالت: يا أبا بكر بلغني أن صاحبك هجاني، فقال أبو بكر رضي الله عنه، لا ورب هذا البيت ما هجاك، فانصرفت وهي تقول: قد علمت قريش أني بنت سيدها" .

، قال القرطبي معلقا على هذه القصة ونحوها: " ولقد اتفق لي ببلادنا الأندلس بحصن منثور من أعمال قرطبة مثل هذا، وذلك أني هربت أمام العدو، وانحزت إلى ناحية عنه، فلم ألبث أن خرج في طلبي فارسان، وأنا في فضاء من الأرض، قاعد، ليس يسترني عنهما شيء، وأنا أقرأ أول سورة يس وغير ذلك من القرآن، فعبرا علي، ثم رجعا من حيث جاءا، وأحدهما يقول للآخر: هذا ديبله، يعنون شيطانا، وأعمى الله عز وجل أبصارهم، فلم يروني، والحمد لله حمدا كثيرا على ذلك "اهـ .

(١) الأذكار ١/ ٩٩ .

(٢) انظر ص ١٠ .

٢٠٠ ، فأدخل التكذيب وسلكه في قلوبهم، فأصبح سجية لهم وهيئة راسخة ملازمة لهم، مهما جاءهم من الآيات، فلو نزل هذا القرآن ﴿ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴾: جمع أعجم، وهو الذي لا يفصح بالعربية، أو لا يتكلم، سواء كان إنسانا أو بهيمة – فلو نزل القرآن كما هو بنظمه الرائق المعجز على من لا يتكلم، فقرأه عليهم قراءة صحيحة خارقة للعادة ما كانوا به مؤمنين، مع انضمام إعجاز القراءة إلى إعجاز المقروء؛ لفرط عنادهم، وشدة شكيمتهم في المكابرة، وهذا هو الأرجح في تفسير هذه الآيات، ويأتلف مع سياقها، ويدل عليه آيات كثيرة، كقوله تعالى ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ الحجر: ١٤ – ١٥ ، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ يونس: ٩٦ – ٩٧ ، وغيرها من الآيات، واختاره الطبري،وابن عطية وابن كثير، وغير واحد، ويؤيده ما أخرجه الطبري بسنده عن عبد الله بن مطيع [(١)]: أنه كان واقفا بعرفة، فقرأ هذه الآية: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم ﴾ ، وقال: جملي هذا أعجم، فلو أنزل على هذا ما كانوا به مؤمنين[(٢)].

وإذا كان الكفار قد بلغوا هذا المبلغ في تكذيبهم القرآن والكفر به حتى صار سجية من سجاياهم، فمفهوم الآيات يدل على أن المؤمنين على النقيض من ذلك، فهم على كل حال أهل إخبات وخضوع وخشوع عند سماعهم القرآن، كما قال تعالى: في وصف المؤمنين الكُمَّل: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ الأنفال:٢، فمحبتهم للقرآن

---

(١) هو عبد الله بن مطيع بن الأسود بن حارثة العدوي، ولد على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وله بئر على طريق مكة تعرف ببئر ابن مطيع ، قاتل الحجاج مع ابن الزبير في مكة وقتل معه . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ١٤٤ ، وأسد الغابة لابن الأثير ٣/ ٨٠ .

(٢) انظر في تفسير هذه الآيات تفسير الطبري ١٩/ ١١٤ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٤٤ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ٣٤٩ ، والتسهيل لابن جزي ٣/ ٩٠ ، وتفسير أبي السعود ٦/ ٢٦٥ .

واستبشارهم به وإقبالهم على تلاوته وسماعه والتفقه فيه والعمل به صفات مكينة لا تفارقهم، كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ التوبة:١٢٤، فبين تعالى الحال الواقعة للمؤمنين بأنهم يزدادون إيمانا بعلمهم بهذه السورة من القرآن وفهمها واعتقادها والعمل بها، وهم على الدوام يسرون بسماع القرآن وتلاوته وحفظه، ويبشر بعضهم بعضا بما من الله عليهم من آياته والتوفيق لفهمها والعمل بها، وهو دليل على انشراح صدورهم لآيات الله وطمأنينة قلوبهم وسرعة انقيادهم لما تحثهم عليه [1].

ولذا يتعين على مقرئ القرآن أن يلتزم منهج القرآن في تعليم القرآن، فيربي في طلابه محبة القرآن، وتعظيمه، والأنس بتلاوته وسماعه، ويؤصِّل فيهم صفات الراسخين في الإيمان التي من أهمها الخشوع عند تلاوته وسماعه وتدبر آياته وفهمها والعمل بمقتضاها .

الموضع الثالث:

قال الله تعالى: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾ الإسراء:١٠٦ .

هذه الآية عطف على الآية السابقة، وهي قوله: ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ﴾ الإسراء: ١٠٥ ، فالحديث في الآيتين عن القرآن والإشادة به .

وقوله: **"قرآنا"** منصوب على الحال من الضمير المنصوب في قوله: ﴿فَرَقۡنَٰهُ﴾ [2]، والنكتة في تقديم الحال على صاحبه التنويه بكونه قرآنا، أي كونه كتابا مقروءا؛ فإن اسم القرآن مشتق من القراءة، وهي التلاوة؛ إشارة إلى أنه من

---

(١) انظر تفسير السعدي ص ٣٥٦ .

(٢) ذهب أكثر النحاة إلى أن " قرآنا " منصوب بفعل مقدر أي وفرقنا قرآنا فرقناه، وقيل فيه وجوه أخرى لا تخلو من تكلف، وقد رجحت قول ابن عاشور؛ لأنه لا يحتاج إلى تقدير، وهو متسق مع سياق الآيات .

جنس الكلام الذي يحفظ ويتلى، ولما كان أصل القراءة هو الظهور والبروز- كما تقدم [١]- أفاد هذا الحرف - أيضا - أن القرآن علاوة على أنه حق ومشتمل على الحق فهو ميسر للقراءة ودلالاته على هذا الحق واضحة ظاهرة [٢].

وعامة القراء قرؤوا قوله: ﴿ فَرَقْنَٰهُ ﴾ بالتخفيف أي : بيناه، وأوضحناه، وفرقنا فيه بين الحق والباطل، ومنه قوله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ الدخان: ٤ ، وقرأ بعض الصحابة ﴿ فَرَّقْناه ﴾ بالتشديد، أي أنزلناه مفرقاً شيئا بعد شيء بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة، ويدل على هذا قوله: ﴿ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ [٣].

والذي يظهر أن قراءة العامة تدل - أيضا - على التفريق ؛ لأن أصل "فرق" في اللغة هو التمييز بين شيئين، ومن هذا الباب الفِرق في قوله تعالى: ﴿ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ الشعراء: ٦٣، ومنه الفرق من الغنم، أي القطيع، والفريق الجماعة المتفرقة عن آخرين [٤].

وعليه فيكون معنى ﴿ فَرَقْنَٰهُ ﴾: جعلناه فِرَقا أي أنزلناه منجما مفرقا غير مجتمع، وأيضا - جعلناه بينا واضحا مفصلا، وإطلاق الفرق على البيان؛ لأن البيان يشبه تفريق الأشياء المختلطة المشتبهة. ولما كان قوله: **"قرآنا"** حالا من ضمير ﴿ فَرَقْنَٰهُ ﴾ آل المعنى إلى : أنا فرقناه وأقرأناه [٥].

وقوله: ﴿ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ مشتمل على علتين، الأولى: ﴿ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ ، وتلك علة لجعله قرآنا، والثانية: ﴿ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ أي أن يقرأ على مهل وتؤدة وتثبت، وهي علة لتفريقه.

---

(١) انظر ص .

(٢) انظر التحرير والتنوير ١٥/ ٢٥٠٨ .

(٣) انظر المحتسب لابن جني ٢/ ٦٨ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٣٩ ، وأضواء البيان ٣/ ١٨٨ .

(٤) انظر معجم مقاييس اللغة ٤/ ٤٩٣ ، ومفردات الراغب ص ٣٧٧ .

(٥) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٦٩ ، والتحرير والتنوير ١٥/ ٢٥٠٨ .

والحكمة في ذلك أن تكون ألفاظه ومعانيه أوضح وأثبت في نفوس السامعين، لذا فسر ابن عباس ومجاهد وابن جريج المكث بأنه الترسل في التلاوة والترتيل، فيعطي القارئ القراءة حقها، ويحسنها ويطيبها بالصوت الحسن ما أمكن من غير تلحين ولا تطريب مؤد إلى تغيير لفظ القرآن بزيادة أو نقصان، وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ أي شيئا بعد شيء – جملة مؤكدة لما قبلها، دالة على التفريق المذكور، ومما يدل على معنى الآية قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ المزمل: ٤ ، وقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ الفرقان: ٣٢ [1].

وهكذا ترسم هذه الآيات منهجا واضحا في قراءة القرآن وإقرائه يقوم على تحقيق الأغراض الأصيلة التي من أجلها نزل القرآن، وبها تتحقق العبودية، وهي قراءة القرآن بتؤدة، وترتيله، وتدبره، وفهمه، والعمل به .

الموضع الرابع:

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ النحل: ٩٨.

وهذه الاستعاذة أدب رفيع من آداب تعليم القرآن وتلاوته، وهي حرز من تسلط الشيطان، ومعينة على إتقان الحفظ، وصارفة للوساوس التي تحول بين القارئ والتدبر المثمر للتذكر والعمل، كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ص: ٢٩ [2].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٦٩، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٣٩، التحرير والتنوير ١٥/ ٢٥٠٨، وأضواء البيان ٣/ ١٨٨ .

(٢) انظر التحرير والتنوير ٢٣/ ٣٦٢٦ .

الموضع الخامس:

قـال الله تعـالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ العلق: ١ – ٥ .

هذه الآيات الكريمات المباركات هي أول ما نزل من القرآن [(١)]. وهن أول رحمة رحم الله بها العباد بعد طول ضلالة.

وتضمنت هذه الآيات أهم أغراض السورة، وهو تلقين محمد – ﷺ – الكلام القرآني، وتلاوته؛ إذ كان لا يعرف التلاوة من قبل، وأشارت الآيات إلى أن الله سييسر له تعلم القرآن وحفظه وفهمه، وأن أمته ستصير إلى معرفة القراءة والكتابة والعلم [(٢)].

سبب نزول هذه الآيات:

عن عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – أنها قالت: (**أول ما بدئ به رسول الله – ﷺ – من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد الليالي ذوات العدد – قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ قال: ما أنا بقارئ قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ، فرجع بها رسول الله – ﷺ – يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت**

(١) وهذا على القول الصحيح الذي دلت عليه الأحاديث الصحيحة الصريحة، وعليه الجماهير من السلف والخلف. انظر أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ٤١٧ ، وشرح النووي على صحيح مسلم ٢/ ١٩٩ ، وزاد المعاد ١/ ٨٢ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٤/ ٥٢٩ ، والتحرير والتنوير ٣٠/ ٤٨٦١.

خويلد - رضي الله عنها - فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق) [1].

قال النووي: "غطني عصرني وضمني، وأما أرسلني فمعناه: أطلقني، قال العلماء: والحكمة في الغط شغله من الالتفات، والمبالغة في أمره بإحضار قلبه لما يقوله له، وكرره ثلاثا؛ مبالغة في التنبيه، ففيه أنه ينبغي للمعلم أن يحتاط في تنبيه المتعلم وأمره بإحضار قلبه" انتهى باختصار [2].

وقوله ﷺ: **(ما أنا بقارئ)** اعتذار عن القراءة؛ لأنه أمي لا يقرأ ولا يكتب.

وقوله تعالى: ﴿ **ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢** ﴾: أي اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك الذي رباك بنعمه، ومستعينا به على القراءة ؛ لكمال قدرته، فهو الخالق لكل شيء، فهو قادر على تلقينك القرآن كما أنزل – وقد فعل – رغم أنك أمي؛ ليكون حجة لك على قومك، وآية على صدقك، كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ** ﴾ العنكبوت:٤٨ [3].

---

(١) وبقية الحديث: (فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذع، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو مخرجي هم؟ قال نعم. لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي) . صحيح البخاري ١/ ٤ – باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم – حديث رقم ٣، وصحيح مسلم ١/ ١٣٩– باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم – حديث رقم ١٦٠ .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٢/ ١٩٩ .

(٣) انظر أضواء البيان ٩/ ١٥ .

ولما كان الإنسان أشرف مخلوقاته، وهو المتلقي للقرآن العظيم خصه بالذكر؛ إشارة إلى العناية به، وتدبيره بالأمر والنهي، وذلك بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وكان تمام هذه العناية ببعثة أشرف الأنبياء محمد - ﷺ - ونزول القرآن أشرف الكتب عليه [١].

والعلق جمع علقة، وهي القطعة اليسيرة من الدم، تأتي بعد النطفة وقبل المضغة، والاقتصار على ذكرها هنا دون النطفة أو الطين؛ لأن المخاطبين كانوا يشاهدون ذلك أحياناً فيما تلقي به الرحم، ويعلمون أنه مبدأ خلق الإنسان [٢].

وفي قوله: ﴿ مِنْ عَلَقٍ ﴾ إشارة إلى ما ينطوي في أصل خلق الإنسان من بديع الأطوار والصفات التي جعلته سلطان هذا العالم الأرضي [٣].

وقوله: ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ العلق: ٣ - ٥: كرر الأمر بالقراءة تأنيسا لنبيه، كأنه يقول: امض لما أمرت به من تلقي القرآن وقراءته وحفظه وفهمه، فربك هو الأكرم، أي كثير الصفات، واسعها، منزه عن النقائص، كثير الكرم والإحسان، واسع الجود، فما لكرمه غاية ولا أمد، وكأنه ليس وراء التكرم بإفادة أنواع العلوم تكرم، حيث قال: ﴿ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ، فدلَّ على كمال كرمه ، فإنه تعالى أخرج الإنسان من بطن أمه لا يعلم شيئا، وجعل له السمع والبصر والفؤاد، ويسر له أسباب العلم، فعلمه القرآن، وعلمه الحكمة، وعلمه بالقلم، الذي به تحفظ العلوم، وتضبط الحقوق، وتكون رسلا للناس، تنوب مناب خطابهم [٤].

---

(١) انظر الكشاف ٤/ ٧٨١ ، وتفسير البيضاوي ٥/ ٥٠٩ ، وتفسير السعدي ص ٩٣٠ .

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ٥/ ٥٠٢ ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ١٦/ ٢٦٠ ، وأضواء البيان ٩/ ١٥ .

(٣) أفاده ابن عاشور في التحرير ٣٠/ ٤٨٦٣ .

(٤) انظر تفسير السمرقندي ٣/ ٥٧٤ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٠٢ ، والكشاف ٤/ ٧٨١ ، وتفسير القرطبي ٢٠/ ١٢٠ ، وتفسير السعدي ص ٩٣٠ .

وتقديم الأمر بقراءة القرآن وتكراره دليل على شرف القرآن وقراءته، كما قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الرحمن: ١ – ٣، فقدم التعليم على الخلق.

وفي الآيات إشارة إلى حفظ القرآن في الصدور والسطور .

أما الأول فلأن النبي – ﷺ – قد تلقى القرآن من جبريل مشافهة بالتلقين والتكرار، فحفظه ووعاه، فصار تلقي القرآن بهذه الطريقة سنة متبعة .

وأما الثاني فيشير إليه قوله: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ ، فدل على الاهتمام بعلم الكتابة، وبأن الله يريد أن يُكتب للنبي – ﷺ – ما ينزل عليه من القرآن، فمن أجل ذلك اتخذ النبي – ﷺ – كتابا للوحي من مبدأ بعثته [١].

ومما تقدم يتبين أن مدار هذه الآيات حول تعلم القرآن وإقرائه وتشريفه والإشادة به، **وأنها أصل في طريقة تلقين القرآن وتلقيه بطريق المشافهة، كما أنزل دون زيادة أو نقصان** [٢].

الموضع السادس:

قال الله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ الإسراء: ٧٨ .

تتناول هذه الآية الصلوات الخمس المفروضة، والمراد بدلوك الشمس هو ميلها إلى الزوال. وغسق الليل هو ظهور ظلمته، فالآية جامعة لمواقيت الصلاة كلها، فقوله: ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ يتناول صلاة الظهر والعصر وقوله:

---

(١) انظر التحرير والتنوير ٣٠/ ٤٨٦٥ .

(٢) ومن اللطائف في هذه السورة أن الله أمر في أولها بالقراءة وفي آخرها بالسجود، ولهذا كان أعظم الأذكار التي في الصلاة قراءة القرآن وأعظم الأفعال السجود لله وحده لا شريك له . انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣/ ٤٢٦ .

﴿ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ ﴾ يتناول المغرب والعشاء، وقوله: ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ﴾ هو صلاة الصبح [١]. ومعنى قرآن الفجر، أي القرءاة في صلاة الفجر [٢].

أخرج الشيخان عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – ﷺ – يقول: (**تفضل صلاة الجميع صلاة أحدكم وحده بخمسة وعشرين جزءا وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر**) ثم يقول أبو هريرة: فاقرؤوا إن شئتم: ﴿ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [٣].

وعطف قوله: ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ﴾ على قوله: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ؛ إشارة إلى أن لكل صلاة من تلك الصلوات قرآنا، وكذلك النافلة سماها قرآنا،كما في قوله تعالى: ﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾ المزمل: ٢٠ ، أي قوموا من الليل ما تيسر، وعبر بالصلاة عن القراءة كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ الإسراء: ١١٠، ﴿ بِصَلَاتِكَ ﴾ أي بقراءتك [٤].

وإنما عبر عن صلاة الفجر بالقراءة دون غيرها من الصلوات ؛ لأنها جهرية، والقرآن يقرأ فيها أكثر من غيرها؛ فإنها تصلى بسورتين طويلتين، كما

---

(١) انظر تفسير البغوي ٣/ ١٢٨ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ٥٥ ، وتفسير السعدي ص ٤٦٤ . ويفسر هذه الآية الآيتان ١٧، ١٨ من سورة الروم، قال الشافعي: "ويقال في قول الله عز وجل: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ ﴾ المغرب والعشاء ، ﴿ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ الصبح، ﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا ﴾ العصر ، ﴿ وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ الظهر " اهـ أحكام القرآن للشافعي ١/ ٥٧ . وقيل الدلوك يدل على أوقات الظهر والعصر والمغرب؛ لأنه يأتي بمعنى زوال الشمس عن وسط قوس فرضي في طريق مسارها اليومي ، وهو وقت الظهر، ويرد بمعنى : ميل الشمس عن مقدار ثلاثة أرباع القوس وهو وقت العصر، ويرد بمعنى غروبها، وهو وقت المغرب، فصار لفظ الدلوك مشتركا في المعاني الثلاثة، والغسق : الظلمة، وهو وقت غيبوبة الشفق، وذلك وقت العشاء، ويسمى العتمة، أي الظلمة. انظر التحرير والتنوير ١٥/ ٢٤٨٩ .

(٢) التمهيد لابن عبد البر ١٩/ ٥١ .

(٣) صحيح البخاري ١/ ٢٣٢ – باب فضل صلاة الفجر في جماعة – حديث رقم ٦٢١ ، وصحيح مسلم – باب فضل صلاة الجماعة.. – حديث رقم ٦٤٩ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير ٤/ ٤٣٩ ، والتحرير والتنوير ١٥/ ٢٤٨٩ .

دلت عليه الأحاديث الصحيحة [(١)]. ولأنها تكون في وقت يتواطأ فيه السمع واللسان والقلب؛ لفراغه وعدم تمكن الاشتغال فيه، فيفهم القرآن ويتدبره [(٢)].

لقد عظم الله شأن القرآن الذي يتلى في الصلوات؛ الفريضة والنافلة، وأشاد بقراءة صلاة الفجر على وجه الخصوص، وأمر بها؛ ليبين أن ركن الصلاة ومقصودها الأعظم هو الذكر بقراءة القرآن والاستماع إليه وتدبره، لذا أجمع العلماء- كما يقول القرطبي – على أنه لا صلاة إلا بقراءة [(٣)]. وما ذاك إلا لأهمية الاستماع إلى قراءة القرآن وتدبر آياته والتفكر فيها، لذا أوجب الله الإنصات والاستماع إلى القرآن في الصلاة بقوله عز شأنه: ﴿ **وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ الأعراف: ٢٠٤ . قال الإمام أحمد عن هذه الآية : " أجمع الناس على أنها نزلت في الصلاة " [(٤)].

ولما كانت القراءة في الصلاة بهذه المنزلة جعل الشارع الحكيم المتقن لها هو المقدم في الإمامة، فقال ﷺ: (**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سلما**) وفي رواية (**سنا**) مكان (**سلما**) [(٥)]. ومعنى أقرؤهم: أي أكثرهم حفظا للقرآن بدلالة حديث ابن عمر وحديث عمرو بن سلمة الآتيين، وقيل معناه أحسنهم قراءة [(٦)]. واللفظ محتمل للمعنيين، فالأولى أن يقال الأقرأ هو الذي جمع بين الحفظ وإتقان التلاوة .

---

(١) انظر صحيح البخاري ١/ ٢٦٦ – باب القراءة في الفجر ، وصحيح مسلم ١/ ٣٣٦ – باب القراءة في الصبح، وزاد المعاد ١/ ٢١٤ ، والتحرير والتنوير ١٥/ ٢٤٨٩ .

(٢) انظر التسهيل لابن جزي ٢/ ١٧٧ ، وزاد المعاد لابن القيم ١/ ٢١٦ .

(٣) تفسير القرطبي ١/ ١٢٣ ، وانظر أحكام القرآن للجصاص ٥/ ٣٢ ، وأحكام القرآن لابن العربي ٣/ ٢١٠ .

(٤) انظر المغني لابن قدامة ١/ ٣٣٠ ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٢/ ٢٩٥ .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٤٦٥ – باب من أحق بالإمامة- حديث رقم ٦٧٣ عن أبي مسعود الأنصاري .

(٦) انظر مرقاة المفاتيح للقاري ٣/ ١٧٣ .

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: لما قدم المهاجرون الأولون العصبة - موضع بقباء - قبل مقدم رسول الله - ﷺ - **كان يؤمهم سالم مولى أبي حذيفة وكان أكثرهم قرآنا**، رواه البخاري في صحيحه [١].

وعن عمرو بن سلمة في قصة إسلام قومه أن النبي - ﷺ - قال لهم:(**فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكثركم قرآنا**)، قال عمرو:فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنا مني لما كنت أتلقى من الركبان فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين، رواه البخاري [٢].

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : (**إذا كانوا ثلاثة فليؤمهم أحدهم وأحقهم بالإمامة أقرؤهم**) رواه مسلم [٣].

الموضع السابع:

قال الله تعالى: ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ المزمل: ٢٠ .

تقدم الحديث عنها في الآية السابقة .

الموضع الثامن:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ الأعراف: ٢٠٤ .

وهذه الآية - أيضا - تقدم الحديث عنها قريبا . وهي أصل في السماع الذي يعد من أصول الإقراء [٤].

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٢٤٦ - باب إمامة العبد والمولى - حديث رقم ٦٦٠ .

(٢) صحيح البخاري ٤/ ١٥٦٤ - باب من شهد الفتح - حديث رقم ٤٠٥١ .

(٣) صحيح مسلم ١/ ٤٦٤ - باب من أحق بالإمامة - حديث رقم ٦٧٢ .

(٤) انظر ص .

الخاتمة

أحمد الله عز وجل على ما وفقني إليه في هذا البحث، وألخص ما توصلت إليه من نتائج في النقاط التالية :

- أن إقراء القرآن مصطلح معناه : أن يحمل الشيخ تلميذه على أن يقرأ عليه القرآن؛ ليسمع قراءته؛ ليقومها؛ فيجيزه عليها. وللفظ الإقراء في القرآن مرادفات تشترك معه في بعض المعاني، وأظهرها في هذا الترادف لفظ: علَّم ودرَّس . والقرآن مصدر كالقراءة – التي يعود أصلها إلى الظهور وإلى الجمع – يأتي بمعنى القراءة أحيانا، وغلب استعماله علَما على كتاب الله تعالى .
- نصت آيات الإقراء على ثلاث وظائف رئيسة لمقرئ القرآن؛ الأولى: التلاوة من خلال السماع والعرض، وهي أصل الإقراء في القرآن. والثانية: تعليمه طلابه الكتاب والحكمة. والثالثة: تزكية الطلاب وتربيتهم .
- نص القرآن على أن نجاح مقرئ القرآن في أداء رسالته مرهون بتحقيقه لصفة جامعة، هي صفة الربانية .
- التلاوة مصدر تلا، وأصلها راجع إلى تتبع الحروف والكلمات والجمل، وإتباع بعضها بعضا، وهي أعم من القراءة. وغلب استعمالها في القرآن دون القراءة؛ لما تضمنته من بلاغة ومعان كثيرة .
- جاءت موضوعات آيات التلاوة في القرآن منوعة، ويمكن تصنيفها إلى خمسة أنواع : الأول: نوه بتلاوة القرآن وبين عظيم نفعها للتالي والمستمع . والثاني : دل على أن التلاوة وسيلة رئيسة من وسائل الدعوة والتعليم والتربية. والثالث : بين أن منهج المؤمنين في تلاوة القرآن يتلخص في أنهم يقيمون حروفه وحدوده على حد سواء. والرابع: بين أن حال المؤمنين عندما يتلى عليهم القرآن هي التدبر لآياته والخشوع والخضوع لها. والخامس : بين أن

حال الكفار عندما يتلى عليهم القرآن هو الإعراض والاستكبار والاستهزاء والتكذيب .

- أن تلاوة القرآن حق تلاوته تعني التخلق بأخلاق القرآن، وهي صفة جامعة، يفتقر إليها مقرئ القرآن أشد الافتقار، وهي سر نجاحه، ولابد أن يربي تلاميذه عليها .
- جاءت آيات القراءة في ثمانية مواضع من القرآن، ولها دلالات كثيرة، أظهرها: أن قراءة القرآن طاردة لشياطين الإنس والجن، وأولى الناس بهذا الأثر هو مقرئ القرآن، وكذلك المثابر على تلاوته . ودلت - أيضا - على وجوب أن يربي مقرئ القرآن في طلابه محبة القرآن وتعظيمه والأنس والخشوع عند تلاوته وسماعه، وتدبر آياته وفهمها والعمل بمقتضاها. ودلت كذلك على فضل تعلم القرآن وإقرائه وتشريفه والإشادة به، وأن الأصل في طريقة تلقين القرآن وتلقيه هي المشافهة.

فهرس المصادر والمراجع

١- **الإتقان في علوم القرآن**: لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، دار الفكر - لبنان.

٢- **الأحرف السبعة للقرآن**: لأبي عمرو الداني، تحقيق د. عبد المهيمن طحان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، مكتبة المنارة - مكة المكرمة.

٣- **أحكام القرآن**: لأبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان.

٤- **أحكام القرآن**: لأحمد بن علي الرازي الجصاص أبي بكر، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، ١٤٠٥هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٥- **أحكام القرآن**: لمحمد بن إدريس الشافعي أبي عبد الله، تحقيق عبد الغني عبد الخالق، ١٤٠٠هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

٦- **إحياء علوم الدين**: لمحمد بن محمد الغزالي أبي حامد، دار المعرفة - بيروت.

٧- **أخلاق حملة القرآن**: لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق د.عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، مكتبة الدار- المدينة النبوية.

٨- **الأذكار**: للإمام يحيى بن شرف النووي، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ، دار الهدى- الرياض.

٩- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**: لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٠- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**: لابن الأثير عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري، تحقيق مأمون شيحا، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، دار المعرفة - بيروت.

١١-**أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**:لمحمد الأمين محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، ١٤١٥هـ، دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت.

١٢-**إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**:لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله، تحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ، دار المعرفة - بيروت.

١٣-**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**:لناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي، دار الفكر - بيروت.

١٤-**بدائع الفوائد**:لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله، تحقيق هشام عبد العزيز عطا وآخرون، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة.

١٥-**البرهان في علوم القرآن**:لمحمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبي عبد الله، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٣٩١هـ، دار المعرفة - بيروت.

١٦-**تاج العروس من جواهر القاموس**:لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٧- **تاريخ المدينة المنورة**:لأبي زيد عمر بن شبة النميري البصري، تحقيق علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان، ١٤١٧هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٨-**التبيان في آداب حملة القرآن**:لأبي زكريا يحيى بن شرف الدين النووي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ، الوكالة العامة للتوزيع - دمشق.

١٩-**التبيان في إعراب القرآن**:لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، تحقيق علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٢٠-**التبيان في تفسير غريب القرآن**:لشهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، تحقيق فتحي أنور الدابلوي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، دار الصحابة للتراث بطنطا - مصر.

٢١-**التسهيل لعلوم التنزيل**:لمحمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ، دار الكتاب العربي - لبنان.

٢٢-**تفسير البحر المحيط**:لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، دار الكتب العلمية – لبنان- بيروت.

٢٣-**تفسير التحرير والتنوير**:لمحمد الطاهر بن عاشور، ١٩٨٤م، الدار التونسية للنشر.

٢٤-**تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم**:لنصر بن محمد بن أحمد أبي الليث السمرقندي، تحقيق د.محمود مطرجي، دار الفكر -بيروت.

٢٥-**تفسير القرآن العظيم**:لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبي الفداء، ١٤٠١هـ، دار الفكر - بيروت.

٢٦-**تفسير القرآن العظيم**:لعبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم، المكتبة العصرية - صيدا.

٢٧-**تفسير القرآن**:لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، دار الوطن - الرياض.

٢٨-**التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**:لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٩-**تفسير مجاهد**:لمجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبي الحجاج، تحقيق عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي، المنشورات العلمية - بيروت.

٣٠-**تفسير مقاتل بن سليمان**:لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، تحقيق أحمد فريد، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية - لبنان- بيروت.

٣١-**تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل**:لمحمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، مؤسسة الكتب الثقافية - لبنان.

٣٢-**تهذيب اللغة**:لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق محمد عوض مرعب، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٣٣-**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**:لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، ١٤٢١هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٣٤-**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**:لمحمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبي جعفر، ١٤٠٥هـ، دار الفكر - بيروت.

٣٥-**الجامع الصحيح سنن الترمذي**:لمحمد بن عيسى أبي عيسى الترمذي السلمي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٣٦-**الجامع الصحيح**:لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت.

٣٧-**جامع بيان العلم وفضله**:ليوسف بن عبد البر النمري، ١٣٩٨هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

٣٨-**الجامع لأحكام القرآن**:لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب - القاهرة.

٣٩-**خلق أفعال العباد**:لمحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، ١٣٩٨هـ، دار المعارف السعودية - الرياض.

٤٠-**الدر المنثور**:لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، ١٩٩٣هـ، دار الفكر - بيروت.

٤١-**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**:لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي-بيروت.

٤٢-**الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة**:لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، ١٣٩٥هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

٤٣-**زاد المسير في علم التفسير**:لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.

٤٤-**زاد المعاد في هدي خير العباد**:لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧هـ، مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت - الكويت.

٤٥-**سلسلة الأحاديث الصحيحة**:لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ، المكتب الإسلامي.

٤٦-**سنن ابن ماجه**:لمحمد بن يزيد أبي عبد الله القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت.

٤٧-**سنن القراء ومناهج المجودين**: للدكتور أبي مجاهد عبد العزيز بن عبد الفتاح القاري، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، مكتبة الدار - المدينة المنورة.

٤٨-**السنن الكبرى**:لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي، تحقيق د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

٤٩-**صحيح الترغيب والترهيب**:للحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.

٥٠-**صحيح الجامع الصغير**:لناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ، المكتب الإسلامي.

٥١-**صحيح مسلم بشرح النووي**:لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٥٢-**صحيح مسلم**:لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٥٣-**الطبقات الكبرى**:لمحمد بن سعد بن منيع أبي عبد الله البصري الزهري، دار صادر - بيروت.

٥٤-**العلل الواردة في الأحاديث النبوية**:لعلي بن عمر بن أحمد بن مهدي أبي الحسن الدارقطني البغدادي، تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله السلفي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، دار طيبة - الرياض.

٥٥-**عمدة القاري شرح صحيح البخاري**:لبدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٥٦-**غريب الحديث**:لأحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أبي سليمان، تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي، ١٤٠٢هـ، جامعة أم القرى - مكة المكرمة.

٥٧-**فتح البيان في مقاصد القرآن**: لأبي الطيب صديق بن حسن القنوجي البخاري، تحقيق عبد الله إبراهيم الأنصاري، ١٤١٢هـ، المكتبة العصرية- صيدا - بيروت.

٥٨-**فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**:لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر - بيروت .

٥٩-**الفريد في إعراب القرآن المجيد**: لحسين بن أبي العز الهمذاني، تحقيق الدكتور فهمي حسن النمر، والدكتور فؤاد علي مخيمر، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، دار الثقافة- الدوحة - قطر.

٦٠-**كتاب السبعة في القراءات**:لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي، تحقيق شوقي ضيف، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ، دار المعارف - مصر.

٦١-**كتاب العين**:لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار إحياء التراث العربي .

٦٢-**الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**:لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٦٣-**الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)**:لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت- لبنان.

٦٤-**لسان العرب**:لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الطبعة الأولى، دار صادر - بيروت.

٦٥-**مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب- قسم التفسير ومختصر زاد المعاد**، تحقيق عبد العزيز بن زيد الرومي، وصالح بن محمد الحسن، أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مطابع الرياض .

٦٦-**مجموع فتاوى ابن تيمية**: لأبي العباس أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم، ومساعدة ابنه محمد، مكتبة المعارف - الرباط - المغرب.

٦٧-**المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**:لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية.

٦٨-**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**:لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، دار الكتب العلمية - لبنان.

٦٩-**مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** : لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ، دار الكتاب العربي - بيروت.

٧٠-**مدارك التنزيل وحقائق التأويل**:لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق يوسف بديوي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، دار الكلم الطيب - بيروت.

٧١-**مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**:لعلي بن سلطان محمد القاري، تحقيق جمال عيتاني ، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، دار الكتب العلمية - لبنان- بيروت.

٧٢-**المستدرك على الصحيحين**:لمحمد بن عبد الله أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

٧٣-**مسند أبي داود الطيالسي**:لسليمان بن داود أبي داود الفارسي البصري الطيالسي، دار المعرفة - بيروت.

٧٤-**مسند الإمام أحمد بن حنبل**: لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة - مصر.

٧٥-**المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**:لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية – بيروت.

٧٦-**معالم التنزيل المشهور بتفسير البغوي**:لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة - بيروت.

٧٧-**معاني القرآن الكريم**: لأبي جعفر النحاس، تحقيق محمد علي الصابوني، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، جامعة أم القرى - مكة المكرمة.

٧٨-**معاني القرآن وإعرابه**: لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق د.عبد الجليل شلبي، دار عالم الكتب.

٧٩-**معجم مقاييس اللغة**: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، دار الجيل- بيروت.

٨٠-**المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني**: لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، دار الفكر - بيروت.

٨١-**المفردات في غريب القرآن**: لأبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - لبنان.

٨٢-**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**: للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ، المكتبة التجارية- مكة، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة.

٨٣-**النهاية في غريب الحديث والأثر**: لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، ١٣٩٩هـ ، المكتبة العلمية - بيروت

٨٤-**هدي الساري مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري**: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، ١٣٧٩ هـ، دار المعرفة - بيروت.

٨٥-**الوابل الصيب من الكلم الطيب**: لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، تحقيق محمد عبد الرحمن عوض، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي - بيروت.

٨٦-**الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق صفوان عدنان داوودي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، دار القلم ، الدار الشامية – دمشق، بيروت.

٨٧-**الوسيط في تفسير القرآن المجيد**: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق عادل بن أحمد عبد الموجود وآخرين، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

قواعد قرآنية عامة في الدعوة إلى الله تعالى

د . رياض بن محمد المسيميري

- عضو هيئة التدريس بكلية أصول الدين بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته (تفسير ابن شهاب الزهري من أول القرآن الكريم إلى آخر سورة الإسراء جمعاً ودراسة) .
- حصل على درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتحقيق كتاب (أنوار الحقائق الربانية في تفسير اللطائف القرآنية لمحمود بن عبد الرحمن الأصفهاني ، من أول سورة يونس إلى آخر سورة النحل) .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

أنزل الله تعالى كتابه الكريم دستوراً للأمة ومنهج حياة لها، وأمر بأن يرجع إليه في كل قضايا الأمة التشريعية والتعبدية والدعوية والأخلاقية وغير ذلك، ممّا هو معلوم للجميع .

وإنَّ من أولى الناس بحثاً في هذا القرآن الكريم ، واستخراجاً لكنوزه، واستنباطاً لقواعده وضوابطه في مناحي الحياة كآفّة هم أهل القرآن ؛ فهم بعلومه أعلم ، وبكنوزه أفهم ، ولفوائده أجمع .

وإنَّ مما ينبغي أن تتجه إليه همَمُ أهل القرآن : استنباط قواعد القرآن المنظمة للدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لكون هاتين المهمتين هما أخصَّ وأنفس خصائص هذه الأمةِ الوسط لقوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

ولذا رأيت جمع بعض قواعد القرآن؛ لتكون نبراساً لكل داعية ومحتسب، على غرار القواعد الفقهية التي استخلص كثيرٌ منها من كتاب الله ، وليكون في هذه الخطوة تحفيزاً لهمم أهل العلم وطلابه لاستنباط قواعدَ أُخر في شؤون الأسرة والاقتصاد والسياسة والأخلاق والسلوك وغيرها ، وفي هذه المقدمة سأتناول بحول الله وقوته ثلاثة أمور :

أولاً: أسباب اختيار الموضوع :

ألخص أسباب اختياري لهذا الموضوع فيما يلي :

١ - رغبتي باستقراء القرآن الكريم، وجمع بعض قواعده في الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لتكون نبراساً وزاداً لعموم الأمة وخاصتها من أهل الدعوة والاحتساب ؛ فإنّ الله وصف هذه الأمة بأنهّا أمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأمة الدعوة والعلم والعمل.

قال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

وقال : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

٢ – توجيه الهمم نحو استخراج كنوز القرآن وقواعده وشرائعه، فليس في الوجود من خير إلاّ دلّ عليه كتابُ الله، وليس في الوجود من شرٍ إلا حذّر منه قرآنُ ربِّنا تبارك وتعالى .

ثانياً: خطة البحث :

يقع هذا البحث في مقدمة وعشرين قاعدة وخاتمة .

القاعدة الأولى : الإيمان بوجوب الدعوة حسب المستطاع .

القاعدة الثانية : لا بدَّ من استصحاب الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن عند الدعوة إلى الله تعالى .

القاعدة الثالثة : العلمُ قبل العمل .

القاعدة الرابعة : الازديادُ من العلم ما أمكن .

القاعدة الخامسة : إعلان الداعية عن حقيقة رسالته التي يدعو إليها .

القاعدة السادسة : قوة الحجة ، وسلامة الفكرة ، وصلابة البرهان .

القاعدة السابعة : توقع العداوة من الآخرين .

القاعدة الثامنة : الصبر على أعباء الدعوة، ومشاقِّ الطريق .

القاعدة التاسعة : التوكل على الله سبحانه .

القاعدة العاشرة : الاعتقاد الجازم بأنَّ الهداية بمعناها الخاص بيد الله وحده .

القاعدة الحادية عشرة : عدم استعجال النتائج .

القاعدة الثانية عشرة: مهمة الداعية البلاغ .

القاعدة الثالثة عشرة : الجمع بين البشارة والنذارة باعتدال .

القاعدة الرابعة عشرة: الوقوف عند حدود الشارع.

القاعدة الخامسة عشرة: الثقة بحسن العاقبة.

القاعدة السادسة عشرة: الثبات على المبدأ.

القاعدة السابعة عشرة: الصدع بالحق.

القاعدة الثامنة عشرة : الدعاء: سلاح الداعية الفتاك.

القاعدة التاسعة عشرة : الاستعانة بالصلاة.

القاعدة العشرون : سدُّ الذرائع .

ثالثاً : المنهج المتبع في إخراج البحث :

(١) قرأت القرآن الكريم – متدبراً– ثم ذكرتُ كلَّ قاعدة وأدلتها باختصار.

(٢) عزوتُ الآيات إلى سورها، مع ذكر رقم الآية.

(٣) خرَّجتُ الأحاديث من مصادرها المعتمدة، مع الحُكم على الحديث إن كان في غير الصحيحين أو أحدهما، وذكرتُ كلامَ أهلِ العلم فيه.

(٤) شرحتُ الغريب من الألفاظ بالرجوع إلى كتب القواميس وغيرها.

(٥) التزمت الترتيب والتنظيم، وسلاسة العرض، وسهولة العبارة، ووضوح الفكرة بحسب الطاقة والإمكان .

القاعدة الأولى : الإيمان بوجوب الدعوة حسب المستطاع .

قال الله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل :١٢٥]

قال الطبري : « يقول –تعالى ذكره– لنبيه محمد ﷺ : ادع يامحمد من أرسلك إليه ربك بالدعاء إلى طاعته، إلى ﴿ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ يقول : إلى شريعة ربك التي شرعها لخلقه، وهو: الإسلام ﴿ بِٱلْحِكْمَةِ ﴾ يقول : بوحي الله الذي يوحيه إليك، وكتابه الذي يُنزِّلهُ عليك ﴿ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ يقول : وبالعبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه ، وذكرَّهم بها في تنزيله ، كالتي عدّد عليهم في هذه السورة من حججه، وذكرَّهم فيها ما ذكرَّهم من آلائه،﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ يقول : وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غير أن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى ، ولا تعصه في القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل » [(١)] .

وقال القرطبي : « هي محكمةٌ في جهة العصاة من الموحدين ، ومنسوخةٌ بالقتال في حقّ الكافرين وقد قيل: إنّ من أمكنت معه هذه الأحوال من الكفار ورُجي إيمانه بها دون قتال فهي فيه محكمةٌ والله أعلم » [(٢)] .

وعند قوله –تعالى– : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

وجدت لابن كثير هذه الإضافة المهمة : « يقول تعالى: ولتكن منكم أمةٌ منتصبةٌ للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون » [(٣)] .

والمقصود من هذه الآية : أنْ تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن ، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه كما ثبت عن أبي سعيد

(١) انظر : « تفسير الطبري » (ج١٤/ ص ١٩٤) .
(٢) انظر : « تفسير القرطبي » (ج١٠/ ص ٢٠٠) .
(٣) انظر : « تفسير ابن كثير » (ج١/ ص ٣٩١) .

ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »[1] ، وفي رواية « وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » .

وروى الإمام أحمد : عن حذيفة بن اليمان ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم »[2] .

وروى الترمذي[3] من حديث عمرو بن أبي عمرو به ، وقال الترمذي : حسن ، والأحاديث في هذا الباب كثيرةٌ مع الآيات الكريمة .

قلت : فالإيمان بوجوب الدعوة ولزومها كفيل بدفع الداعية إلى التفاني في محاولة إنجاح دعوته، وبذل الغالي والرخيص في سبيل تحقيق برنامجه وطموحه الدعوي .

وما النجاحات التي حققها الأنبياء والرسل وورثتهم من الدعاة والمصلحين ، إلا ثمرة لإيمانهم العميق ، ويقينهم الصادق بوجوب الدعوة وحتميتها.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان ، حديث رقم (٧٠) (١/ ١٦٧) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ، حديث حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ ، حديث رقم (٥٣٨٨) (٤٧/ ٢٨١) .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الفتن ، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حديث رقم (٢١٦٩) (٨/ ٧٥) .

القاعدة الثانية : لا بد من استصحاب الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن عند الدعوة إلى الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ ﴾ [النحل : من الآية ١٢٥] .

قال ابن جرير : الحكمة : ما أنزل الله على نبيه من الكتاب والسنة .

قلت : ويمكن أن يقال : الحكمة : وضع الشيء في موضعه الملائم ، فالحزم في موضعه واللين في موضعه .

تأمل موقف نبينا ﷺ من حِبِّه أسامة بن زيد رضي الله عنه حين شفع في المخزومية التي سرقت ، وكيف أغلظ له القول ، وخطب خطبته المدوية ، كما في حديث عائشة « أنَّ قريشاً أهمّهم شأن المرأة المخزومية[1] التي سرقت ، فقالوا : ومن يكلمُ فيها رسول الله ﷺ ؟ فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامةُ بن زيد حِبُّ رسول الله ﷺ فكلّمه أسامة ! فقال : رسول الله ﷺ أتشفع في حد من حدود الله ؟! ثم قام فاختطب ؛ ثم قال : إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ ! وأيم الله ، لو أنَّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها »[2] .

وتأمل موقفه من أسامه رضي الله عنه أيضاً حين قتل المشرك بعد أن تلفظ بالشهادة ، وهذا سياق الحديث بتمامه: عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال : « بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فصبحنا الحُرُقَات من جُهَيْنَة ؛ فأدركتُ رجلاً فقال : لا إله إلا الله ، فطعنته ؛ فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ : أقال لا إله إلا الله وقتلته ؟! قال : قلت : يا رسول الله ، إنما قالها خوفاً من السلاح ! قال : أفلا

---

(١) المخزومية : هي فاطمة بنت الأسود ، بنت أخي أبي سلمة الصحابي الذي كان زوج أم سلمة قبل زواجها بالنبي عليه السلام ، ينظر: فتح الباريء لابن حجر ١٢/ ٩١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الحدود ، باب كراهية الشفاعة في الحدِّ إذا رُفِعَ إلى السُّلطان ، حديث رقم (٦٢٩٠) (٢١/ ٤٩) .

ومسلم في صحيحه ، كتاب الحدود ، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود ، حديث رقم (٣١٩٦) (٩/ ٥٤) .

شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا ؟! فما زال يكررها علي حتى تمنيت أنيِّ أسلمت يومئذ ! قال : فقال سعد : وأنا والله لا أقتلُ مسلماً حتى يقتله ذو البطين - يعني أسامة - قال : قال رجل : ألم يقل الله : ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ ﴾ فقال سعد : قد قاتلنا حتى لا تكون فتنة ، وأنت وأصحابك تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة »[١] .

وأما اللين وسعة الصدر فأمثلته تفوق الحصر :

ففي صحيح مسلم ، عن إسحاق بن أبي طلحة حدثني أنس بن مالك ﷺ - وهو عم إسحاق - قال : « بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي ، فقام يبول في المسجد! فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مه مه قال : قال رسول الله ﷺ : لا تزرموه[٢] ، دعوه . فتركوه حتى بال ثم إنَّ رسول الله ﷺ دعاه فقال له : إنَّ هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر ، إنما هي لذكر الله - عز وجل - والصلاة ، وقراءة القرآن، أو كما قال رسول الله ﷺ قال : فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنَّه عليه »[٣] .

أما الموعظة الحسنة : فقد قال ابنُ كثير في بيانها : أي بما في آي القرآن من الزواجر والوقائع بالناس ، ذكِّرهم بها ليحذروا بأس الله[٤] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله ، حديث رقم (١٤٠) (١/ ٢٥٨) .

(٢) أي لا تقطعوا عليه بوله. يقال : زَرِمَ الدمع والبول إذا انقطعا ، وأزرَمته أنا . ينظر : « النهاية لابن الأثير » (٢/ ٣٠١) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الطهارة ، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد وأن الأرض تطهُرُ بالماء من غير حاجةٍ إلى حفرها ، حديث رقم (٤٢٩) (٢/ ١٣٣) .

(٤) انظر : « تفسير ابن كثير » (٤/ ٥٢٣) .

قلت : إذاً على الداعية أن يكثر من مطالعة القرآن، والسيرة النبوية كذلك ليتعرف على ما في القرآن – خاصّة – من الزواجر؛ كزجره عن الشرك و البدعة و الفاحشة والربا والزنا والظلم والبغي والعقوق.. الخ .

ليكون كلامه وطرحه مؤيداً بالأدلة الشافية الكافية.

وأما المجادلة بالحسنى :فقد قال ابن كثير : « أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال ؛ فليكن بالوجه الحسن برفق ولين،وحسن خطاب كما قال : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ ﴾ [العنكبوت : ٤٦] [(١)] .

قلت : وهكذا الداعية يجدر به أن يجادل بالحسنى واللين والرفق من غلب على ظنه بحثه عن الحق من المخالفين الراغبين في فهم الحجة للاقتناع بها.

أما من كان منهم ذا اعتداد برأيه وأنفة عن قبول الرأي الآخر فلا داعي لإضاعة الوقت في جدال عقيم بلا جدوى .

قد يصادف الداعية امرأة سافرة — تديناً – بمعنى أنها تعتقد أنَّ كشف الوجه جائزٌ شرعاً ، إمّا لما درجت عليه في مجتمعها ، أو بسبب مذهب مرجوح أو غير ذلك ، لكنها لا تمانع من الحوار الهادف ، ولديها الاستعداد لسماع الرأي المخالف بدليله ، فمثل هذه لا بأس أن يناصحها الداعية ولو طال الزمن ، فيسمع منها وتسمع منه مادام بالإمكان هدايتها أو على الأقل إبلاغها الحق في المسألة.

(١) المرجع السابق (٤/ ٥٢٣)

القاعدة الثالثة : العلم قبل العمل.

قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد :١٩] .

فقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالتعلم ثم أمره بالعمل ، وهو: الاستغفار لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات .

قال الطبري : « يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : فاعلم يا محمد أنَّه لا معبود تنبغي أو تصلح له الألوهة ، ويجوز لك وللخلق عبادته ، إلا الله الذي هو خالق الخلق ومالك كلِّ شيء، يدينُ له بالربوبية كلُّ ما دونه ، ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ وسل ربك غفران سالف ذنوبك وحادثها ، وذنوب أهل الإيمان بك من الرجال والنساء » [(١)] .

قلت : وعليه بوّب البخاري في الصحيح فقال : « بابٌ : العلمُ قبل العمل » .

لذا على الداعية أن يتعلم قبل أن يدعو لتكون دعوته عن علم ؛ لكن لا ينبغي له التسويف ، ويظن أنَّه لا دعوة إلا بعد بلوغ سن معينة ، أو حفظ قدر معين من القرآن أو السنة ، أو قراءة كتاب كذا وكذا ... فالواجب أن يدعو في حدود ما لديه من العلم ، كما أخبر الله تعالى عن الجن في قوله : ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ [الأحقاف : ٢٩] .

فتأمل كيف طلب هؤلاء الجن العلم، وأنصتوا للقرآن الكريم خاشعين : ﴿ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ [الأحقاف : ٢٩] .

أي بادروا إلى دعوة قومهم فور انقضاء القراءة ، واكتسابهم شيئاً من العلم .

وفي البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال : « بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كَذَبَ عليَّ مُتعمداً فليتبوأ مقعده من النار » [(٢)] .

---

(١) انظر : « تفسير الطبري » (ج٢٦/ ص٥٣) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب أحاديثِ الأنبياءِ ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، حديث رقم (٣٢٧٤) (١١/ ٢٧٧) .

قال المباركفوري : « أي ولو كان المبلَّغ آية . قال في اللمعات : الظاهر أن المراد آية القرآن ، أي ولو كانت آية قصيرة من القرآن ، والقرآن مبلغ عن رسول الله ﷺ لأنَّه الجائي به من عند الله ، ويفهم منه تبليغ الحديث بالطريق الأولى ؛ فإنَّ القرآن مع انتشاره وكثرة حملته وتكفل الله –سبحانه– بحفظه لمَّا أُمرنا بتبليغه ؛ فالحديث أولى » (١) .

وفي حديث وفد « عبد القيس » الثابت في الصحيحين أمرهم ﷺ بحفظ ما أتحفهم به من العلم، وإبلاغه قومهم .

ففي البخاري ومسلم، من حديث أبي جمرة (٢) ، قال : «كنت أترجم بين ابن عباس وبين الناس فقال : إنَّ وفد عبد القيس أتوا النبي ﷺ فقال : من الوفدُ أو من القوم ؟ قالوا : ربيعة فقال : مرحبا بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى . قالوا : إنَّا نأتيك من شقة بعيدة، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مُضَر ، ولا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر حرام ، فمرنا بأمر نخبر به من وراءنا ندخل به الجنة . فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع : أمرهم بالإيمان بالله عز وجل وحده ، قال : هل تدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وتعطوا الخمس من المغنم . ونهاهم عن : الدُبَّاء ، والحَنْتَم (٣) ، والمُزَّفت ، قال شعبة : ربما قال : النَّقير . وربما قال : المُقِير (٤) قال : احفظوه وأخبروه من وراءكم » (٥) .

---

(١) انظر : « تحفة الأحوذي » للمباركفوري (ج٧/ ص٣٦٠) .

(٢) أبوجمرة : هونصر بن عمران الضبعي،نزيل خراسان، مشهور بكنيته، ثقة ثبت، من الثالثة، مات سنة (١٢٨) . ينظر : « التقريب لابن حجر » (ص : ٥٦١) .

(٣) الحَنْتَم :جرار مدهونة كانت تُحمل الخمر فيها إلى المدينة ، نُهي عن الانتباذ فيها لسرعة الشدة فيها . ينظر : « النهاية لابن الأثير » (١ / ٤٤٨) .

(٤) النقير : أصل النخلة يُنقر وسطه ثم ينبذ فيه التمر ، ويُلقى عليه الماء ليصير نبيذا مسكراً ينظر : « النهاية لابن الأثير » (٥/ ١٠٥) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب العلم ، باب تحريض النبي ﷺ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ عَلَى أَنْ يَحْفَظُوا الْإِيمَانَ وَالْعِلْمَ وَيُخْبِرُوا مَنْ وَرَاءَهُمْ وَقَالَ مَالِكُ بْنُ الْحُوَيْرِثِ قَالَ لَنَا النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَعَلِّمُوهُمْ ، حديث رقم (٨٥) (١/ ١٥٤) . =

القاعدة الرابعة : الازدياد من العلم ما أمكن .

قال تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٤] .

فالداعية الجاد لا يزال حريصاً كل الحرص على الحفظ والفهم ، وكثرة المطالعة والقراءة والبحث .

ولا بد أن يثري ثقافته بمتابعة أحداث الساعة ومستجدات العصر ، وتأصيلها من الناحية الشرعية ، ومن ثم الانطلاق في دعوته على أسس راسخة متينة من العلم والثقافة والنظرة الشرعية الصحيحة .

قال الطبري : « قوله : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ ، يقول تعالى ذكره : وقل يا محمد رب زدني علما إلى ما علمتني ، أمره بمسألته من فوائد العلم ما لا يعلم » (١) .

وقال ابن كثير : « قال ابن عيينة – رحمه الله – ولم يزل ﷺ في زيادة حتى توفاه الله ﷻ ، ولهذا جاء في الحديث إنَّ الله تابع الوحي على رسوله حتى كان الوحي أكثر ما كان يوم توفي رسول الله ﷺ » (٢) .

= ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، بَاب الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ وَشَرَائِعِ الدِّينِ وَالدُّعَاءِ إِلَيْهِ وَالسُّؤَالِ عَنْهُ وَحِفْظِهِ وَتَبْلِيغِهِ مَنْ لَمْ يَبْلُغْهُ ، حديث رقم (٢٤) (١/ ١٠٧) .

(١) انظر : « تفسير الطبري » (ج١٦/ ص٢٢٠) .

(٢) انظر : « تفسير ابن كثير » (ج٣/ ص١٦٨) .

القاعدة الخامسة : إعلان الداعية عن حقيقة رسالته التي يدعو إليها .

﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الحجر :٩٤] .

وأعني بذلك أن يُصرِّح الداعيةُ بما يعتقده ويؤمن به، فيبيِّن للناس أنَّه داعية إلى الإسلام بأصوله وفروعه، وشموله وكماله، وأدبياته وأخلاقياته .

لابدّ من وضوح الدعوة والجهر بها ، والاعتزاز بقيمها فالخائف أو المتوجس ، لا يصلح أن يتصدى للدعوة ، كما أنَّ الدعوة لا تَشرفُ بانتسابه لها قال تعالى : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

فقد أمر الله – تعالى– نبيه الكريم بالإعلان عن دعوته جهاراً ، وبيان حقيقتها للثقلين دون مواربة أو مناورة .

القاعدة السادسة : قوة الحجة ، وسلامة الفكرة ، وصلابة البرهان .

﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام : ١٤٩] .

وقال أيضاً: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ [الأنعام : ٨٣] .

وفي قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ الوارد في القاعدة السابقة ، إيضاح وتوكيد لهذه القاعدة .

قال الشنقيطي : « فدلّ على أنَّ الداعي إلى الله لا بدّ أن يكون على بصيرة ، وهي: الدليل الواضح الذي لا لبس في الحق معه ، وينبغي أن تكون دعوته إلى الله بالحكمة ، وحسن الأسلوب ، واللطافة مع إيضاح الحق » (١) .

وقال ابن كثير : « يدعو إلى ما دعا رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي » (٢) .

حين يأمر الداعيةُ أخواته المسلمات بالحجاب الشرعي فلا بدَّ أن يكون مسلحاً بأدلةٍ واضحة، وحججٍ راسخة، وبراهينَ ساطعةٍ، ويتوقع مواجهته ببعض الشبه فيستعد لها ويفندها واحدة بعد الأخرى حين يكون ملئ اليد بكلِّ برهان متين ، وقول سديد .

(١) انظر : « أضواء البيان » (ج١/ ص٤٦٣) .

(٢) انظر : « تفسير ابن كثير » (٢/ ٤٩٧) .

القاعدة السابعة : توقع العداوة من الآخرين .

إن انتصاب الحاقدين والشانئين لمقاومة الدعوة وتعطيلها بكل حيلة ، وتعويقها بكل وسيلة أمر متوقع لا محالة.

قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ [الأنعام : ١١٢] .

وقال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ [الذاريات : ٥٢] .

عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : « أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي: الرؤيا الصالحة في النوم ؛ فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد الليالي ذوات العدد - قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال : اقرأ. قال : ما أنا بقارئ . قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجَهْد ثم أرسلني ؛ فقال : اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ . فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني ؛ فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ . فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني ؛ فقال : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ﴾ ، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - فقال : زَمِّلوني زَمِّلوني؛ فزَمَّلوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي . فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا! إنك لتصل الرحم، وتَحمل الكَلَّ ، وتَكْسِبُ المعدوم، وتُقْرِي الضيف، وتُعين على نوائبِ الحقِّ، فانطلقت به خديجة حتى أتت به وَرَقَةَ بن نَوْفَل بن أسد بن عبد العُزى - ابن عم خديجة وكان امرأً تنَصَّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العِبْرَاني؛ فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي- فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة:

يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى . فقال له ورقة : هذا النَّامُوْسُ الذي نزل الله على موسى ﷺ يا ليتني فيها جَذَع، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك! فقال رسول الله ﷺ : أو مخرجيَّ هم ؟ قال : نعم ، لم يأت رجلٌ قط بمثل ما جئتَ به إلا عُودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ! ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي » [1] .

فطريق الدعوة إذاً ليس مفروشا بالورود والرياحين دائما.

بل هناك العقبات الكؤود ، والمثبطات والمعوقات ، والتحديات والمواجهات ، وهاهو ورقة بن نوفل يخبر رسولنا ﷺ بأنَّه ما جاء أحدٌ بمثل ما جاء به من العلم والحقِّ والهُدى إلا عُودي ! فلا بدَّ من توطين النفس على المواجهة والمكابدة، مع الوثوق التام بنصر الله، وتوفيقه القريب .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الوحي ، باب بدء الوحي ، حديث رقم (٣) (١ / ٥) .
ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ، حديث رقم (٢٣١) (١ / ٣٨١) .

القاعدة الثامنة : الصبرُ على أعباءِ الدعوة، ومشآق الطريق !

إن الصبر سلاح ماضٍ وقوي، لا غنى للداعية عنه ، وهو يخوض غمار الدعوة إلى الله !

والداعية الصادق لا يضع سلاحه ولا تتوقف دعوته حتى يُوَسَّد الثرى ، ويُحال بينه وبين البلاغ بانقضاء الأجل ؛ ففي وصية لقمان لابنه : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [لقمان : ١٧] .

وفي سورة إبراهيم الخليل -عليه السلام- أقسم الرسل لأقوامهم بأن يصبروا على أذاهم ، وأن يمضوا قدماً في طريقهم ! ﴿ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ ﴾ [إبراهيم : ١٢] .

وفي سيرة نبينا ﷺ مئات الشواهد على صبره وثباته؛ فلقد تعرض ﷺ لألوان من الأذى النفسي والبدني ، من سب وشتم وتحقير وتسفيه، بل وضرب وجرح ، ومحاولات عدة لتصفيته جسدياً، فصبر وصابر - بأبي هو وأمي- ﷺ حتى تحققت آماله الشريفة .

وحسب القارئ الكريم هذه الأمثلة المختصرة ؛ فالمقام ليس مقام بسط وتتبع ..

عن عروة ، أنَّ أسامة بن زيد رضي الله عنه أخبره أنَّ النبي ﷺ « ركب حماراً عليه إكاف [(١)] تحته قطيفة فدكية ، وأردف وراءه أسامة ، وهو يعود سعد بن عبادة رضي الله عنه في بني الحارث بن الخزرج - وذاك قبل وقعة بدر- حتى مرَّ بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين، عبدة الأوثان واليهود، فيهم عبد الله بن أبي، وفي المجلس عبد الله بن رواحة رضي الله عنه فلما غشيت المجلس عجاجةُ الدابَّة خمّر عبدُ الله

---

(١) إكاف الحمار ككتاب وغراب ووكافه برذعته والأكاف صانعه وآكف الحمار إيكافا وأكفه تأكيفا شده عليه وأكف الأكاف تأكيفا اتخذه (القاموس المحيط ج١/ ص : ١٠٢٤) .

بن أبي أنفه بردائه ثم قال : لا تُغبروا علينا؛ فسلّم عليهم النبي ﷺ ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله ، وقرأ عليهم القرآن. فقال عبد الله بن أبيّ : أيها المرءُ لا أحسن من هذا! إن كان ما تقولُ حقاً فلا تؤذنا في مجالسنا، وارجع إلى رحلك فمن جاءك منا فاقصص عليه ! فقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه : اغشنا في مجالسنا فإنا نحب ذلك! قال: فاستبَّ المسلمون والمشركون واليهود ، حتى همُّوا أن يتواثبوا! فلم يزل النبي ﷺ يُخفِّضهم ، ثم ركب دابَّته حتى دخل على سعد بن عبادة رضي الله عنه فقال: أي سعد ،ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب – يريد عبد الله بن أبيّ– قال : كذا وكذا ! قال : اعف عنه يا رسول الله واصفح ، فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك ولقد اصطلح أهل هذه البُحَيْرة [1] أن يتوجوه فيعصبوه بالعصابة ، فلمّا ردّ الله ذلك بالحق الذي أعطاكه شرق بذلك؛ فذلك فعل به ما رأيت! فعفا عنه النبي ﷺ » [2] .

وفي البخاري ومسلم واللفظ لمسلم « عن عروة بن الزبير، أنَّ عائشة زوج النبي ﷺ حدثته أنها قالت لرسول الله ﷺ : يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشدّ من يوم أحد ؟ ، فقال : لقد لقيت من قومك ! وكان أشدَّ ما لقيت منهم يومُ العقبة، إذ عرضت نفسي على عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت! فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب [3] ، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني؛ فقال : إنَّ الله

---

(١) البُحيرة بالتصغير وهذا اللفظ يطلق على القرية وعلى البلد والمراد به هنا المدينة النبوية . ينظر: (فتح الباري ج٨/ ص٢٣٢) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاستئذان ، باب التسليم في مجلسٍ فيه أخلاطٌ من المسلمين والمشركين ، حديث رقم (٢٨٠) (١٩/ ٢٨٠) .

ومسلم في صحيحه ، كتاب الجهَادِ والسِّيَرِ ، باب دعاء النبي ﷺ إلى الله وصبره على أذى المنافقين ، حديث رقم (٣٣٥٦) (٩/ ٢٨٣) .

(٣) قرن الثعالب : نقل ياقوت الحموي عن القاضي عياض، هو قرن المنازل بسكون الراء، ميقات أهل نجد . ينظر : معجم البلدان (٤/ ٣٧٩) .

– عز وجل – قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. قال: فناداني مَلَك الجبال وسلم علي ثم قال: يا محمد ، إنَّ الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت ؟

إن شئت أن أطبق عليهم الأخْشَبَيْن ! [(١)]، فقال له رسول الله ﷺ : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا » [(٢)] .

---

(١) الأخشبان: الجبلان المطيفان بمكة وهما: أبو قبيس والأحمر هو جبل مشرف يوجهه على قعيعان. والأخشب كل جبل خشن غليظ الحجارة . ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ج٢/ ص٣٢) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب بدءِ الخَلْقِ ، باب ذكر الملائكة ، حديث رقم (٢٩٩٢) (١١/ ٨) .

ومسلم في صحيحه ، كتاب الجهَادِ والسِّيَرِ ، باب ما لقي النبيُّ ﷺ من أذى المُشركينَ والمُنافقينَ ، حديث رقم (٣٣٥٢) (٩/ ٢٧٨) .

القاعدة التاسعة : التوكل على الله سبحانه .

وفي حوار الرسل لأقوامهم : ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [إبراهيم : ١٢] .

قال ابن سعدي : « ما لنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا أي: أي شيء يمنعنا من التوكل على الله، والحال أننا على الحق والهدى، ومن كان على الحق والهدى فإنَّ هداه يوجب له تمام التوكل ؟ وكذلك ما يعلم من أنَّ الله متكفلٌ بمعونة المهتدي وكفايته يدعو إلى ذلك، بخلاف من لم يكن على الحق والهدى؛ فإنّه ليس ضامناً على الله، فإنّ حاله مناقضةٌ لحال المتوكل، وفي هذا كالإشارة من الرسل – عليهم الصلاة والسلام– لقومهم بآية عظيمة، وهو: أنّ قومهم في الغالب أنّ لهم القهر والغلبة عليهم، فتحدتهم رسلهم بأنهم متوكلون على الله في دفع كيدهم ومكرهم ، وجازمون بكفايته إياهم، وقد كفاهم الله شرهم مع حرصهم على إتلافهم وإطفاء ما معهم من الحق فيكون هذا كقول نوح لقومه : ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [يونس : ٧١] ، وقول هود عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللّهَ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ❁مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ﴾ » [هود :٥٤–٥٥] [(١)] .

إذاً فالتوكل على الله قاعدة أساسية لا غنى للدعاة عنها ، ذلك أن تخذيل النفس ، ووسوسة الشيطان وكثرة العدو ، عوائق فاعلة أمام دعاة الحق ، فلا بد من استصحاب صدق العزيمة ، وحُسن التوكل، لتذليل كل هاتيك العقبات واستصغار كل بغي وعدوان .

---

(١) انظر : « تفسير السعدي » (ج١/ ص٢٢٣) .

وإن ركون الداعية إلى قوة الله القاهرة ، وإرادته النافذة ، ونصرته الدائمة كفيل بضمان تحقق ثقة الداعية بنفسه ، وثقته بقرب تحقق موعود الله بالنصر والتمكين.

وقال الشنقيطي في أضواء البيان : « قوله تعالى: ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [التوبة : ١٢٩] ، أمر تعالى في هذه الآية الكريمة نبيه ﷺ بالتوكل عليه – جلَّ وعلا – ولا شك أنه ممتثل ذلك ، فهو سيد المتوكلين –عليه صلوات الله وسلامه – والتوكل على الله تعالى هو شأن إخوانه من المرسلين – صلوات الله عليهم وسلامه – ومن أوضح الأدلة على عظم توكل نبينا ﷺ على الله قوله يوم «حُنين» وهو على بغلة في ذلك الموقف العظيم :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب » [(١)] .

(١) انظر : « أضواء البيان » (ج٢/ ص١٤٩) .

القاعدة العاشرة : الاعتقاد الجازم بأن الهداية بمعناها الخاص بيد الله وحده .

قال تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة : ٢٧٢] .

وقال: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [القصص : ٥٦] .

وهذه الهداية التي استأثر الله بها هي : هداية التوفيق والإلهام، وهي هداية منفية عمّا سوى الله – تعالى – فلا تعارض الهداية المثبتة المتاحة لكل أحد من الناس والمشار إليها بقوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى : ٥٢] .

إذ المقصود بهذه الأخيرة هداية الدلالة والإرشاد .

فالداعية يهدي الناس بمعنى يدلهم ويرشدهم إلى الحق وإلى طريق مستقيم، وأما استجابة الناس فذلك مما اختص الله به وحده .

قال ابن سعدي : « ليس عليك من هدايتهم وتوفيقهم شيء بل أنت مطالب بالوعظ والتذكير والإنذار والتحذير، فإذا أديت ما عليك فحسابهم على الله ، فإنهم يرون الإحسان ويعرفون نعمة الله ولكنهم ينكرونها ويجحدونها » [1] .

---

(١) انظر : « تفسير السعدي » (ج١/ ص٤٤٦) .

القاعدة الحادية عشرة : عدم استعجال النتائج .

إنَّ الداعية غير مطالب بتحقيق النتائج الإيجابية فضلا عن استعجالها !

قال الله : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة : ٢١٤] .

لقد أخرج رسول الله ﷺ من مكة ؛ فلم يعد إليها إلا في السنة الثامنة من الهجرة الشريفة ، وفيها تحقق الفتح المبين والأمل الكبير ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

قال ابن كثير : « قد نسخ الله شريعة جميع الرسل بما بعث الله به محمداً ﷺ من الدين الحق الذي لا يغير ولا يبدل إلى قيام الساعة ، ولا يزال قائماً منصوراً ظاهراً على كل دين ؛ فلهذا فتح الله لأصحابه مشارق الأرض ومغاربها ، واجتازوا جميع الممالك ، ودانت لهم جميع الدول ، وكسروا كسرى ، وقصروا قيصر ، وسلبوهما كنوزهما وأنفقت في سبيل الله ، كما أخبرهم بذلك نبيهم عن ربهم -عز وجل- في قوله :﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور : ٥٥] »[(١)] .

وقال أيضاً : « وعد من الله تعالى لرسوله ﷺ بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، أي أئمة الناس والولاة عليهم ، وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد، وليبدلنهم من بعد خوفهم من الناس أمنا وحكما فيهم، وقد فعله -تبارك وتعالى- وله الحمد والمنة، فإنه ﷺ لم يمت حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها، وأخذ الجزية من مجوس هجر، ومن بعض أطراف الشام، وهادنه هرقل ملك الروم ، وصاحب مصر واسكندرية – وهو المقوقس– وملوك عمان، والنجاشي – ملك الحبشة – الذي

---

(١) انظر : « تفسير ابن كثير » (ج١/ ص٣٦٨) .

تملك بعد أصحمة -رحمه الله وأكرمه- ثم لمّا مات رسول الله ﷺ واختار الله له ما عنده من الكرامة قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصديق ﷺ فلمّ شعث ما وهى بعد موته ﷺ وأطد جزيرة العرب ومهّدها، وبعث جيوش الإسلام إلى بلاد فارس، صُحبة خالد بن الوليد ﷺ ففتحوا طرفا منها، وقتلوا خلقا من أهلها، وجيشاً آخر صُحبة أبي عبيدة ﷺ ومن اتبعه من الأمراء إلى أرض الشام، وثالثاً صُحبة عمرو بن العاص ﷺ إلى بلاد مصر، ففتح الله للجيش الشامي في أيامه بُصرى ودمشق ومخاليفهما من بلاد حوران وما والاها، وتوفاه الله عز وجل واختار له ما عنده من الكرامة ،ومنّ على أهل الإسلام بأن ألهم الصديق أن يستخلف عمر الفاروق ﷺ فقام بالأمر بعده قياما تاما لم يدر الفلك بعد الأنبياء على مثله في قوة سيرته وكمال عدله، وتمّ في أيامه فتح البلاد الشامية بكمالها، وديار مصر إلى آخرها ، وأكثر إقليم فارس، وكسر كسرى وأهانه غاية الهوان ، وتقهقر إلى أقصى مملكته ، وقصر قيصر ، وانتزع يده عن بلاد الشام ، وانحدر إلى القسطنطينية وأنفق أموالهما في سبيل الله كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله عليه من ربه أتم سلام وأزكى صلاة ، ثم لمّا كانت الدولة العثمانية [1] ، امتدت الممالك الإسلامية إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها، ففتحت بلاد المغرب إلى أقصى ما هنالك؛ الأندلس وقبرص وبلاد القيروان وبلاد سبتة ممّا يلي البحر المحيط ، ومن ناحية المشرق إلى أقصى بلاد الصين، وقتل كسرى، وباد ملكه بالكلية ، وفتحت مدائن العراق وخراسان والأهواز، وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جداً وخذل الله ملكهم الأعظم (خاقان) وجبي الخراج من المشارق والمغارب إلى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه الأمة على حفظ القرآن ، ولهذا ثبت في الصحيح [2] عن ثوبان

(١) الدولة العثمانية: نسبة إلى الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كِتَاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ ، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، حديث رقم (٥١٤٤) (١٤/ ٦٨) .

قال: قال: رسول الله ﷺ إنَّ الله زوى لي الأرض ، فرأيتُ مشارقها ومغاربها، وإنّ أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها ، وأُعطيت الكنزين : الأحمر والأبيض .. الحديث » [(١)] .

وفي صحيح البخاري عن عدي بن حاتم ﷺ قال : « بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجلٌ فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا قطع السبيل ، فقال : يا عدي هل رأيت الحِيْرَة ؟ قلت : لم أرها، وقد أنبئت عنها . قال : فإن طالت بك حياة لترين الظَّعِيْنَة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله ! قلت : فيما بيني وبين نفسي فأين دِعار طيئ الذين قد سعروا البلاد ؟!

ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى! قلت : كسرى بن هُرْمُز ؟! قال : كسرى بن هرمز ! ، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يُخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه!، وليلقين الله أحدُكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له ، فيقول : ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك ؟ فيقول : بلى. فيقول : ألم أعطك مالاً وولداً وأُفضل عليك ؟ فيقول : بلى. فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنّم ، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنّم! قال عدي: سمعت النبي ﷺ يقول: اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد شق تمرة، فبكلمة طيبة. قال عدي : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله ! وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم ﷺ يُخرج ملء كفه » [(٢)].

---

(١) انظر : « تفسير ابن كثير » (ج٣/ ص٣٠١) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المَنَاقِبِ ، باب علامات النبوة في الإسلام ، حديث رقم (٣٣٢٨) (١١/ ٤٢٩) .

القاعدة الثانية عشرة: مهمة الداعية البلاغ .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [العنكبوت : ١٨] .

وقال الله ﷻ : ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ [الشورى : ٤٨] .

فهذه حقيقة وظيفة الداعية، ومهمته الأساس؛ أن يبلغ رسالة ربه نقية كما جاء بها نبيه عليه الصلاة والسلام من عند ربه بلا زيادة أو نقصان أو تحريف أو تبديل، فيصدع بالحق لا يخاف في الله لومة لائم كما قال سبحانه : ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللهَ ﴾ [الأحزاب : ٣٩] .

ويستحضر كذلك ما سبق الإشارة إليه في القواعد السابقة من أن هداية الناس واستجابتهم ليس موكولا إليه .

قال الطبري : « ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ يقول : وغير واجب على من أرسله الله إلى قوم برسالة إلاّ أن يبلغهم رسالته بلاغاً يُبين لهم ذلك البلاغ عمّا أراد الله به ، يقول : فليس على محمد أيها الناس إلاّ أداء رسالة الله إليكم ، وعليكم الطاعة ، وإن أطعتموه لحظوظ أنفسكم تصيبون ، وإن عصيتموه بأنفسكم فتوبقون » [(١)] .

وفي صحيح البخاري باب قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة : ٦٧] [(٢)] .

وقال الشنقيطي في أضواء البيان : « إنما عليك البلاغ والإنذار أما هداهم وتوفيقهم فهو بيد الله تعالى كما أن حسابهم عليه جل وعلا » [(٣)] .

---

(١) انظر : « تفسير الطبري » (ج١٨/ ص١٥٨) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب تفسير القرآن ، باب قوله تعالى : { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك } ، (١٤/ ١٣٢) .

(٣) انظر : « أضواء البيان » (ج٢/ ص٢٢٣) .

القاعدة الثالثة عشرة: الجمع بين البشارة والنذارة باعتدال :

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ [الأحزاب ٤٥] ، فالداعيةُ الموفق هو من يجمع بين البشارة والنذارة باعتدال دون أن يطغى جانب على آخر إلا بما اقتضته أحوال وظروف معينة؛ فإنه حين يحضر رجلاً في حالة احتضار مثلاً ؛ فإنّ تغليب جانب الرجاء في محادثته وملاطفته أولى وأحرى ؛ لقرب قدومه على ربه ، وخشية من انفعاله وتسخطه و تلفظه بألفاظ توبق آخرته ودنياه !!

ففي صحيح مسلم عن ابن شماسة المهري [1] ، قال : « حضرنا عمرو بن العاص – وهو في سياقة الموت – فبكى طويلا وحول وجهه إلى الجدار ، فجعل ابنه يقول : يا أبتاه أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا ؟ أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا ؟ قال : فأقبل بوجهه فقال : إنّ أفضل ما نُعد شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله إنّي قد كنت على أطباق ثلاث لقد رأيتني وما أحد أشدّ بغضاً لرسول الله ﷺ منّي ولا أحبّ إليّ أنْ أكون قد استمكنتُ منه فقتلته، فلو مت على تلك الحال ؛ لكنت من أهل النار! فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك . فبسط يمينه . قال : فقبضت يدي . قال : مالك يا عمرو ؟ قال: قلت: أردت أن أشترط . قال : تشترط بماذا ؟ قلت : أن يغفر لي . قال : أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وأنّ الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأنّ الحج يهدم ما كان قبله ؟ وما كان أحدٌ أحبّ إلي من رسول الله ﷺ ولا أجلّ في عيني منه، وما كنتُ أطيق أن أملأ عينيّ منه إجلالاً له ! ولو سُئلتُ أن أصفه ما أطقت ؛ لأني لم أكن أملأ عينيّ منه ! ولو متُّ على تلك الحال ؛ لرجوت أن أكون من أهل الجنة ! ثم ولينا أشياء ما أدري ما حالي فيها فإذا أنا متُّ فلا تصحبني

(١) هو عبد الرحمن بن شماسة المهري المصري ثقة من الثالثة مات سنة : (١٠١هـ) أو بعدها . ينظر « التقريب » (ص : ٣٤٢) .

نائحةٌ ولا نارٌ ؛ فإذا دفنتموني فشنوا علي التراب شناً ، ثم أقيموا حول قبري قدر ما تُنحر جزورٌ ويُقسمُ لحمها حتى أستأنس بكم ، وأنظرَ ماذا أراجعُ به رُسل ربي » [(١)] .

قلت : وأما حين يجد الداعية رجلاً أسرف على نفسه ، وعاقر المحرمات والمنكرات ، واستخف بجناب الله ؛ فإن تخويفه أولى مع إبقاء باب الرجاء مفتوحاً أمامه فالموازنة بين الخوف والرجاء، والترغيب والترهيب، قاعدة مهمة لنجاح الداعية وفعالية الدعوة .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة ، حديث رقم (١٧٣) (١/ ٣٠٤) .

القاعدة الرابعة عشرة: الوقوف عند حدود الشارع

قال الله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] .

قال الطبري : « وتأويل قوله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ ليس إليك يا محمد من أمر خلقي إلا أن تنفذ فيهم أمري وتنتهي فيهم إلى طاعتي ، وإنّما أمرهم إلي والقضاء فيهم بيدي دون غيري ، أقضي فيهم وأحكم بالذي أشاء من التوبة على من كفر بي وعصاني وخالف أمري ، أو العذاب إما في عاجل الدنيا بالقتل والنقم المُبيرة وإما في آجل الآخرة بما أعددت لأهل الكفر بي » [١] .

وقال القرطبي : « نبه الله تعالى على نبيه على أنّ الأمر ليس إليه، وأنه لا يعلم من الغيب شيئاً إلاّ ما أعلمه، وأنّ الأمر كلّه لله يتوب على من يشاء، ويعجل العقوبة لمن يشاء، والتقدير ليس لك من الأمر شيءٌ » [٢] .

فالداعيةُ لا ينبغي أن يقفُوَ ما ليس له به علم ، فلا يحكم لأحد بجنة ولا نار، إلاّ لمن حكم الله له بذلك أو أخبر عنه رسوله ﷺ كما لا يجوز له التبديع أو التفسيق أو التكفير إلا ببرهان وحجة من كتاب أو سنة ، فهذه الأسماء والأحكام لا ينبغي أن تكون ردود أفعال لدى الداعية، بل يجب أن تكون منطلقة من ضوابط شرعية فحسب .

---

(١) انظر : « تفسير الطبري » (ج٤/ ص٨٦) .

(٢) انظر : « تفسير القرطبي » (ج٤/ ص٢٠٠) .

القاعدة الخامسة عشرة: الثقة بحسن العاقبة

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود : ٤٩] .

قال ابن كثير : « فاصبر على تكذيب من كذبك من قومك وأذاهم لك ؛ فإنّا سننصرُك ونحوطُك بعنايتنا، ونجعلُ العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة ، كما فعلنا بالمرسلين حيث نصرناهم على أعدائهم » [(١)] .

فالداعيةُ المسلم ينبغي أن يكون مطمئناً إلى حتمية الفوز بحسن العاقبة، ومهما ظهر أمامه من المُعوقات والمُخذلات والتحديات فإنّها ستتلاشى وتذوب جميعاً، وتتحطمُ أمام قوة الإصرار وصلابة العزيمة .

قال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [الصف : ٨] .

وقال : ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١] .

(١) انظر : « تفسير ابن كثير » (ج٢/ ص٤٥٠) .

القاعدة السادسة عشرة: الثبات على المبدأ

قال الله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٤].

إن الداعية وهو يخوض غمار الدعوة عرضة للابتزاز والمساومة والتنازل عن المبدأ وتقريب (وجهات النظر) (واختزال ساحة الخلاف) (وحماية مكاسب الدعوة) و(تأليف القلوب) و (والاستفادة من النقاط الكثيرة المتفق عليها) .

قال الشنقيطي في الأضواء : « ومعنى الآية الكريمة أن الكفار كادوا يفتنونه أي قاربوا ذلك ومعنى (يفتنونك) يزلونك عن الذي أوحينا إليك (لتفتري علينا) غيره مما لم نوحه إليك ، قال بعض أهل العلم : قاربوا ذلك في ظنهم لا في نفس الأمر ! وقيل : معنى ذلك أنه خطر في قلبه ﷺ أن يوافقهم في بعض ما أحبوا ليجرهم إلى الإسلام لشدة حرصه على إسلامهم ، وبين في موضع آخر أنهم طلبوا منه الإتيان بغير ما أوحي إليه ، وأنّه امتنع أشد الامتناع وقال لهم : إنّه لا يمكنه أن يأتي بشيء من تلقاء نفسه بل يتبع ما أوحى إليه ربه ! » [1] .

---

(١) انظر : « تفسير أضواء البيان » (ج٣/ ص١٧٨) .

القاعدة السابعة عشرة: الصدع بالحق.

قال الله تعالى: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر : ٩٤] .

قال الشنقيطي في الأضواء : « أي فاجهر به وأظهره من قولهم : صدع بالحجة إذا تكلم بها جهارا كقولك صرح بها ، وهذه الآية الكريمة أمر الله فيها نبيه ﷺ بتبليغ ما أمر به علنا في غير خفاء ولا مواربة ، وأوضح هذا المعنى في مواضع كثيرة كقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة : ٦٧] » [(١)] .

وهكذا قال القرطبي في سياق بيانه مفهوم الصدع وحده : « أي بالذي تؤمر به أي بلغ رسالة الله جميع الخلق لتقوم الحجة عليهم فقد أمرك الله بذلك » [(٢)] .

قلت :

إن من متطلبات الدعوة ونجاحها ، ومن توفيق الداعية وفلاحه : وضوح الدعوة ، وشجاعة الداعية ، وصدعه بالحق ؛ فطريق الدعوة لا مجال فيه للمخالفين أو الأشحاء بدنياهم ومناصبهم ووظائفهم.

ذلك أنَّ شياطين الأنس قد يعترضون مسيرتهم ويكيدون لهم ؛ بل ذلك أمر لا مناص عنه ولا فكاك منه .

والدعاةُ كثيرا ما يصطدمون بما لدى الناس من الأهواء والشهوات والمحرمات ؛ فتنشأ العداوات والأحقاد والمكائد ؛ لكن ذلك لا يثني الداعية عن الصدع بالحق مهما كانت التحديات ، وليعلم بأن الله ناصره ومؤيده ، وأنَّ الآجال والأرزاق بيد الله سبحانه فلا مكان للخوف والجزع إذاً.

---

(١) المرجع السابق (ج٢/ ص٣١٩) .

(٢) انظر : « تفسير القرطبي » (ج١٠/ ص٦١) .

القاعدة الثامنة عشرة: الدعاء سلاح الداعية الفتاك

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر : ٦٠] .

وقـــال : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

فإذا كانت استجابة الله للدعاء متاحة للجميع، فهي للدعاة الباذلين أعمارهم ومهجهم في سبيل الله أولى وأحرى ، وإذا كان الله قريباً من عباده عامة يجيب دعوة الداعي إذا دعاه ؛ فإنه من الدعاة والمخلصين أشد قرباً .

إنَّ للدعاء أثراً عظيماً ، ونتائج باهرةً ، فلطالما حول الهزيمة نصراً ، والذلّ عزاً ، والفقر غنى ، والشتات اجتماعاً ، والمرض صحةً !

بالدعاء تحول ضعف المسلمين يوم بدر إلى قوة ! وبالدعاء تحولت هزيمتهم يوم حنين إلى نصر ! وبالدعاء تحول ذل المسلمين في مكة إلى عز بالمدينة !

وبالدعاء تحول فقر المسلمين إلى غنى يوم خيبر !

وبالدعاء تحول شتات المسلمين إلى اجتماع في عين جالوت !

وبالدعاء ذاق أيوب عليه السلام طعم العافية بعد صراع طويل مع الألم والمرض !

وبالدعاء هدى الله عمر الفاروق رضي الله عنه إلى الحق ، وأعز به الإسلام !

وبالدعاء أسلمت دوس عن بكرة أبيها !

وبالدعاء أقر الله عين أبي هريرة رضي الله عنه بإسلام أمه !

وبالدعاء كف الله يد الفاجر عن سارة زوج إبراهيم عليه السلام !

وبالدعاء تزلزل الجبل من تحت أقدام زبانية الملك ونجا الغلام !

وبالدعاء أغرق الله زبانية الملك ونجا الغلام كذلك !

وبالدعاء فرج الله ليونس عليه السلام وخرج من بطن الحوت !

وبالدعاء أغرق الله قوم نوح !

وبالدعاء أخذت قوم صالح الرجفة !

وبالدعاء دمرت عاداً الريح العقيم !!

وبالدعاء خُلعت قلوب قوم شعيب في أجوافهم ! وبالدعاء أمطر قوم لوط بحجارة من السماء !!

القاعدة التاسعة عشرة : الاستعانة بالصلاة

قال الله تعالى : ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴾ [البقرة : ٤٥] .

ذلك أن الصلاة بخشوعها وطمأنينتها وشفافيتها وكونها مناجاة وصلة مباشرة بين العبد وربه تغدق على الداعية زخماً هائلاً من الثقة والاطمئنان ، وظلالاً وارفةً من السكينة والثبات !

ولقد قام نبينا عليه السلام كما في الصحيح حتى تفطرت قدماه الشريفتان ؛ فكان قيامه الطويل سبباً في ثبات ورباطة جأشه، وقدرته الفائقة على الصمود واحتواء الأحداث مهما بلغت قسوتها وشدتها .

ففي صحيح البخاري ومسلم من حديث المغيرة رضي الله عنه يقول : « قام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه ! فقيل له : غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ! قال : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ » [(١)] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، أبوابُ تقصيرِ الصلاةِ ، باب قيامِ النبي ﷺ الليل حتى ترِمَ قَدَمَاهُ وقالتْ عائشةُ – رضي الله عنها – كان يقومُ حتى تَفَطَّرَ قدماهُ ، حديث رقم (١٠٦٢) (٤/ ٢٩٢) .
ومسلم في صحيحه ، كِتَاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّار ، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة ، حديث رقم (٥٠٤٤) ١٣/ ٤٤٠) .

القاعدة العشرون : سد الذرائع .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٠٨] .

إنَّ مسبة دين الكفار ، وتسفيه أحلامهم أمرٌ مشروعٌ في أصله بيد أنّ ما قد ينجمُ عن ذلك السب من جراءة الكفار على سبّ الله – تعالى – نفسه جعل من غير السائغ مبادءة الكفار بالسب اتقاءً لذلك المحذور ، ولذا كان على الداعية استصحاب هذه القاعدة حيثما حلّ وأينما حاضر أو تكلم أو خطب.

قال ابن سعدي : « ينهى الله المؤمنين عن أمر كان جائزا بل مشروعا في الأصل ، وهو : سبُّ آلهة المشركين التي اتخذت أوثانا وآلهة مع الله التي يتقرب إلى الله بإهانتها وسبها ولكن لما كان هذا السبُّ طريقا إلى سبّ المشركين لرب العالمين الذي يجب تنزيه جنابه العظيم عن كلِّ عيب وآفة وسب وقدح ، نهى الله عن سب آلهة المشركين لأنهم يتحمسون لدينهم ويتعصبون له ؛ لأنّ كلّ أمة زيّن الله لهم عملهم فرأوه حسنا ، وذبوا عنه ودافعوا بكل طريق حتى إنهم يسبون الله رب العالمين الذي رسخت عظمته في قلوب الأبرار والفجار إذا سبّ المسلمون آلهتهم ، ولكن الخلق كلهم مرجعهم ومآلهم إلى الله يوم القيامة ، يعرضون عليه وتعرض أعمالهم فينبئهم بما كانوا يعملون من خير وشر ، وفي هذه الآية الكريمة دليل للقاعدة الشرعية ، وهي أنَّ الوسائل تعتبر بالأمور التي توصل إليها ، وأنّ وسائل المحرم ولو كانت جائزة تكون محرمة إذا كانت تفضي إلى الشر » [١] .

(١) انظر : « تفسير ابن سعدي » (ج١/ ص٢٦٨) .

الخاتمة :

وفي الختام ألخِّص للقارئ الكريم هذا البحث بما يلي :

أمعنت النظر في كتاب الله تعالى ، واستخرجت عشرين قاعدةً نصَّ عليها القرآن الكريم تبيِّن للدعاة والمحتسبين المنهجية العملية والأخلاقية التي تمكنهم من ممارسة واجبهم الدعوي والاحتسابي ، ونقلت كلام المفسرين في تفسيرِ الآيات محل البحث والمستنبطة منها القواعد المذكورة بما يضفي على القاعدة التحرير والتحقيق المطلوب .

ولم أنس الاستفادة من سيرة خير البشر ﷺ ، ومواقفه العملية الموضحة للمهام الدعوية والاحتسابية .

وتجدر الإشارة في – نظري– إلى وجود العديد من القواعد المماثلة بحاجة إلى استخراج وتحرير من العسير استقصاؤها في بحث مختصر كهذا، ولعل الله تعالى يقيض لها من إخواني طلبة العلم من يحتسب الأجر في بحثها وإبرازها لتعم الفائدة، وينتشر الخير .

والله ولي التوفيق ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين.

المراجع :

القرآن الكريم

١. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد بن عبدالرحمن المباركفوري ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف،مكتبة ابن تيمية، القاهرة ، ط٢

٢. تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الشنقيطي ، عالم الكتب ، بيروت، طبعة ٢.

٣. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير،تحقيق محمد عاشور ورفاقه، مطبعة الشعب، القاهرة ، ط:٢ .

٤. تقريب التهذيب ، للحافظ ابن حجر العسقلاني ، تحقيق محمد عوامة ، دار الرشيد ، سوريا ،حلب ، ط: ٣ .

٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسيركلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، المجموعة الكاملة ، مركز ابن صالح الثقافي ، عنيزة المملكة العربية السعودية . ط: ١٤٠٧ .

٦. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير الطبري ، دار الفكر بيروت، ط:١٤٠٨

٧. الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد القرطبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط: ١٤٠٨.

٨. سنن الترمذي ، أبو عيسى الترمذي ، تحقيق أحمد شاكر ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٩. صحيح البخاري ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري ، دار ابن كثير ، بيروت، ط : ٣.

١٠. صحيح مسلم ، مسلم ابن الحجاج النيسابوري ، تحيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

١١. فتح الباريء بشرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، تحقيق محب الدين الخطيب ، دار المعرفة بيروت .

١٢. مسند أحمد ، الإمام أحمد بن حنبل ، مؤسسة قرطبة ، مصر .

١٣. معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، تحقيق فريد الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط: ١.

١٤. النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ، ابن الأثير ، تحقيق محمود الطناحي ، وطاهر الزاوي ، توزيع دار الباز ، مكة

علاج النشوز والشقاق بين الزوجين في آيات سورة النساء

د. علي بن عمر بن محمد السحيباني

- عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم .
- حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتحقيق (تسهيل السبيل في فهم معاني التنزيل لمحمد البكري من أول سورة المؤمنون إلى آخر سوره غافر) .
- حصل على درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتحقيق كتاب (تفسير البسيط للواحدي من أول سورة الزمر إلى آخر سورة الحجرات) .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد : فظاهرة النشوز من الظواهر التي تنتشر في المجتمعات وتختلف قلة وكثرة حسب وضع كل مجتمع ، لذا تجب العناية بها وإيجاد الحلول المناسبة لها ، وقد اعتنى العلماء بذلك قديما وحديثا ، وإن خير ما يعالج به النشوز هو ما شرعه الله تعالى في كتابه الكريم ، ففي خمس آيات فقط وصف الدواء لذلك الداء وفصل بإحكام أسباب الشفاء . وهذا البحث محاولة لتوضيح هذا العلاج ، بذكر أقوال العلماء ووضع الفصول والمباحث وذكر التعريفات ورد الشبهات ، وقد اقتصرت على نص الآيات وما يوضحها من أقوال العلماء دون ذكر كثير من الخلافات والتحليلات ؛ لئلا يطول الموضوع ويتشعب ، ولكي تسهل قراءته ويفهم المقصود منه ، فإن واقع كثير من الناس يجهل هذا العلاج الرباني ، ودليل ذلك كثرة وقائع الطلاق والسبب – والله أعلم – بعد كثير من الناس عن منهج الله وهو المنهج الرباني الذي قد عالج هذا الموضوع أفضل علاج وفصل ذلك وبينه أحسن بيان ؛ فنجد بعض الأزواج يسارع إلى إيقاع الطلاق عند حصول أي خلاف أوفي حالة غضب دون محاولة لحل الخلاف و رأب الصدع ولم الشمل بما يناسب كل حالة من تلك الأحوال ، و دون مراعاة لحالة الزوجة التي هي عليها – وهي لابد أن تكون في طهر لم يجامعها فيه أو تكون حاملا– فلو أن الزوج ملك أعصابه وتريث في الأمر وحاول إصلاح زوجه ، بنبذ أسباب الخلاف وجلب أسباب الوفاق ؛ لأمكن حل كثير من المشاكل الزوجية ، سواء بين الزوجين أنفسهما أو بتدخل الحكمين ، وبعد وقوع الطلاق في هذه الحالة

لابد أن تبقى في بيت زوجها مدة العدة حتى يتسنى لكل منهما مراجعة الآخر، ومحاولة تفادي أسباب الخلاف وجلب أسباب الوفاق، أما واقع كثير من الناس فعلى الضد من ذلك فبمجرد أن يقع الطلاق يرسلها إلى بيت أهلها، ولا يمكن اللقاء بينهما حتى نهاية العدة وهذا لاشك خلاف المنهج الرباني يقول الله تعالى:
﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ الطلاق: ١
ولا يمكن في هذه الحالة علاج المشكلة فلو بقيت الزوجة في بيت زوجها مدة العدة وحاول الزوج حل المشكلة بينهما ؛ لأمكن رجوع كثير من النساء وقضي على كثير من المشاكل، بحيث يكون الطلاق رجعيا وتعود الحياة الزوجية إلى ما كانت عليه .وأسباب النشوز كثيرة منها ما سببه من الزوجة، ومنها ما سببه الزوج، ومنها ما سببه الأسرة . وسأحاول في هذا البحث بسط ذلك العلاج الناجع، من خلال آيات سورة النساء وهي قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ النساء: ٣٤ - ٣٥ ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًاۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾ النساء: ١٢٨ - ١٣٠

فهذه الآيات عالجت الموضوع أفضل علاج، في خطوات مرتبة من الأخف إلى الأثقل مقتصرة على الزوج حينا ومتعدية إلى الحكمين أحيانا أخرى، قبل

اللجوء إلى الطلاق الذي هو آخر الأمر بعد ذلك العلاج ، وقد أسميته: علاج القرآن الكريم للنشوز والشقاق بين الزوجين ، سائلا الله تعالى أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه وأن ينفع به أقواما ، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وقد قدمت بين يدي البحث بتمهيد بينت فيه عناية الإسلام بالأسرة

وقوامة الرجل على المرأة

وقسمت البحث إلى ثلاثة فصول وخاتمة ثم الفهارس وهي :

الفصل الأول : نشوز المرأة وعلاجه في سورة النساء.ويشتمل على:

أولا:معنى النشوز وحقيقته والمراد به.

ثانيا:الأسباب المؤدية إلى النشوز.

ثالثا:علاج النشوز في ضوء الآية الكريمة ويشتمل على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى:وعظ الرجل للمرأة وفوائده.

المرحلة الثانية:الهجر في المضاجع وأثره.

المرحلة الثالثة:ضرب المرأة وما أثير حوله من شبهات ويشتمل على:

أولا: حد الضرب وضوابطه والغرض منه.

ثانيا:الرد على شبهات المغرضين.

ثالثا:بعض لطائف الآية الكريمة.

الفصل الثاني:الشقاق بين الزوجين وعلاجه في ضوء سورة النساء.

ويشتمل على:

المطلب الأول: معنى الشقاق والمراد به.

المطلب الثاني: علاج الشقاق بإرسال الحكمين.

المطلب الثالث:مهمة الحكمين وما يتعلق بهما من أحكام.

ويشتمل على:

أولا:مهمة الحكمين وحكمة كونهما من الأهل.

ثانيا: الأحكام المتعلقة بالحكمين:

الحكم الأول: هل هما قاضيان أو وكيلان أو شاهدان؟

الحكم الثاني: ما الحكم إذا لم يتفق الحكمان؟

الحكم الثالث: هل يكفي حكم واحد في هذه القضية؟

الفصل الثالث : نشوز الزوج وإعراضه وعلاجه في ضوء سورة النساء.

ويشتمل على:

تمهيد: في بيان المعنى العام للآية الكريمة والمراد بالخوف فيها.

المطلب الأول: تعريف النشوز والإعراض وبيان الفرق بينهما.

المطلب الثاني: علاج نشوز الزوج وإعراضه في ضوء الآية الكريمة. ويشتمل على:

أولا: معنى الإصلاح بين الزوجين وكيفيته.

ثانيا: العدل بين الأزواج عند التعدد وكيفيته وأحكامه.

ثالثا: النهي عن الميل الجائر وبيان أضراره ومخاطره.

رابعا: اللجوء إلى التفريق وبيان فوائده وتوجيهات القرآن فيه.

الخاتمة.

الفهارس.

تمهيد
في عناية الإسلام بالأسرة وقوامة الرجل على المرأة.

أولا :عناية الإسلام بالأسرة:

لقد عني الإسلام منذ بزوغ شمسه بالأسرة أيما عناية ؛ ففي كتاب الله وسنة رسوله – ﷺ – تفصيل وتوضيح لجميع ما يلزم الأسرة المسلمة من أحكام وتوجيهات متضمنة الأوامر والنواهي والتوجيهات وحل جميع المشكلات وتفصيل لمجمل ما يلزم الأسرة ، من بيان عدد الزوجات اللاتي يباح الجمع بينهن ، وأحوال الميراث ، وبيان المحرمات في النكاح ، ومراتب الطلاق ، وعلاج النشوز ، وعدة المطلقة والمتوفى عنها ، ومدة الرضاع، وأحكام الإيلاء ، والملاعنة ونحوها، وحد الزنا والقذف والسرقة ، وحقوق الجار، والحجاب ، وكل ما يلزم الأسرة المسلمة من مقومات.

والناظر في كتاب الله يجد أن أحوال الأسرة قد حظيت بشرح وتفصيل لم تحظ به العبادات كالصوم والصلاة والحج والزكاة ؛ فإننا إذا قرأنا في كتاب الله لا نجد عدد ركعات الصلاة ، ولا عدد الأوقات ، ولا مقادير الزكاة ؛ بل كل هذه الأمور جاء ت بالسنة ، بينما نجد أن الله سبحانه وتعالى قد تولى قسم الميراث بذاته سبحانه ولم يكل ذلك إلى رب الأسرة ولا إلى الحاكم وذلك – والله أعلم – لكي لا يحابى قريب على حساب آخر ولا يسلب حق ضعيف لجور سلطان أو ظلم حاكم .

وكذلك نجد أن الله سبحانه وتعالى قد فصل في علاج النشوز مع أنها حالة نادرة في المجتمع أو شاذة ، فالأصل دوام العشرة بين الزوجين ، وحدوث النشوز طارئ ، ومع ذلك ترد معالجة هذا الموضوع بتفصيل وترتيب من الأخف

إلى الأثقل وعلى مستوى الزوجين أو لا فإن لم يحسم الخلاف وتطور الشقاق امتد العلاج إلى تدخل الحكمين.

كل هذه العناية بالأسرة دليل على محا فظة الإسلام على سلامتها وحرصه الشديد على لم شملها والستر عليها ؛ لذا لا يقبل في الفاحشة إلا أربعة رجال عدول، قال رسول الله – ﷺ – (ومن اطلع في دار قوم بغير إذنهم ففقؤوا عينه فقد هدرت عينه)[١] . (ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون أو يفرون منه صب في أذنيه الآنك يوم القيامة)[٢]. فهذا التشديد في لزوم هذا الستر وهذه العناية ؛ لأن الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع المسلم الذي سيعمر الكون على منهج الله الذي شرعه لعباده ، فلا بد أن تكون محفوظة منذ نشأتها ، وكذلك هي كل تعاليم الإسلام في العناية بالأسرة ، ابتداء من اختيار الزوجة ، يليه الدعاء عند إرادة الجماع ، ثم التأذين في أذن الصبي ومن ثم تربيته وتعليمه ، وهكذا كل حياة المسلم وتصرفاته لابد أن تكون على منهج الله الذي رسمه لعباده .

ثانيا : قوامة الرجل على المرأة ومتطلباتها:

قوله تعالى ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ النساء: ٣٤

قال ابن جرير: يعني بذلك جل ثناؤه : الرجال أهل قيام على نسائهم في تأديبهن والأخذ على أيديهن ، فيما يجب عليهن لله ولأنفسهم ﴿ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ ﴾ النساء: ٣٤ يعني بما فضل الله به الرجال على أزواجهم من سوقهم إليهن مهورهن ، وإنفاقهم عليهن أموالهم ، وكفايتهم إياهن مؤنهن ،

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب / باب في الاستئذان ٥/ ٣٦٦، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود انظر ٣/ ٩٧٢ح(٤٣٠٩)
(٢) أخرجه البخاري في كتاب التعبير / باب من كذب في حلمه ٨/ ٨٢

وذلك تفضيل الله تبارك وتعالى إياهم عليهن ، ولذلك صاروا قواما عليهن نافذي الأمر عليهن فيما جعل الله إليهم من أمورهن[١] .

وقال ابن كثير : أي الرجل قيم المرأة ، أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجت ، ﴿ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾أي لأن الرجال أفضل من النساء ، والرجل خير من المرأة ، ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال، وكذلك الملك الأعظم لقوله ﷺ: (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) [٢] ، وكذا منصب القضاء وغير ذلك [٣].

وقيل المعنى : يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قوما لذلك والضمير في ﴿ بَعْضَهُمْ ﴾ للرجال والنساء جميعا يعني إنما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء وفيه دليل على أن الولاية إنما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر ، وقد ذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية والرمي ، وإن منهم الأنبياء والعلماء وفيهم الإمامة الكبرى والصغرى، والجهاد، والأذان، والخطبة، والاعتكاف، وتكبيرات التشريق عند أبي حنيفة، والشهادة في الحدود والقصاص، وزيادة السهم والتعصيب في الميراث، والحمالة، والقسامة، والولاية في النكاح والطلاق والرجعة، وعدد الأزواج، وإليهم الانتساب[٤].

واعلم أن فضل الرجال على النساء حاصل من وجوه كثيرة بعضها صفات حقيقية ، وبعضها أحكام شرعية ، أما الصفات الحقيقية فاعلم أن الفضائل الحقيقية يرجع حاصلها إلى أمرين : إلى العلم ، وإلى القدرة، ولاشك

(١)انظر جامع البيان للطبري ٤/ ٥/ ٥٧
(٢)أخرجه البخاري في كتاب المغازي/ باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر ٢/ ٥/ ١٣٦
(٣)انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٢٧٥
(٤)انظر الكشاف للزمخشري ١/ ٢٦٥

أن عقول الرجال وعلومهم أكثر، ولاشك أن قدرتهم على الأعمال الشاقة أكمل، فلهذين السببين حصلت الفضيلة للرجال على النساء في العقل و الحزم والقوة ...والسبب الثاني لحصول هذه الفضيلة:

قوله تعالى ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ يعني الرجل أفضل من المرأة لأنه يعطيها المهر وينفق عليها[1].

وفي الإتيان بالجملة الاسمية مع صيغة المبالغة ﴿قَوَّٰمُونَ﴾ دليل على عراقتهم ورسوخهم في الاتصاف بما أسند إليهم من القوامة على النساء ؛ وإذا كانت المؤسسات التجارية والصناعية والمالية ونحوها لا يوكل أمر إدارتها إلا لأكفأ المرشحين لها ممن تخصصوا في هذا الشأن علميا وتدربوا عليه عمليا مع ما وهبوا من ذكاء وفطنة طبيعية للإدارة وحسن القيادة ، فإن قيادة الأسرة أولى بأن يختار لها الأقوى والأكفأ؛ لأنها تنشئ قادة المجتمع ذكورا وإناثا.

ولكن ليس معنى القوامة أنه يباح لهم التسلط عليهن أو إهانتهن ، وإنما جعلت فيهم لما تميزوا به من الصفات التي تؤهلهم لذلك، ثم إن الحياة لا تستقيم إلا بوجود إدارة ورئاسة حازمة لتقوية الضعيف وتقويم المعوج ، ومتابعة المقصر ونحو ذلك مما يلزم توفره لمتطلبات الحياة ؛ فلذلك جعلها الله فيمن هم أهل للقيام بها حفاظا على المصالح واستمرارا للحياة.

أما وجوب النفقة: فقال ابن جرير الطبري :(وأما قوله ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ فإنه يعني : وبما ساقوا إليهن من صداق ، وأنفقوا عليهن من نفقة)[2].

وقد فهم العلماء من قوله تعالى ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ أنه متى عجز عن نفقتها لم يكن قواما عليها وإذا لم يكن قواما عليها كان لها فسخ العقد ، لزوال

(١)انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ١٠/ ٨٨

(٢)انظر جامع البيان للطبري ٤/ ٥٩

المقصود الذي شرع لأجله النكاح . وفيه دلالة واضحة من هذا الوجه على ثبوت فسخ النكاح عند الإعسار بالنفقة والكسوة ، وهو مذهب مالك والشافعي[1] .

وأخرج البخاري عن عائشة – رضي الله عنها – أن هند بنت عتبة قالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم فقال :(خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف) [2] .

ومما يدل على وجوب نفقتها عليه قوله ﴿ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ وهو نظير قوله ﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾

قال ابن قدامة: يجب على الرجل نفقة زوجته وكسوتها بالمعروف إذا سلمت نفسها إليه ، ومكنته من الاستمتاع بها ؛ لما روى جابر – رضي الله عنه – أن رسول الله – ﷺ – قال: (اتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندكم ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف) [3]. فإن امتنعت من تسليم نفسها كما يجب عليها ، أو مكنت من استمتاع دون استمتاع.. ، فلا نفقة لها ؛ لأنه لم يوجد التمكين التام[4].

وقوله ﴿ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ منتظم للمهر والنفقة لأنهما جميعا مما يلزم الزوج لها[5] .

(١)انظر الجامع لأحكام القرآن ٥/ ١٦٩

(٢)أخرجه البخاري في كتاب النفقات / باب إذا لم ينفق الرجل فللمرأة أن تأخذ بغير علمه ما يكفيها وولدها بالمعروف٢/ ٦/ ١٩٣

(٣)أخرجه مسلم في كتاب المناسك / باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم ١/ ٨٩٠ ، وأخرجه أبو داود في كتاب المناسك باب صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم ٢/ ٤٦٢ ، وأخرجه ابن ماجه في كتاب المناسك / باب حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢/ ١٠٢٢ ، وأخرجه الدارمي في كتاب المناسك باب في سنة الحج ١/ ٤٤٤ ، والإمام أحمد في المسند ٥/ ٧٣

(٤)انظر الكافي لابن قدامة ٥/ ٧٧.

(٥)انظر أحكام القرآن للجصاص٢/ ١٨٨

الفصل الأول:نشوز المرأة وعلاجه في سورة النساء.ويشتمل على:

أولا: معنى النشوز وحقيقته والمراد به:

قال ابن جرير :(اختلف أهل التأويل في معنى قولـه:﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾ فقال بعضهم : معناه : واللاتي تعلمـون نـشوزهن ووجـه صرف الخـوف في هـذا الموضع إلى العلم في قول هؤلاء نظير صرف الظن إلى العلم لتقارب معنييهما ، إذ كان الظن شكا ، وكان الخوف مقرونا برجاء ، وكانا جميعا مـن فعـل المـرء بقلبـه ، كما قال الشاعر :

ولا تدفنني في فلاة فإنني   أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها[(١)]

معناه : فإنني أعلم .

وقال جماعة من أهل التأويل : معنى الخوف في هذا الموضع : الخوف الذي هو خلاف الرجاء ، قالوا : ومعنى ذلك : إذا رأيـتم مـنهن مـا تخـافون أن ينـشزن عليكم من نظر إلى ما لا ينبغي لهن أن ينظـرن إليـه وأمـا قولـه ﴿ نُشُوزَهُنَّ ﴾ **فإنه** يعني: استعلاءهن على أزواجهن، وارتفاعهن عن فرشهم بالمعـصية مـنهن ، والخلاف عليهم فيما لزمهن طاعتهم فيه بغضا منهن ، وإعراضـا عـنهم ، وأصـل النشوز الارتفاع ، ومنه قيل للمكان المرتفع من الأرض نشز ونشاز) [(٢)].

وقد فسر بعضهم خوف النشوز بتوقعه فقط وبعضهم بـالعلم بـه ، ولكـن يقال لمَ ترك لفظ العلم واستبدل به لفظ الخوف أولِمَ لَم يقل واللاتي ينـشزن ؟. لا جرم أن في تعبير القرآن حكمة لطيفة وهي : أن الله تعالى لما كـان يجـب أن تكـون المعيشة بين الزوجين معيشة محبة ومودة وتراض والتئام لم يـشأ أن يـسند النـشوز إلى النساء إسناداً يدل على أن من شأنه أن يقع منهن فعلا بل عبر عن ذلك بعبارة تومئ إلى أن من شـأنه أن لا يقـع لأنـه خـروج عـن الأصـل الـذي يقـوم بـه نظـام

(١)البيت لأبي محجن الثقفي انظر الخزانة ٣/ ٥٥٠

(٢)انظر جامع البيان للطبري ٤/ ٥/ ٦٢

الفطرة وتطيب به المعيشة، ففي هذا التعبير تنبيه لطيف إلى مكانة المرأة وما هو الأولى في شأنها ، وإلى ما يجب على الرجل من السياسة لها وحسن التلطف في معاملتها ، حتى إذا آنس منها ما يخشى أن يؤول إلى الترفع وعدم القيام بحقوق الزوجية فعليه أولا أن يبدأ بالوعظ الذي يرى أنه يؤثر في نفسها[١].

وقيل في معنى الخوف : إنه عبارة عن حال يحصل في القلب عند ظن حدوث أمر مكروه في المستقبل .

قال الشافعي ﴿ نُشُوزَهُنَّ ﴾ النشوز قد يكون قولا ، وقد يكون فعلا ، فالقول مثل أن كانت تلبيه إذا دعاها ، وتخضع له بالقول إذا خاطبها ثم تغيرت ، والفعل مثل أن كانت تقوم إليه إذا دخل عليها ، أو كانت تسارع إلى أمره وتبادر إلى فراشه باستبشار إذا التمسها ، ثم إنها تغيرت عن كل ذلك ، فهذه أمارات دالة على نشوزها وعصيانها ، فحينئذ ظن نشوزها ومقدمات هذه الأحوال توجب خوف النشوز[٢].

وقال الأزهري: نشوز المرأة :استعصاؤها على زوجها.

وقال أبو إسحاق: النشوز يكون من الزوجين ، وهو كراهة كل واحد منهما صاحبه ، واشتقاقه من النشز ، وهو ما ارتفع من الأرض[٣].

وقال ابن فارس:النون والشين والزاء أصل صحيح يدل على ارتفاع وعلو. والنشز: المكان العالي المرتفع . والنشوز: الارتفاع ، ثم استعير فقيل نشزت المرأة : استعصت على بعلها ، وكذلك نشز بعلها: جفاها وضربها[٤].

(١)انظر تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ٥/ ٧٢
(٢)انظر التفسير الكبير للرازي١٠/ ٩٨ ، وأحكام القرآن للجصاص٢/ ١٨٩
(٣)انظر تهذيب اللغة للأزهري مادة نشز ١١/ ٣٠٥
(٤)انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (نشز) ٥/ ٤٣٠

ثانيا :الأسباب المؤدية إلى النشوز:

١ - من أهم أسباب النشوز سوء الاختيار بين الزوجين ، أو عدم التوافق بينهما، وذلك أنه يجب على الزوج اختيار من تناسبه في تدينه وأخلاقه ، ومستوى تعليمه ، ووضعه المادي ، ومركزه الاجتماعي ، ووضعه الأسري وكذا توافقهما في البيئة والمعيشة والسكنى وخلوهما من الأمراض المزمنة، وتقاربهما في الصفات الجسمية بحيث لا يكون بينهما فارق كبير جدا؛ لأن ذلك ينفر أحدهما من الآخر.

٢ - وقوع أحد الزوجين في تعاطي الدخان والمخدرات، وما ينفر النفس من مخالطة أحدهما للآخر.

٣ - تقدم الزوجة في السن ، مما يقلل رغبة الزوج في البقاء معها وحدها فإذا أراد الزواج من أخرى حدث الشقاق بينهما.

٥ - الحوادث الطارئة كأن يصاب أحد الزوجين بعاهة ، أو مرض مزمن مما يجعل العيش بينهما عسيرا.

٦ - رغبة الزوج في التعدد ، مما يثير غضب الزوجة ، وقد تكون شابة ولها أبناء، فلا تتحمل الضرة وتخشى على أولادها الضياع.

ثالثا:علاج النشوز في ضوء الآية الكريمة ويشتمل على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: وعظ الرجل للمرأة وفوائده:

لما كان الإسلام يسعى إلى الستر على المسلم ، ويحافظ على لم شمل الأسرة، وكان الرجل هو القيم على المرأة بما فضله الله عليها بالمميزات التي يتمكن بها من القيام بشؤون الأسرة على أكمل وجه ، أسند إليه أمر علاج نشوز زوجته ، وذلك للمحافظة على سرية الأسرة ، ولما جعل بين الزوجين من الألفة والمحبة والتقارب ؛ ولأنه أحرص من الأجنبي على الوفاق بينه وبين زوجه ، وتعتبر الموعظة أول الخطوات المتبعة في هذا العلاج وأول عمل يقوم به الزوج عندما

يلاحظ من زوجته بوادر وأعراض النشوز كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ ﴾ .

فالموعظة علاج هادئ يدعو لجلب الألفة والمودة وإزالة الشحناء والجفوة في لين وعطف ورحمة ، والوعظ والموعظة هي النصح والتذكير بالعواقب. فيخوفها بالله سبحانه وتعالى ويذكر لها ما أوجب الله له عليها من الحق والطاعة، وما يلحقها من الإثم بالمخالفة والمعصية ، وما يسقط بذلك من حقوقها من النفقة والكسوة ، وما يباح له من ضربها وهجرها[١] .

والأصل في مشروعية الوعظ الكتاب والسنة والإجماع.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ ﴾

ومن السنة : ما أخرجه الإمام أحمد عن أبي حرة الرقاشي عن عمه في حديث طويل وفيه أن رسول الله - ﷺ - قال: (فإن خفتم نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح) [٢] .

وقد أجمع المسلمون من عهد الصحابة والتابعين إلى يومنا هذا على مشروعية الوعظ في حالة نشوز المرأة، ولم ينكر ذلك أحد، فكان إجماعا[٣] .

وقال المرداوي: (وإذا ظهر منها أمارات النشوز، بأن لا تجيبه إلى الاستمتاع ، أو تجيبه متبرمة متكرهة ، وعظها بلا نزاع في ذلك) [٤] .

أخرج الطبري عن ابن عباس في قوله ﴿ فَعِظُوهُنَّ ﴾ **يعني** : عظوهن بكتاب الله، قال : أمره الله إذا نشزت أن يعظها ويذكرها الله ويعظم حقه عليها ، وأخرج عن مجاهد قال : إذا نشزت المرأة عن فراش زوجها يقول لها : اتقي الله

(١)انظر المغني لابن قدامة ١٠/ ٢٥٩

(٢)مسند الإمام أحمد ٥/ ٧٢

(٣)انظر النشوز للسدحان ص٣٩.، وقد عزاه لابن هبيرة في الإفصاح ولم أقف عليه فيه.

(٤)انظر الإنصاف للمرداوي ٨/ ٤٦٨ .

وارجعي إلى فراشك ، فإن أطاعته فلا سبيل له عليها. وأخرج عن الحسن قال: إذا نشزت المرأة على زوجها فليعظها بلسانه ، يقول : يأمرها بتقوى الله وطاعته ، وأخرج عن محمد بن كعب القرظي قال: إذا رأى تقصيرها في حقه في مدخلها ومخرجها قال : يقول لها بلسانه : قد رأيت منك كذا وكذا فانتهي ، فإن أذعنت فلا سبيل له عليها وإن أبت هجر مضجعها[١] .

وقيل في معنى الوعظ: هو التذكير بالله في الترغيب لِما عنده من ثواب ، والتخويف لما لديه من عقاب ، إلى ما يتبع ذلك مما يعرفها به من حسن الأدب في إجمال العشرة ، والوفاء بذمام الصحبة ، والقيام بحقوق الطاعة للزوج ، والاعتراف بالدرجة التي له عليها[٢] .

والوعظ يختلف باختلاف حال المرأة فمنهن من يؤثر في نفسها التخويف من الله عز وجل وعقابه على النشوز، ومنهن من يؤثر في نفسها التهديد والتحذير من سؤ العاقبة في الدنيا كشماتة الأعداء والمنع من بعض الرغائب كالثياب الحسنة والحلي ، والرجل العاقل لا يخفى عليه الوعظ الذي يؤثر في قلب امرأته[٣] .

ولم يذكر المفسرون مدة معينة للوعظ ولكن هذا – والله أعلم – موكول إلى نظر الزوج فإن رأى من زوجته استجابة وانقيادا لأمره وتركا لما هي عليه من النشوز اكتفى به عن الهجر والضرب ، ولكن لابد أن يكون الوعظ بالأسلوب المناسب والوقت المناسب ، فالأسلوب كما قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ ١٢٥ النحل . والوقت أن تكون الزوجة في وضع مستقر ونفس هادئة ، أي في غير وقت العمل في البيت والانشغال بالأولاد وليس في

(١)انظر جامع البيان للطبري ٤/ ٦٣.
(٢)انظر أحكام القرآن لابن العربي ١/ ٤١٧. ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٢٧٧.
(٣)انظر تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ٥/ ٧٢.

وقت الدورة الشهرية ؛ لأن المرأة تكون حالتها النفسية ليست مناسبة للوعظ في تلك الحالة ، ثم يبدأ بالترغيب أولا ويبين لها ما أعد الله للمحسنات منهن ، ويذكرها بفضل استدامة العشرة وسوء عاقبة الطلاق والفرقة ، وأن الله قد أوجب عليها حق الزوج وطاعته وحرم عليها معصيته لما له عليها من الفضل والإفضال، وقد قال رسول الله ﷺ: (لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها) [(١)].

وقال: (إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت عليه لعنتها الملائكة حتى تصبح) [(٢)].

فإن رأى بعد ذلك منها قبولا وانقيادا لأمره وإلا التجأ إلى الترهيب وسوء عاقبة الفراق وما ورد في السنة من الوعيد لمن باتت وزوجها عليها ساخط ووجوب حقه عليها بالطاعة فإن لم تستجب في كلا الحالتين انتقل إلى المرتبة الثانية وهي الهجر.

المرحلة الثانية:الهجر في المضاجع وأثره:

ورد الإسلام بتحريم هجر المسلم لأخيه ، ولم يأذن بشيء من الهجر إلا لمصلحة راجحة ، كهجر صاحب البدعة ، وهجر المسلم دون ثلاث ليال ولكن لما كان وضع الأسرة له منزلة عالية في الإسلام أذن للزوج بهجر زوجته طمعا في

---

(١)أخرجه أبو داود في كتاب النكاح / باب في حق الزوج على المرأة عن قيس بن سعد بلفظ "لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن" ٢/ ٦٠٤ ، وأخرجه الحاكم في المستدرك عن معاذ بن جبل بلفظ " المرأة" وصححه ووافقه الذهبي انظر ٤/ ١٧٢ ، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى كتاب القسم والنشوز / باب ما جاء في عظم حق الزوج على المرأة عن أبي هريرة"بلفظ المرأة" ٧/ ٢٩١ ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد عن أنس وقال رجاله رجال الصحيح غير حفص بن أخي أنس وهو ثقة انظر ٩/ ٤ ، وصححه الألباني انظر ضعيف سنن أبي داود / باب في حق الزوج على المرأة ص٢١٠ ، وفي إرواء الغليل ٧/ ٥٤ ، وفي صحيح الجامع ٢/ ٩٢٨ ، وانظر الدر المنثور ٢/ ٥١٩ ، وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٢٧٧

(٢)أخرجه البخاري في كتاب النكاح / باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها ٦/ ١٥٠، وأخرجه مسلم في كتاب النكاح / باب تحريم امتناعها من فراش زوجها ٢/ ١٠٦٠

المصلحة المترتبة على الهجر، وهو بقاء تماسك الأسرة والتآلف الحاصل بين الزوجين.

الهجر لغة: الترك والقطع وعدم الاتصال بالمهجور[(١)].

وفي الاصطلاح: عدم مضاجعة الزوجة ، وترك محادثتها دون ثلاث وعدم الاتصال بها وترك التعامل معها [(٢)].

ويأتي الهجر في المرتبة الثانية بعد الوعظ ، وهو نوع من التأديب للزوجة الناشز لعلها تستقيم أخلاقها وتترك النشوز، وهذا الأسلوب في العلاج أشد تأثيرا في نفسية الزوجة وأقوى في ردعها عن نشوزها؛ لأن المضجع موضع الإغراء والجاذبية ، فإذا استطاع الزوج أن يقهر دوافعه تجاه هذا الإغراء ، فهو بذلك يسقط أقوى أسلحتها ، وفي الغالب أنها تكون أقرب إلى التراجع والتنازل عن ترفعها عليه ، هذا إن كانت الزوجة محبة لزوجها وحريصة على استمرار الحياة الزوجية فإنها تستجيب لزوجها وتعود إلى طلب رضاه وعدم الخروج عن طاعته .

ومن شرط هذا الهجر ألا يكون ظاهرا في غير مكان الخلوة بين الزوجين ، كما بينه الله سبحانه وتعالى ﴿ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ . فلا يظهر الهجر أمام الأولاد ولا أمام الأهل ولا الغرباء ، حتى لا يحرج الزوجة ولا يهينها ولا يسقط كرامتها.

والأصل في مشروعيته الكتاب والسنة والإجماع.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ .

ومن السنة ما أخرجه البخاري وغيره : أن النبي – ﷺ – (آلى من نسائه شهرا) [(٣)].

---

(١)انظر جمهرة اللغة لابن دريد ٢/ ٨٧ ، ولسان العرب مادة هجر ٥/ ٢٥٠ .

(٢)انظر المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف ٢١/ ٤٦٨ ، وأحكام القرآن للجصاص ٢/ ١٨٩ .

(٣)أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم الهلال فصوموا ٢/ ٢٢٩ ، مسند الإمام أحمد ٢/ ٣١

واتفق العلماء سلفا وخلفا على جوازه ، لما فيه من الصلاح والإصلاح للمرأة من استقامة أخلاقها وتركها للنشوز. قال ابن قاسم في حاشية الروض المربع: (قال الوزير وغيره: اتفقوا على أنه يجوز للزوج أن يضرب زوجته إذا نشزت بعد أن يعظها ويهجرها في المضجع) [1].

والغرض منه المعالجة بالتي هي أحسن ، وليس التحقير والإذلال أو تصفية الحسابات وكشف الأسرار وإنما جلب المودة واستدامة الصحبة.

قال ابن جرير : (اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : فعظوهن في نشوزهن عليكم أيها الأزواج ، فإن أبين مراجعة الحق في ذلك ، والواجب عليهن لكم ، فاهجروهن بترك جماعهن في مضاجعتكم إياهن .

وقال آخرون: بل معنى ذلك : واهجروهن واهجروا كلا مهن في تركهن مضاجعتكم ، حتى يرجعن إلى مضاجعتكم .

وقال آخرون : معنى قوله ﴿ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾ قولوا لهن من القول هجرا في تركهن مضاجعكم .

وأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يكون قوله ﴿ وَٱهۡجُرُوهُنَّ ﴾ موجها معناه إلى معنى الربط بالهجار من قول العرب للبعير إذا ربطه صاحبه بحبل هجره فهو يهجر هجرا) [2] .

وقد ضعف ابن العربي هذا القول ، وقال:(يا لها هفوة من عالم بالقرآن والسنة . ثم ذكر أربعة أقوال :

الأول: يوليها ظهره في فراشه ، قاله ابن عباس.

الثاني: لا يكلمها ، وإن وطئها ، قاله عكرمة وأبو الضحى.

---

(١)انظر حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع ٦/ ٤٥٥

(٢)انظر جامع البيان للطبري ٤/ ٦٣

الثالث: لا يجامعها وإياه فراش ولا وطء حتى ترجع إلى الذي يريد قاله إبراهيم والشعبي وقتادة والحسن البصري ، ورواه ابن وهب وابن القاسم عن مالك وغيرهم.

الرابع: يكلمها ويجامعها ، ولكن بقول فيه غلظ وشدة إذا قال لها: تَعالَيْ قاله سفيان) [١].

وذكر مثل ذلك ابن حجر في فتح الباري ، وذكر تضعيف ابن العربي لاختيار الطبري ، وقال ابن حجر: وأجاد ، أي: ابن العربي في تضعيف اختيار الطبري[٢].

وقال القرطبي: والهجر في المضاجع : هو أن يضاجعها ويوليها ظهره ولا يجامعها ؛ عن ابن عباس وغيره. وقال مجاهد: جنبوا مضاجعهن ؛ فيتقدر على هذا الكلام حذف ، ويعضده ﴿ وَٱهۡجُرُوهُنَّ ﴾ من الهجران ، وهو البعد ؛ يقال: هجره أي تباعد ونأى عنه . ولا يمكن بعدها إلا بترك مضاجعتها . وقال بمثل معناه إبراهيم النخعي والشعبي وقتادة والحسن البصري .

قلت: هذا قول حسن ؛ فإن الزوج إذا أعرض عن فراشها فإن كانت محبة للزوج فذلك يشق عليها فترجع للصلاح ، وإن كانت مبغضة فيظهر النشوز منها ؛ فيتبين أن النشوز من قبلها. وقيل ﴿ وَٱهۡجُرُوهُنَّ ﴾ من الهجر وهو القبيح من الكلام، أي غلظوا عليهن في القول وضاجعوهن للجماع وغيره ، قال بمثل معناه سفيان، وروي عن ابن عباس[٣].

والذي يترجح في نظري: أن أقرب الأقوال الأول وهو قول ابن عباس ، لأن الله قال : ﴿ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾ فأمر بالهجر وحدد المكان ؛ ولأنه

---

(١)انظر أحكام القرآن لابن العربي ١/ ٤١٨

(٢)انظر فتح الباري ٩/ ٣١٠

(٣)انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي٥/ ١٧١

أدعى لانقيادها واستجابتها ؛ لأن الفراش موضع الإغراء للزوجة فكونه قريبا منها يستثير عواطفها أكثر من لو كان بعيدا عنها.

والهجر نوعان : هجر بالقول وهجر بالفعل.

أما الهجر بالقول: فهو أن يترك الزوج كلام زوجته مدة ، بشرط ألا تزيد على ثلاثة أيام بدليل قوله ﷺ: (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال) [(١)].

وأما الهجر بالفعل: فللزوج أن يهجر زوجته بالفعل بأن يترك فراشها أو جماعها أو يهجر غرفتها أو يهجر بيتها، وللزوج أن يختار ما يراه مناسبا لزوجته بحيث يكون رادعا لها عن النشوز. ودليل ذلك فعل الرسول - ﷺ - كما في حديث أنس - رضي الله عنه - قال:(آلى رسول الله - ﷺ - من نسائه وكانت انفكت رجله فأقام في مشربة تسعا وعشرين ليلة ثم نزل فقالوا يا رسول الله آليت شهرا فقال إن الشهر يكون تسعا وعشرين) [(٢)].

أما مدة الهجر: فغايته عند العلماء شهر ؛ كما فعل النبي - ﷺ - حين أسر إلى حفصة فأفشته إلى عائشة ، وتظاهرتا عليه .

ولا يبلغ به الأربعة الأشهر التي ضرب الله أجلا عذرا للمولي[(٣)].

وقال المرداوي: فإن أصرت على النشوز هجرها في المضجع ما شاء هذا هو المذهب [(٤)].

(١)أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي ٣/ ١٩٨٤

(٢)أخرجه البخاري كتاب الصوم ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم الهلال فصوموا .. ٢/ ٢٢٩

(٣)انظر الجامع لأحكام القرآن٥/ ١٧٢

(٤)انظر الإنصاف ٢١/ ٤٦٩.

والواقع أن النساء يختلفن في ذلك وفي المدة التي تصبر فيها عن زوجها ، وتتحمل فيها مشقة الفراق ؛ فلهذا يكون الزوج هو الذي يستطيع أن يحدد المدة التي يهجر فيها زوجته بشرط ألا يتجاوز مدة الإيلاء.

المرحلة الثالثة:ضرب المرأة وما أثير حوله من شبهات ويشتمل على:

أولا:حد الضرب وضوابطه والغرض منه:

الضرب هو الوسيلة الثالثة من وسائل معالجة المرأة الناشز، فقد يكون اللجوء أحيانا إلى شيء من الشدة والقسوة دواء نافعا وبلسما شافيا . وقد جعله الله آخر الوسائل الإصلاحية التي يملكها الزوج ، فلا يلجأ إليه إلا عندما يستكمل الخطوات السابقة ويرى عدم جدواها .

كما قيل: فربما صحت الأجسام بالعلل [١].

وهذا النوع من العلاج جائز ومحبوب إذا كان يعيد للمرأة عشرتها الطيبة وحياتها الزوجية الهادئة ، وهو ضرب تأديب وإصلاح وتهذيب للسلوك مصحوب بلين وعاطفة المؤدب والمربي ، وليس المقصود منه الانتقام والإهانة وإظهار القوة على الزوجة ؛ لأن الحياة الزوجية مبنية على المحبة والألفة والرحمة لا الجفا والغلظة ، كما قيل[٢]:

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما فليقس أحيانا وحينا يرحم

والأصل في مشروعيته الكتاب والسنة والإجماع.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّ ﴾ .

---

(١)هذا عجز بيت للمتنبي وصدره: لعل عتبك محمود عواقبه ، انظر ديوانه بشرح أبي البقاء العكبري المسمى التبيان بشرح الديوان ٣/ ٨٦

(٢)البيت لأبي تمام انظر ديوانه ٣/ ٢٠٠، شرح التبريزي تحقيق محمد عبده عزام

ومن السنة قوله ﷺ:(ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح) [١].

واتفق العلماء على جواز ضرب الزوجة الناشز بعد الوعظ والهجر في المضجع[٢].

قال ابن جرير :(قال أهل التأويل : صفة الضرب التي أباح الله لزوج الناشز أن يضربها الضرب غير المبرح أي غير شائن ، وأخرج عن عطاء قال: قلت لابن عباس : ما الضرب غير المبرح قال : السواك وشبهه يضربها به) [٣].

وقال ابن كثير:(قوله ﴿ وَٱضۡرِبُوهُنَّ ﴾ أي إذا لم يرتدعن بالموعظة ولا بالهجران ، فلكم أن تضربوهن ضربا غير مبرح ، وكذا قال ابن عباس وغير واحد : ضربا غير مبرح ، قال الحسن البصري : يعني غير مؤثر قال الفقهاء: هو ألا يكسر فيها عضوا ولا يؤثر فيها شيئا ، وقال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس: يهجرها في المضجع ، فإن أقبلت وإلا فقد أذن الله لك أن تضربها ضربا غير مبرح ، ولا تكسر لها عظما ، فإن أقبلت وإلا فقد أحل الله لك منها فدية) [٤].

والأصل في هذا الضرب ألا يزيد على عشرة أسواط لقوله ﷺ:(لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ، ثم يضاجعها في آخر اليوم) [٥] وقوله ﷺ:(لا يجلد أحد فوق عشرة أسواط ، إلا في حد من حدود الله) [٦].

واختار ابن قدامة ألا يزيد على عشرة أسواط لهذا الحديث [٧].

---

(١)أخرجه مسلم في كتاب الحج / باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم ١/ ٨٨٦

(٢)انظر الإفصاح لابن هبيرة ٢/ ١٤٣

(٣)انظر جامع البيان للطبري ٤/ ٥/ ٦٨

(٤)انظر تفسير القرآن العظيم ٢/ ٢٧٧

(٥)أخرجه البخاري في كتاب النكاح / باب ما يكره من ضرب النساء ٦/ ١٥٣ ، ومسلم في كتاب الجنة / باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ٣/ ٢١٩١

(٦)أخرجه البخاري في كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة / باب كم التعزير والأدب ٨/ ٣١، ومسلم في كتاب الحدود باب قدر أسواط التعزير٢/ ١٣٣٢

(٧)انظر المغني لابن قدامة ١٠/ ٢٦١

ومن الملاحظ هنا أنه تعالى ابتدأ بالوعظ ، ثم ترقى منه إلى الهجران في المضاجع، ثم ترقى منه إلى الضرب ، وذلك تنبيه يجرى مجرى التصريح في أنه مهما حصل الغرض بالطريق الأخف وجب الاكتفاء به ولم يجز الإقدام على الطريق الأشق ، والله أعلم[١].

ومن المعلوم أن مشروعية ضرب النساء ليست بالأمر المستنكر في العقل أو الفطرة فيحتاج إلى التأويل فهو أمر يحتاج إليه في حال فساد البيئة وغلبة الأخلاق الفاسدة وإنما يباح إذا رأى الرجل أن رجوع المرأة عن نشوزها يتوقف عليه ، وإذا صلحت البيئة وصار النساء يعقلن النصيحة ويستجبن للوعظ ، أو يزدجرن بالهجر ، فيجب الاستغناء عن الضرب فلكل حال حكم يناسبها في الشرع ، ونحن مأمورون على كل حال بالرفق بالنساء واجتناب ظلمهن ، وإمساكهن بمعروف ، أو تسريحهن بإحسان[٢].

وقال جماعة من أهل العلم : الآية على الترتيب ، فالوعظ عند خوف النشوز، والهجر عند ظهور النشوز، والضرب عند تكرره ، واللجاج فيه . ولا يجوز الضرب عند ابتداء النشوز . قال القاضي أبو يعلى: وعلى هذا مذهب أحمد . وقال الشافعي: يجوز ضربها في ابتداء النشوز[٣].

وقد يستعظم بعض من قلد الإفرنج من المسلمين مشروعية ضرب المرأة الناشز، ولا يستعظمون أن تنشز وتترفع عليه ، فتجعله وهو الرئيس مرءوسا محتقرا وتصر على نشوزها ، فلا تلين لوعظه ونصحه ولا تبالي بإعراضه وهجره، فإن كان قد ثقل ذلك عليهم فليعلموا أن الإفرنج أنفسهم يضربون نساءهم العالمات المهذبات ، بل فعل ذلك حكماؤهم وعلماؤهم وملوكهم وأمراؤهم ،

(١)انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ١٠/ ٩٠

(٢)انظر تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ٥/ ٧٥

(٣)انظر زاد المسير لابن الجوزي ٢/ ٧٦

فهو علاج قد يضطر إليه ولا سيما في دين عام لجميع طبقات المجتمع على اختلاف مراتبهم ، وكيف يستنكر هذا والعقل والفطرة يدعوان إليه إذا فسدت البيئة ، وغلبت الأخلاق الفاسدة ولم ير الرجل مناصا منه ولا ترجع المرأة عن نشوزها إلا به . ولكن إذا صلحت البيئة وصارت النساء يستجبن للنصيحة ، أو يزدجرن بالهجر وجب الاستغناء عنه[(١)].

ويزيد القرطبي هذا الأمر وضوحا بقرنه مع الحدود حيث يقول: (اعلم أن الله عز وجل لم يأمر في شيء من كتابه بالضرب صراحا إلا هنا وفي الحدود العظام ؛ فساوى معصيتهن أزواجهن بمعصية الكبائر ، وولى الأزواج ذلك دون الأئمة ، وجعله لهم دون القضاة بغير شهود ولا بينات ائتمانا من الله تعالى للأزواج على النساء) [(٢)].

ونظرا لعدم انضباط هذا الأمر في واقع الناس اليوم يشير ابن عاشور إلى وجوب مراقبة الأزواج في ذلك من قبل الحكام في قوله : (وأما الضرب فهو خطير وتحديده عسير ، ولكنه أذن فيه في حالة ظهور الفساد ؛ لأن المرأة اعتدت حينئذ ، ولكن يجب تعيين حد في ذلك لأنه لو أطلق للأزواج أن يتولوه ، وهم حينئذ يشفون غضبهم ، لكان ذلك مظنة تجاوز الحد ، إذ قل من يعاقب على قدر الذنب، على أن قواعد الشريعة لا تسمح بأن يقضي أحد لنفسه لولا الضرورة . بيد أن الجمهور قيدوا ذلك بالسلامة من الإضرار ، وبصدوره ممن لا يعد الضرب بينهم إهانة وإضرارا . فنقول: يجوز لولاة الأمور إذا علموا أن الأزواج لا يحسنون وضع العقوبات الشرعية مواضعها ، ولا الوقوف عند حدودها أن يضربوا على أيديهم استعمال هذه العقوبة) [(٣)].

---

(١)انظر تفسير المراغي ٥/ ٢٩

(٢)انظر الجامع لأحكام القرآن ٥/ ١٧٣

(٣)انظر التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور ٣/ ٥/ ٤٤

ثانيا:الرد على شبهات المغرضين:

يتهم أعداؤنا الإسلام بأنه ظلم المرأة واحتقرها وأمر بضربها ، وهذا فيه إهانة لها واعتداء على كرامتها ، ونحو ذلك من المكائد التي يريدون بها تشويه هذا الدين والتنفير منه .

فنقول في الرد عليهم :

١- انظروا بعين البصيرة إلى صفة من أمر الإسلام بضربها ، إنها المرأة لناشز فقط ، وليست كل النساء قد أمر بضربهن ، فهي حالة شاذة .

٢- ثم إنها هي البادئة أولا بالنشوز والبادي أظلم .

٣- وهذا الضرب من مصلحتها فهو أولى من وقوع الطلاق وتشتيت شمل الأسرة .

٤- ثم انظروا إلى نوعية هذا الضرب المأمور به هنا ، فإنه ضرب خفيف غير مبرح ولا مؤثر إنما يقصد منه التأديب فقط لا الإيلام والإهانة.

٥- وهذا الضرب لم يؤمر به ابتداء ، إنما جاء في المرتبة الثالثة حيث لم يفد الوعظ والهجر، فتحقق وقوع النشوز منها فاضطر إلى استخدام الضرب لتعرف حق الزوج عليها.

٦- أن الإسلام حريص على الستر فكونه يضربها في بيتها أولى من افتضاح أمرها بتطور الأمر وخروجه إلى بقية الأسرة أو الحكمين.

ثالثا : بعض لطائف الآية الكريمة:

ختم الله الآية بقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾

المعنى: فلا تطلبوا طريقا إلى أذاهن ومكروههن ، ولا تلتمسوا سبيلا إلى مالا يحل لكم من أبدانهن وأموالهن بالعلل ، وذلك أن يقول أحدكم لإحداهن وهي له مطيعة ، إنك لست تحبيني وأنت لي مبغضة فيضربها على ذلك أو يؤذيها،

فقال الله تعالى للرجال ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ ﴾: أي على بغضهن لكم فلا تجنوا عليهن ، ولا تكلفوهن محبتكم ، فإن ذلك ليس بأيديهن فتضربوهن أو تؤذوهن عليه ، ومعنى قوله ﴿ فَلَا تَبْغُواْ ﴾: لا تلتمسوا ، ولا تطلبوا ، من قول القائل : بغيت الضالة : إذا التمستها. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ يقول: إن الله ذو علو على كل شيء ، فلا تبغوا أيها الناس على أزواجكم إذا أطعنكم فيما ألزمهن الله لكم من حق سبيلا لعلو أيديكم على أيديهن ، فإن الله أعلى منكم ، ومن كل شيء ، وأعلى منكم عليهن ، وأكبر منكم ، ومن كل شيء ، وأنتم في يده و قبضته فاتقوا الله أن تظلموهن ، وتبغوا عليهن سبيلا ، وهن لكم مطيعات فينتصر لهن منكم ربكم الذي هو أعلى منكم ومن كل شيء ، وأكبر منكم ومن كل شيء[1] .

وقيل المعنى: ﴿ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾ أي لا تتعرضوا لهن بشيء مما يكرهن لا بقول ولا بفعل ، وقيل: لا تكلفوهن الحب لكم فإنه لا يدخل تحت اختيارهن ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ إشارة إلى الأزواج بخفض الجناح ولين الجانب أي: وإن كنتم تقدرون عليهن فاذكروا قدرة الله عليكم فإنها فوق كل قدرة ، والله بالمرصاد لكم [2].

والمعنى العام لهذه الآية : أن الله قد كلف الرجال وحملهم القوامة على النساء ، بما وهبهم من الصفات التي تؤهلهم لذلك ، ثم أثنى على النساء الصالحات ، القانتات المطيعات لله ولأزواجهن ، والحافظات للغيب ، أي يحفظن فروجهن في غيبة أزواجهن ، وقيل: يحفظن سرهم ، وقيل: يحفظن الله بالطاعة . ثم نبه الأزواج إلى ملاحظة سلوك أزواجهم بالمبادرة إلى اتخاذ الأسباب التي تحفظ لهم أسرهم وأزواجهم ، فإذا ارتاب الزوج من أخلاق

---

(١)انظر جامع البيان للطبري ٤/ ٥/ ٦٩

(٢)انظر فتح القدير للشوكاني ١/ ٤٦١

زوجته فعليه أن يسارع إلى ردها إلى جادة الصواب ، فيعظها ويرغبها أولا فإن رأى منها استجابة وإلا بدأ بالترهيب ، بأن يذكر لها ما ورد في الأحاديث بأن الملائكة تلعنها حتى تصبح لو باتت وزوجها عليها ساخط ، ونحو ذلك مما عساه أن يكون رادعا لها ، فإن لم تستجب ورأى منها نشوزا هجرها في المضجع مدة ، فإن انقادت واستقامت وإلا انتقل إلى ما هو أقوى وهو الضرب غير المبرح: وهو الذي لا يكسر عظما ولا يجرح الجلد ولا يكون في الوجه ، ولا يكون بعصا غليظة ، فيكون باليد أو بمنديل ملفوف ، أو بالسواك ونحوه ، لأن المقصود منه ليس الإيلام ، بل لترى أن للزوج الحق في تأديبها ، فإذا لم تستجب بعد ذلك فهنا يكون انتهى دور الزوج في العلاج ، وفي ختام الآية نبه سبحانه الأزواج إلى أنه إذا حصلت الاستقامة من الزوجات فلا يبغوا عليهن سبيلا ، أي لا يتخذوا إجراء آخر غير ما ذكره الله ، ثم خوفهم نقمته وعذابه وأنه أقدر عليهم منهم عليهن .

الفصل الثاني:الشقاق بين الزوجين وعلاجه في ضوء سورة النساء

ويشتمل على:

المطلب الأول:معنى الشقاق والمراد به:

قوله تعالى: ﴿ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ﴾ أي علمتم أيها الناس شقاق بينهما وذلك مشاقة كل واحد منهما صاحبه ، وهو إتيانه ما يشق عليه من الأمور؛ فأما من المرأة فالنشوز، وتركها حق الله عليها،الذي ألزمها الله لزوجها، وأما من الزوج فتركه إمساكها بالمعروف، أو تسريحها بإحسان. والشقاق: مصدر من قول القائل: شاق فلان فلانا:إذا أتى كل واحد منهما إلى صاحبه ما يشق عليه من الأمور، فهو يشاقه مشاقة وشقاقا، وذلك قد يكون عداوة[1].

وقيل: الخوف بمعنى اليقين، وقيل: هو بمعنى الظن يعني: إن ظننتم شقاق بينهما[2].

وإنما فسر الخوف هنا بمعنى اليقين : لأن شؤون الأسرة لابد أن تكون سرية ، ولا يطلع عليها الأجانب إلا عند تحقق النشوز ، والذين فسروه بمعنى الظن مرا دهم الظن الراجح وليس مجرد التوقع .

المطلب الثاني:علاج الشقاق بإرسال الحكمين:

إذا ظهر بين الزوجين شقاق واشتبه حالهما فلم يفعل الزوج الصفح ولا الفرقة ، ولا المرأة تأدية الحق ولا الفدية ، وخرجا إلى ما لا يحل قولا وفعلا ، بعث الإمام حكما من أهله إليه وحكما من أهلها إليها رجلين حرين عدلين ، ليستطلع كل واحد من الحكمين رأي من بعث إليه إن كانت رغبته في الوصلة أو في الفرقة ، ثم يجتمع الحكمان فينفذان ما اجتمع عليه رأيهما من الصلاح ، والأمر في الآية للحكام ، وقيل لأولياء الزوجين.

واختلف القول في جواز بعث الحكمين من غير رضا الزوجين، وأصح القولين : أنه لا يجوز إلا برضاهما ، وليس لحكم الزوج أن يطلق دون رضاه ، ولا لحكم المرأة أن يخالع على مالها إلا بإذنها ، وهو قول أصحاب الرأي .

---

(١)انظر جامع البيان للطبري ٤/ ٥/ ٧٠

(٢)انظر معالم التنزيل للبغوي ٢/ ٢٠٨

والقول الثاني: يجوز بعث الحكمين دون رضاهما ، ويجوز لحكم الزوج أن يطلق دون رضاه ولحكم المرأة أن يخلع دون رضاها،إذا رأيا الصلاح كالحاكم يحكم بين خصمين وإن لم يكن على وفق مرادهما وبه قال مالك[١] .

المطلب الثالث:مهمة الحكمين وما يتعلق بهما من أحكام.ويشتمل على:

أولا :مهمة الحكمين وحكمة كونهما من الأهل:

بين الله في الآية المهمة التي يتولاها الحكمان فقال سبحانه: ﴿ فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا ﴾ يعني: الحكمين ﴿ يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ ﴾ ، يعني : بين الزوجين ، وقيل : بين الحكمين ؛ لأنه إذا توافق الحكمان وفقا بإذن الله بين الزوجين ، ومهمة الحكمين هي النظر في حال الزوجين وأي الطريقين أصلح في حقهما ، هل هو البقاء واستمرار الحياة الزوجية ، أو التفريق بينهما ، وقد اتفق العلماء على أن للحكمين الجمع بين الزوجين والإصلاح بينهما ؛ لأنه الهدف الأول من بعثهما ، فإن لم يتمكنا من الإصلاح فرقا بينهما . وعن عبيدة أنه قال: جاء رجل وامرأة إلى علي ابن أبي طالب – رضي الله عنه – ومع كل واحد منهما فئام[٢] من الناس فأمرهم علي فبعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ثم قال للحكمين: أتدريان ما عليكما ؟ إن رأيتما أن تجمعا جمعتما وإن رأيتما أن تفرقا فرقتما ، قالت المرأة رضيت بكتاب الله بما علي فيه ولي فقال الرجل:أما الفرقة فلا فقال علي: كذبت والله حتى تقر بمثل الذي أقرت به[٣] .

---

(١)انظر معالم التنزيل للبغوي ٢/ ٢٠٩.

(٢)فئام من الناس: جماعة منهم .

(٣)أخرجه سعيد بن منصور في سننه عن عبيدة السلماني انظر ٤/ ١٢٤٣

وأخرجه الطبري عن عبيدة انظر جامع البيان ٤/ ٥/ ٧١ ، والشافعي في الأم ٥/ ١٩٤وقال : حديث علي ثابت عندنا .

وأخرجه البيهقي في سننه ٧/ ٣٠٦ ، وأخرجه البغوي في شرح السنة ٩/ ١٨٩وانظر معالم التنزيل للبغوي ٢/ ٢٠٩.

ولما كثرت المشاكل الزوجية في هذا الوقت اتجه مجلس هيئة كبار العلماء إلى دراسة موضوع النشوز ، ليكون من جملة الموضوعات التي تعد فيها اللجنة الدائمة للبحوث العلمية بحوثا ، وأعدت بذلك بحثا عرض على هيئة كبار العلماء في الدورة الخامسة المنعقدة بمدينة الطائف من الخامس من شهر شعبان إلى الثاني والعشرين منه عام ١٣٩٤هـ. وبعد اطلاع المجلس على ما أعد من أقوال العلماء وأدلتهم ومناقشتها وتداول الرأي في ذلك قرر المجلس بالإجماع ما يلي :

أن يبدأ القاضي بنصح الزوجة وترغيبها في الانقياد لزوجها وطاعته وتخويفها من إثم النشوز وعقوبته ، وأنها إن أصرت فلا نفقة لها عليه ولا كسوة ولا سكنى ، ونحو ذلك من الأمور التي يرى أنها تكون دافعة الزوجة إلى العودة لزوجها ورادعة لها من الاستمرار في نشوزها ، فإن استمرت على نفرتها وعدم الاستجابة عرض عليها الصلح ، فإن لم يقبلا ذلك نصح الزوج بمفارقتها ، وبين له أن عودتها إليه أمر بعيد ، ولعل الخير في غيرها ونحو ذلك مما يدفع الزوج إلى مفارقتها ، فإن أصر على إمساكها وامتنع من مفارقتها واستمر الشقاق بينهما ، بعث القاضي حكمين عدلين ممن يعرف حالة الزوجين من أهلهما حيث أمكن ذلك ، فإن لم يتيسر فمن غير أهلهما يصلح لهذا الشأن ، فإن تيسر الصلح بين الزوجين على أيديهما فبها ، وإلا أفهم القاضي الزوج أنه يجب عليه مخالعتها على أن تسلمه الزوجة ما أصدقها ، فإن أبى أن يطلق حكم القاضي بما رآه الحكمان من التفريق بعوض أو بغير عوض ، فإن لم يتفق الحكمان أو لم يوجدا وتعذرت العشرة بالمعروف بين الزوجين ، نظر القاضي في أمرهما وفسخ النكاح حسبما يراه شرعا بعوض أو بغير عوض ، والأصل بذلك الكتاب والسنة والأثر والمعنى.

فمن أدلة الكتاب قوله تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ النساء: ١١٤ وقوله : ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ النساء: ١٢٨وقوله : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ النساء: ٣٥ وهذه الآية عامة في مشروعية الأخذ بما يريانه من جمع أو تفريق بعوض أو بغير عوض.وقوله: ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ البقرة: ٢٢٩

ومن السنة : ما رواه البخاري عن عكرمة عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : (جاءت امرأة ثابت بن قيس بن شماس إلى النبي – ﷺ – فقالت: يا رسول الله ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا دين، ولكني أكره الكفر في الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : أتردين عليه حديقته ، قالت: نعم قال رسول الله ﷺ : اقبل الحديقة وطلقها تطليقة)[1] .

وأما الأثر: فما رواه عبد الرزاق عن معمر عن أبي طاووس عن عكرمة ابن خالد عن ابن عباس قال : بعثت أنا ومعاوية حكمين . قال معمر : بلغني أن عثمان بعثهما وقال : إن رأيتما أن تجمعا جمعتما و إن رأيتما أن تفرقا فرقتما[2].

---

(١)أخرجه البخاري في كتاب الطلاق / باب الخلع وكيف الطلاق فيه ٦/ ١٧٠.

(٢)انظر مصنف عبد الرزاق ٦/ ٥١٢.، والسنن الكبرى للبيهقي كتاب القسم والنشوز ، باب الحكمين في الشقاق بين الزوجين ٧/ ٣٠٦

وكذا ما أخرجه الطبري عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في الحكمين أنه قال: فإن اجتمع أمرهما على أن يفرقا أو يجمعا فأمرهما جائز[١] .

وأما المعنى: فإن بقاءها ناشزا مع طول المدة أمر غير محمود شرعا؛ لأنه ينافي المودة والإخاء وما أمر الله به من الإمساك بمعروف أو التسريح بإحسان ، مع ما يترتب على الإمساك من المضار والمفاسد والظلم والإثم ، وما ينشأ عنه من القطيعة بين الأقارب ، وتوليد العداوة والبغضاء [٢].

وقد عُمِّمَ ما جاء في قرار هيئة كبار العلماء على جميع المحاكم الشرعية بقرار من معالي وزير العدل رقم ٥٥/ ١٢/ ت في ٢٢/ ٣/ ١٣٩٥هـ .

وقد أمر الله أن يكون بعث الحكمين من أهلهما؛ لأن الأقارب أعرف ببواطن الأحوال وأطلب للصلاح ، وإنما تسكن إليهم نفوس الزوجين ويبرز إليهم ما في ضمائرهما من الحب والبغض، وإرادة الصحبة والفرقة وموجبات ذلك ومقتضياته، وما يزويانه عن الأجانب ولا يحبان أن يطلع عليه[٣].

وأشار ابن العربي إلى أن الحكمة في ذلك:(أن الأهل أعرف بأحوال الزوجين وأقرب إلى أن يرجع الزوجان إليهما؛ فأحكم الله سبحانه الأمر بأهله) [٤].

وقيل: الحكمان لا يكونان إلا من أهل الرجل والمرأة ، إذ هما أقعد بأحوال الزوجين ، ويكونان من أهل العدالة وحسن النظر والبصر بالفقه[٥] .
وقال ابن قدامة:(والأولى كونهما من الأهل ؛ لأمر الله تعالى بذلك

(١)انظر جامع البيان للطبري ٤/ ٧٤.
(٢)مجلة البحوث الإسلامية المجلد الأول العدد الثالث ص٢٢٤.
(٣)انظر الكشاف ١/ ٢٦٧
(٤)انظر أحكام القرآن لابن العربي ١/ ٤٢٦
(٥)انظر الجامع لأحكام القرآن ٥/ ١٧٥

ولأنهما أشفق وأعلم بالحال ، فإن كانا من غير أهلهما جاز ؛ لأن القرابة ليست شرطا في الحكم والوكالة ، فكان الأمر بذلك إرشادا واستحبابا)[١] .

ثانيا:الأحكام المتعلقة بالحكمين:

الحكم الأول: هل هما قاضيان أو وكيلان أو شاهدان:

قال ابن العربي:(قوله تعالى: ﴿ **حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ** ﴾ : هذا نص من الله سبحانه في أنهما قاضيان لا وكيلان ، وللوكيل اسم في الشريعة ومعنى ، وللحكم اسم في الشريعة ومعنى ، فإذا بين الله سبحانه كل واحد منها فلا ينبغي لشاذ – فكيف لعالم – أن يركب معنى أحدهما على الآخر؛ فذلك تلبيس وإفساد للأحكام ، وإنما يسيران بإذن الله ويخلصان النية لوجه الله ، وينظران فيما عند الزوجين بالتثبت ؛ فإن رأيا للجمع وجها جمعا ، وإن وجداهما قد أنابا تركاهما) [٢].

وأخرج سعيد بن منصور عن الشعبي قوله :(ما حكم الحكمان من شيء جاز ، إن فرقا ، وإن جمعا) [٣].

وأخرج الطبري عن الشعبي أيضا قال :(ما صنع الحكمان من شيء فهو جائز عليهما ، إن طلقا ثلاثا فهو جائز عليهما وإن طلقا واحدة أو طلقاها على جعل فهو جائز ، وما صنعا من شيء فهو جائز .

وأخرج عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، قال : إن شاء الحكمان أن يفرقا فرقا ، وإن شاءا أن يجمعا جمعا) [٤].

(١)انظر المغني لابن قدامة ١٠/ ٢٦٥.
(٢)انظر أحكام القرآن لابن العربي ١/ ٤٢٤
(٣)انظر سنن سعيد بن منصور ٤/ ١٢٤٦
(٤)انظر جامع البيان للطبري ٤/ ٥/ ٧٤

وزاد القرطبي تفصيلا لذلك بقوله:(وإن رأيا الفرقة فرقا بينهما، وتفريقهما جائز على الزوجين ؛ وسواء وافق حكم قاضي البلد أو خالفه وكلهما الزوجان بذلك أو لم يوكلاهما . والفراق في ذلك طلاق بائن .

وقال قوم : ليس لهما الطلاق ما لم يوكلهما الزوج في ذلك ، وليعرفا الإمام ؛ وهذا بناء على أنهما رسولان شاهدان . ثم الإمام يفرق إن أراد ويأمر الحكم بالتفريق . وهذا أحد قولي الشافعي ؛ وبه قال الكوفيون ، وهو قول عطاء وابن زيد والحسن ، وبه قال أبو ثور . والصحيح الأول، وهو أن للحكمين التطليق دون توكيل؛ وهو قول مالك والأوزاعي وإسحاق وروي عن عثمان وعلي وابن عباس، وعن الشعبي والنخعي ، وهو قول الشافعي؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ ﴾
وهذا نص من الله سبحانه بأنهما قاضيان لا وكيلان ولا شاهدان) [(١)].

ويشير ابن القيم إلا أن الخلاف قديم في هذه المسألة حيث قال: وقد اختلف السلف والخلف في الحكمين هل هما حاكمان أو وكيلان ؟ على قولين: أحدهما: أنهما وكيلان. وهو قول أبي حنيفة والشافعي في قول ، وأحمد في رواية .

والثاني: أنهما حاكمان . وهذا قول أهل المدينة ومالك ، وأحمد في الرواية الأخرى ، والشافعي في القول الآخر، وهذا هو الصحيح .

والعجب كل العجب ممن يقول : هما وكيلان ، لا حاكمان . والله تعالى قد نصبهما حكمين. وجعل نصبهما إلى غير الزوجين. ولو كانا وكيلين لقال : فليبعث وكيلا من أهله ، ولتبعث وكيلا من أهلها.وأيضا : فلو كانا وكيلين لم يختصا بأن يكونا من الأهل . وأيضا : فإنه جعل الحكم إليهما ، فقال : ﴿ إِن

(١)انظر الجامع لأحكام القرآن ٥/ ١٧٦ ، والمغني لابن قدامة ١٠/ ٢٦٤

﴿ يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ ﴾ والوكيلان لا اختيار لهما إنما يتصرفان بإرادة موكليهما[١].

ورجح ذلك أيضا ابن تيمية والشيخ ابن إبراهيم[٢].

الحكم الثاني: ما الحكم إذا لم يتفق الحكمان:

إن اختلف الحكمان لم ينفذ قولهما ولم يلزم من ذلك شيء إلا ما اجتمعا عليه. وكذلك كل حكمين حكما في أمر ؛ فإن حكم أحدهما بالفرقة ولم يحكم بها الآخر، أو حكم أحدهما بمال وأبى الآخر فليسا بشيء حتى يتفقا وقال مالك في الحكمين يطلقان ثلاثا قال: تلزم واحدة وليس لهما الفراق بأكثر من واحدة بائنة؛ وهو قول ابن القاسم. وقال ابن القاسم أيضا: تلزمه الثلاث إن اجتمعا عليها ؛ وقاله المغيرة وأشهب وابن الماجشون وأصبغ. وقال ابن المواز: إن حكم أحدهما بواحدة والآخر بثلاث فهي واحدة. وحكى ابن حبيب عن أصبغ أن ذلك ليس بشيء[٣].

وقال الشوكاني :(إذا اختلف الحكمان لم ينفذ حكمهما ولا يلزم قبول قولهما بلا خلاف)[٤].

الحكم الثالث: هل يكفي حكم واحد في هذه القضية:

ذهب بعض العلماء إلى أنه لا يكفي بعث الحكم الواحد بين الزوجين المتنازعين، فلا بد من بعث حكمين اثنين ينظران في أمرهما، ودليل ذلك نص الآية وأن الله فرض الحكمين ؛ ولأن كل واحد من الزوجين يتهم الحكم الواحد

---

(١)انظر زاد المعاد لابن القيم ٥/ ١٩٠ .، وانظر الضوء المنير على التفسير لابن القيم جمع الشيخ علي الحمد الصالحي ٢/ ٢١٢

(٢)انظر الاختيارات الفقهية لابن تيمية ص(٢٥٠)، وفتاوى الشيخ ابن إبراهيم ١٠/ ٢٩٧

(٣)انظر الجامع لأحكام القرآن ٥/ ١٧٧

(٤)انظر فتح القدير ١/ ٤٦٣

وقد لا يفشي إليه سره . قال في الإنصاف : فإن خرجا إلى الشقاق والعداوة ، بعث الحاكم حكمين حرين مسلمين عد لين[1] .

ومذهب أكثر العلماء: جواز إرسال الحكم الواحد ، في الشقاق بين الزوجين في حالة كونه قريبا لهما جميعا ، أو اتفق الزوجان على اختياره والرضا بكونه يحكم بينهما ولو لم يكن قريبا لهما ، فهذا حق لهما فإن أسقطاه جاز وقبل منهما ؛ لأن الله سبحانه حكم في الزنا بأربعة شهود ، ثم قد أرسل النبي - ﷺ - إلى المرأة الزانية أنيسا وحده وقال له : (إن اعترفت فارجمها) [2] .

وقال الشوكاني:(وإذا جاز إرسال الواحد فلو حكم الزوجان واحدا لأجزأ وهو بالجواز أولى إذا رضيا بذلك) [3] . وهذا هو الراجح.

والمعنى العام لهذه الآية: أن الله سبحانه وتعالى نبه في هذه الآية الأولياء والحكام إلى الحرص على سلامة الأسر، وعدم الرضا بوقوع الخلافات والنزاعات ، فإذا لم يجد العلاج الذي تولاه الزوج في الخطوات السابقة فلابد من بعث حكمين إلى الزوجين للإصلاح بينهما ، ونص على كونهما من الأهل ؛ لأن الإسلام حريص على الستر وعدم إفشاء أسرار البيوت إلا عند الضرورة القصوى ، وبين أن مهمة الحكمين الإصلاح بين الزوجين لكن إن تفاقم النزاع ولم يمكن الإصلاح واضطرا إلى الفراق جاز لهما ذلك حسما للنزاع ، ثم ختم الله الآية بصفتي العلم والخبرة ، أي أن الله لا تخفى عليه خافية من أعمالكم ، وهذا فيه نوع من الوعيد ؛ لأن الله إذا كان عالما بكل شيء فسيجازي ويحاسب على كل شيء .

(١)انظر الإنصاف للمرداوي ٢١/ ٤٧٧.

(٢)أخرجه البخاري في كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ٣/ ١٦٧ ، ومسلم كتاب الحدود / باب من اعترف على نفسه بالزنى ٢/ ١٣٢٥

(٣)انظر فتح القدير ٣/ ٤٦٣.

الفصل الثالث:نشوز الزوج وإعراضه وعلاجه في ضوء سورة النساء.

ويشتمل على:

تمهيد: في بيان المعنى العام للآية الكريمة والمراد بالخوف فيها:

قال ابن جرير:(يعني بذلك جل ثناؤه ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا ﴾ يقول : علمت من زوجها) [١].

ويفصل ابن الجوزي في ذلك قائلا :(وفي خوف النشوز قولان .
أحدهما:أنه العلم به عند ظهوره ، والثاني : الحذر من وجوده لأماراته) [٢].

وقيل في معنى الخوف: هو توقع ما يكره بوقوع بعض أسبابه أو ظهور بعض أماراته ، أي وإن خافت امرأة خافت من بعلها نشوزا وترفعا عليها أو إعراضا عنها ، بأن ثبت لها ذلك وتحقق ولم يكن وهما مجردا ، أو وسواسا عارضا ، يدل على ذلك جعل فعل الخوف المذكور ، مفسرا لفعل محذوف ، للاحتراس من بناء الحكم على أساس الوسوسة التي تكثر عند النساء – وهو من إيجاز القرآن البديع – وذلك أن المرأة إذا رأت زوجها مشغولا بأكبر العظائم المالية أو السياسية أو حل أعوص المسائل العلمية أو بغير ذلك من المشاكل الدنيوية أو المهمات الدينية، لا تعد ذلك عذرا يبيح له الإعراض عن مسامرتها أو منادمتها ، أو الرغبة عن مناغاتها ومباعلتها ، والواجب عليها أن تتبين وتتثبت فيما تراه من أمارات النشوز والإعراض فإذا ظهر لها أن ذلك لسبب خارجي لا لكراهتها والرغبة عن معاشرتها بالمعروف ، فعليها أن تعذر الرجل وتصبر على مالا تحب من ذلك، وإن ظهر لها أن ذلك لكراهته إياها ورغبته عنها ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ﴾ [٣].

---

(١)انظر جامع البيان للطبري ٤/ ٦/ ٣٠٥

(٢)انظر زاد المسير لابن الجوزي٢/ ١٢٨

(٣)انظر تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ٥/ ٤٤٥

المطلب الأول: تعريف النشوز والإعراض وبيان الفرق بينهما:

تعريف النشوز من جانب الزوج.

وقد عرفه الفقهاء: بأنه إعراض الزوج عنها لكراهته لها ، أو رغبته عنها لمرض أو كبر أو غيرهما[1].

والفرق بين النشوز والإعراض:

١- أن النشوز والإعراض يتفقان في وقوع الكراهة وزوال المحبة من أحد الطرفين للآخر ، وكذا يتفقان في أسباب وجودهما .

٢- أن النشوز يكون من الزوجين جميعا ، أو من أحدهما .

٣- أن الإعراض يكون من الزوج فقط ؛ولم يذكر الله من الزوجة إعراضا.

٤- أن الإعراض أقل ضررا من النشوز.

٥- أن النشوز التباعد ، والإعراض ألا يكلمها ولا يأنس بها.

وبهذا يتبين أن النشوز أعم وأشمل من الإعراض ، فهو يشمل كل عصيان وإساءة للعشرة من أحد الزوجين ، والإعراض بخلاف ذلك[2].

قال ابن جرير: ﴿ نُشُوزًا ﴾ يعني : استعلاء بنفسه عنها إلى غيرها أثرة عليها وارتفاعا بها عنها، إما لبغضه ، وإما لكراهته بعض أشياء بها، إما دمامتها وإما كبر سنها ، أو غير ذلك من أمورها ﴿ إِعْرَاضًا ﴾ يعني : انصرافا عنها بوجهه أو ببعض منا فعه التي كانت لها منه [3].

وقد ورد في سبب نزولها ما أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت:(نزلت في المرأة تكون عند الرجل فلا يستكثر منها ويريد فراقها ،

(١)انظر الأم للشافعي ٥/ ١١٢ ، والكافي لابن قدامة ٣/ ١٣٨.

(٢)أحكام النشوز في الفقه الإسلامي بحث لنيل درجة الماجستير غير منشور لـ:عبدالله بن عبد العزيز بن مرشد آل عبد الله ص٤٤.

(٣)انظر جامع البيان للطبري ٤/ ٥/ ٣٠٥.

ولعلها أن تكون لها صحبة ، ويكون لها ولد ، ويكره فراقها وتقول له : لا تطلقني وأمسكني وأنت في حل من شأني) [١] .

المطلب الثاني:علاج نشوز الزوج وإعراضه في ضوء الآية الكريمة.

ويشتمل على:

أولا : معنى الإصلاح بين الزوجين وكيفيته:

قوله تعالى: ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ﴾ يقول: فلا حرج عليهما ، يعني : على المرأة الخائفة نشوز بعلها أو إعراضه عنها ، أن يصلحا بينهما صلحا ، وهو أن تترك له يومها ، أو تضع عنه بعض حقها الواجب لها من حق عليه ، تستعطفه بذلك ، وتستديم المقام في حباله والتمسك بالعقد الذي بينها وبينه من النكاح ، يقول ﴿ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ يعني: والصلح بترك بعض الحق استدامة للحرمة ، وتماسكا بعقد النكاح ، خير من طلب الفرقة والطلاق[٢] .

وقال البغوي :(في قوله ﴿ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ﴾ يعني : في القسمة والنفقة، وهو أن يقول الزوج لها : إنك قد دخلت في السن وإني أريد أن أتزوج امرأة شابة جميلة أوثرها عليك في القسمة ليلا ونهارا فإن رضيت بهذا فأقيمي وإن كرهت خليت سبيلك ، فإن رضيت كانت هي المحسنة ولا تجبر على ذلك ، وإن لم ترض بدون حقها من القسم كان على الزوج أن يوفيها حقها من القسم والنفقة أو يسرحها بإحسان ، فإن أمسكها ووفاها حقها مع كراهته فهو محسن .

وعن علي – رضي الله عنه – في هذه الآية قال : تكون المرأة عند الرجل فتنبو عينه عنها من دمامة أو كبر فتكره فرقته ، فإن أعطته من مالها فهو له حل ، وإن أعطته

(١)أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن ، باب قوله:(ويستفتونك في النساء...)٥/ ١٨٤ ، ومسلم في كتاب التفسير ٣/ ٢٣١٦

(٢)انظر جامع البيان للطبري ٤/ ٥/ ٣٠٦

من أيامها فهو له حل ، كما يروى أن سودة - رضي الله عنها - كانت امرأة كبيرة وأراد النبي - ﷺ - أن يفارقها ، فقالت : لا تطلقني وإنما بي أن أُبْعَث في نسائك وقد جعلت نوبتي لعائشة - رضي الله عنها - فأمسكها رسول الله - ﷺ - وكان يقسم لعائشة يومها ويوم سودة رضي الله عنها[1].

وقد اتفق العلماء على جواز جميع أنواع الصلح التي تكون بين الزوجين كما حكاه القرطبي بقوله :(قال علماؤنا: وفي هذا أن أنواع الصلح كلها مباحة في هذه النازلة ؛ بأن يُعْطِي الزوج على أن تصبر هي ، أو تعطي هي على أن يؤثر الزوج ، أو على أن يؤثر و يتمسك بالعصمة ، أو يقع الصلح على الصبر والأثرة من غير عطاء ؛ فهذا كله مباح . وقد يجوز أن تصالح إحداهن صاحبتها عن يومها بشيء تعطيها) [2].

ويبين ابن عاشور أهمية الصلح وتأكده بقوله:(والتعريف في قوله ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾ تعريف الجنس وليس تعريف العهد ، لأن المقصود إثبات أن ماهية الصلح خير للناس ، فهو تذييل للأمر بالصلح والترغيب فيه ، وليس المقصود أن الصلح المذكور آنفا ، وهو الخلع ، خير من النزاع بين الزوجين ؛ لأن هذا وإن صح معناه ،إلا أن فائدة الوجه الأول أوفر . ولأن فيه التفادي عن إشكال تفضيل الصلح على النزاع في الخيرية مع أن النزاع لا خير فيه أصلا . وقد دلت الآية على شدة الترغيب في هذا الصلح بواحد من مؤكدات ثلاثة : وهي

(١)انظر معالم التنزيل للبغوي ٢ / ٢٩٤، وجامع البيان للطبري ٤/ ٥/ ٣٠٦ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٤٠٦ ، وأخرجه البخاري في كتاب النكاح / باب المرأة تهب يومها من زوجها لضرتها وكيف يقسم ذلك ٦/ ١٥٤، وأخرجه مسلم في كتاب الرضاع / باب جواز هبتها نوبتها لضرتها ٢/ ١٠٨٥ ، وانظر شرح السنة للبغوي كتاب النكاح / باب هبة المرأة نوبتها لضرتها ٩/ ١٥٢

(٢)انظر الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٤٠٥

المصدر المؤكد في قوله ﴿ صُلْحًا ﴾. والإظهار في مقام الإضمار في قوله ﴿ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ والإخبار عنه بالمصدر أو بالصفة المشبهة فإنها تدل على فعل سجية .
وقد اشتهر عند العرب ذم الشح بالمال ، وذم من لا سماحة فيه ، فكان هذا التعقيب تنفيرا من العوارض المانعة من السماحة والصلح ، ولذلك ذيل بقول ﴿ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ لما فيه من الترغيب في الإحسان والتقوى)[١] .

وقوله تعالى : ﴿ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ﴾ ، يريد : شح كل واحد من الزوجين بنصيبه من الآخر ، والشح : أقبح البخل ، وحقيقته الحرص على منع الخير[٢] .

وقال أبو جعفر: (وقوله ﴿ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ﴾ أي : أحضرت أنفس النساء الشح بأنصِبائهن من أزواجهن في الأيام والنفقة . والشح : الإفراط في الحرص على الشيء ، وهو في هذا الموضع : إفراط حرص المرأة على نصيبها من أيامها من زوجها ونفقتها . فتأويل الكلام : وأحضرت أنفس النساء أهواءهن من فرط الحرص على حقوقهن من أزواجهن والشح بذلك على ضرائرهن)[٣] .

ثانيا: العدل بين الأزواج عند التعدد وكيفيته وأحكامه:
قال أهل التفسير : لن تطيقوا أن تسووا بينهن في المحبة التي هي ميل الطباع ؛ لأن ذلك ليس من كسبكم ، ولو حرصتم على ذلك وكذلك الجماع قد ينشط للواحدة مالا ينشط للأخرى ، فإذا لم يكن ذلك بقصد منه فلا حرج عليه فيه ، فإنه مما لا يستطيعه فلم يتعلق به تكليف . وقال مجاهد: لا تتعمدوا الإساءة بل

(١) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور ٣/ ٥/ ٢١٦
(٢) انظر معالم التنزيل للبغوي ٢/ ٢٩٥
(٣) انظر جامع البيان للطبري ٤/ ٥/ ٣١٢

الزموا التسوية في القسم والنفقة ؛ لأن هذا مما يستطاع . وعلى الرجل أن يعدل بين نسائه لكل واحدة منهن يوما وليلة ؛ هذا قول عامة العلماء . وذهب بعضهم إلى وجوب ذلك في الليل دون النهار . ولا يُسقِط حق الزوجة مرضها ولا حيضها ، ويلزمه المقام عندها في يومها وليلتها . وعليه أن يعدل بينهن في مرضه كما يفعل في صحته ، إلا أن يعجز عن الحركة فيقيم حيث غلب عليه المرض ، فإذا صح استأنف القسم . ولا يجمع بينهن في منزل واحد إلا برضاهن ، ولا يدخل لإحداهن في يوم الأخرى وليلتها لغير حاجة .

واختلف في دخوله لحاجة وضرورة ؛ فالأكثرون على جوازه ، وكان معاذ ابن جبل له امرأتان ، فإذا كان يوم هذه لم يشرب الماء من بيت الأخرى .

ويعدل بينهن في النفقة والكسوة إذا كن معتدلات الحال ، ولا يلزم ذلك في المختلفات المناصب . وأجاز مالك أن يفضل إحداهن في الكسوة على غير وجه الميل . فأما الحب والبغض فخارجان عن الكسب فلا يتأتى العدل فيهما [(١)] .

ويؤكد ابن كثير على ضرورة وجود التفاوت في معاملة الزوجات بقوله : (أي لن تستطيعوا أيها الناس أن تساووا بين النساء من جميع الوجوه فإنه وإن وقع القسم الصوري ليلة وليلة ، فلا بد من التفاوت في المحبة والشهوة والجماع كما قاله ابن عباس وعبيدة السلماني ومجاهد والحسن البصري والضحاك بن مزاحم)[(٢)] .

---

(١) انظر زاد المسير لابن الجوزي ٢/ ٢١٩. ، وأحكام القرآن لابن العربي ١/ ٥٠٤. ، والجامع لأحكام القرآن ٥/ ٤٠٧- ١٤/ ٢٠١٧

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٤١٠

وأخرج أبو داود عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : كان رسول الله – ﷺ – يقسم بين نسائه فيعدل ، ثم يقول :(اللهم هذا فعلي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك)[١].

والله سبحانه وتعالى قد عذر الناس في شأن النساء فقال تعالى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ أي تمام العدل . وجاء بـ ﴿ وَلَن ﴾ للمبالغة في النفي ، لأن أمر النساء يغالب النفس ، لأن الله جعل حسن المرأة وخلقها مؤثرا أشد التأثير، فرب امرأة لبيبة خفيفة الروح ، وأخرى ثقيلة حمقاء ، فتفاوتهن في ذلك وخلو بعضهن منه يؤثر لا محالة تفاوتا في محبة الزوج بعض أزواجه، ولو كان حريصا على إظهار العدل بينهن فلذلك قال ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾[٢].

وقال في تفسير المنار :(مَنْ عَدَّدَ النساء ناويا العدل حريصا عليه ثم ظهر له وُعُورَةُ مَسْلَكِهِ ، واشتباه أَعْلامِه ، والتحديد بين ما يملكه وما لا يملكه اختياره منه ، فالَوِرعُ من هؤلاء يحاول أن يعدل بين امرأتيه حتى في إقبال النفس ، والبشاشة والأنس ، وسائر الأعمال والأقوال ، فيرى أنه يتعذر عليه ذلك ؛ لأن الباعث على الكثير منه الوجدان النفسي ، والميل القلبي، وهو مما لا يملكه المرء، ولا يحيط به اختياره ، ولا يملك آثاره الطبيعية ولوازمه الفطرية، فخفف الله برحمته عن هؤلاء المتقين المتورعين وبين لهم أن العدل الكامل بين النساء غير

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب النكاح / باب في القسم بين النساء٢/ ٦٠٠ ، وأخرجه الترمذي في كتاب النكاح / باب ما جاء في التسوية بين الضرائر٣/ ٤٤٦ وقال الترمذي : رواه حماد بن زيد وغير واحد عن أيوب عن أبي قلابة مرسلا ، قال: وهذا أصح ، وأخرجه ابن ماجه في كتاب النكاح / باب القسمة بين النساء ١/ ٦٣٤ ، وأخرجه النسائي في كتاب عشرة النساء / باب ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض٧/ ٦٤ ، والحاكم في المستدرك وقال على شرط مسلم ووافقه الذهبي ٢/ ١٨٧وأورده البغوي في شرح السنة ٩/ ١٥١ وقال المحقق شعيب الأرنؤوط إسناده قوي ، وقال الألباني في مشكاة المصابيح سنده جيد انظر ٢/ ٩٦٥ ، وأخرجه الدارمي في النكاح / باب في القسمة بين النساء ٢/ ١٤٤

(٢) انظر التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور ٣/ ٥/ ٢١٨

مستطاع، ولا يتعلق به التكليف، كأنه يقول: مهما حرصتم على أن تجعلوا المرأتين كالغرارتين المتساويتين في الوزن - وهو حقيقة معنى العدل - فلن تستطيعوا ذلك بحرصكم عليه، ولو قدرتم عليه لما قدرتم على إرضائهما به ، وإذا كان الأمر كذلك في الواقع ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ إلى المحبوبة منهن بالطبع ، المالكة لما لم تملكه الأخرى من القلب فتعرضوا بذلك عن الأخرى[١].

وقال الشنقيطي:(والعدل الذي ذكر الله أنه لا يستطاع هو العدل في المحبة والميل الطبيعي ؛ لأنه ليس تحت قدرة البشر بخلاف العدل في الحقوق الشرعية فإنه مستطاع) [٢].

ثالثا: النهي عن الميل الجائر وبيان أضراره ومخاطره:

أخرج ابن جرير عن مجاهد في قوله تعالى ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ قال: يتعمد أن يسيء ويظلم ، وأخرج عن ابن زيد قال: هذا في العمل في مبيته عندها، وفيما تصيبه من خيره ، وأخرج عن السدي قال: يميل عليها فلا ينفق عليها ، ولا يقسم لها يوما[٣].

وقال ابن كثير:(﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ أي إذا ملتم إلى واحدة منهن فلا تبالغوا في الميل بالكلية ﴿فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ أي فتبقى هذه الأخرى معلقة قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن والضحاك والربيع ابن أنس والسدي ومقاتل بن حيان : معناه لا ذات زوج ولا مطلقة) [٤].

(١) انظر تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ٥/ ٤٨٨.
(٢) انظر أضواء البيان للشنقيطي ١/ ٤٨٧.
(٣) انظر جامع البيان للطبري ٤/ ٥/ ٣١٥
(٤) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٤١٠

وأخرج أبو داود عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ – (من كانت له امرأتان فمال على إحداهما ، جاء يوم القيامة وأحد شقيه ساقط)[١].

والذي أخبر الله عنه أنهم لا يستطيعونه لم يكلفهم قط إياه وهو النسبة في ميل النفس ؛ ولهذا كان النبي – ﷺ – يعدل بين نسائه في القسم ويجد نفسه أميل إلى عائشة في الحب ، فيقول : (اللهم هذه قدرتي فيما أملك ، فلا تسألني في الذي تملك ولا أملك) ، يعني قلبه ، والقاطع لذلك الحاسم لهذا الإشكال أن الله سبحانه قد أخبر بأنه رفع الحرج عنا في تكليف مالا نستطيع فضلا ، وإن كان له أن يلزمنا إياه حقا وخلقا قال محمد بن سيرين: سألت عبيدة عن هذه الآية فقال: هو الحب والجماع . وصدق ؛ فإن ذلك لا يملكه أحد ؛ إذ قلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن يصرفه كيف يشاء[٢].

ويبين الرازي أنه لا بد من وجود التفاوت في معاملة الزوجات بقوله: المعنى أنكم لستم منهيين عن حصول التفاوت في الميل القلبي ؛ لأن ذلك خارج عن وسعكم ، ولكنكم منهيون عن إظهار ذلك التفاوت في القول والفعل ، فقوله ﴿ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ﴾ يعني تبقى لا أيما ولا ذات بعل كما أن الشيء المعلق لا يكون على الأرض ولا في السماء[٣].

قوله تعالى ﴿ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

قال ابن جرير :(يعني بذلك جل ثناؤه : وإن تصلحوا أعمالكم أيها الناس فتعدلوا في قسمكم بين أزواجكم ، وما فرض الله لهن عليكم من النفقة والعشرة بالمعروف ، فلا تجوروا في ذلك وتتقوا ، يقول : وتتقوا الله في الميل الذي نهاكم

---

(١) أخرجه أبوداود في كتاب النكاح/ باب القسم بين النساء ٢/ ٦٠٠، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود: صحيح انظر٢/ ٤٠٠.

(٢) انظر أحكام القرآن لابن العربي ١/ ٥٠٤

(٣) انظر التفسير الكبير للرازي ١١/ ٦٨.

عنه، بأن تميلوا لإحداهن على الأخرى ، فتظلموها حقها مما أوجبه الله عليكم ، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ يقول : فإن الله يستر عليكم ما سلف منكم من ميلكم وجوركم عليهن قبل ذلك بتركه عقوبتكم عليه ، ويغطي ذلك عليكم بعفوه عنكم ما مضى منكم في ذلك قبل ﴿ رَّحِيمًا ﴾ يقول : وكان رحيما بكم إذ تاب عليكم[1] .

رابعا: اللجوء إلى التفريق وبيان فوائده وتوجيهات القرآن فيه:

قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ... ﴾

يقول ابن جرير:(يعني بذلك جل ثناؤه: فإن أبت المرأة التي قد نشز عليها زوجها، أو أعرض عنها بالميل منه إلى ضرتها لجمالها أو شبابها أو غير ذلك، مما تميل النفوس به إليها الصلح ، لصفحها لزوجها عن يومها وليلتها ، وطلبت حقها منه من القسم والنفقة ، وما أوجب الله لها عليه ، وأبى الزوج الأخذ عليها بالإحسان الذي ندبه الله إليه بقوله ﴿ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ إلحاقها في القسم لها والنفقة والعشرة بالتي هو إليها مائل ، فتفرقا بطلاق الزوج إياها ﴿ يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ يقول يغني الله الزوج والمرأة المطلقة من سعة فضله ، أما هذه فبزوج هو أصلح لها من المطلق الأول ، أو برزق واسع وعصمة ؛ وأما هذا فبرزق واسع وزوجة هي أصلح له من المطلقة أو عفة ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا ﴾ يعني : وكان الله واسعا لهما في رزقه إياهما وغيرهما من خلقه ﴿ حَكِيمًا ﴾ فيما قضى بينه وبينها من الفرقة والطلاق)[2] .

(١) انظر جامع البيان للطبري٤/ ٥/ ٣١٧.
(٢) المرجع السابق .

ومن سعة علم الله أنه قد أخبر تعالى أنهما إذا تفرقا فإن الله يغنيه عنها ويغنيها عنه بأن يعوضه الله من هو خير له منها ، ويعوضها عنه بمن هو خير لها منه ، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴾ أي واسع الفضل عظيم المن حكيما في جميع أفعاله و أقداره وشرعه[١].

ومما يوضح مناسبة ختم الآية بصفتي العلم والحكمة ما ورد بتفسير المنار حيث قال: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴾ أي كان ولا يزال واسع الفضل والرحمة يوفق بين الأقدار ، ويؤلف بين المسببات والأسباب ، حكيما فيما شرعه من الأحكام ، جاعلا لها على وفق مصالح الناس، وقد يكون من أسباب الرغبة في كل من الزوجين المتفرقين ما يراه الناس من حسن تعاملهما في تفرقهما،والتزامهما فيه حفظ كرا متهما وإنما قلت:" قد يكون" للإشارة إلى أن هذا إذا لم يكن مرغبا لدهماء الناس ونحوهم فهو أكبر المرغبات لكرامهم وفضلائهم – وإنما الخير فيهم – فإن الرجل الفاضل الكريم إذا علم أن المرأة اختلفت مع بعلها لأن نفسها الشريفة لم تقبل أن ينشز أو يعرض عنها ، أو يقرن بها من لا يعدل بينها وبينها ، وهي مع ذلك لم تخدش كرامته بقول ولا فعل وإنما أحبت أن تتفق معه على طريقة عادلة فلم يمكن ، فتفرقا بأدب وإحسان حفظ به شرفها ، وحسن به ذكرها ، وعلم أنه هو الذي أساء إليها ، لا لعيب في أخلاقها ولا لسوء في أعمالها بل لتعلق قلبه بغيرها ، فإن هذا الفاضل الكريم يرى فيها أفضل صفات الزوجية التي يتساهل لأجلها فيما عداها، فإن كانت فتاة رغب فيها الفتيان وغيرهم ، وإن كانت نصفا رغب فيها كثيرون من أمثالها في السن وشرف الأدب)[٢].

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير٢/ ٤١١

(٢) انظر تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ٥/ ٤٥١

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وفي نهاية هذا البحث ألخص أهم النتائج التي توصلت إليها ومن أهمها:

١- أهمية وضع الأسرة في الإسلام حيث وضع لها أحكاما وتشريعات خاصة بها.

٢- حرص الإسلام على بقاء العقد بين الزوجين ومحاولة العلاج بكل الوسائل التي تمكن بها إزالة النزاع والخلاف.

٣- سعة الفقه الإسلامي وشموليته لكل دقيقة وجليلة.

٤- ثبوت القوامة للرجل على المرأة ، وإن كانت هناك أصوات تنادي الآن بحرية المرأة في كل شيء .

٥- أن هذه القوامة فضل من الله ومنحة للرجل وليست مكتسبة.

٦- أن هذه القوامة تسقط إذا لم يقم بما يجب عليه من النفقة والحفظ والرعاية.

٧- أن القوامة لا تعني الأفضلية مطلقا ، فهناك من النساء من هي خير وأفضل من كثير من الرجال.

٨- حرمة النشوز المبني على التعدي وظلم أحد الزوجين للآخر، ووجوب المبادرة إلى علاجه بالوسائل التي حددها الشارع لكل من الزوجين.

٩- فضل الوعظ والتذكير بين الناس وخاصة بين الزوجين.

١٠- جواز الهجر إذا كان فيه مصلحة راجحة.

١١- جواز الضرب عند الحاجة إليه لتأديب المرأة لا للتشفي.

١٢- التهديد والوعيد لمن تعدى حدود الله.

١٣- جواز تدخل الغير في شؤون الأسرة الخاصة عند الحاجة إلى ذلك.

١٤- إن الإنسان إذا أراد الإصلاح وأحسن النية وفقه الله في مسعاه.

١٥- حكمة الله البالغة في إباحة الطلاق عند احتدام النزاع وهذا فيه فرج ومخرج لكل من الزوجين.

١٦- اهتمام العلماء بما يجري في المجتمع من قضايا تحتاج إلى بحث وبيان ، وإيجاد الحلول لها ، كما سارعت هيئة كبار العلماء بدراسة موضوع النشوز وتعميمه على المحاكم.

١٧- بعد كثير من الناس عن منهج الله الذي بينه لهم في كتابه أوقعهم في المشاكل الزوجية المنتهية بالطلاق.

١٨- أن الأزواج لو أخذوا بهذا العلاج لتضاءلت نسب الطلاق أو انعدمت في كثير من المجتمعات .

١٩- أن النشوز قد يكون قبل الدخول بالزوجة ، فالمشروع اتباع جميع الخطوات التي مرت في معالجة الزوجين حتى بعث الحكمين.

٢٠- لاشك أن استمرار النشوز وعدم حسم الخلاف فيه تكون نتيجته الطلاق؛ ولأهمية هذا الموضوع أشير إلى نسب الطلاق الواقعة في المملكة خلال ثلاث سنوات مضت ، حتى يتبين خطر إهمال هذا الجانب ووجوب المبادرة لعلاجه ووضع الحلول المناسبة لمنع وقوعه[١] .

العام	عدد عقود الزواج	عدد صكوك الطلاق	النسبة المئوية
١٤٢٤هـ	١١١٠٦٣	٢٤٤٣٥	٢٢٪
١٤٢٥هـ	١٠٥٠٦٦	٢٤٣١٨	٢٣،١٤٪
١٤٢٦هـ	١١٩٢٩٤	٢٤٨٦٢	٢٠,٨٪

لعل القارئ يلاحظ ارتفاع نسبة الطلاق بشكل مخيف، وهي نسب مرتفعة إلى حد كبير في مجتمع مسلم محافظ ، وهذا ينذر بخطر على المجتمع بأسره ، ولو أننا استقمنا على منهج القرآن وعالجنا المشاكل الأسرية بالمنهج السمح الذي ورد في الآية الكريمة ، وبمقتضى ما جاء في البحث فإن نسبة الطلاق ستقل كثيرا بإذن الله عما هي عليه في هذه الإحصاءات.

(١) الكتاب الإحصائي الثلاثون الصادر عن وزارة العدل ١٤٢٦هـ

ثبت المصادر والمراجع

١- أحكام القرآن للجصاص أبي بكر أحمد بن على الرازي
٢- أحكام القرآن لابن العربي أبي بكر محمد بن عبد الله ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان.
٣- أحكام النشوز في الفقه الإسلامي عبد الله بن عبد العزيز بن مرشد آل عبد الله بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير غير منشور بإشراف د. عبد الله بن محمد المطلق عام ١٤٠٩هـ.
٤- الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية لعلاء الدين الدمشقي علي بن محمد بن عباس مكتبة الرياض الحديثة.
٥- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للألباني محمد ناصر الدين ، المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.
٦- أضواء البيان للشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار الجكني ، طبع وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة الإرشاد بالرياض ١٣٠٣هـ
٧- الإفصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة أبي المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة الحنبلي، المؤسسة السعيدية بالرياض .
٨- الأم للشافعي محمد بن إدريس ، طبع دار المعرفة بيروت.
٩- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي علاء الدين أبي الحسن على بن سليمان المرداوي، دار إحياء التراث العربي.
١٠- التحرير والتنوير لابن عاشور محمد الطاهر .لم يذكر اسم الناشر نسخة مصورة عن الدار التونسية للنشر.

١١- تفسير القرآن العظيم لابن كثير إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي دار الأندلس لبنان الطبعة الرابعة ١٩٨٣م.
١٢- تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار لـ: محمد رشيد رضا دار المعرفة بيروت الطبعة الثانية.
١٣- التفسير الكبير للرازي محمد بن عمر القرشي الملقب فخر الدين الرازي ، مكتبة المعارف الرياض.
١٤- تفسير المراغي أحمد بن مصطفى ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان الطبعة الثانية١٩٨٥م
١٥- تهذيب اللغة للأزهري محمد بن أحمد الأزهري، دار القومية العربية للطباعة ١٣٨٤هـ.
١٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي عبد الرحمن بن ناصر تحقيق عبد الرحمن اللويحق مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى١٤٢٠هـ.
١٧- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي محمد بن أحمد الأنصاري ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ١٤٠٥هـ
١٨- جامع البيان عن تأويل القرآن للطبري محمد بن جرير، دار الفكر بيروت لبنان ١٤٠٥هـ
١٩- جمهرة اللغة لابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري دار صادر بيروت لبنان.
٢٠- ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي شرح التبريزي تحقيق محمد عبده عزام دار المعارف بمصر الطبعة الثانية.
٢١- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري المسمى التبيان بشرح الديوان ، شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر الطبعة الثانية ١٣٧٦هـ.

٢٢- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، المكتب الإسلامي ١٣٨٤هـ.
٢٣- زاد المعاد لابن القيم محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط مؤسسة الرسالة بيروت الطبعةالثانية .
٢٤- سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، دار الدعوة تركيا.
٢٥- سنن ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني دار الدعوة.
٢٤- سنن سعيد بن منصور ،دار ا لصميعي الرياض الطبعة الأولى١٤١٤هـ.
٢٦- سنن الترمذي ، أبوعيسى محمد بن عيسى بن سورة، دار الدعوة تركيا.
٢٧- سنن البيهقي الكبرى ، أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، دار المعرفة بيروت عن الطبعة الأولى بحيدر آباد١٣٤٤هـ
٢٨- سنن النسائي المجتبى ، أحمد بن شعيب بن على الخرساني، دار الدعوة.
٢٩- سنن الدارمي ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، دار الدعوة.
٣٠- شرح السنة للبغوي محمد بن الحسين بن مسعود الفراء، تحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش بدون ذكر الطبعة.
٣١- الشرح الكبير لابن قدامة أبي الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد ابن قدامة المقدسي ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
٣٢- صحيح البخاري محمد بن إسماعيل البخاري ،دار الدعوة تركيا.
٣٣- صحيح الجامع الصغير وزيادته محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ
٣٤- صحيح سنن أبي داود محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ
٣٥- صحيح مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، دار الدعوة تركيا.

٣٦- ضعيف الجامع الصغير وزيادته محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ.
٣٧- الضوء المنير على التفسير تفسير ابن القيم ، جمع الشيخ على الحمد الصالحي الناشر مؤسسة النور للطباعة.
٣٨- فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم ، جمع وترتيب وتحقيق محمد ابن عبد الرحمن القاسم مطبعة الحكومة بمكة المكرمة الطبعة الأولى١٣٩٩هـ.
٣٩- فتح الباري لشرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني نشر رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض.
٤٠- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير محمد ابن علي الشوكاني ، دار المعرفة بيروت.
٤١- الكافي لابن قدامة عبد الله بن قدامة المقدسي المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.
٤٢- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، دار المعرفة بيروت.
٤٣- لسان العرب محمد بن مكرم بن علي بن منظور ، دار صادر بيروت الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
٤٤- مجلة البحوث الإسلامية ، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد المجلد الأول العدد الثالث.
٤٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي علي بن أبي بكر، دار الكتاب العربي بيروت لبنان الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.
٤٦- المستدرك على الصحيحين للحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي ، دار الكتاب العربي بيروت.
٤٧- مسند الإمام أحمد أبوعبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، دار الدعوة تركيا.

٤٨- مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي محمد بن عبد الله تحيق محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.
٤٩- معالم التنزيل للبغوي محمد بن الحسين بن مسعود البغوي ، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض ١٤٠٩هـ.
٥٠- معجم مقاييس اللغة لابن فارس أحمد بن فارس بن زكريا تحقيق وضبط عبد السلام هارون دار الجيل بيروت الطبعة الأولى١٤١١هـ.
٥١- المغني لابن قدامة عبد الله بن موفق المقدسي ، هجر للطباعة.
٥٢- المقنع لابن قدامة عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي،هجر للطباعة والنشر الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
٥٣- النشوز ضوابطه ، حالاته ، أسبابه ، طرق الوقاية منه ، وسائل علاجه في ضوء القرآن والسنة د. صالح بن غانم السدلان الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

قراءة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه
دراسة صرفية نحوية

د . فراج بن ناصر الحمد

- عضو هيئة التدريس بكلية اللغة العربية بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- حصل على درجة الماجستير من كلية اللغة العربية بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته (آراء ابن بري النحوية جمعا ودراسة) .
- حصل على درجة الدكتوراه من كلية اللغة العربية بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته (آراء ابن بري التصريفية جمعا ودراسة) .

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فإن القرآن الكريم معينٌ لا ينضب ، فهو كلام رب العالمين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وتعد القراءات القرآنية ميدانًا رحبًا لجميع الدراسات ، ومنها الدراسات اللغوية والنحوية والصرفية ، وقد عُني بذلك العلماء قديمًا وحديثًا ، فكانت المؤلفات الكثيرة في هذا الميدان .

وقد رأيت أن أقدم شيئًا في هذا السلك المنتظم فاخترت قراءة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ لتكون موضوع هذه الدراسة ؛ وذلك لما عُرف عنه ﷺ من فصاحة وبلاغة وبيان .

فهذه الدراسة تقدم نظرة تصريفية ونحوية في قراءته التي اعتمدتُ فيها على كتب القراءات الشاذة كمختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ، وشواذ القراءات للكرماني ، ثم قمت بدراستها بادئًا بالمسائل الصرفية ثم أعقبتها بالمسائل النحوية .

أهمية الموضوع :

أولا : أنه ذو صلة وثيقة بالمصدر الأول للتشريع وهو القرآن الكريم ، وهذا يكفي لإعطائه أهمية كبرى لبيان أسرار هذا لكتاب والتنقيب عن كنوزه.

ثانيًا : أن القراءات القرآنية على اختلاف درجاتها مصدر مهم لإثراء اللغة والاحتجاج لها .

ثالثًا : أن عليا ﷺ يمثل درجة عالية من الفصاحة والبلاغة ، وقراءته مظهر من مظاهر هذه الفصاحة ، ودراستها تكشف هذا الجانب عنده .

خطة البحث ومنهجي فيه :

أولا : قمت بجمع قراءة علي من كتب القراءات الشاذة ، ومعتمدي في ذلك كتابان هما : مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ، وشواذ القراءات للكرماني .

ثانيًا : لم أقم باستقصاء جميع قراءاته ﷺ ، وإنما جعلت البحث دراسة لظواهر في قراءة علي ﷺ.

ثالثًا : مهدت للبحث بما يأتي :

١- تعريف بأمير المؤمنين علي ﷺ .

٢- تحدثت عن القراءات القرآنية : تعريفها وأنواعها ، ونشأتها ، ومصادرها ، وأهميتها في الإفادة منها بحسب العلم الذي تُدرس فيه.

٣- تحدثت عن منزلة قراءة أمير المؤمنين علي ﷺ بين القراءات ، وما فيها من ظواهر نحوية وصرفية تستحق الالتفات إليها ، إلى جانب أنه لا يجوز تخطئة القراءات بناء على قواعد وضعها بعض النحو يين ، فالقراءة يُحتج بها ولا يُحتج عليها

رابعًا : صنفت المسائل بعد جمعها على النحو الآتي :

١- المسائل التصريفية ، ورتبتها على حسب أبواب (الشافية) لابن الحاجب ، وهو أشهر متون التصريف عند أهل هذا الفن .

٢- المسائل النحوية ، ورتبتها على حسب أبواب ألفية ابن مالك ، وهي أشهر متون النحو عند أهل هذا الفن .

٣- قمت بدراسة المسائل مستعرضًا أقوال العلماء فيها ، مرجِّحًا ما أراه صوابًا .

أسأل الله أن يجعل عملي خالصا ، وأن ينفع به .

التعريف بأمير المؤمنين علي رضي الله عنه

وهل يحتاج النهار إلى دليل ، ولكن من باب ما جرت به العادة أقول : هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو الحسن ، أول الناس إسلامًا .

مولده :

ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح فربي في حجر النبي ﷺ ، ولم يفارقه .

منزلته :

قال له ﷺ بسبب تأخيره له في المدينة عن غزوة تبوك : " ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى " ، وزوجه بنته فاطمة ، وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد ، ولما آخى النبي ﷺ بين الصحابة قال له : أنت أخي ، ومناقبه كثيرة .

خلافته :

تولى الخلافة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ، واستمرت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ونصف .

مقتله :

كان قتله رضي الله عنه في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة [1].

(١) انظر في ترجمته رضي الله عنه : الإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٥٠٧ – ٥١٠.

القراءات القرآنية

تعريفها وأنواعها :

القراءات : هي اختلاف ألفاظ الوحي في كتابة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما[١]، وقد اشتهر من القراءات سبع نُسِبَت إلى أصحابها[٢].

والقراءات ـ متواترة وشاذة ـ مصدر من مصادر النحويين بصريهم وكوفيهم فقد قال سيبويه : " إن القراءة لا تخالف لأنها السنة "[٣].

الشذوذ في اللغة والاصطلاح :

مشتق من مادة (ش ذ ذ)، وهو مصدر من شذ يشذ شذوذًا، تقول شذ الرجل إذا انفرد عن القوم واعتزل جماعتهم[٤].

فالشذوذ يدل على الانفراد والندرة ، والتفرق والخروج على القاعدة والأصول فكل شيء منفرد فهو شاذ.

ويختلف مصطلح الشذوذ باختلاف العلوم فالقراءات الشاذة عند الفقهاء لها ضوابطها التي تختلف عنها عند النحويين.

والقراءة الشاذة هي التي فقدت ركنًا أو أكثر من أركان القراءة المقبولة[٥].

وقد أوضح العلماء شروط القراءة المقبولة بأنها ما تحقق فيها ثلاثة شروط :

١- موافقة العربية ولو بوجه .

٢- موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا .

٣- أن يصح سندها .

ومتى اختل شرطٌ من هذه الشروط الثلاثة صارت ضعيفة أو شاذة أو باطلة[٦].

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١/ ٣١٨

(٢) انظر : البرهان في علوم القرآن ١/ ٣٢٧ – ٣٢٩.

(٣) الكتاب ١/ ٧٤ .

(٤) انظر : اللسان والتاج (شذذ) .

(٥) انظر : الإتقان للسيوطي ١/ ١٢٩، المرشد الوجيز لأبي شامة ١٧٢ .:

(٦) انظر : النشر في القراءات العشر ١/ ٩.

نشأة القراءات الشاذة :

تعددت القراءات منذ عهد النبي ﷺ وعهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حتى جاء عهد الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه فظهر الخلاف بين الناس في قراءاتهم فخشي رضي الله عنه تفرُّقَ الأمة واختلافها فرأى بعد التشاور مع فقهاء الصحابة رضي الله عنهم جَمْعَ الناس على قراءة واحدة ، فكان أن وُضع المصحف العثماني ونُشِر في الأمصار ودُعي الناس إلى عدم مخالفته.

ومن هنا بدأ يظهر الشذوذ على كل قراءة لم تحظ بالإجماع فقد ذكرت الروايات أن عثمان رضي الله عنه أبعد عن قرآن المسلمين عددًا من الروايات التي لم يستفض نقلها عن النبي ﷺ وأعلن بطلان العمل بها وأرسل لكل مصر قارئًا تتفق قراءته والنسخة التي أرسلت إليه، حتى أصبح من ذلك الحين رسم المصحف العثماني شرطًا أساسًا من شروط صحة القراءة ومتى لم توافقه عُدَّت شاذة.

وبقى خارج حدود الرسم عددٌ من الحروف كما جاءت مصاحف كل من علي وأبي وابن مسعود وغيرهم، وقد ذكر المتتبعون لشأن القراءات أن معظم الحروف التي اشتملت عليها هذه المصاحف لم تشهد العرضة الأخيرة التي عرضها الرسول ﷺ على جبريل عليه السلام[1] .

وكان أول من أطلق عليها مصطلح الشذوذ هو الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره في مطلع القرن الرابع عندما تعرض لقراءة ابن مسعود في سورة إبراهيم : {وإن كاد مكرهم }[2] بالدال بدلاً من النون[3] (بأنها شاذة لا تجوز القراءة بها لخلافها مصاحف المسلمين)[4] .

---

(١) انظر : المصاحف لابن أبي داود ١٨، الفهرست لابن النديم ٢٤، المقنع لأبي عمرو الداني ٥.

(٢) آية ٤٦.

(٣) انظر : مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه٧٣-٧٤، شواذ القراءات للكرماني٢٦٣.

(٤) انظر : جامع البيان ١٧/ ١٣/ ٢٤٧ .

وهكذا نشأت القراءات الشاذة وانحسرت دائرتها مع مرور الزمن وتحددت معالمها فأصبحت عِلما من العلوم الّتي لها أهميتها وأثرها الواضح في إثراء اللغة العربية والأحكام الشرعية، وكذلك إثراء علم التفسير.

مصادر القراءة الشاذة :

قد تكون بعض القراءات الشاذة متواترة سندًا، وشذوذها آت من جهة غير السند، لكن لا يمكن القطع بأن كثيرًا من الصحابة قرؤوا القرآن بما يخالف رسم المصحف الذي جمع عليه الخليفة عثمان ﷺ الناس وأمرهم به وذلك لأن الغرض من الجمع لم يكن لإلغاء القراءات الشفوية التي تلقوها من النبي ﷺ، بل ترك الأمر لكل من أكد على قراءة معينة أنه سمعها من الرسول ﷺ أن يقرأ بها كما سمعها.

إن مصادر القراءة الشاذة تعتمد على ذاكرة الحفظة الذين سمعوها ممن قبلهم، لكنها لم تحظ بالإجماع ولا النقل المتواتر فبقيت شاذة يفاد منها في إثراء اللغة والتفسير والأحكام الشرعية.

ومن المصادر المكتوبة للقراءات الشاذة مختصر شواذ ابن خالويه، والمحتسب لابن جني، والتقريب والبيان في معرفة شواذ القرآن للصفراوي، وشواذ القرآن واختلاف المصاحف للكرماني وغيرها، فهذه الكتب وأمثالها أصل مادتها القراءات الشاذة فيما حوته من القراءات حُكم عليه بالشذوذ ، إلا أن يكون الوجه من القراءة مستعملا في القراءات المتواترة[1] .

أهمية القراءات الشاذة :

إن القراءات الشاذة وإن لم تتوافر فيها شروط الصحة إلا أنها يفاد منها في علوم اللغة العربية وعلوم الشريعة، وتتجلى أهميتها في كل علم من العلوم بما يتناسب معه ففي كتب المفسرين عناية ظاهرة بالشواذ ونَقْلٌ لكثير منها وتوجيهٌ لها ، كما

(١) انظر : المنهاج في الحكم على القراءات ٢٨.

يُفاد منها في شرح معاني الآيات وترجيح الآراء عند الخلاف، وكتب معاني القرآن وإعرابه تهتم كثيرًا بالشواذ، ولذلك قامت دراساتٌ حديثةٌ تعنى بجانب الإفادة من القراءات الشاذة في وضع قواعد اللغة.

وقد أفاد المفسرون من القراءات الشاذة في بيان معاني بعض الآيات القرآنية ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُ ﴾ [1] ، قرأ عامة القراء العشرة "أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ" وقرأ الحسن وزيد بن علي وطاووس : { أصيب به من أساء} [2].

أفادت القراءة المتواترة أن الله يصيب بعذابه من يشاء ، وهو تعالى عدل لا يظلم أحدًا، ويتضح من القراءتين أن عذاب الله يصيب من يشاء من عباده من أساء منهم [3].

أما في الأحكام الشرعية الفرعية فقد عني الفقهاء بالقراءات الشاذة وعدُّوها مصدرًا لبعض أحكام الفقه الفرعية ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا ﴾[4] ، قرأ ابن مسعود : {فاقطعوا أيمانهما} [5].

اتفق الفقهاء على أن حكم السارق هو وجوب قطع يده اليمنى من المفصل ، واستدل الأحناف بقراءة عبدالله بن مسعود وهي {فاقطعوا أيمانهما} [6] .

أما الاستدلال بالقراءات الشاذة في إثبات القواعد النحوية والصرفية فقد ذكر علماء اللغة حجيتها وأنها أولى من غيرها من النصوص الأخرى ، يقول ابن خالويه : " أجمع الناس على أن اللغة إذا وردت في قراءة القرآن فهي أوضح مما في غير

---

(١) الأعراف ١٥٦ .

(٢) انظر : المحتسب ١/ ١٦٢.

(٣) انظر : القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ٢/ ٦٦٨.

(٤) المائدة ٣٨ .

(٥) انظر : مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع ٣٣ .

(٦) انظر : شرح فتح القدير ١/ ١٥٢-١٥٣ .

القرآن"[١] ، ويقول الرازي : " إذا جوزنا إثبات اللغة بشعر مجهول فجواز إثباتها بالقرآن أولى من هذا كله "[٢] ، ويقول محمد عضيمة : " القرآن الكريم حجة في العربية بقراءاته المتواترة وغير المتواترة، كما هو حجة في الشريعة، فالقراءة الشاذة التي فقدت شرط التواتر لا تقل شأنًا عن أوثق ما نقل إلينا من ألفاظ اللغة وأساليبها، وقد أجمع العلماء على أن نقل اللغة يكتفى فيه برواية الآحاد"[٣].

وإلى جانب هؤلاء العلماء الذين احتفوا بالقراءات واحتجوا بها في علوم اللغة وُجِدَ مَنْ رفض كثيرًا من القراءات وطعن فيها ليست الشاذة فقد بل المتواترة أحيانًا ، فرموا بعض القراءات بالضعف أو الغلط، ولكن من ينظر في التراث اللغوي يجد أن هؤلاء قلة ، وليس اعتراضهم في محله ؛ ولذلك يقول السيوطي : "وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياسًا معروفًا، بل ولو خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه وإن لم يجز القياس عليه كما يحتج بالمجمع على وروده ومخالفته القياس في ذلك الوارد بعينه ولا يقاس عليه، وما ذكرته من الاحتجاج بالقراءة الشاذة لا أعلم فيه خلافًا بين النحاة وإن اختلف في الاحتجاج بها في الفقه"[٤].

ولعل سبب طعن بعض النحاة على بعض القراءات يعود إلى عدم استيعابهم لأمثلتها من الأساليب اللغوية الأخرى، وكذا إلى عدم جمعهم لها والاعتماد عليها بداية في بناء قواعد اللغة فلما تم الجمع وحصل الاستيعاب مع المتأخرين أمثال أبي حيان اجتمعت الأمثلة والشواهد على نصرتها وقبولها وعدم الطعن فيها ومع هذا كله فقد كان أثر القراءة الشاذة على القاعدة النحوية محدودًا وضيقًا[٥] .

---

(١) المزهر ١/ ١٢٩ .

(٢) التفسير الكبير ١/ ١٩٣.

(٣) دراسات لأسلوب القرآن ١/ ١/ ٢.

(٤) الاقتراح ٦٧-٦٨.

(٥) انظر : موقف النحاة من القراءات القرآنية الشاذة وأثرها في النحو العربي ١٢٣ – ١٢٤ .

قراءة علي رضي الله عنه

إذا استعرضنا قراءة علي ﷺ فإننا سنجدها في قمة الفصاحة ولا شك ، فأمير المؤمنين علي ﷺ من أفصح الناس فكيف يأتي بما هو شاذٌّ في اللغة ؛ لأن مثله لا يمكن أن يلجأ إلى ما هو شاذٌّ مستكره من كلام العرب ، وإن وُجِدَتْ بعض المظاهر اللغوية النادرة في قراءته فإنه يمكن عزوها وتخريجها ، وهذا ما تم تناوله في هذا البحث ، فمن ذلك : همز (خُطُؤات) ، فقد ذكر ثعلب أنها على القياس وأثبت واحده وهو (خُطْأة) .

كما جاءت بعض الصيغ الصرفية عنده محمولة على لغات بعض القبائل كمجيء المصدر على (فَعُول) في نحو قراءة علي " ﴿ ولا يمسنا فيها لَغُوبٌ ﴾ ، وكذلك مجيء (رُبٌّ) – بضم الراء – في قوله تعالى : ﴿ وكأين من نبيٍ قاتل معه رُبِّيُّون ﴾ فقد ذكر ابنُ جني أنها لغة تميم ، ومثل فتح الهمزة من الضمير (أياك) في قوله تعالى : ﴿ أَياك نعبد ﴾ فقد قال ابن جني : إن فتح الهمزة لغة فيها ، وكذلك حذف الألف من هاء الغائبة في نحو قوله تعالى : ﴿ ونادى نوحٌ ابنهَ ﴾ بفتح الهاء على تأويل أنه أراد (ابنها) فحذف الألف على لغة طيء كما ذكر أبو عبيد .

إلى جانب ذلك صححوا مجيء بعض الصيغ في تراكيب معينة نحو قراءة علي الفعل (سَقَطَ)مبنيًا للمعلوم في قوله تعالى : ﴿ ولمَّا سَقَطَ في أيديهم ﴾ وذكر الأخفش أن بناءه للمعلوم جائز على خلاف ما صوَّره بعض النحويين من أنه لم يُقَل إلا مبنيا للمجهول .

وتبقى بعض القراءات المشكلة التي تخالف المشهور من القواعد النحوية كنصب (يكون) من قوله تعالى ﴿ كن فيكونَ ﴾ وهي قراءة ابن عامر من السبعة أيضاً، وقد خطَّأها بعض العلماء كابن مجاهد ، و كنصب (عصبة) من

قوله تعالى : ﴿ ونحن عصبةً ﴾ مع صلاحيته أن يكون خبرا حتى قال ابن مجاهد : ما قرأ أحدٌ بالنصب، ولا شك أنه لا ينبغي التعجل والتجرؤ في تخطئة القراء ؛ إذ لا يمكن أن يعمدوا إلى الشاذ من اللغة فيقرؤوا به فضلا عن أن يخالفوا كلام العرب أصلا.

المسائل التصريفية

المبحث الأول : الهمز

الهمزة أدخل الحروف في الحلق ، ولها نبرة كريهة تجري مجرى التهوع ثقلت بذلك على لسان المتلفظ بها فخففها قوم ، وهم أكثر الحجاز ، ولا سيما قريش ، روي عن أمير المؤمنين علي ـ رضي الله عنه ـ نزل القرآن بلسان قريش[1]، وليسو بأصحاب نبر ، ولولا أن جبرائيل ـ عليه السلام ـ نزل بالهمزة على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما همزنا ، وحققها غيرهم كتميم وأسد وقيس ، والتحقيق هو الأصل كسائر الحروف ، والتخفيف استحسان[2].

وقد جاء في قراءة علي بن أبي طالب بعض الكلمات التي اختار فيها الهمز ، ومن ذلك :

أولا : تحقيق الهمز :

أ ـ الهمزة المفردة :

١ ـ عن علي والحسن والأعرج وعمرو بن عبيد { خُطُؤات } بالهمز[3] .

ذكر العلماء لهذه القراءة تأويلين :

١. أن الهمزة أصل فتكون من (الخطأ) ، و (خُطُؤات) جمع (خِطْأة) إن سمع وإلا فتقديرًا[4].
٢. أنه قلب الواو همزة ؛ لأنها جاورت الضمة قبلها فكأنها عليها[5] .

---

(١) لم أجد نسبته إلى علي رضي الله عنه في كتب الحديث والآثار المعتبرة ، وهذه النسبة التي نقلتها إنما هي من كتاب شرح الشافية للرضي ٣/ ٣٢ ، وفي صحيح البخاري أن القائل عثمان رضي الله عنه . انظر : صحيح البخاري ، فضائل القرآن ، باب : نزل القرآن بلسان قريش والعرب رقم ٤٦٩٩ ، المناقب ، باب : نزل القرآن بلسان قريش ٣٣١٥ .

(٢) شرح المفصل ٩/ ١٠٧، شرح الشافية٣/ ٣١-٣٢.

(٣) البقرة آية ١٦٨. انظر : شواذ القراءات للكرماني ٨١.

(٤) انظر : اللسان والتاج (خطأ) (خطا) ، الدر المصون ٢/ ٢٢٤.

(٥) انظر : إعراب القراءات الشواذ ١/ ٢٢٥، الدر المصون ٢/ ٢٢٤.

٣. قال ابن جني : إنها قراءة مرفوضة وغلط ، وهي مردودة ؛ لأنها من (خطوت) لا من (أخطأت)[١]. ، وقال الأزهري : ما علمت أحدًا من قراء الأمصار قرأ به ، ولا معنى له[٢] .

٤. أن يكون مما همزته العرب ، ولا حظ له في الهمز مثل : حَلأَّت السويق ، ورَثَأت روحي بأبيات ، والذئب يستنشئ ريح الغنم[٣] .

والراجح الأول ؛ لما يأتي :

١- أن ابن جني قد نقل عن ثعلب أنه أثبت (خُطْأة) ، وكلاهما ثقة ، قال ابن جني في الآية التي في سورة الأنعام[٤]، : " أما (خُطُؤَات) بالهمز فواحدها (خُطْأَة) بمعنى الخطأ ، أثبت ذلك أحمد بن يحيى "[٥].

٢- ليس هذا من مواضع قلب الواو همزة .

٣- أن القراءة سنة متبعة[٦] ، وقد قال ابن جني : " لكن غرضنا منه أن نُرِيَ وجه قوة ما يسمى الآن شاذًا ، وأنه ضاربٌ في صحة الرواية بجرانه ، آخذٌ من سمت العربية مهلة ميدانه ؛ لئلا يُرَى مُرًى أن العدول عنه إنما هو غضٌّ منه أو تهمة له ، معاذ الله ، وكيف يكون هذا ، والرواية تنمبه إلى رسول الله ـ ﷺ ـ ، والله تعالى يقول : { وما آتاكم الرسول فخذوه } ، وهذا حكم عام في المعاني والألفاظ "[٧] ، وإذا ثبت أن للقراءة وجهًا في

---

(١) انظر : المحتسب ١/ ١١٧.

(٢) انظر : تهذيب اللغة ، اللسان ، التاج (خطأ) .

(٣) انظر : المحتسب ١/ ١١٧.

(٤) آية ١٤٢ .

(٥) المحتسب ١/ ٢٣٣.

(٦) أخرجه سعيد بن منصور في سننه عن زيد بن ثابت ﷺ ، قال البيهقي : أراد أن اتباع من قبلنا في الحروف سنة متبعة لا يجوز مخالفة المصحف الذي هو إمام ، ولا مخالفة القراءات التي هي مشهورة ، وإن كان غير ذلك سائغًا في اللغة أو أظهر منها .

(٧) المحتسب ١/ ٣٢-٣٣.

كلام العرب فلا مسوغ لردها ورفضها والحكم عليها بالغلط ، بل القراءة هي الحاكمة والحجة.

٢ـ عن علي والسلمي وعكرمة وقتادة وابن مصرف ومجاهد { هئت لك }[١] بالهمز وكسر الهاء وضم التاء :

هذه قراءة متواترة قرأ بها ابن عامر[٢] ، وقد وُجِّهت على النحو الآتي :

١. أن (هِئْتُ) فَعَلْتُ من (الهيئة) هاء الرجل يهيء[٣] ، والتاء ضمير الفاعل المسند إليه الفعل ، ويكون لها حينئذ معنيان : أن يكون بمعنى : حَسُنَ هيئة ، والثاني : أن يكون بمعنى : تهيأ[٤] .
٢. أن يكون مبنيًا للمفعول من (هُؤْتُ بالرجل خيرًا أهُوء به هَوْءًا) إذا أزْنَنْتُه به[٥] .
٣. أن تكون اسم فعل معناه (بادِر) بنيت على الضم كـ(حيثُ)[٦] .

والراجح الأول ؛ لما يأتي :

١. أما القول : إنه اسم فعل معناه (بادِر) بني على الضم كـ(حيثُ)فيرده أن أبا زيد ذكر : هِئْتُ للأمر أهِيءُ وهيَّأْتُ ، وقال غير أبي زيد رجلٌ هَيِّئٌ : إذا كان حسن الهيئة[٧] :
٢. أما القول : إنه فعل مبني للمفعول من (هُؤْتُ بالرجل خيرًا أهُوء به هَوْءًا) إذا أزْنَنْتُه به فإنه مخالف لسياق الآية ؛ لأن سياق الآية يدل على التهيؤ الذي هو استعداد ، وليس المعنى على التهمة والإزنان[٨] .

(١) الآية ٢٣ من سورة يوسف . انظر : شواذ القراءات للكرماني ٢٤٤.
(٢) انظر : السبعة ٣٤٧.
(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٤٠، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ١٠٠.
(٤) انظر : الحجة ٢/ ٤٤٤ ، المحتسب ١/ ٣٣٧، الدر المصون ٦/ ٤٦٤ .
(٥) انظر : الحجة ٢/ ٤٤٤.
(٦) انظر : إعراب القراءات الشواذ للعكبري ١/ ٦٩٣، الدر المصون ٦/ ٤٦٤.
(٧) انظر : الحجة ٢/ ٤٤٤.
(٨) انظر : الحجة ٢/ ٤٤٤.

ب ـ الهمزتان المجتمعتان :

٣- {قل أألذكرين }[١] بهمزتين[٢] .

إذا اجتمع همزتان في كلمتين منفصلتين و كانت الأولى همزة استفهام ، والثانية همزة وصل مفتوحة كما في هذه الآية قلبت الثانية ألفًا أو سُهِّلت[٣] ، وذكر ابن يعيش[٤] وابن مالك أنه يجوز التحقيق ، قال ابن مالك : " ... الهمزة المتقدمة على لام التعريف هي همزة وصل ، إلا أنها خالفت همزات الوصل بأنها تقطع إذا دخلت عليها همزة الاستفهام بإبدالها ألفًا ، وهي اللغة المأخوذ بها في التلاوة المرضية ، وبتسليمها كقول الشاعر ، أنشده سيبويه :

أألحق إن دار الرباب تباعدت أو انبت حبل أن قلبك طائر[٥]

معاني زيادات الأفعال :

٤- قرأ علي : ﴿ وَلَا تَنَاسَوُا ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡ ﴾[٦] ، بالألف وكسر الواو[٧] .

أما قراءة (تناسوا) بالألف فهي على وزن (تفاعل) المفيدة للمشاركة[٨] ، وقد أفاض أبو الفتح في تعليلها وبيان حسنها قائلاً : الفرق بين (تَنْسوا) و (تناسوا) أن (تنسوا) نهيٌ عن النسيان على الإطلاق نسوه أو تناسوه ، فأما (تناسوا) فإنه نهيٌ عن فعلهم الذي اختاروا ، كقولك : تغافل إذا أظهره من فعله وتعاطاه وتظاهر به .

---

(١) الأنعام ١٤٣ ، انظر : شواذ القراءات للكرماني ١٨٠.

(٢) انظر : شواذ القراءات للكرماني ١٨٠ .

(٣) انظر : شرح التسهيل٣/ ٤٦٦، شرح الشافية ٣/ ٦٤-٦٥، المساعد٢/ ٦١٥، التصريح ٢/ ٣٦٦.

(٤) انظر : شرح المفصل ٩/ ١٨-١٩.

(٥) البيت من الطويل ، انظر : الكتاب ٣/ ١٣٦ ، شرح التسهيل ٢/ ٤٦٧ ، التصريح ٢/ ٣٦٦.

(٦) البقرة ٢٣٧.

(٧) انظر : مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ٢٢، وذكرها غير ابن خالويه (تَنَاسَوُا) . انظر : شواذ القراءات للكرماني ٩٤.

(٨) انظر : شرح الشافية ١/ ٩٩-١٠٠.

قال : ويحسن هذه القراءة أنك إنما تنهى الإنسان عن فعله هو ، والتناسي من فعله، فأما النسيان فظاهره أنه من فعل غيره به ، وزاد في حسنه شيءٌ آخر ، وهو أن المأمور هنا جماعة ، و (تَفَاعَلَ) لائقٌ بالجماعة كـ(تقاطعوا) و (وتواصلوا) و (تقاربوا) و (تباعدوا)[1] ، قال القرطبي : " وهي قراءةٌ متمكنة المعنى ؛ لأنه موضع تناسٍ لا نسيان إلا على التشبيه "[2].

٥ – قرأ عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ : ﴿ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴾[3] بتشديد السين[4].

اختلف في تشديد السين في (وَسَّطن) على قولين :

١. قال الزمخشري : التشديد للمبالغة والتعدية ، والباء مزيدة للتأكيد[5] .

٢. قال أبو حيان : التشديد ليس للتعدية[6] .

والراجح الثاني لما يأتي :

١ – أنهم نقلوا أن (وسط) مخففًا ومثقلا بمعنى واحد ، وأنهما لغتان[7].

٢ – قول الزمخشري : إن التشديد للتعدية والمبالغة فيه تناقض ؛ لأن التشديد للمبالغة لا يُكْسِبُ الفعل مفعولا آخر[8] .

كسر حرف المضارعة :

٦ – وقرأ : ﴿ وَلَا تِنَاسَوِا ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ بالألف وكسر التاء[9].

---

(١) انظر : المحتسب ١/ ١٢٧–١٢٨ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣/ ٢٠٨ .

(٣) العاديات ٥ .

(٤) انظر : مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ١٧٨، شواذ القراءات للكرماني ٥٢١ .

(٥) انظر : الكشاف ٤/ ٢٢٩.

(٦) انظر : البحر المحيط ١٠/ ٥٢٩.

(٧) انظر : المرجع السابق .

(٨) انظر : الدر المصون١١/ ٨٩.

(٩) انظر : شواذ القراءات للكرماني ٩٤، وقد سبق في مسألة مضت أن ابن خالويه نَسَبَ إلى علي رضي الله عنه أنه قرأ { تَناسوِا الفضل } بكسر الواو ، ونَسَبَ إليه الكرماني هنا كسر التاء ، ولا أدري هل هناك خلل في النقل عنه رضي الله عنه أو أنه قرأ بالقراءتين معًا كل واحدة على حدة ، أو أنهما يقرأ بهما مجتمعتين أي : يكسر التاء والواو في قراءة واحدة ؟.

تكسر العرب حرفَ المضارعة غير الياء فيما أوله همزة وصل مكسورة نحو: أنت تِسْتَغْفِرُ ؛ تنبيهًا على كون الماضي مكسور الأول، وهو همزة ، ثم شبَّهوا ما في أوله تاءٌ زائدة من ذوات الزوائد نحو (تَغَافَلَ) بباب (انْفَعَلَ) ؛ لكون ذي التاء مطاوعًا في الأغلب كما أن (انْفَعَلَ) كذلك ، فـ(تَفَاعَلَ) مطاوعٌ لـ(لفَاعَلَ) فكسروا غير الياء من حروف المضارعة ، فكل ما أول ماضيه همزة وصل مكسورة أو تاءٌ زائدة يجوز فيه ذلك[1] .

الجمع :

٧ – قرأ علي : ﴿ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وكتابه ولقائه ﴾ [2].

وَجَّه العلماء قراءة الإفراد في (كتابه) في سورة البقرة على الأوجه الآتية :

١ – أنه يُراد به الجنس لا كتابٌ واحدٌ بعينه ، وهو يفيد الكثرة[3] .

٢ – قيل : إن المراد به القرآن فيكون المراد الإفراد الحقيقي[4] .

٣ – أن يكون الاسم مصدرًا غير منقول إلى الاسمية فيسمى الذي يُكتب كتابًا ، كما قيل : نَسْجُ اليمن ، أو على تقدير (ذي) ، أي : ذي الذي يُكتب[5].

والراجح الأول ؛ لأنه المراد في الأحكام الشرعية .

٨ – قرأ عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ :﴿ أمثال ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[6] على الجمع[7].

اختلف في معناه على وجهين :

١ – قيل : إن معناه : صفات الجنة[8].

٢ – أن معناه التشبيه والتمثيل ، والتقدير : فيما يُتلى عليكم مَثَلُ الجنة[9].

---

(١) انظر : شرح الشافية ١/ ١٤٣.

(٢) البقرة ٢٨٥ .انظر : شواذ القراءات للكرماني ١٠٦.

(٣) انظر : الحجة ١/ ٥١١–٥١٢، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٢٩٧، الدر المصون ٢/ ٦٩٢.

(٤) انظر : الدر المصون ٢/ ٦٩٣.

(٥) انظر : الحجة ١/ ٥١٢.

(٦) محمد ١٥ .

(٧) انظر : شواذ القراءات للكرماني ٤٣٩.

(٨) انظر : معاني القرآن ٣/ ٦٠، الكشاف ٣/ ٥٣٤.

(٩) انظر : المقتضب ٣/ ٢٢٥، المحتسب ٢/ ٢٧٠.

والراجح الثاني ؛ لأن مَثَل) لا يُوضع في موضع صفة ، وإنما المَثَل يراد به التشبيه، و (أمثال) معناها معنى قراءة الجماعة (مَثَل)[1] .

المصادر :

٩- قرأ عليٌّ ـ ﷺ ـ :﴿ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لغُوبٌ ﴾ [2]، بفتح اللام من (لغوب)[3] .

خرَّج العلماء هذه القراءة على أحد الأوجه الآتية :

١- أن يكون من قبيل ما جاء من المصادر على (فَعُوْل) نحو : الوَضُوْء ، والوَلُوْغ ، والوَقُوْد[4] .

٢- أن يكون صفة لمصدر محذوف ، أي : لا يمسنا فيها لُغُوْبٌ لَغُوْبٌ على قولهم: هذا شِعْرٌ شاعرٌ ، كأنه يصف اللُّغوب بأنه قد لَغَبَ أي : أعيا وتعب[5] .

٣- قال الفراء : إنه اسمٌ لمن يُلْغَبُ به كالفَطُوْر[6] .

٤- قيل : إنه صفة لشيءٍ غير مصدر أي : أمرٌ لَغوبٌ[7] .

والراجح ـ فيما يظهر ـ الأول لما يأتي :

١- أن الأخفش نقل أن مجيء المصدر على (الفَعُوْل) لغة[8] .

٢- سلامته من تقدير محذوف ، وكلما أمكن أن يكون الكلام مستقيمًا دون تقدير محذوف كان ذلك أولى ، هذا أصل متفق عليه[9] .

١٠- قرأ عليٌّ ـ ﷺ ـ : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حسَنًا ﴾ [10] بفتح الحاء والسين[11] .

---

(١) انظر : المرجعين السابقين .

(٢)فاطر ٣٥ .

(٣) انظر : مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ١٢٤، شواذ القراءات للكرماني ٣٩٧.

(٤) انظر : المحتسب ٢/ ٢٠٠، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٣٥١.

(٥) انظر : المحتسب ٢/ ٢٠١، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٣٥١.

(٦) انظر : معاني القرآن ٢/ ٣٧٠، الدر المصون ٩/ ٢٣٤.

(٧) انظر : الدر المصون ٩/ ٢٣٤.

(٨) انظر : معاني القرآن ١/ ٥٧، إعراب القرآن للنحاس ١/ ٢٠١.

(٩) انظر : دراسات لأسلوب القرآن الكريم القسم الأول ٢/ ٥٧٠.

(١٠)الأحقاف : ١٥ .

(١١) انظر : مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ١٤٠، شواذ القراءات للكرماني ٤٣٥.

وقد خُرِّجت على النحو الآتي :

١- أن تكون (حَسَنًا) مصدرًا كالمصادر التي جاءت على (فَعَلٍ) و (فُعْلٍ) كالبَخَلِ والبُخْلِ[١] .

٢- أن يكون (الحَسَنُ) هنا اسمًا صفة لا مصدرًا والتقدير : وصيناه بوالديه فِعْلا حَسَنًا ، ويجوز أن يكون منصوبًا بفعل آخر تقديره : ألزمناه[٢] .

والراجح أن (حَسَنًا) صفة لموصوف محذوف ثم حُذِفَ الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ؛ وذلك لما يأتي :

١- الذي رجَّح ذلك في (حَسَنٍ) أنها ضارعت الصفات التي تقوم مقام الأسماء، نحو : الأبرق ، والأبطح ، وعَبْدٍ ، ألا تراهم يقولون : هذا حَسَنٌ ، ومررتُ بحَسَنٍ ، ولا يكادون يذكرون معه الموصوف[٣].

٢- يَضْعُفُ كونه مصدرًا لأن الفعل إذا كان دالا على الحسن ففعله(فَعُلَ يَفْعُلُ) ومصدره فَعَال كجَمَالٍ ، أو فَعَالة كوَسامة ، أو فُعْل كحُسْن[٤].

١١- قرأ عليٌّ ـ ﷺ ـ :﴿ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذابًا ﴾[٥] بالتخفيف[٦].

وقد عُلِّل بتعليلين :

١- أن يكون (كِذَابٌ) مصدرًا من مصادر (كَذَّبَ) على حذف الزوائد[٧] .

٢- أن يكون مصدرًا لفعل مقدَّر تقديره (وكذَّبوا بآيتنا فكَذَبوا كِذَابًا)[٨].

---

(١) انظر : المحتسب ٢/ ٢٦٥، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٤٧٤.

(٢) انظر : إعراب القرآن ٤/ ١٦٣، المحتسب ٢/ ٢٦٥، البيان ٢/ ٣٧٠، التبيان ٢/ ١١٥٦، الدر المصون ١/ ٤٦٧.

(٣) انظر : الحجة لأبي علي ٢/١٢٨.

(٤) انظر : الكتاب ٢/ ٢٢٣.

(٥) النبأ ٢٨ .

(٦) انظر : شواذ القراءات للكرماني ٥٠١.

(٧) انظر : الدر المصون ١٠/ ٦٥٩ .

(٨) انظر : الحجة ٦/ ٣٦٩ - ٣٧٠ ، الكشاف ٤/ ١٧٩ ، الدر المصون ١٠/ ٦٥٩.

والأول أقرب لبعده عن التكلف ، ويكون المصدر قد جاء من معنى الفعل دون لفظه مثل : أعطيته عطاءً[1] .

النسب :

١٢ - قرأ عليٌّ رضي الله عنه :﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾[2] بضم الراء[3] .

قال ابن جني : هي لغةٌ تميميةٌ[4] ، وقد اختلف في توجيهه على النحو الآتي :

١ - قيل : إنه منسوبٌ إلى الرَّب ، وغُيِّرَ لأجل النسب[5] .

٢- (فُعْلٌ) من (رَبَّ يَرُبُّ) إذا أصلح[6] .

٣- قيل : منسوبٌ إلى الرُّبَّة وهي الجماعة[7] .

والأول أرجح ؛ لمناسبته للمعنى ، ومثله قولهم : دُهْرِيٌّ نسبةً إلى الدهر الطويل[8]، وقالوا في النسب إلى السَّهْل وهو ضد الحَزْن : سُهْلِيٌّ[9] .

التصغير :

١٣ - قرأ علي : ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عُبَيْدًا لِّلَّهِ ﴾[10] على التصغير[11] .

---

(١) انظر : البحر المحيط ١٠/ ٣٨٨ – ٣٨٩.

(٢) آل عمران ١٤٦ .

(٣) انظر : مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ٢٩، شواذ القراءات للكرماني ١٢٢ .

(٤) انظر : المحتسب ١/ ١٧٣.

(٥) انظر : المحتسب١/ ١٧٤، الدر المصون ٣/ ٤٣١ .

(٦) انظر : إعراب القراءات الشواذ ١/ ٣٤٩.

(٧) انظر : الدر المصون ٣/ ٤٣١.

(٨) انظر : شرح الشافية ٢/ ٨٢.

(٩) انظر : شرح الشافية ٢/ ٨٢.

(١٠) النساء ١٧٢ .

(١١) انظر : شواذ القراءات للكرماني ١٤٨، البحر المحيط ٤/ ١٤٥ .

(عُبَيْدٌ) تصغير (عَبْدٌ) ، ومن أبنية التصغير (فُعَيْلٌ) ، وكل اسم متمكن إذا أُريد تصغيره فلا بد فيه من ثلاثة أشياء : ضَمُّ أوله ، وفتح ثانيه ، وزيادة ياء ثالثة[١] ، ويأتي التصغير لتحقير شأن الشيء ، أو تقليل ذاته ، أو تقليل عدده ، أو تقريب الزمان ، أو تقريب المنزلة[٢] .

والظاهر أن المقصود من تصغير (عبد) في قراءة علي هذه تقريب منزلته .

١٤ - قرأ عليٌّ ﷺ : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَةَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[٣] .

(عَبَدَة) : جمع (عابد) كـ(فَجَرَة) و (فاجر)[٤] ، والوصف الذي على وزن (فاعِل) يُجْمع على (فَعَلَة) كثيرًا كعاجز وعَجَزة وفاسق وفَسَقَة وبارٍّ وبَرَرَة[٥] .

التقاء الساكنين :

١٥ - قرأ علي : ﴿ وَلَا تَنَاسَوِا ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾[٦] ، بالألف وكسر الواو[٧] .

وكسر الواو من (تَنَاسَوِا الفضل) سببه التخلص من التقاء الساكنين ؛ لأنه إذا التقى ساكنان وكان أولهما ليس حرف مد وجب تحريكه ، وإنما وجب تحريك الأول لأن سكونه هو المانع من التلفظ بالساكن الثاني ، فيزال ذلك المانع بتحريكه ، إذ لا يؤدي التحريك إلى استثقال كما يحدث الاستثقال عند تحريك أول الساكنين إذا كان حرف مد ، والواو إذا انفتح ما قبلها ليست حرف مد فلا يستثقل تحريكها ، كما أنها لو حذفت لم يكن عليها دليل ؛ لأن قبلها فتحة[٨] .

---

(١) انظر : توجيه اللمع ٥٤٩ ، ٥٥٠ .
(٢) انظر : المقرب ٤٣٥ ، شرح الشافية ١/ ١٩٠، ارتشاف الضرب ١/ ٣٥١ ، الهمع ٦/ ١٣٠ .
(٣) المائدة ٦٠ . انظر : مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ٤٠ .
(٤) انظر: الكشاف ١/ ٣٤٩، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٤٤٨، التبيان ١/ ٤٤٩، البحر المحيط ٤/ ٣٠٨ ، الدر المصون ٤/ ٣٣٦.
(٥) انظر: شرح الشافية ٢/ ١٥٦.
(٦) البقرة ٢٣٧.
(٧) انظر : مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ٢٢، وذكرها غير ابن خالويه (تَنَاسَوُا) . انظر : شواذ القراءات للكرماني ٩٤.
(٨) انظر : شرح الشافية ٢/ ٢٣٧،٢٣١.

وفي هذه الواو ثلاث لغات : الضم ، والكسر ، والفتح ، والضم أفشى ، ثم الكسر ، ثم الفتح[1] ، وإنما كان الضم أقوى ؛ لأنها واو جمع ، فأرادوا الفرق بينها وبين واو (أو) و (لو)؛ لأن تلك مكسورة ، نحو قوله تعالى : ﴿ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [2] .

الإشباع :

١٦ – عن علي – رضي الله عنه – أنه قرأ : ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ بإشباع الدال حتى تتولد منه واو[3] .

الإشباع أو مطل الحركات إنشاء حرف من جنس الحركة بسبب إشباع الحركة فتنشأ بعد الفتحة الألف وبعد الكسرة الياء وبعد الضمة الواو[4] ، وتسمى هذه الواو واو الإشباع ، ومما ورد من ذلك قول إبراهيم بن هرمة :

وإنني حيث ما يدني الهوى بصري 　 من حيث ما سلكوا أدنوا فأنظور[5]

فأشبع (أنظرُ) بزيادة الواو[6]، وقد ذكر سيبويه الإشباع فقال : " فأما الذين يشبعون فيمططون وعلامتها واو وياء وهذا تحكمه لك المشافهة وذلك قولك يضربها ومن مأمنك "[7].

وذكر السيوطي أن الإشباع بابه الشعر[8] .

---

(١) انظر : المحتسب ١/ ٥٤، شرح الكافية الشافية ٤/ ٢٠١٠.

(٢) الكهف ١٨.انظر : المحتسب ١/ ٥٤-٥٥.

(٣) الآية ٥ ، شواذ القراءات للكرماني ٤٣، الكامل ١٥٦ظ.

(٤) انظر : الخصائص ٣/ ١٢١.

(٥) البيت من بحر البسيط . انظر : الكتاب ١/ ٢٥٩، الإنصاف ١/ ٢٤، شرح المفصل ١٠/ ١٠٦.

(٦) انظر : الفصول المفيدة ٣٨.

(٧) الكتاب ٤/ ٢٠٢.

(٨) انظر : همع الهوامع ١/ ٣٧.

المسائل النحوية

الكلام :

١٧ – قرأ علي ـ رضي الله عنه ـ : ﴿ يُحَرِّفُونَ الكلام ﴾[١] بألف[٢] .

الكلام عبارة عن الجمل المفيدة[٣]، قال ابن جني عن (الكلام) : " وهو الذي يسميه النحويون الجمل"[٤] .

وذهب بعض النحويين إلى أن الكلام أخص من الجملة ؛ لأن من شرط الكلام الإفادة ، بخلاف الجملة ؛ ولهذا تسمعهم يقولون : جملة الشرط ، وجملة الصلة ، وكل ذلك ليس مفيدًا[٥] .

والراجح أن الكلام هو الجملة ، وامتناع إطلاق الكلام على بعض صور الجملة لا يقدح في جواز إطلاق لفظ الكلام على الجملة ، ونظير ذلك أن الفاعل يطرد جواز تقديمه على المفعول في الأعم الأغلب ، ولا يقدح ما يعرض من المانع في بعض الصور ، وكذلك كل جملة مركبة تفيد ، ولا يقدح في ذلك تخلف الحكم في جملتي الشرط والجزاء ، فإنها لا تفيد إحداهما من غير الأخرى ، على أن جملتي الشرط وجوابه وجملة الصلة أجرتها العرب مجرى المفرد ، فإطلاق الجملة عليها إطلاق مجازي[٦] .

الضمائر :

١٨ – { أَيَّاك نعبد وأَيَّاك نستعين } بفتح الهمزة فيهما[٧] .

(إِيَّا) اسمٌ مضمر ، ولواحقه حروفٌ تبين أحوال الضمير من تكلمٍ وخطابٍ وغيبة[٨] .

---

(١) النساء ٤٦، المائدة ١٣، ٧٣.

(٢) انظر : مختصر ابن خالويه ٣٣.

(٣) انظر : إعراب القراءات الشواذ ١/ ٤٣٢

(٤) الخصائص ١/ ١٧.

(٥) انظر : شرح الكافية ١/ ٨ ، المغني ٢/ ٣٧٤.

(٦) انظر : الأشباه والنظائر ٤/ ٧-٨.

(٧) الآية ٥ ، انظر : مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ١، شواذ القراءات للكرماني ٤٢ .

(٨) انظر : الخصائص ٢/ ١٨٩، سر صناعة الإعراب ١/ ٣١٢-٣١٣، شرح المقدمة المحسبة ١/ ١٥٢، المرتجل ٣٣٤، الإنصاف ٢/ ٦٩٥، شرح الجمل ٢/ ٢١.

قال ابن جني : " فأما فتح الهمزة فلغة فيها"[١] ، وقال العكبري : " ويُقرأ (أَيَّاك) ـ بفتح الهمزة مع التشديد والتخفيف ـ ، والأشبه أنها لغة مسموعة ؛ لأن القياس لا مدخل له في ذلك "[٢] .

١٩ – قرأ عليٌّ رضي الله عنه : ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ ﴾ [٣] .بالياء[٤] .
يحتمل أنه من باب الالتفات من الخطاب إلى الغيبة ، ويحتمل – أيضًا – أنه من باب الإضمار لدلالة السياق عليه ، أي : وما يفعلِ الناس من خير[٥] .
والأول أرجح ؛ لأن الضمير لا بد له من مرجع .

٢٠ – قرأ عليٌّ ـ ﷺ ـ : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهَ ﴾[٦] بفتح الهاء[٧] .
قال ابن جني وغيره في توجيه هذه القراءة : إنه أراد (ابْنَهَا) ، يعني : ابن امرأته؛ لأنه قد جرى ذكرها في قوله سبحانه : ﴿ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ ﴾[٨] ، فحذف الألف تخفيفًا[٩] ، ومما يؤيد هذا التوجيه أنه نُسِبَ إلى علي ـ ﷺ ـ أنه قرأ : ﴿ ونادى نوحٌ ابنها ﴾[١٠] .
وذكر أبو عبيد أنها لغة طيء[١١] ، والظاهر أن حملها على أنها لغة أسلم من القول بحذف الألف لأن الحمل على عدم الحذف أولى إذا أمكن حمل الكلام عليه لمخالفة الحذف للأصل[١٢] .

---

(١) المحتسب ١/ ٣٨.
(٢) إعراب القراءات الشواذ ١/ ٩٤.
(٣) البقرة ٢١٥.
(٤) انظر : مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ١٣ ، شواذ القراءات للكرماني ٨٩.
(٥) انظر : الدر المصون ٢/ ٣٨٦.
(٦) هود ٤٢.
(٧) انظر : شواذ القراءات للكرماني ٢٣٥.
(٨) هود ٤٠.
(٩) انظر : المحتسب ١/ ٣٢٢ ، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٦٦٢.
(١٠) انظر : مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ٦٥.
(١١) انظر : لغات القبائل الواردة في القرآن ١/ ١٧٧ .
(١٢) انظر : دراسات لأسلوب القرآن الكريم القسم الأول ٢/ ٥٧٠ .

كان وأخواتها :

٢١ - قرأ عليٌّ - رضي الله عنه - : ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دولَةً ﴾[١] بفتح الدال والتاء[٢] ، كما نُسِبَ إلى عليٍّ - رضي الله عنه - أنه قرأ بفتح الدال ورفع التاء[٣] .

(دَوْلة) بفتح الدال قيل : إنها ما يدول للإنسان ، أي : يدور من الجِدِّ والعَناء والغلبة ، وقيل : الدَّولة من الـمُلك ، وقيل (الدَّولة) في المال[٤] .

وقراءة نصب (دَولةً) إنما هو على أن (كان) ناقصة ، واسمها ضمير مستتر يعود على (ما) ، أي : يكون الفيء ، وانتصب (دَولة) على الخبر[٥] .

أما قراءة رفع التاء من (دَولة) فعلى أحد الأوجه الآتية :

١ - أن تكون (كان) تامة بمعنى (وقع) ، و (دَولةٌ) فاعلها[٦] .

٢ - أن تكون (كان) ناقصة ، و (دَولةٌ) اسمها ، وخبرها (بين)[٧] .

وكونها تامة أرجح ؛ لأن المعنى عليه إذ المعنى : كي لا تقع دولة فيه أو عليه أي : على الـمُفاء من عند الله[٨] .

الفاعل :

٢٢ - قرأ عليٌّ - رضي الله عنه - : ﴿ وكذلك زُيِّن لكثير من المشركين قتلُ أولادِهم شركاؤهم ﴾ بضم الزاي[٩] .

اختلف في توجيه هذه القراءة وذلك في رفع (شركاؤهم) على النحو الآتي :

---

(١) الحشر ٧ .

(٢) انظر : مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ١٥٤، شواذ القراءات للكرماني ٤٦٩ .

(٣) انظر : شواذ القراءات للكرماني ٤٦٩ .

(٤) انظر : المحتسب ٢/ ٣١٦، الدر المصون ١٠/ ٢٨٣ .

(٥) انظر : إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٥٧٣ ، البحر المحيط ١٠/ ١٤١ ، الدر المصون ١٠/ ٢٨٣ .

(٦) انظر : إعراب القرآن ٤/ ٣٩٥، المحتسب ٢/ ٣١٦، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٥٧٢-٥٧٣ .

(٧) انظر : المراجع السابقة .

(٨) انظر : المحتسب ٢/ ٣١٦ .

(٩) انظر : مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ٤٠-٤١ .

الأول : أن يكون مرفوعا بفعل مضمر دل عليه قوله : (زُيِّنَ) ، كأنه لما قال : زُيِّنَ) لكثير من المشركين قَتْلُ أولادِهم : قيل : مَنْ زَيَّنه لهم ؟ فقيل زَيَّنَه لهم شركاؤهم[١] .

الثاني : ذهب قطرب إلى أن (شركاؤهم) يمكن أن يكون ارتفع بالمصدر (قَتْل) وتقدير الكلام : وكذلك زُيِّنَ لكثير من المشركين أنْ قَتَلَ شركاؤهم أولادَهم[٢] .

والراجح الأول بدلالة القراءة المجتمع عليها ، وأن المعنى أن الـمُـزَيِّنَ هم الشركاء ، وأن القاتل هم المشركون ، وهذا واضح[٣] .

٢٣ - قرأ عليٌّ - ﷺ - : ﴿ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ ﴾[٤] ، بفتحتين[٥] .

ذكر العلماء أن (سُقِطَ في أيديهم) نَظْمٌ لم يُسمع قبل القرآن ، ولا عرفته العرب ، ولم يوجد ذلك في أشعارهم[٦] ، قال ابن القوطية : " وسُقِطَ في يد الرجل : نَدِمَ ويَئِسَ ، ولا يُتَكَلَّم به إلا على ما لم يُسَمَّ فاعله "[٧] .

والراجح أنه يأتي مبنيًا للفاعل ؛ ودليله هذه القراءة ، وقدَّر النحويون هذا الفاعل فقالوا : سَقَطَ الندمُ ، أو سَقَطَ العَضُّ ، أو سَقَطَ الخسران والخيبةُ[٨] ، قال الأخفش : " وقال بعضهم : سَقَطَ ، وكلٌّ جائزٌ "[٩] .

---

(١) انظر : الكتاب ١/ ١٤٦ ، معاني القرآن للفراء ١/ ٣٥٧، الحجة لأبي علي الفارسي ٣/ ٤١٣ ، المحتسب ١/ ٢٢٩ .

(٢) انظر : المحتسب ١/ ٢٣٠ ، إعراب القراءات الشواذ١/ ٥١٣-٥١٤ ، البحر المحيط ٤/ ٦٥٧، الدر المصون٥/ ١٧٧ .

(٣) انظر : المحتسب ١/ ٢٣٠.

(٤) الأعراف ١٤٩.

(٥) انظر : شواذ القراءات للكرماني ١٩٤.

(٦) انظر : مجمع الأمثال ٢/ ١٠٢، الإيضاح في شرح مقامات الحريري للمطرزي ٣/ ٨٣٩ – ٨٤٠، شرح مقامات الحريري للشريشي ٤/ ٢٥١، المزهر ٢/ ٢٣٦.

(٧) الأفعال ٧٣، وانظر : الأفعال لابن القطاع ٢/ ١٢٠.

(٨) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/ ٣٧٨، إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٥١ ، الكشاف ٢/ ٩٤، الدر المصون ٥/ ٤٦٤.

(٩) معاني القرآن ١/ ٣٣٧ .

المفعول به :

٢٤- قرأ عليٌّ رضي الله عنه والمفضل عن عاصم : ﴿ وَٱلَّذِينَ يتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ ﴾ [١] بفتح الياء في الحرفين[٢]

اختلف في هذه القراءة على قولين :

١- قال ابن مجاهد : لا يُقْرأ بها[٣].

٢- صححها ابن جني والزمخشري والعكبري على معنى : يَتَوَفّون آجالهم، أي: يستوفونها[٤].

والراجح القول الثاني ؛ لأنه على حذف المفعول ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ ﴾[٥]، وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[٦]، وحذف المفعول كثير في القرآن وفصيح الكلام إذا دل عليه دليل ، قال تعالى : ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [٧] أي : شيئًا[٨].

٢٥- قرأ عليٌّ رضي الله عنه قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [٩] بنصب (الحق)[١٠] ، وكذلك في قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [١١] ، بنصب القاف[١٢].

---

(١) البقرة ٢٣٤، ٢٤٠.

(٢) انظر : مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ١٥، شواذ القراءات للكرماني ٩٣.

(٣) انظر : المحتسب ١/ ١٢٤.

(٤) انظر : المحتسب ١/ ١٢٤، الكشاف ١/ ٣٧٢، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٢٥٣، البحر ، الدر المصون ٢/ ٣٧٨.

(٥) المائدة ١١٧.

(٦) النحل ٢٨، ٣٢.

(٧) النمل ٢٣.

(٨) انظر : المحتسب ١/ ١٢٤.

(٩) البقرة ١٤٧.

(١٠) انظر : مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ١٠.

(١١) آل عمران ٦٠.

(١٢) انظر : شواذ القراءات للكرماني ١١٣.

أما آية البقرة ففي تخريجها الأوجه الآتية :

١- أنه منصوبٌ بـ(يعلمون)[١].

٢- أن يكون بدلاً من (الحق) في قوله : { يكتمون الحقَّ }[٢].

٣- أن يكون منصوبًا بفعل محذوف تقديره (الزم)[٣].

وأما آية آل عمران ففي تخريجها الأوجه الآتية :

١- أن يكون خبر (كان) ، فيكون هو الحقَّ[٤] .

٢- أن يكون بدلا من الهاء في (خَلَقَه)[٥].

٣- أن يكون منصوبًا بإضمار (أعني)[٦].

٤- أن يكون صفة لمصدر محذوف ، أي : القول الحق[٧].

٥- أن يكون مصدرًا لفعل محذوف ، أي : يحقِّقُ ذلك الحقَّ[٨].

٢٦- قرأ عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ : ﴿ فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوَىٰٓ إِلَيْهِمْ ﴾[٩]، بفتح الواو[١٠] .

(تَهْوَى) من هَوِيَ هَوًى فهو هَوٍ : أحبَّ[١١]، وقد اختلف في توجيه الآية على هذه القراءة على النحو الآتي :

١- أنه ضَمَّن (تَهْوَى) معنى (تميل) فعدَّاه بـ(إلى)[١٢] .

---

(١) انظر : إعراب القراءات الشواذ ١/ ٢١٤، الدر المصون ٢/ ١٧٠ .

(٢) انظر : الكشاف ١/ ٣٢٢ ، الدر المصون ٢/ ١٧٠ .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢/ ١٦٣، الدر المصون ٢/ ١٧٠ .

(٤) انظر : إعراب القراءات الشواذ ١/ ٣٢٣.

(٥) انظر : إعراب القراءات الشواذ ١/ ٣٢٣.

(٦) انظر : إعراب القراءات الشواذ ١/ ٣٢٣.

(٧) انظر : إعراب القراءات الشواذ ١/ ٣٢٣.

(٨) انظر : إعراب القراءات الشواذ ١/ ٣٢٣.

(٩) إبراهيم ٣٧.

(١٠) انظر : شواذ القراءات للكرماني ٢٦١.

(١١)انظر : معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٦٥، اللسان والتاج (هوي) .

(١٢) انظر : المحتسب ١/ ٣٦٤، الكشاف ٢/ ٣٠٥، إعراب القراءات الشواذ للعكبري ١/ ٧٣٩، التبيان ٢/ ٧٧١، البحر المحيط ٦/ ٤٤٨، الدر المصون ٧/ ١١٥، التاج (هوي) .

٢– أن (إلى) زائدة[١] .

والراجح الأول ؛ لما يأتي :

١– أن زيادة الحروف مخالفة للقياس[٢] .

٢– أن التضمين قد ورد في لسان العرب كثيرًا[٣]، وهو بابٌ من العربية ذو غور[٤]، والتصرف بالأفعال أولى من التصرف بالحروف[٥] .

٢٧– قرأ عليٌّ رضي الله عنه : ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾[٦]، يُقْرَأ بضم الياء وكسر اللام[٧] .

ماضي (يُعْلِمَنَّ) (أَعْلَمَ) ، وتحتمل الآية على هذه القراءة الأوجه الآتية :

١– أن يكون حذف المفعول الأول على معنى لَيُعَرِّفَنَّ الناس مَنْ هم ؟[٨] .

٢– أن يكون على حذف المفعول الثاني لا الأول ، كأنه قال : لَيُعْلِمَنَّ الله الصادقين ثواب صدقهم ، والكاذبين عقاب كذبهم[٩] .

٣– ألا يكون على حذف مفعول لكن على أنه من قولهم : فارسٌ مُعْلَمٌ ، أي : أعلم نفسه في الحرب بما يُعْرَف به ، فكأنه قال : لَيَشْهَرَنَّ الذين صدقوا ، وليشهرن الكاذبين[١٠] .

ولعل الأقرب هو القول الثالث ؛ لسلامته من تقدير محذوف ؛ لأنه كلما أمكن أن يكون الكلام مستقيمًا دون تقدير محذوف كان ذلك أولى ، هذا أصل متفق

---

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٧٨، الدر المصون ٧/ ١١٥

(٢) انظر : الخصائص ٢/ ٢٧٣، ٢٧٩ – ٢٨٠ ، الأشباه والنظائر ٢/ ١٦٢ .

(٣) انظر : البسيط لابن أبي الربيع ٢/ ٨٥٨.

(٤) انظر : المحتسب ١/ ٣٦٤.

(٥) انظر : شرح الجمل لابن عصفور ١/ ٤٩٧ – ٤٩٨ ، ٥١٠ ، ضرائر الشعر لابن عصفور ٢٣٦.

(٦)سورة العنكبوت ١١ .

(٧) انظر : شواذ القراءات للكرماني ٣٧١.

(٨) انظر : المحتسب ٢/ ١٥٩، الدر المصون ٩/ ٨.

(٩) انظر : المحتسب ٢/ ١٦٠، الدر المصون ٩/ ٨.

(١٠) انظر : المحتسب ٢/ ١٦٠، الدر المصون ٩/ ٨.

عليه[١]، ومع ذلك فالقولان الآخران لهما وجاهتهما ؛ لأن حذف المفعول كثيرٌ جدًا في العربية[٢] حتى قال عنه ابن جني : " وما أكثر وأعذب وأعرب حذف المفعول وأدله على قوة الناطق به "[٣].

٢٨- قرأ عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ : ﴿ عِندَهَا جَنَّه ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾[٤] بالهاء من (جَنَّه)[٥].

اختلف في هذه القراءة على قولين :

١- قولُ مَنْ قبلها فقال : جَنَّه : فعلٌ ماضٍ ، والهاء ضمير المفعول يعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، و (المأوى) فاعلٌ بمعنى : ستره إيواءُ الله تعالى ، وقيل : المعنى : ضمَّه المبيتُ والليلُ ، وقيل : جَنَّه بظلاله ودخل فيه[٦] .

٢- قول من ردها ومنهم عائشة ، وابن عباس وابن الزبير رضي الله عنهم وقالوا : أجنَّ الله مَنْ قرأها[٧].

ولا سبيل إلى ردِّ القراءة ؛ لما يأتي :

١- أنها ثبتت عن ثلة من كبار الصحابة وعلى رأسهم أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب ، وأبو الدرداء ، وأبو هريرة ، وأنس ، وزر بن حبيش ومحمد بن كعب رضي الله عنهم[٨].

أنه قد جاء : جَنَّه الليل وأجنَّه : ستره ، أو جعل له ما يُجِنُّه ، كقولهم سقيته وأسقيته[٩]، قال ابن جني : ((وقالوا ـ أيضًا ـ : جَنَّه ، بغير همز ، ولا حرف جر))[١٠].

الحال :

٢٩- قرأ عليٌّ رضي الله عنه : ﴿ شُهداءَ ٱللَّهُ ﴾[١١] على الجمع والإضافة والنصب[١٢] .

---

(١) انظر : دراسات لأسلوب القرآن الكريم القسم الأول ٢/ ٥٧٠.
(٢) انظر : أمالي ابن الشجري ٢/ ٦٦.
(٣) المحتسب ٢/ ٨٩.
(٤) النجم ١٥.
(٥) انظر : مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ١٤٧ ، شواذ القراءات للكرماني ٤٥١.
(٦) انظر : المحتسب ٢/ ٢٩٣ ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٥٢١ ، الدر المصون ١٠/ ٩٠
(٧) انظر : المحتسب ٢/ ٢٩٣ ، الدر المصون ١٠/ ٩٠ .
(٨) انظر : الدر المصون ١٠/ ٩٠ .
(٩) انظر : التاج (جنن) .
(١٠) المحتسب ٢/ ٢٩٣ .
(١١) آل عمران ١٨.
(١٢) انظر : شواذ القراءات للكرماني ١٠٩.

وقد اختلف في إعراب (شهداء) على النحو الآتي :

٢- قيل : إنه منصوبٌ على الحال ، وصاحبها هو الضمير المستتر في (المستغفرين) من قوله تعالى قبل هذه الآية : ﴿ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾[١] .

٣- قيل : إنه منصوب على إضمار (أعني)[٢] .

والراجح الأول ؛ لعدم حاجته إلى تقدير محذوف ، وإذا أمكن نسبة العمل إلى الموجود لم يُصَر إلى مجاز الحذف[٣] .

٣٠- قرأ عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ : ﴿ وَنَحْنُ عُصْبَةً ﴾[٤] بالنصب[٥] .

وُجِّهت هذه القراءة على أن الخبر محذوفٌ وتقديره : ونحن نجتمع عصبةً ، وتكون (عصبةً) حالا سدت مسد الخبر[٦] ، وهو ضعيفٌ قليلٌ ؛ لأن الحال لا تسد مسد الخبر إلا إذا كان المبتدأ مصدرًا ، وهي لا تصلح أن تكون خبرًا ، فيحذف الخبر وجوبًا لسد الحال مسده[٧]، قال أبو حيان : هو من باب : حكمُك مُسَمَّطًا[٨] من جهة كونه شاذًا ، ووجه الشذوذ نصب الحال مع صلاحيته لأن يكون خبرًا ، والقياس الرفع حتى قال ابن مجاهد : ما قرأ أحدٌ بالنصب[٩] .

---

(١) انظر : الدر المصون ٣/ ٧٣.

(٢) انظر : إعراب القراءات الشواذ ١/ ٣٠٨.

(٣) انظر : الأشباه والنظائر ٢/ ٢٥٦.

(٤) يوسف ٨ .

(٥) انظر : مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ٦٧ ، شواذ القراءات للكرماني ٢٤١.

(٦) انظر : الكشاف٢/ ٢٤٤، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٦٨٣، البحر المحيط٦/ ٢٤٢، الدر المصون ٦/ ٤٤٢.

(٧) انظر : شرح ابن عقيل ١١٨ .

(٨) انظر : البحر المحيط ٦/ ٢٤٢.

(٩) انظر : مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ٦٧ .

٣١- قرأ عليٌّ ـ ﷺ ـ : ﴿ قَالُواْ يَـٰوَيۡلَنَا مِنۡ بَعۡثِنَا مِن مَّرۡقَدِنَا ﴾[١] ، بكسر الميم والباء وسكون العين[٢] .

وتوجيهها من جهة الإعراب على أحد وجهين :

١ – أن تكون (مِنْ) من قوله تعالى : (مِنْ بَعْثِنا) متعلقة بالويل[٣] .

٢ – أن تكون حالا من (ويلنا) متعلقة بمحذوف ، والتقدير : يا ويلنا كائنًا مِنْ بَعْثِنا[٤] .

والقول الأول أقرب ؛ لبعده عن التكلف ، وسلامته من تقدير محذوف .

العطف :

٣٢- قرأ علي بن أبي طالب ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبَ ﴾[٥] بالنصب[٦] .

بالعطف على (بنيه) ، أي : ووصى إبراهيمُ يعقوبَ أيضًا[٧] ، قال القرطبي : " قال القشيري : وهو بعيد ؛ لأن يعقوب لم يكن فيها بين أولاد إبراهيم لما وصاهم "[٨] .

إعراب الفعل :

٣٣- قرأ عليٌّ ـ ﷺ ـ :﴿ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونَ ﴾[٩] بنصب النون[١٠] .

يُنْصب الفعل المضارع بـ(أنْ) مضمرة وجوبًا إذا وقع بعد فاء السببية المسبوقة بطلب[١١] .

---

(١) يس ٥٢ .

(٢) انظر : شواذ القراءات للكرماني ٤٠١ .

(٣) انظر : المحتسب ٢/ ٢١٣، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٣٦٦، التبيان ٢/ ١٠٨٤ .

(٤) انظر : المحتسب ٢/ ٢١٣ .

(٥) البقرة ١٣٢ .

(٦) انظر : مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ٩، شواذ القراءات للكرماني ٧٦ .

(٧) انظر : الدر المصون ٢/ ١٢٥

(٨) الجامع لأحكام القرآن ٢/ ١٣٦ .

(٩) الأنعام ٧٣ .

(١٠) انظر : شواذ القراءات للكرماني ١٧٠ .

(١١) انظر : التبصرة والتذكرة ١/ ٤٠١ .

وقد اختلف العلماء في توجيه هذه القراءة التي قرأ بها ابن عامر من السبعة[١] ، وذلك على قولين :

١ - قيل : إن الفعل المضارع نُصِبَ لأنه جوابٌ على لفظ (كُنْ) ؛ لأنه جاء بلفظ الأمر ، فَشُبِّه بالأمر الحقيقي ، ولا يصح نصبه على جواب الأمر الحقيقي من جهة المعنى ، وذلك لما يأتي :

- لأن ذلك إنما يكون على فعلين ينتظم منهما شرط وجواب نحو : ائتني فأكرمك، والمعنى : إن تأتني أكرمْك ، وهنا لا ينتظم ذلك إذ يصير المعنى : إن يكن يكن ، فلا بد من اختلاف بين الشرط والجزاء ، إما بالنسبة إلى الفاعل ، وإما بالنسبة إلى الفعل في نفسه ، أو في شيء من متعلقاته[٢].
- أن (كُنْ) وإن كان بلفظ الأمر إلا أن معناه الخبر ، وإذا كان معناه الخبر لم ينتصب الفعل في جوابه بعد الفاء[٣].

٢- خطَّأ بعض العلماء هذه القراءة كابن مجاهد وغيره[٤] ، وقال أبو علي الفارسي: " وليس قوله : (كُنْ) من قوله : (كُنْ فيكون) أمرًا ، ومن ثَمَّ أجمع الناس على رفع (يكون) ، ورفضوا فيه النصب إلا ما روي عن ابن عامر وهو من الضعف بحيث رأيت ، فالوجه في (يكون) الرفع "[٥] .

والراجح الأول ؛ ولا وجه لتخطئة ابن عامر وغيره من القراء ؛ قال أبو حيان ـ رحمه الله ـ : " وحكى ابن عطية عن أحمد بن موسى في قراءة ابن عامر أنها لحن ، وهذا قول خطأ ؛ لأن هذه القراءة في السبعة ، فهي قراءة متواترة ، ثم هي بَعْدُ قراءةُ ابن عامر ، وهو رجلٌ عربي لم يكن ليلحن ، وقراءة الكسائي في بعض المواضع ، وهو إمام

(١) انظر : السبعة لابن مجاهد ١٦٩، ٢٠٦ ، ٤٠٩ .
(٢) انظر : الحجة لأبي علي ١/ ٢٠٥-٢٠٦، البحر المحيط ١/ ٥٨٦، الدر المصون ٢/ ٩٠.
(٣) انظر : الحجة لأبي علي ١/ ٢٠٥، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٣٢٢-٣٢٣، الدر المصون ٢/ ٨٩.
(٤) انظر : السبعة لابن مجاهد ١٦٩، ٢٠٦ ، ٤٠٩.
(٥) الحجة ٢/ ٢٠٦-٢٠٧.

الكوفيين في علم العربية ، فالقول بأنها لحن من أقبح الخطأ المؤثم الذي يجر قائله إلى الكفر ، إذ هو طعن على علم نقلُه بالتواتر من كتاب الله تعالى "[١] .

٣٤- قرأ عليٌّ ـ ﷺ ـ : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لـتُصِيبَنَّ ﴾[٢] بلام التأكيد[٣] .

اختلف في توجيه هذه القراءة على وجهين :

١- قيل : إن اللام في (لَتُصِيْبَنَّ) لام القسم ، والمعنى على إثبات الإصابة[٤] .

٢- قال ابن جني : إن الأصل (لا تُصِيْبَنَّ) ، فحُذِفَتْ ألف (لا) تخفيفًا[٥] .

والراجح الأول ؛ وذلك لبعد ما ذهب إليه ابن جني ، إذ كيف يُوْرَدُ لفظ نفي ويُتَأول بثبوت وعكسه؟! هذا إنما يقلب الحقائق ويؤدِّي إلى التعمية[٦]، والحذف خلاف الأصل فإذا أمكن أن يكون الكلام مستقيمًا دون تقدير محذوف كان ذلك أولى[٧] .

٣٥- قرأ عليٌّ ﷺ : { فَلِيَصُمْه }[٨] بكسر اللام[٩] .

اللام العاملة للجزم هي الموضوعة للطلب وحركتها الكسر ، وإسكانها بعد الفاء أكثر من تحريكها[١٠]، وكَسْرها هو الأصل[١١]؛ ولذلك لا يُسْأل عن علته .

أما تسكين اللام بعد الفاء فقد قال ابن مجاهد : اتفقوا على تسكين لام الأمر إذا كان قبلها واو أو فاء في جميع القرآن[١٢]؛ وذلك لأنها لما لم تنفصل من الكلمة

---

(١) البحر المحيط ١/ ٥٨٦.
(٢) الأنفال ٢٥.
(٣) انظر : شواذ القراءات للكرماني ٢٠٤.
(٤) انظر : الكشاف ٢/ ١٢٢ ، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٥٩١.
(٥) انظر : المحتسب ١/ ٢٧٧ .
(٦) انظر : الدر المصون ٥/ ٥٩٢.
(٧) انظر : دراسات لأسلوب القرآن الكريم القسم الأول ٢/ ٥٧٠.
(٨) البقرة ١٨٥.
(٩) انظر : مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ١٢.
(١٠) انظر : مغني اللبيب ١/ ٢٢٣.
(١١) انظر : إعراب القراءات الشواذ ١/ ٢٣٣.
(١٢) انظر : السبعة ١٧٧.

التي تدخل عليها ولم يمكن الوقف عليها نزلوها منزلة الجزء من الكلمة فخفَّفوا اللام بالتسكين كما خفَّفوا في كَتِفٍ فقالوا : كَتْفٌ [1] .

زيادة الحروف :

٣٦- عن علي أنه قرأ : ﴿ أَن لا يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ [2] بزيادة (لا) [3] .

اختلف في (لا) على قولين :

١- قيل : إنها زائدة [4] مثلها في قوله تعالى : ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾ [5] ، وعليه يتحدُّ معنى :﴿ أَن لا يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ ومعنى قراءة الجمهور : ﴿ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ .

٢- قيل : إنها غير زائدة بمعنى أن رَفْعَ الجُناح في فِعْل الشيء هو رَفْعٌ في تَرْكِهِ ، إذ هو تخييرٌ بين الفعل والترك نحو : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَا ﴾ [6] ، فتكون قراءة الجمهور فيها رَفْعُ الجُناح في فعل الطواف نصًا ، وفي هذه رفع الجُناح في الترك نصًا [7] .

والراجح من جهة الصناعة النحوية أن (لا) غير زائدة ؛ لأن زيادة الحروف مخالفة للقياس [8] ، فكلما أمكن أن يكون الكلام مستقيمًا دون تقدير محذوف كان ذلك أولى ، وكذلك إذا استقام الكلام دون جعل الكلمة زائدة ، هذا أصل متفق عليه [9] .

---

(١) انظر : الحجة لأبي علي الفارسي ٢/ ٢٧٦ .

(٢) البقرة ١٥٨ .

(٣) انظر : مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ١١ ، شواذ القراءات للكرماني ٧٩ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ١/ ٩٥ ، المحتسب ١/ ١١٦ ، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٢١٩ ، الدر المصون ٢/ ١٩٠ .

(٥) الأعراف ١٢ .

(٦) البقرة ٢٣٠ .

(٧) انظر : معاني القرآن للفراء ١/ ٩٥ ، المحتسب ١/ ١١٦ ، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٢١٩ ، الدر المصون ٢/ ١٩٠ .

(٨) انظر : الخصائص ٢/ ٢٧٣ ، ٢٧٩-٢٨٠ ، ٢٨٤ ، الأشباه والنظائر ٢/ ١٦٢ .

(٩) انظر : دراسات لأسلوب القرآن الكريم القسم الأول ٢/ ٥٧٠ .

أما من جهة الحكم الفقهي للسعي بين الصفا والمروة فإن القول بعدم زيادتها يؤيد من ذهب من العلماء إلى سنية السعي بين الصفا والمروة ، فقد قالت عائشة -رضي الله عنها- ردًا على عروة، ورواه عنها الإمام مسلم في "صحيحه" عن هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ مَا أَرَى عَلَيَّ جُنَاحًا أَنْ لا أَتَطَوَّفَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ. قَالَتْ: لِمَ؟ قُلْتُ: لأَنَّ اللهَّ -عَزَّ وَجَلَّ- يَقُولُ: (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهَّ) الآيَةَ فَقَالَتْ: لَوْ كَانَ كَمَا تَقُولُ لَكَانَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لا يَطَّوَّفَ بِهِمَا، إِنَّمَا أُنْزِلَ هَذَا فِي أُنَاسٍ مِنَ الأَنْصَارِ كَانُوا إِذَا أَهَلُّوا أَهَلُّوا لِمَنَاةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلا يَحِلُّ لَهُمْ أَنْ يَطَّوَّفُوا بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَلَمَّا قَدِمُوا مَعَ النَّبِيِّ -ﷺ- لِلْحَجِّ ذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُّ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ، فَلَعَمْرِي مَا أَتَمَّ اللهُّ حَجَّ مَنْ لَمْ يَطُفْ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ". قال الإمام النووي : في تعليقه على هذا الخبر: "قال العلماء: هذا من دقيق علمها وفهمها الثاقب، وكبير معرفتها بدقائق الألفاظ؛ لأن الآية الكريمة إنما دل لفظها على رفع الجناح عمن يطَّوَّف بهما، وليس فيه دلالة على عدم وجوب السعي ولا على وجوبه، فأخبرته عائشة -رضي الله عنها- أن الآية ليست في دلالة الوجوب ولا لعدمه، وبيَّنت السبب في نزولها، والحكمة في نظمها، وأنها نزلت في الأنصار حين تحرَّجوا من السعي بين الصفا والمروة في الإسلام، وأنها -أي الآية- لو كانت كما يقول عروة لكانت: "فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما.

الخاتمة

في ختام هذا البحث أرجو أن أكون قد وُفِّقتُ بإعطاء صورة واضحة عن قراءة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وكشفتُ شيئًا من غوامض قراءته .

ولعل في النظر بمثل هذه القراءات تيسيرًا لقواعد اللغة نحوًا وصرفًا ، وإذا كان العلماء قالوا في المسموع عن العرب الفصحاء : إن ما سُمِعَ مخالفًا لما عليه الجمهور لم ينبغ القطع على قائله بالخطأ ما وُجِدَ طريقٌ إلى تَقَبُّل ما يورده(١) ، فما جاءت من قراءات كتاب الله بطريق الأولى والأحرى حتى ولو لم تكن متواترة(٢) ، ولعل من أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث ما يأتي :

١- أن عليًا رضي الله عنه من أبرز قراء الصحابة الذين كانت لهم قراءة ، وهو من هو في الفصاحة والبلاغة والبيان ، فينبغي الإفادة من قراءته في القواعد النحوية والصرفية.
٢- أن القراءات القرآنية المتواتر منها والشاذ تعد مصدرًا أساسًا من مصادر اللغة في قواعدها المختلفة، فالاستشهاد بقراءة شاذة خير من الاستشهاد ببيت لا يعرف قائله ، أو كلام أعرابي مجهول .
٣- تجب العناية بعلم القراءات والاستفادة منها في جميع العلوم وإطلاع الناشئة عليه لما فيه من تنمية لغتهم ، وصقل ألسنتهم .
٤- تتجلى في القراءات ظواهر تستحق الوقوف عندها وهذه تحتاج إلى بحوث علمية رصينة تتبناها المؤسسات التعليمية المختلفة لكشف أسرار هذه القراءات.

(١) انظر : الخصائص ٣/ ٣٨٥، ٣٨٧.
(٢) انظر : الدر المصون ٥/ ١٦٨.

ثم إن هذا البحث مشاركة يسيرة في كشف جانب من جوانب الإفادة من علم القراءات الشاذة من الناحية النحوية والصرفية ، وهو مواصلة لجهود سابقة، كما أنني أرجو أن تعقبه إسهامات جديدة يكون فيها النفع والفائدة .

أسأل الله سبحانه أن يكون عملي خالصًا لوجهه وأن ينفع به ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه . .

ثبت المصادر والمراجع

١- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للدمياطي ، المطبعة الميمنية .
٢- الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، ١٣٧٠ – ١٩٥١ .
٣- ارتشاف الضرب لأبي حيان الأندلسي ، ت : د. رجب عثمان محمد ، مكتبة الخانجي ، الطبعة الأولى ١٤١٨ .
٤- الأشباه والنظائر للسيوطي ، ت : د . عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ .
٥- إعراب القراءات الشواذ للعكبري، ت : محمد السيد أحمد عزوز ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ١٤١٧ .
٦- إعراب القرآن للنحاس، ت : د.زهير غازي زاهد، عالم الكتب مكتبة النهضة العربية ، الطبعة الثانية ١٤٠٥، ١٩٨٥ .
٧- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، ت : لجنة من الأدباء بإشراف عبد الستار أحمد فراج ، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الثامنة ١٤١٠ .
٨- الأفعال لابن القطاع ، عالم الكتب ، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣ .
٩- الأفعال لابن القوطية ، ت : علي فودة ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٩٣ .
١٠- الاقتراح لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي، مع شرحه الإصباح لمحمود فجال، دمشق، وبيروت، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.
١١- أمالي ابن الشجري ، ت : د. محمود محمد الطناحي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٣ .
١٢-الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤٠٧ .
١٣- الإيضاح في شرح مقامات الحريري لأبي الفتح ناصر بن أبي المكارم عبد السِّيد بن علي المطرزي، رسالة دكتوراه حققها الدكتور حمد الدخيِّل، ١٤٠١ – ١٤٠٢، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
١٤- البحر المحيط لأبي حيان ، المكتبة التجارية ، مكة المكرمة .

١٥- البرهان في علوم القرآن للزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، الطبعة الثالثة ١٤٠٠ ، ١٩٨٠.

١٦- البسيط في شرح جمل الزجاجي لابن أبي الربيع ، ت : د . عياد الثبيتي ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ .

١٧- البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات الأنباري، ت: طه عبد الحميد طه، مراجعة : مصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٠، ١٩٨٠.

١٨- تاج العروس للزبيدي ، دار صادر ، بيروت .

١٩- التبصرة والتذكرة للصيمري ، ت : د . فتحي أحمد مصطفى ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٢ .

٢٠- التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري، ت : علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية.

٢١- التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري ، دار الفكر .

٢٢- التفسير الكبير للرازي فخر الدين محمد بن عمر، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٢٣- تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري ، ت: مجموعة من المحققين، الدار المصرية للتأليف والترجمة .

٢٤- توجيه اللمع لأحمد بن الحسين بن الخبَّاز، ت : د.فايز زكي دياب، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٣، ٢٠٠٢.

٢٥- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري، الطبعة الأولى بالمطبعة الكبرى ببولاق، مصر، أعيد طبعه بالأوفست ١٩٧٨، دار المعرفة بيروت .

٢٦- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٥٤ – ١٩٣٥ .

٢٧- الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ، ت : بدر الدين قهوجي ، بشير حويجاتي ، دار المأمون للتراث ، الطبعة الأولى ١٤١٣ .

٢٨- الخصائص لابن جني ، ت : محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية .

٢٩- الدر المصون للسمين الحلبي ، ت : د . أحمد محمد الخراط ، دار القلم بدمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ .
٣٠- دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، تأليف الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة ، دار الحديث .
٣١- السبعة في القراءات لابن مجاهد ، ت : شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر .
٣٢- سر الصناعة لابن جني ، ت : د.حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ .
٣٣- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ت : رمزي منير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ١٩٩٢ .
٣٤- شرح التسهيل لابن مالك ت : د. عبد الرحمن السيد ، د. محمد بدوي المختون ، دار هجر للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ١٤١٠ .
٣٥- شرح الرضي لكافية ابن الحاجب ، ت : د. حسن الحفظي ، د. يحيى بشير مصري ، من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٧ .
٣٦- شرح الكافية الشافية لابن مالك ، ت : د. عبد المنعم أحمد هريدي ، مطبوعات مركز البحث العلمي بمكة ، دار المأمون للتراث ١٤٠٢ .
٣٧- شرح المفصل لابن يعيش ، المطبعة المنيرية .
٣٨- شرح المقدمة المحسبة لابن بابشاذ ، ت : د . خالد عبد الكريم جمعة ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ .
٣٩- شرح جمل الزجاجي لابن عصفور ، ت : صاحب أبو جناح.
٤٠- شرح شافية ابن الحاجب للرضي الاسترباذي ، ومعه شرح شواهده للبغدادي ، ت : محمد نور الحسن ، محمد الزفزاف ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٢ .
٤١- شرح فتح القدير للعاجز القدير لكمال الدين محمد بن عبدالواحد ابن الهمام، بيروت، دار إحياء التراث العربي .
٤٢- شرح مقامات الحريري لأبي العباس الشريشي ، ت : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المؤسسة العربية الحديثة ، مطبعة المدني ، مصر .

٤٣- شواذ القراءات لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر الكرماني ، ت : د.شمران العجلي، مؤسسة البلاغ ، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢، ٢٠٠١.

٤٤- صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري، بعناية مصطفى ديب البُغا، تاريخ الطبع ١٤٠٠ – ١٩٨٠.

٤٥- ضرائر الشعر لابن عصفور ، ت : السيد إبراهيم محمد ، دار الأندلس ، للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٩٨٠.

٤٦- الفصول المفيدة في الواو المزيدة للإمام صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي ت : د. حسن موسى الشاعر ، دار البشير ، الأردن ، الطبعة الأولى ١٤١٠ .

٤٧- الفهرست لابن النديم ، مكتبة خياط ، بيروت ، مصورة من طبعة فلوجل.ليبسك ١٨٧١.

٤٨- القراءات وأثرها في التفسير والأحكام لمحمد بن عمر بازمول، الرياض، دار الهجرة، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

٤٩- الكتاب لسيبويه ، طبعة بولاق ١٣١٦ == الكتاب ، طبعة هارون ، عالم الكتب، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣.

٥٠- الكشاف للزمخشري ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

٥١- لسان العرب لابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى .

٥٢- لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم لأبي عبيد القاسم بن سلام مطبوع بحاشية تفسير الجلالين ، مطابع دار الكتاب العربي في مصر، محمد حلمي المنياوي .

٥٣- مجمع الأمثال للميداني، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٥٤- المحتسب لابن جني ، ت : علي النجدي ناصف ، د.عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، ١٣٨٩.

٥٥- مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع لابن خالويه ، نشره : ج . برجشترسر ، المطبعة الرحمانية بمصر ، ١٩٣٤.

- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ، مكتبة المتنبي ، القاهرة.

٥٦- المرتجل لابن الخشاب ، ت : علي حيدر ، دمشق ، ١٣٩٢.

٥٧- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز لشهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة المقدسي ، تحقيق : طيار آلتي قولاج ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٥ – ١٩٧٥ .

٥٨- المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، ت : محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، محمد أبوالفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية .

٥٩- المساعد لابن عقيل ، ت: محمد كامل بركات ، دار الفكر ، دمشق ١٤٠٠.

٦٠- المصاحف لابن أبي داود السجستاني ، صححه آرثر جفري، المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٦، الطبعة الأولى .

٦١- معاني القرآن للفراء ، عالم الكتب ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣.

٦٢- معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ت : عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨، ١٩٨٨.

٦٣- مغني اللبيب لابن هشام ، ت : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، صيدا ١٤٠٧.

ــــ مغني اللبيب لابن هشام ، ت : د.مازن المبارك ، محمد علي حمد الله ، راجعه : سعيد الأفغاني ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٤١٩.

٦٤- المقتضب للمبرد ، ت : الشيخ عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت .

٦٥- المقرَّب لابن عصفور ، ت : أحمد عبد الستار الجواري ، عبد الله الجبوري ، مطبعة العاني .

٦٦- المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار لأبي عمرو الداني، تحقيق : محمد أحمد دهمان، مكتب الدراسات الإسلامية، دمشق١٩٤٠ .

٦٧- المنهاج في الحكم على القراءات ، للدكتور إبراهيم بن سعيد الدوسري ، مستلة بحث منشور في مجلة جامعة الإمام.

٦٨- موقف النحاة من القراءات القرآنية الشاذة وأثرها في النحو العربي لمصطفى جطل، ومحمود الصغير، (مجلة بحوث جامعة حلب، ع٧، (١٩٨٥) ص١١٥ – ١٢٤.

٦٩- النشر في القراءات العشر لمحمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري ، ت : محمد أحمد دهمان ، مطبعة التوفيق ، دمشق ، ١٣٤٥ .

٧٠- همع الهوامع للسيوطي ، ت : عبد العال سالم مكرم ، الأستاذ عبد السلام هارون ، دار البحوث ، الكويت ١٣٩٤ .

الأوجه الإعرابية لقراءات ابن أبي عبلة بالنصب

د . عبد الله بن عبد الرحمن المهوس

- عضو هيئة التدريس بكلية اللغة العربية بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- حصل على درجة الماجستير من كلية اللغة العربية بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته (شواهد التوضيح لابن مالك دراسة ونقد) .
- حصل على درجة الدكتوراه من كلية اللغة العربية بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتحقيق كتاب (شرح ألفية ابن مالك لابن جابر الهواري) .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، ثم أما بعد :

فهذا البحث يقع في مقدمةٍ ، وتمهيدٍ ، وتوجيهٍ للقراءات ، وخاتمةٍ .

ذكرت في التمهيد القراءة الشاذة واحتجاج النحويين بها ، وعرّفت بابن أبي عبلة ، ذاكرًا اسمه ونسبه ، وروايته ، والرواية عنه ، وقراءته ، ووفاته.

ثم ذكرت التوجيه الإعرابي لقراءات ابن أبي عبلة بالنصب والذي جاء في (٨٤) موضعًا من القرآن الكريم ، ورتبت القراءات على حسب ترتيبها في المصحف ، فأذكر الآية بقراءة ابن أبي عبلة ، يتلوها اسم السورة ، ورقم الآية ، ثم أذكر من قرأ بها من القراء ، ثمَّ أبيَّن الأوجه الإعرابية للقراءة ، وأذكر في الحاشية المصادر التي ذكرت فيها القراءة ، مراعيًا الترتيب التاريخي للمصادر ، وعند نصّ أحد المصادر على نسبة القراءة إلى ابن أبي عبلة، أضع رقم الجزء والصفحة لهذا المصدر بين قوسين .

وختمت البحث بخاتمةٍ اشتملت على أبرز ما جاء فيه ، وأهمّ النتائج التي توصلت إليها ، ثمّ ذيّلت البحث بقائمة المصادر والمراجع .

وفي الختام أشكر كل مَنْ أعانني على إعداد هذا البحث .

وأسأل الله أن يجعل فيه النفع والفائدة ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

التمهيد

المبحث الأول : القراءة الشاذة واحتجاج النحويين بها :

القراءة الشاذة : هي القراءة التي لم يصح سندها ، أو خالفت الرسم ، أو لا وجه لها في العربية[١] .

ووصف ابن الجزري القراءة المخالفة للمصاحف العثمانية بأنها شاذة ، فقال بعد أن أورد بعض الاختلافات اليسيرة بين المصاحف العثمانية: (فلو لم يكن ذلك كذلك في شيء من المصاحف العثمانية لكانت القراءة بذلك شاذة لمخالفتها الرسم المجمع عليه)[٢].

والنحويون يحتجون بالقراءات الشاذة ، يقول السيوطي: (وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياسًا معروفًا ، بل ولو خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه)[٣].

ومع احتجاج النحويين بالقراءات الشاذة يؤولون ما خالف القواعد منها ، (فقد جعلوها مصدرًا من مصادر احتجاجهم إلى جانب القراءات المشهورة والشعر وأقوال العرب ، وأخضعوها لمقاييسهم العامة ، وربطوا احترامهم لها بمدى انقيادها وتأبّيها على تلك المقاييس فما اتفق منها معهم اعتدوا به وجاهروا في الانتصار له ، وما خالفهم احتالوا له وأولوه ، أو أسفروا عن طعن عليه)[٤].

---

(١)انظر: علم القراءات – د. نبيل آل إسماعيل ٤٤ .

(٢)النشر – لابن الجزري ١/ ١١ .

(٣)الاقتراح – للسيوطي ٢٠ .

(٤)مجلة بحوث جامعة حلب العدد (٧) ، ١٩٨٥ م ، ص ١١٦ ، مقال بعنوان : موقف النحاة من القراءات القرآنية الشاذة وأثرها في النحو العربي ، الدكتور : مصطفى صالح جطل ، ومحمود الصغير .

المبحث الثاني : ابن أبي عبلة[1]:

اسمـه ونسبـه :

هو أبو إسماعيل[2] إبراهيم بن أبي عبلة شِمْر بن يقظان بن عامر بن عبدالله بن المرتحل العُقيلي الشامي[3] التابعي .

روايتـــه :

روى ابن أبي عبلة الحديث والقراءة عن عدد من الصحابة وغيرهم ، ومنهم:

أنس بن مالك ، عبدالله بن عمر بن الخطاب ، عمر بن عبدالعزيز ، محمد بن مسلم ابن شهاب الزهري، عبدالملك بن مروان ، عبدالرحمن بن عمرو بن العاص ، أم الدرداء.

وابن أبي عبلة من الرواة الثقات ، المشهود لهم بالصدق.

وروايات ابن أبي عبلة مذكورة في كتب الحديث الصحاح المعتبرة كصحيح البخاري[4]، وصحيح مسلم[5] ، وسنن أبي داود[6] ، وسنن النسائي[7]، وسنن ابن ماجه[8] ، وموطأ مالك[9].

الرواية عنه :

روى عنه عدد من أهل العلم والفضل ، ومنهم:

عبدالله بن المبارك ، عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي، الليث بن سعد، مالك بن أنس...

---

(١)من المصادر التي ذكرت فيها ترجمة ابن أبي عبلة : رجال صحيح البخاري للكلاباذي ١/ ٥٢ ، رجال مسلم لابن منجويه ٤٤ ، تهذيب الكمال للمزي ٢/ ١٤١ ، غاية النهاية لابن الجزري ١/ ١٩ ، تهذيب التهذيب لابن حجر ١/ ٧٥ ، تقريب التهذيب لابن حجر ١١١ ، شذرات الذهب لابن العماد ٢/ ٢٤١ .

(٢)وقيل : أبو إسحاق ، وأبو العباس ، وأبو سعيد .

(٣)وقيل : الرملي ، والدمشقي ، والمقدسي .

(٤) الحديث رقم ٣٩١٩ ، فتح الباري ٧/ ٢٥٦ .

(٥) الحديث رقم ١٤٠٦ ، ٢/ ١٠٢٧ .

(٦)الحديث رقم ٤٧٠٠ ، ص ٦٦٤.

(٧) الحديث رقم ٤٣٨٦ ، ٤/ ٣١١ .

(٨)الحديث رقم ٣٤٥٧ ، ٢/ ١١٤٤ .

(٩)الحديث رقم١٢٦٩ ، ١/ ٥٦٤ ، و الحديث رقم ١٥٤٩ ، ٢/ ٤٧ .

وخلق غير هؤلاء ، لم يسلم بعضهم من الأخذ عليه ، فقد قيل عن الرواية عنه: (الطرقات إليه ليست تصفو ، وهو بنفسه ثقة ، لا يخالف الثقات ، إذا روى عنه ثقة)[١] .

قراءتــه :

قراءة ابن أبي عبلة ليست من القراءات العشر ، وبعض علماء القراءات يجعل ما زاد عن العشر شاذاً ، فتعد قراءة ابن أبي عبلة عند هؤلاء قراءة شاذة.

والمتأمّل في قراءة ابن أبي عبلة سيجد بعضًا منها وافق فيه بعض القراء السبعة ، وبعض قراءاته ليست موافقة لمصحف عثمان ، فلا يحسن وصف كل قراءات ابن أبي عبلة بأنَّها شاذة.

قال أحد علماء القراءات عن قراءة ابن أبي عبلة: (واختار اختيارًا لم يَعْدُ الأثر ، وخالف مصحف عثمان ، لأنه أخذ بقراءة أبي الدرداء)[٢].

وقد سبقت الإشارة إلى أنَّ ابن أبي عبلة روى عن أمِّ الدرداء ، وأمُّ الدرداء روت القراءة عن زوجها أبي الدرداء.

فقراءة ابن أبي عبلة معتمدة على الرواية وإن خالفت أحيانًا مصحف عثمان.

ومع هذا فإنّ بعض القراءات التي نُسبت إلى ابن أبي عبلة في نسبتها إليه شك ، يقول ابن الجزري عنه : (له حروف في القراءات ، واختيار خالف فيه العامة ، في صحّة إسنادها إليه نظر)[٣].

وفاتـــــه :

توفي ابن أبي عبلة سنة ١٥٢ هـ[٤]، بدمشق عن سنٍ عالية[٥].

وقيل: سنة ١٥١ هـ ، وقيل: سنة ١٥٣ هـ[٦].

(١)تهذيب الكمال – للمزي ٢/ ١٤٣ .

(٢)القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة ١٤/ ب.

(٣)غاية النهاية لابن الجزري ، ١/ ١٩.

(٤)انظر: التاريخ الكبير للبخاري ، ١/ ٣١١.

(٥)انظر: شذرات الذهب لابن العماد ٢/ ٢٤١ .

(٦)انظر: تهذيب الكمال للمزي ، ١/ ١٤٥.

توجيه القراءات

سورة الفاتحة

(١) {مالكَ يوم الدين}[١] الفاتحة/ ٤.

قرأ بها : الأعمش ، وابن السميفع ، وعثمان ابن أبي سليمان ، وعبد الملك قاضي الهند ، وأبو هريرة ، وعمر بن عبد العزيز ، وأبو صالح السمّان ، وأبو عبد الملك الشامي ، وابن أبي عبلة [٢].

وفي نصب (مالكَ) ثلاثة أوجه:

منادى مضاف ، وحرف النداء محذوف ، والتقدير: يا مالكَ يومِ الدين ، ذهب إلى ذلك : أبو عبيدة ، وتابعه الطبري ، والنحاس ، ومكي[٣] ، وقد عبّر الأخفش عن هذا الوجه بأنّه نصب على الدعاء[٤].

مفعول به لفعل محذوف ، والتقدير: أمدح مالكَ يومِ الدين ، ويصح تقدير: أعني ، ذكر هذا الوجه أبو جعفر النحاس ، وتابعه مكي[٥].

حال من لفظ الجلالة (الله) ، وهو وجه ضعيف ، لأنّ (مالك) مضاف إلى (يوم) المضاف إلى (الدين) ، فهو معرفة بالإضافة ، والحال واجبة التنكير[٦].

وزاد النحاس وجهًا رابعًا، وهو إعرابها نعتًا لـ(رَبّ)على قراءة من قرأه بالنصب[٧].

---

(١) معاني القرآن للأخفش ١/ ١٦٠ ، جامع البيان ١/ ٦٥ ، إعراب القرآن للنحاس ١/ ١٧٢ ، مختصر ابن خالويه ١ ، كتاب الإبانة ٩٠ ، الكشاف ١/ ١١ ، المحرر الوجيز ١/ ٦٨ ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٢٨/ أ) ، مفاتيح الأغاني ٩٦ ، التبيان ١/ ٦ ، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٩١ ، البحر المحيط ١/ ٣٦ ، تحفة الأقران ١٥٠ ، النشر ١/ ٤٧ ، وقال عن القراءة:(وهي قراءة حسنة) ، إتحاف فضلاء البشر ١/ ٣٦٤.

(٢)انظر : معجم القراءات ١/ ١٠ .

(٣)انظر : مجاز القرآن ١/ ٢٢-٢٣ ، جامع البيان ١/ ٦٥ ، إعراب القرآن للنحاس ١/ ١٧٢ ، مشكل إعراب القرآن ١/ ٦٩.

(٤)انظر : معاني القرآن للأخفش ١/ ١٦٠ .

(٥)انظر : إعراب القرآن للنحاس ١/ ١٧٢ ، مشكل إعراب القرآن ١/ ٦٩ .

(٦)انظر: كتاب سيبويه ١/ ٣٧٧ ، شرح التسهيل لابن مالك ٢/ ٣٢٥ .

(٧)انظر: إعراب القرآن للنحاس ١/ ١٧٢.

والوجه الأول هو أرجح هذه الأوجه ؛ لكثرة حذف حرف النّداء .

(٢) {غيرَ المغضوب عليهم}[1] الفاتحة / ٧.

قرأبها : عمر ، وعلي ، وابن مسعود ، وعبد الله بن الزبير ، وأبيّ بن كعب ، وابن محيصن ، وهي رواية المعدّل عن الأعمش ، ورواية صدقة والخليل بن أحمد عن ابن كثير[2].

وفي نصب (غير) أربعة أوجه :

١- حال من الضمير في (عليهم) العائد على (الذين) ، ولا تتعرف (غير) بالإضافة ؛ لشدّة إبهامها [3]، وذهب إلى هذا الوجه : الخليل ، والفراء ، والأخفش ، والمبرّد ، والنحاس ، ومكي[4] ، وأجاز مكي أن تكون حالا من (الذين) [5]، وهو غير جائز ؛ لأن (الذين) مضاف إليه ، وليس من المواضع الجائز فيها ذلك[6].

---

(١)معاني القرآن للأخفش ١/ ١٦٦ ، جامع البيان ١/ ٧٨ ، السبعة ١١٢ ، إعراب القرآن للنحاس ١/ ١٧٦ ، معاني القراءات ٣١ ، مختصر ابن خالويه ١ ، الحجة للفارسي ١/ ١٤٢ ، مشكل إعراب القرآن ١/ ٧٢، كتاب الإبانة ٩٢ ، الكامل (١٥٧/ أ) ، شواذ القراءة (١٧) ، الكشاف ١/ ١٧ ، المحرر الوجيز ١/ ٧٦ ، الموضح ١/ ٢٣٥ ، التبيان ١/ ١٠ ، إعراب القراءات الشواذ ١/ ١٠٣ ، البحر المحيط ١/ ٥٠ ، الدر المصون ١/ ٧٢ ، النشر ١/ ٤٧ ، إتحاف فضلاء البشر ١/ ٣٦٨.

(٢)انظر : معجم القراءات ١/ ٢٣ .

(٣)انظر : مغني اللبيب ١/ ١٧٠ .

(٤)انظر : السبعة ١١٢ رواية عن الخليل ، معاني القرآن للفراء ١/ ٧ ، معاني القرآن للأخفش ١/ ١٦٦ ، المقتضب ٤/ ٤٢٣ ، إعراب القرآن للنحاس ١/ ١٧٦ ، مشكل إعراب القرآن ١/ ٧٢ .

(٥)انظر : مشكل إعراب القرآن ١/ ٧٢ .

(٦)انظر : الدر المصون ١/ ٧٢، والمواضع التي تجيء فيها الحال من المضاف إليه ثلاثة :

١ - إذا كان المضاف بعض المضاف إليه ، كقوله تعالى : (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانًا) الحجر/ ٤٧ .

٢ - إذا كان المضاف كبعض المضاف إليه ، كقوله تعالى : (أن اتبع ملّة إبراهيم حنيفًا) النحل / ١٢٣ .

٣ - إذا كان المضاف عاملا في الحال ، كقوله تعالى : (إليه مرجعكم جميعًا) يونس / ٤ .

وفي غير هذه المواضع يمتنع مجيء الحال من المضاف إليه . انظر أوضح المسالك ٢/ ٣٢٤-٣٢٥ .

٢- مستثنى من (الذين) ، أو من الضمير في (عليهم) ، وهو استثناء منقطع ، (ومنعه الكوفيون لأجل دخول "لا") [١]، وأجازه : الأخفش ، والمبرّد ، والزجاج[٢].

٣- مفعول به لفعل تقديره: أعني ، وقد أجاز هذا الوجه : الخليل ، ومكي [٣].

صفة للضمير في (عليهم) ؛ لأنه في محل نصب بـ (أنعمت) ، وذهب إلى هذا الوجه: ابن جرير الطبري [٤].

وأقوى هذه الأوجه الوجه الأول ؛ لكثرة نصب (غير) على الحال .

---

(١)مشكل إعراب القرآن ١/ ٧٢ .

(٢)انظر: معاني القرآن للأخفش ١/ ١٦٦، المقتضب ٤/ ٤٢٣ ، معاني القرآن وإعرابه ١/ ٥٣ .

(٣)انظر: السبعة ١١٢ ، مشكل إعراب القرآن ١/ ٧٢ .

(٤)انظر : جامع البيان ١/ ١١٤ .

سورة البقرة

(٣) {**ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوةً**}[١] البقرة / ٧.

قرأ بها : المفضّل الضبي وابن نبهان عن عاصم ، وهي رواية أبي بكر عن عاصم[٢] .

و(غشاوةً) مفعول (جعل) المقدّرة ، (ولا يجوز أن ينتصب بـ "ختم"؛ لأنّه لا يتعدى بنفسه)[٣]، وتقدير الفعل(جعل) هو قول الفراء[٤]، وقال ابن جرير: (وقد يحتمل نصبها على إتباعها موضع السمع إذ كان موضعه نصبًا)[٥].

وقال أبوحيان: (ويحتمل عندي أن تكون اسمًا وضع موضع مصدر من معنى ختم؛ لأنّ معنى ختم غشى وستر ، كأنّه قيل: تغشية على سبيل التأكيد، وتكون قلوبهم وسمعهم وأبصارهم مختومًا عليها مغشاة)[٦].

ونصب (غشاوة) بـ(جعل) المقدّرة أوضح من الاحتمالات التي ذكرها ابن جرير ، وأبو حيان .

(٤) { **وقولوا حِطّةً** }[٧] البقرة / ٥٨ ، الأعراف / ١٦١[٨].

---

(١)معاني القرآن للفراء ١/ ١٣ ، ٤٠٦ ، ٢/ ٩٧ ، السبعة ١٤١ ، إعراب القرآن للنحاس ١/ ١٨٦ ، معاني القراءات ٤٠ ، مختصر ابن خالويه ٢ ، الحجة لابن خالويه ٦٧ ، الحجة للفارسي ١/ ٢٩١ ، مشكل إعراب القرآن ١/ ٧٦، الكامل (١٥٧/ أ) ، شواذ القراءة (١٩) ، الكشاف ١/ ٥٣ ، المحرر الوجيز ١/ ٨٨ ، الموضح ١/ ٢٤٣ ، التبيان ١/ ٢٣ ، إعراب القراءات الشواذ ١/ ١١٧ ، التقريب والبيان ٢٨/ أ ، البحر المحيط ١/ ٨١ ، الدر المصون ١/ ١١١.

(٢)انظر : معجم القراءات ١/ ٣٨ .

(٣)التبيان ١/ ٢٣.

(٤)انظر معاني القرآن للفراء ١/ ١٣ .

(٥)جامع البيان ١/ ١١٤.

(٦)البحر المحيط ١/ ٨١.

(٧)معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٦٩ ، إعراب القرآن للنحاس ١/ ٢٢٨ ، مختصر ابن خالويه (٥) ، الكامل (١٦٠/ أ)، شواذ القراءة (٢٥) ، الكشاف (١/ ١٤٣) ، المحرر الوجيز (١/ ١٥٠) ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٣٢/ ب) ، التبيان ١/ ٦٥ ، إعراب القراءات الشواذ ١/ ١٦١ ، البحر المحيط (١/ ٣٥٩) ، الدر المصون (١/ ٣٧٥).

(٨)المحتسب ١/ ٢٦٤ ، الكامل (١٦٠/ أ) ، المحرر الوجيز ٢/ ٤٦٦ ، البحر المحيط ٥/ ٢٠١.

قرأ بها : - آية البقرة /٥٨ : إبراهيم بن أبي عبلة ، والأخفش ، وابن السميفع ، وطاووس اليمني [١].

- آية الأعراف / ١٦١ : الحسن ، وقتادة [٢].

وفي نصب (حطة) وجهان:

١- مفعول مطلق ، منصوب بفعل من لفظه ، والتقدير : اللهم حُطّ أوزارنا حِطّةً ، وهو قول الأخفش ، وابن جني [٣].

(ويجوز أن ينتصب بـ "قولوا" على حذفٍ ، التقدير: وقولوا قولا حطّةً ، أي: ذا حطّة ، فحذف ذا ، وصار حطة وصفًا للمصدر المحذوف كما تقول: قلت حسنًا وقلت حقًا ، أي: قولا حسنًا وقولا حقًا)[٤].

٢- مفعول به لفعل محذوف ، والتقدير: نسألك حطّةً ، وهو قول العكبري [٥].

(ولا يكون "حطة" منصوبًا بنفس قولوا ؛ لأنّ قلت وبابها لا ينصب المفرد إلا أن يكون ترجمةَ الجملةِ... ولا تقول: قلت زيدًا ولا عمرًا، ولا قلت قيامًا ولا قعودًا)[٦].

والوجه الأول أرجح؛لأن من العرب من يقول:(سمعًا وطاعة)،أي:أسمع سمعًا،وأطيع طاعة[٧].

(٥) {**ولمّا جاءهم كتابٌ من عند الله مصدقًا لما معهم** }[٨] البقرة / ٨٩[١].

(١) انظر : معجم القراءات ١/ ١٠٥ .

(٢)انظر : معجم القراءات ١/ ١٩٠ .

(٣)انظر : معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٦٩ ، المحتسب ١/ ٢٦٤ .

(٤)البحر المحيط ٥/ ٢٠١ – ٢٠٢.

(٥)انظر : إعراب القراءات الشواذ ١/ ١٦٢ .

(٦)المحتسب ١/ ٢٦٤ .

(٧) انظر : معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٦٩ .

(٨) مختصر ابن خالويه ٨ ، الكشاف ١/ ١٦٤ ، المحرر الوجيز ١/ ١٧٧ ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٣٤/أ) ، التبيان ١/ ٩٠ ، إعراب القراءات الشواذ ١/ ١٨٨ ، شرح الكافية الشافية ٢/ ٧٣٧ ، البحر المحيط (١/ ٤٨٦) ، الدر المصون (١/ ٥٠٤).

قرأ بها : ابن أبي عبلة ، وابن مسعود ، وهي في مصحف أبيّ[٢] .

و(مصدقًا) حال ، وفي صاحب الحال قولان :

١- كتاب ، وهو نكرة ، وجاز وقوع صاحب الحال نكرة ؛ لأنّها تخصصت بالصفة (من عند الله) ، وهو قول الفراء ، والزمخشري [٣].

٢- الضمير في الجار والمجرور ، في قوله: (من عند الله) ، وأجازه العكبري ، ورجّحه الهمذاني [٤].

والقول الأول أوضح .

(٦) {**فمن عُفي له من أخيه شيء فاتباعًا بالمعروف وأداءً إليه بإحسان**}[٥]البقرة/ ١٧٨ .

قرأ بها : إبراهيم بن أبي عبلة [٦]، ولم تنسب إلى غيره .

و(اتّباعًا) و (أداءً) منصوبان على المفعول المطلق، على معنى: فليتبع اتباعًا ، ويؤدَّ أداءً ، وممن ذكر هذا التوجيه : الفراء ، وابن جرير ، والنحاس[٧].

(٧) {**فمن لم يجد فصيامٌ ثلاثةَ أيامٍ في الحج وسبعةً إذا رجعتم**} [٨]البقرة/ ١٩٦ .

قرأ بها : (سبعةً) : زيد بن علي ، وابن أبي عبلة [١].

---

(١) ومثلها قراءة النصب في قوله تعالى : (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدّقًا) البقرة / ١٠١ ، المحرر الوجيز (١/ ١٨٥) ، البحر المحيط (١/ ٥٢١).

(٢) انظر : معجم القراءات ١/ ١٥٠.

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ١/ ٥٥ ، الكشاف ١/ ١٦٤ .

(٤)انظر: التبيان ١/ ٩٠ ، إعراب القراءات الشواذ ١/ ١٨٨ ، الكتاب الفريد ١/ ٣٢٥ .

(٥)المحرر الوجيز (١/ ٢٤٦) نصّ على نصب (اتّباعًا) فقط ، شواذ القراءة (٣٥) وفيه: (واتباعًا بمعروف وأداءً ، بالنصب فيهما) ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٣٦/ أ) ونصّ على نصب (اتباعًا) فقط،، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٢٣٠ وبعد أن وجّه نصب (اتباعًا) قال:(وكان قياس هذا أن يقرأ:" أداءً " بالنصب، ولكن لم أجده).

(٦)انظر: معجم القراءات ١/ ٢٤٦ .

(٧)انظر : معاني القرآن للفراء ١/ ١٩٠ ، جامع البيان ٢/ ١١٠ ، إعراب القرآن للنحاس ١/ ٢٨١ .

(٨)الكامل (١٦٧/ أ) ، الكشاف (١/ ٢٤١) ، المحرر الوجيز ١/ ٢٧٠ ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٣٦/ ب) ، التبيان ١/ ١٦٠ ، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٢٣٨ ، البحر المحيط (٢/ ٢٦٧) ، الدر المصون (٢/ ٣١٨) ، ونصب (سبعة) فقط هو المذكور في هذه المصادر إلا القراءات العشر ، وإعراب القراءات الشواذ .

و(ثلاثةَ) مفعول به لـ (صيام) ، و(صيام) مصدر عمل عمل فعله[٢].

و(سبعةً) معطوف على ثلاثةَ.

ومَنْ ذكر نصب (سبعة) فقط جعلها معطوفة على محل (ثلاثةِ) ، أو على تقدير: وصوموا سبعةً.

ولا حاجة إلى هذين التوجيهين مع القراءة بنصب (ثلاثةَ).

(٨) **{زَيَّنَ للذين كفروا الحياةَ الدنيا}**[٣] البقرة/ ٢١٢[٤].

قرأ بها : مجاهد ، وحميد بن قيس ، وأبو حيوة ، وابن محيصن ، وأُبيّ بن كعب ، والحسن ، وابن أبي عبلة [٥].

(الحياةَ) مفعول به لـ (زَيَّنَ) المبني للمعلوم ، والفاعل هو الله تعالى ، وممن ذكر هذا التوجيه : السمين الحلبي ، والبنا [٦].

(٩) **{وإن كان ذا عسرة فنظرة إلى ميسرة}**[٧] البقرة/ ٢٨٠.

---

(١)انظر: معجم القراءات ١/ ٢٧٠.

(٢)انظر: كتاب سيبويه ١/ ١٨٩.

(٣)معاني القرآن للفراء ١/ ١٣١ ، إعراب القرآن للنحاس ١/ ٣٠٣ ، مختصر ابن خالويه ١٣ ، الكامل (١٦٧/ ب) ، الكشاف ١/ ٢٥٤ ، المحرر الوجيز ١/ ٢٨٤ ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٣٧/ أ) ، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٢٤٥ ، البحر المحيط ٢/ ٣٥٣ ، الدر المصون ٢/ ٣٧١ ، إتحاف فضلاء البشر ١/ ٤٣٥.

(٤)ذكر في الكامل (١٦٧/ ب) ستة من القراء منهم ابن أبي عبلة قرؤوا مكان (زُيِّنَ):(زَيَّن) بالبناء للمعلوم حيث وقع، وقد وردت (زُيِّنَ) في عشرة مواضع ، هي: البقرة/ ٢١٢ ، آل عمران/ ١٤ ، الأنعام/ ١٢٢ ، التوبة/ ٣٧ ، يونس/ ١٢ ، الرعد/ ٣٣ ، فاطر/ ٨ ، غافر/ ٣٧ ، محمد/ ١٤ ، الفتح/ ١٢.

وذكرت قراءة سورة الرعد/ ٣٣ في : القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة(٦٢/ أ) .

وذكرت قراءة سورة غافر/ ٣٧ في : شواذ القراءة (٢١٢) .

(٥)انظر: معجم القراءات ١/ ٢٩٠ .

(٦)انظر: الدر المصون ٢/ ٣٧١ ، إتحاف فضلاء البشر ١/ ٤٣٥.

(٧)معاني القرآن للفراء ١/ ١٨٦ ، ٢/ ٢٧٥ ، ٣٦٨ ، جامع البيان ٣/ ١١٠ ، إعراب القرآن للنحاس ١/ ٣٤٢ ، مختصر ابن خالويه ١٧ ، الكامل (١٧٢/ أ) ، شواذ القراءة (٤٥) ، الكشاف ١/ ٣٢٣ ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٣٩/ ب) ، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٢٨٤ ، البحر المحيط ٢/ ٧١٦ ، الدر المصون ٢/ ٦٤٤.

قرأ بها : أبيّ بن كعب ، وابن مسعود ، وعثمان ، وابن عباس ، والمعتمر ، وحجاج الوراق [١] .

و(ذا) خبر كان الناقصة ، منصوب وعلامة نصبه الألف لأنه من الأسماء الستة ، واسم كان ضمير مستتر فيها ، تقديره: هو ، أي: الغريم.

(١٠) {**ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنّه آثمٌ قلبَه**}[٢] البقرة/ ٢٨٣.

قرأ بها : ابن أبي عبلة [٣]، ولم تنسب إلى غيره .

وفي نصب (قلبَه) ثلاثة أوجه:

١- بدل من اسم (إنَّ) ، بدل بعضٍ من كلٍّ ، ولا يضرُّ الفصلُ بالخبر (آثم) بين البدل والمبدل منه.

٢- منصوب على التشبيه بالمفعول به ، مثل : مررت برجلٍ حسنٍ وجهَه .

٣- تمييز منصوب ، وهو ضعيف عند البصريين ؛ لأنه معرفة بإضافته إلى الضمير ، جائز عند الكوفيين ، فالتمييز عند البصريين لا يكون إلا نكرة ، وأجاز الكوفيون أن يكون التمييز معرفة[٤] .

قال ابن هشام: (ومن الوهم.. قول مكي في قراءة ابن أبي عبلة "فإنه آثمٌ قلبَه" بالنصب: إنَّ "قلبه" تمييز)[٥] .

وبالرجوع إلى مشكل إعراب القرآن لمكي وجدت أنه ردّ هذا الوجه ، وقال عن إعراب (قلبه) تمييزاً: (وهو بعيد لأنّه معرفة)[٦] .

(١)انظر: معجم القراءات ١/ ٤٠٧ .

(٢) مختصر ابن خالويه (١٨) ، شواذ القراءة (٤٦) بلا ضبط ، الكشاف ١/ ٣٣٠ ، المحرر الوجيز(١/ ٣٨٨) ، شرح التسهيل لا بن مالك ٢/ ٣٨٧ ، ٣/ ٩٦ ، البحر المحيط (٢/ ٧٤٦) ، الدر المصون (٢/ ٦٨٥) ، مغني اللبيب (٢/ ٦٣٣).

(٣) انظر: معجم القراءات ١/ ٤٢٨ .

(٤) انظر : ائتلاف النصرة ٤٤ .

(٥) مغني اللبيب ٢/ ٦٣٣.

(٦) مشكل إعراب القرآن ١/ ١٤٦.

وردّه أبو جعفر النحاس قبل مكي[1] .

والوجه الأول أرجح هذه الأوجه .

وفي هذه الآية قراءة أخرى لابن أبي عبلة ، هي: (فإنّه أَثَّم قلبَه)[2] .

ولم تنسب هذه القراءة إلى غير ابن أبي عبلة[3] .

وأثّم قلبه ، أيّ : جعله آثمًا ، فـ (قلبه) مفعول للفعل (أثّم) .

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ١/ ٣٥٠.

(٢) الكامل (١٧٢/ ب) ، شواذ القراءة (٤٦) بلا ضبط ، الكشاف (١/ ٣٣٠) ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٤٠/ أ) ، البحر المحيط (٢/ ٧٤٧) ، الدر المصون (٢/ ٦٨٦).

(٣) انظر: معجم القراءات ١/ ٤٢٩ .

سورة آل عمران

(١) {قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئةً تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرةً}[١] آل عمران/ ١٣.

قرأ بها : ابن السميفع ، وابن أبي عبلة[٢].

وفي نصب (فئةً) وجهان:

١- النصب على الحال من الألف في (التقتا) ، وهي حال موطئة ؛ لأنّها تمهّد لما بعدها، وهو قوله : (تقاتل في سبيل الله) ، وهو المقصود.

و(كافرةً) صفة لـ (أخرى) ، و (أخرى) معطوفة على (فئة) ، وهذا الوجه ذهب إليه : الفراء ، والزجاج[٣].

٢- النصب على المدح والذم ، أي : أمدح فئةً. وأذمّ أخرى كافرةً ، أو بتقدير أعني ، وأجاز هذا الوجه : الزجاج[٤].

وجعل الزمخشري النصب على الاختصاص[٥]، أي بفعل تقديره : أخصّ .

وظنّ أبو حيان أنّ الزمخشري عنى الاختصاص الاصطلاحي – وهو حكم عُلِّق بضمير ما تأخّر عنه من اسم ظاهر معرّف-[٦] ، فردّ عليه بقوله: (وليس بجيّد ؛ لأنّ المنصوب على الاختصاص لا يكون نكرة ، ولا مبهمًا)[٧].

والوجه الأول أرجح ؛ لأنه لا يحتاج إلى تقدير .

---

(١) مختصر ابن خالويه (١٩) فئةً فقط ، الكامل (١٧٣/ أ) كافرةً فقط ، شواذ القراءة (٤٧) ، الكشاف ١/ ٣٤١ ، المحرر الوجيز (١/ ٤٠٨) ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٤٠/ ب) ، التبيان ١/ ٢٤٣ ، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٣٠٤ ، البحر المحيط (٣/ ٤٦) فئة فقط ، الدر المصون (٣/ ٤٥) فئةً فقط.

(٢) انظر : معجم القراءات١/ ٤٥١ ، ٤٥٢.

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ١/ ١٩٢ ، معاني القرآن وإعرابه ١/ ٣٨٢ .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ١/ ٣٨٢ .

(٥) انظر : الكشاف ١/ ٣٤١.

(٦) انظر : شرح الحدود النحوية للفاكهي ٣٤٥ .

(٧) البحر المحيط ٣/ ٤٦.

(٢) { **إن الله اصطفى آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين (٣٣) ذريّة بعضَها من بعض**}[١] آل عمران/ ٣٤.

نسب ابن جبارة هذه القراءة لابن أبي عبلة ، ولم أعثر عليها في غير الكامل .

و(بعضَها) مفعول به لفعل محذوف ، تقديره: جَعَلَ.

(٣) {**ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياءً عند ربهم يرزقون**}[٢] آل عمران/ ١٦٩.

قرأ بها : ابن أبي عبلة [٣]، ولم تنسب إلى غيره .

و(أحياءً) معطوفة بـ (بل) على (أمواتًا).

وقدّر الزجاج: احْسَبْهم أحياءً[٤]، وردَّه الفارسي بأنه يقين ، فلا يعبَّر عنه بـ(حسب)[٥]، وأجاب أبو حيان عن اعتراض الفارسي بأنَّ (حسب) تقع لليقين أحيانًا ، كقول الشاعر :

حسبت التقى والجود خير تجارةٍ ربـاحًا إذا ما المرء أصبح ثاقلا[٦]

وعليه تكون (احْسَبْهم) على تقدير الزجاج بمعنى (اعْلَمْهم)[٧].

فتقدير : احسبهم جائز ، وأولى منه العطف بـ(بل) .

---

(١) الكامل (١٧٣/ ب).

(٢) الكامل (١٧٧/ أ) ، شواذ القراءة (٥٦) ، الكشاف ١/ ٤٣٩ ، المحرر الوجيز (١/ ٥٤٠) ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٤٣/ أ) ، التبيان ١/ ٣٠٩ ، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٣٥٦ ، البحر المحيط (٣/ ٤٢٩) ، الدر المصون (٣/ ٤٨٢).

(٣) انظر: معجم القراءات ١/ ٦٢٠ .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ١/ ٤٨٨.

(٥) انظر : الإغفال للفارسي ١/ ٥٨٩-٥٩٠ .

(٦) البيت للبيد بن ربيعة في ديوانه ٢٤٦ .

(٧) انظر : البحر المحيط ٣/ ٤٢٩.

(٤) {**كــلّ نفــس ذائقــةُ المــوتَ**}[1] آل عمــران/ ١٨٥ ، الأنبيــاء/ ٣٥ ، العنكبوت/ ٥٧.

قرأ بها : آل عمران / ١٨٥ : اليزيدي ، وأبو حيوة ، والأعمش ، ويحيى ، وابن أبي إسحاق ، والمطوعي[2].

الأنبياء / ٣٥ : المطوعي[3].

العنكبوت / ٥٧ : أبو حيوة[4].

و(الموتَ) مفعول به لاسم الفاعل (ذائقةٌ) ، وممن قال بذلك : الفراء ، والمبرّد[5].

---

(١) مختصر ابن خالويه ٢٣ ، الكامل (١٧٧/ ب) ، شواذ القراءة (٥٦) ، الكشاف ١/ ٤٤٨ ، المحرر الوجيز ١/ ٥٥٠ ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٤٣/ ب) ، التبيان ١/ ٣١٨ ، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٣٥٩ ، البحر المحيط ٣/ ٤٦٠ ، الدر المصون ٣/ ٥٢٠ ، إتحاف فضلاء البشر ١/ ٤٩٧.

وذكرت قراءة سورة الأنبياء/ ٣٥ في شواذ القراءة (١٥٧) ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٩٦/ أ) ، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٢٦٣.

وذكرت قراءة سورة العنكبوت/ ٥٧ في المحرر الوجيز ٤/ ٣٢٤ ، البحر المحيط ٨/ ٣٦٤.

(٢) انظر : معجم القراءات ١/ ٦٣٩ .

(٣) انظر : معجم القراءات ٦/ ١٧ .

(٤) انظر : معجم القراءات ٧/ ١٢٣ .

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٠٢ ، المقتضب ٤/ ١٥٠ .

سورة النساء

(١) {وبالوالدين إحسانًا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجارَ ذا القربى والجارَ الجنبَ}[١] النساء/ ٣٦.

قرأ بها : أبو حيوة ، وابن أبي عبلة[٢].

و(الجارَ) مفعول به لفعل تقديره : أَخُصّ ، و(ذا) صفة و(الجارَ الجنبَ) معطوف ، وصفة ، وممن ذكر النصب بإضمار فعل : الفراء ، والنحاس[٣]، وقدَّر العكبري الفعل الناصب : أعني[٤].

وتقدير (أخصّ) أولى ؛ لأنّ له حقّ الجوار و القربى[٥].

(٢) {ما فعلوه إلا قليلاً منهم}[٦] النساء/ ٦٦.

قرأ بها : أبيّ بن كعب ، وابن أبي إسحاق ، وعيسى بن عمر ، وابن عامر[٧].

---

(١) مختصر ابن خالويه ٢٦ ، (ذا القربى) فقط ، الكامل (١٧٩/ ب) ، شواذ القراءة/ ٦٠ ، (والجار ذا القربى) فقط ، الكشاف ١/ ٥٠٩ (والجار ذا القربى) فقط، المحرر الوجيز (٢/ ٥٠) ، (والجارَ ذا القربى) فقط ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٤٥/ أ) ، (والجارَ ذا القربى) فقط ، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٣٨٥ (والجارَ ذا القربى) فقط ، البحر المحيط ٣/ ٦٣٢ ، (والجار ذا القربى) فقط ، الدر المصون ٣/ ٦٧٥ (والجار ذا القربى) فقط.

(٢)انظر : معجم القراءات ٢/ ٦٧ .

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء١/ ٢٦٧، إعراب القرآن للنحاس ١/ ٤٥٤.

(٤) انظر : إعراب القراءات الشواذ ١/ ٣٨٥ .

(٥) انظر : الكشاف ١/ ٥٠٩ .

(٦) ذكرت هذه القراءة في كثير من كتب القراءات والنحو ، ومنها : السبعة ٢٣٥ ، معاني القراءات ١٢٨ ، الحجة لابن خالويه ١٢٤ ، الحجة للفارسي ٣/ ١٦٨ ، التيسير ٩٦ ، الكامل (١٨٠/ أ) ، الكشاف ١/ ٥٣٠ ، المحرر الوجيز ٢/ ٧٥ ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٤٥/ أ) ، الموضح ١/ ٤٢٠ ، البيان ١/ ٢٥٨ ، التبيان ١/ ٣٧٠ ، شرح المفصل لابن يعيش ٢/ ٨٢ ، شرح الألفية لابن الناظم ٢٩٥ ، البحر المحيط ٣/ ٦٩٦ ، الدر المصون ٤/ ٢٢ ، أوضح المسالك ٢/ ٢٥٨ ، النشر ٢/ ٢٥٠.

(٧) انظر : معجم القراءات ٢/ ١٠٢.

والاستثناء في هذه الآية تام غير موجب ، والمستثنى في هذا النوع من الاستثناء إذا كان منقطعًا وجب فيه النصب عند أهل الحجاز ، وجاز فيه الإتباع عند بني تميم[١] .

وفي نصب (قليلا) في الآية أربعة أوجه :

١- منصوب على الاستثناء ، والاستثناء متصل ، وممن ذهب إلى هذا الوجه : ابن جرير ، والزجاج ، والفارسي[٢] .
٢- منصوب على الاستثناء ، والاستثناء منقطع ، و ذهب إلى هذا الوجه : الفراء ، و أبو زرعة[٣] .
٣- صفة لمصدر محذوف ، والتقدير : ما فعلوه إلا فعلاً قليلا ، وممن ذكر هذا الوجه : الزمخشري ، والهمذاني[٤] .
٤- خبر يكون المحذوفة ، والتقدير : إلا أن يكون قليلاً منهم ، ذكر هذا الوجه : القرطبي[٥] .

وأرجح هذه الأوجه الوجه الأول ؛ لأنّ المعنى واحد في قراءة نصب (قليلاً) ، وفي رفعها ، وقوله : (منهم) يدل على أن الاستثناء متصل .

(٣) {أو جاءوكم حصرةً صدورهم}[٦]النساء/ ٩٠.

(١) انظر : كتاب سيبويه ٢/ ٣١١ ، ٣١٩ .
(٢) انظر : جامع البيان ٥/ ١٦١ ، معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٧٢ ، الحجة ٣/ ١٦٩ .
(٣)انظر : معاني القرآن للفراء ١/ ١٦٦ ، حجة القراءات ٢٠٦ .
(٤)انظر : الكشاف ١/ ٥٣٠ ، الكتاب الفريد ٢/ ٢٩٣ .
(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٢٧٠ .
(٦) معاني القرآن للفراء ١/ ٢٤ ، ٢٨٢ ، معاني القرآن للأخفش ١/ ٤٥٢ ، المقتضب ٤/ ١٢٥ ، جامع البيان ٥/ ١٩٩ ، معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٨٩ ، إعراب القرآن للنحاس ١/ ٤٧٩ ، مختصر ابن خالويه ٢٧ ، مشكل إعراب القرآن ١/ ٢٠٥، شواذ القراءة ٦٢ ، الكشاف ١/ ٥٤٧ ، المحرر الوجيز ٢/ ٩٠ ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٤٥/ ب) ، الإنصاف ١/ ٢٥٣ ، البيان ١/ ٢٦٣ ، التبيان ١/ ٣٧٩ ، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٣٩٩، شرح المفصل لابن يعيش ٢/ ٦٧ ، البحر المحيط ٤/ ١٤ ، الدر المصون ٤/ ٦٨ ، مغني اللبيب ٢/ ٤٨٠ ، النشر ٢/ ١٣١ ، ٢٥١ ، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٣٢١ ، ٥١٨.

قرأ بها : الحسن ، وقتادة ، ويعقوب ، والمفضل ، والمهدوي عن عاصم ، وهي رواية حفص ، وسهل ، وأبي زيد عن أبي عمرو[1].

و(حصرةً) حال من الواو في (جاءوكم) ، وممن ذهب إلى ذلك : الفراء ، والأخفش ، والمبرّد[2].

(٤) **{وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذْ عليكم ونمنعَكم من المؤمنين}**[3] النساء/ ١٤١.

قرأ بها : ابن أبي عبلة ، والأخفش[4].

و(نمنعَكم) منصوب بـ(أنْ) المضمرة بعد واو المعية المسبوقة بالاستفهام.

وإضمار (أنْ) واجب إذا وقعت بعد واو المعية المسبوقة بنفي أو طلب[5].

وقال ابن عطية: ("ونمنعَكم" بفتح العين على الصرف)[6] ، والمقصود بالصرف: عدم تشريك الفعل مع ما قبله في الإعراب ، وهو اصطلاح كوفي[7]

---

(١)انظر : معجم القراءات ٢/ ١٢٤ .

(٢)انظر : معاني القرآن للفراء ١/ ٢٤ ، ٢٨٢ ، معاني القرآن للأخفش ١/ ٤٥٢ ، المقتضب ٤/ ١٢٥ .

(٣) مختصر ابن خالويه ٢٩، شواذ القراءة ٦٥ ، المحرر الوجيز (٢/ ١٢٦) ، الكتاب الفريد ٢/ ٣٦٢ ، البحر المحيط (٤/ ١٠٤) ، الدر المصون (٤/ ١٢٤).

(٤) انظر : معجم القراءات ٢/ ١٧٨ .

(٥) انظر : التبصرة والتذكرة ١/ ٣٩٩ ، شرح الكافية الشافية ٣/ ١٥٤٧ .

(٦) المحرر الوجيز ٢/ ١٢٦ .

(٧)انظر : معاني القرآن للفراء١/ ٣٣ -٣٤ ، إعراب القرآن للنحاس ١/ ٤٠٩ ، البحر المحيط ٣/ ٣٦٠ ، الدر المصون ٣/ ٤١١ ، المصطلح النحوي ١٨٧ .

سورة المائدة

(١) {والسارقَ والسارقةَ فاقطعوا أيديهما}[١]المائدة/ ٣٨.

قرأ بها : عيسى بن عمر ، وابن أبي عبلة ، وابن محيصن من طريق المعدّل[٢].

و(السارقَ) منصوب بفعل محذوف ، والتقدير: عاقبوا السارقَ ، و(السارقةَ) معطوف على السارق.

ويجوز أن يقدّر العامل موافقًا للفظ فعل الأمر المذكور ، والتقدير : اقطعوا السارق؛ لأنّه يساغ أن يقال : قطعتُ السارقَ [٣].

ويرى سيبويه أن النصب قوي في العربية ؛ لأن تقدير فعل الأمر أولى بالأمر، فتكون الجملة المشتملة على الأمر جملة فعلية[٤].

(٢) {ثم عموا وصموا كثيرًا منهم}[٥]المائدة/ ٧١.

قرأ بها : ابن أبي عبلة [٦]، ولم تنسب إلى غيره .

وفي نصب (كثيرًا) ثلاثة أوجه :

١- حال ، أي : صموا كثيرين ، وهوقول العكبري[٧].

---

(١) كتاب سيبويه ١/ ١٤٤ ، معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٤٧ ، معاني القرآن وإعرابه ٢/ ١٧٢ ، إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٩ ، مختصر ابن خالويه ٣٢ ، مشكل إعراب القرآن ١/ ٢٢٥، شواذ القراءة ٦٩ ، الكشاف ١/ ٦٣١ ، المحرر الوجيز (٢/ ١٨٧) ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٤٦/ ب) ، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٤٣٨ ، التقريب والبيان ٤٠/ أ ، الكتاب الفريد ٢/ ٤٣٨ ، البحر المحيط (٤/ ٢٤٦) ، الدر المصون (٤/ ٢٥٧).

(٢)انظر : معجم القراءات ٢/ ٢٦٨ .

(٣) انظر : الدر المصون ٤/ ٢٥٩.

(٤) انظر : كتاب سيبويه ١/ ١٤٤.

(٥) شواذ القراءة (٧٢) ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٤٧/ أ) ، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٤٥٤ ، البحر المحيط (٤/ ٣٢٨) ، الدر المصون (٤/ ٣٧٣).

(٦)انظر : معجم القراءات ٢/ ٣٢٦ .

(٧)انظر : إعراب القراءات الشواذ ١/ ٤٥٤ .

٢- مفعول مطلق ، أي : كثر ذلك منهم كثيرًا ، وأجازه : العكبري[(١)] .

٣- نعت لمصدر محذوف ، أي: عمىً وصممًا كثيرًا ، وذهب إلى هذا الوجه : الفراء ، والنحاس ، ومكي ، والسمين الحلبي[(٢)] .

والوجه الأول هو الراجح ؛ لمناسبته للمعنى .

سورة الأنعام

(١) **{قل لو أنّ عندي ما تستعجلون به لقضَى الأمرَ بيني وبينكم}**[(٣)] الأنعام/ ٥٨.

نسب ابن جبارة هذه القراءة إلى ابن أبي عبلة ، ولم أعثر عليها في غير الكامل .

و(الأمرَ) مفعول به للفعل (قضَى) ؛ لأنه مبني للمعلوم في هذه القراءة.

سورة التوبة

(١) **{وجعل كلمةَ الذين كفروا السفلى وكلمةَ الله هي العليا}**[(٤)] التوبة/ ٤٠.

قرأ بها : الحسن ، ويعقوب الحضرمي بخِلاف عنه ، والمطوعي ، وابن عباس ، وأبو مجلز ، والأعمش ، وعكرمة ، وقتادة ، والضحّاك[(٥)] .

---

(١) انظر : المصدر السابق .

(٢)انظر : معاني القرآن للفراء١/ ٣١٦ ، إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٣ ، مشكل إعراب القرآن ١/ ٢٣٤ ، الدر المصون ٤/ ٣٧٣ .

(٣)الكامل (١٨٧/ أ).

(٤)إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢١٦ ، مختصر ابن خالويه ٥٢ ، المبسوط ٢٢٧ ، مشكل إعراب القرآن ١/ ٣٢٩ ، الكامل (١٩٨/ أ) ، شواذ القراءة ١٠٠ ، الكشاف ٢/ ٢٧٢ ، المحرر الوجيز ٣/ ٣٦ ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٥٥/ أ) ، التبيان ٢/ ٦٤٥ ، التقريب والبيان ٤٧/ ب ، البحر المحيط ٥/ ٤٢٢ ، الدر المصون ٦/ ٥٢ ، النشر ٢/ ٢٧٩ ، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٩٢.

(٥)انظر : معجم القراءات ٣/ ٣٨٩ .

و(كلمةَ الله) معطوف على (كلمة الذين كفروا) .

وقد ضعّف الفراء ، ومكي قراءة النصب[١]، وحصر العكبري أسباب الضعف في ثلاثة أوجه:

١- وضع الظاهر (لفظ الجلالة) موضع المضمر .

٢- إيهام أن كلمة الله كانت سفلى فصارت عليا .

٣- التوكيد بـ (هي)[٢].

وقد أجاب عن هذه الأوجه السمين الحلبي بأنّه لا ضعف في الوجه الأول لأنّ فيه تعظيمًا وتفخيمًا ، وبأن الوجه الثاني لا يلزم منه الضدّ ، بل يدلّ على الانتقال إلى هذه الصفة ، وأجاب عن الوجه الثالث بأن (هي) ليست توكيدًا، بل هي ضمير فصل – وهو ضمير رفع منفصل يوضع بين المبتدأ والخبر؛ ليبيّن أنّ ما بعده خبر لا صفة –[٣]؛ لأنّ الضمير لا يؤكِّد الظاهر[٤]؛لأنّ الضمير أعرف من الظاهر ، وأخفى منه[٥].

(٢) {قل أُذُنُ خيرٍ لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمةً للذين آمنوا منكم}[٦] التوبة/ ٦١.

قرأ بها : ابن أبي عبلة ، ونسبت خطأ إلى ابن عامر[٧].

وفي نصب (رحمةً) وجهان :

---

(١)انظر : معاني القرآن للفراء ١/ ٤٣٨ ، مشكل إعراب القرآن ١/ ٣٢٩ .

(٢)انظر : التبيان ٢/ ٦٤٥ .

(٣) انظر : شرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٢/ ٦٥ .

(٤)انظر : الدر المصون ٦/ ٥٣.

(٥) انظر : كتاب سيبويه ٢/ ٣٨٦ ، شرح المفصل لابن يعيش ٣/ ٤٢ .

(٦) الكامل (١٩٨/ ب) ، شواذ القراءة (١٠٢) ، الكشاف (٢/ ٢٨٥) ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٥٥/ ب) ، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٦٢٤ ، الكتاب الفريد ٣/ ٢٨٦ ، البحر المحيط (٥/ ٤٤٩) ، الدر المصون (٦/ ٧٤).

(٧)انظر : معجم القراءات ٣/ ٤١٥ .

١- مفعول لأجله ، والتقدير : ويأذن لكم رحمةً ، أو : وأُرسِل رحمةً ، وذهب إلى ذلك : الزمخشري ، والهمذاني ، وأبو حيان ، والسمين الحلبي [١]، وأجازه العكبري[٢].

٢- مفعول ثانٍ لجعل ، والتقدير: وجُعِلَ رحمةً ، وذهب إلى ذلك : العكبري[٣].

و الوجه الأول بتقدير: ويأذَنُ أقرب للمعنى ؛ لأنّ قوله: (أُذُنُ خير لكم) يدلّ عليه.

(٣) {**إن نعفُ عن طائفة منكم نعذِّب طائفةً بأنهم كانوا مجرمين**}[٤]التوبة/ ٦٦.

قرأ بها : زيد بن ثابت ، وأبو عبد الرحمن ، وزيد بن علي ، وعاصم من السبعة[٥].

و(طائفةً) مفعول به لـ (نعذِّب) المبني للمعلوم .

(٤) {**لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلى أن تُقطِّع قلوبَهم**}[٦] التوبة/ ١١٠.

قرأ بها : أبوحيوة ، والحسن[٧].

---

(١)انظر : الكشاف ٢/ ٢٨٥ ، الكتاب الفريد ٣/ ٢٦٨ ، البحر المحيط ٥/ ٤٤٩ ، الدر المصون٦/ ٧٤ .

(٢)انظر : إعراب القراءات الشواذ ١/ ٦٢٤ .

(٣)انظر : المصدر السابق .

(٤) السبعة ٣١٦ ، إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٢٦ ، معاني القراءات ٢١١ ، إعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٢٥١ ، الحجة لابن خالويه ١٧٦ ، الحجة للفارسي ٤/ ٢٠٥ ،المبسوط ٢٢٨ ، التيسير ١١٨ – ١١٩ ، كتاب الإقناع ٢/ ٦٥٨ ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٥٥/ ب) ، الموضح ٢/ ٥٩٩ ، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٦٢٤ ، البحر المحيط ٥/ ٤٥٤ ، الدر المصون ٦/ ٨١ ، النشر ٢/ ٢٨٠ ، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٩٥.

(٥)انظر : معجم القراءات ٣/ ٤١٩ ، ٤٢٠ .

(٦)شواذ القراءة (١٠٤) ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٥٦/ أ) ، البحر المحيط ٥/ ٥٠٨ ، الدر المصون ٦/ ١٢٧.

وفي الكامل (١٩٩/ ب) ذكر أن (إلى) حرف جر ، وأنّ ضَبْط الفعل بضم التاء ، وكسر الطاء مع التشديد ، ولم يذكر (قلوبهم).

(٧)انظر : معجم القراءات ٣/ ٤٦٣ .

و(قلوبَهم) مفعول به لـ (تُقطِّع) المبني للمعلوم، والفاعل ضمير الرسول (ﷺ) .[١]

(٥) {**التائبين العابدين الحامدين السائحين الراكعين الساجدين ، الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والحافظين لحدود الله وبشّر المؤمنين**}[٢] التوبة/ ١١٢.

قرأ بها : أبيّ بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، والأعمش ، وروي عن أبي جعفر ، وأبي عبد الله[٣].

وفي هذه القراءة وجهان :

١- الجر صفة للمؤمنين في الآية التي قبلها: (إنّ الله اشترى من المؤمنين) ، وإلى ذلك ذهب : الفراء ، والنحاس ، وابن جني[٤].

٢- النصب بتقدير فعل أمدح ، أوأعني،أجاز ذلك : الفراء ، والنحاس ، وابن جني[٥].

والأول أرجح ؛ لأنه لايحتاج إلى تقدير .

(١)انظر : الدر المصون ٦/ ١٢٧.

(٢) معاني القرآن للفراء ١/ ١٦ ، ١٩٨ ، ٤٥٣ ، ٢/ ٦٧، إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٣٨، مختصر ابن خالويه ٥٥ ، المحتسب ١/ ٣٠٤ ، شواذ القراءة (١٠٥) ، الكشاف ٢/ ٣١٤ ، المحرر الوجيز ٣/ ٨٨ ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٥٦/ أ) ، التبيان ٢/ ٦٦٢ ، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٦٣٣ ، الكتاب الفريد ٣/ ٣٢٨ ، البحر المحيط ٥/ ٥١١ ، الدر المصون ٦/ ١٢٩ .

(٣)انظر : معجم القراءات ٣/ ٤٦٦-٤٦٧ .

(٤)انظر : معاني القرآن للفراء١/ ٤٥٣ ، إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٣٨ ، المحتسب ١/ ٣٠٥ .

(٥) انظر : المصادر في الحاشية السابقة .

سورة يونس

(١) {**ولو يعجّل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضَى إليهم أجلَهم**}[١] يونس/ ١١.

قرأ بها : ابن عامر ، ويعقوب ، والمطوعي ، وعوف ، وعيسى بن عمر[٢].

و(أجلَهم) مفعول به للفعل المبني للمعلوم (قضَى).

سورة هود

(٢) {**قالوا سلامًا قال سلامًا**}[٣] هود/ ٦٩ ، الذاريات/ ٢٥.

قرأ بها : هود / ٦٩: ابن أبي عبلة[٤]، ولم تنسب إلى غيره .

وفي نصب (سلامًا) الثانية وجهان:

١- مفعول مطلق ، لفعل من لفظ المصدر، أي : اسْلَموا سلامًا .

٢- مفعول به ، للفعل المذكور، (قال) . ذكر الوجهين : النحاس ، ومكي ، والعكبري في: (قالوا سلامًا) ، وقوله : (قال سلامًا)[٥] على قراءة النصب تشبهها .

والوجه الأول أرجح ؛ لأنه أبلغ في الجواب .

---

(١)معاني القرآن للفراء ١/ ٤٥٨ ، جامع البيان ١١/ ٩٢ ، معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٨ ، السبعة ٣٢٣ ، إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٤٧ ، معاني القراءات ٢٢٠ ، إعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٢٦١ ، الحجة لابن خالويه ١٧٩ ، الحجة للفارسي ٤/ ٢٥٣ ، المبسوط ٢٣٢ ، حجة القراءات ٣٢٨ ، شرح الهداية ٢/ ٣٣٧ ، التيسير ١٢١ ، الكشاف ٢/ ٣٣٢ ، كتاب الإقناع ٢/ ٦٦٠ ، المحرر الوجيز ٣/ ١٠٨ ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٥٦/ ب) ، مفاتيح الأغاني ٢٠٤ ، الموضح ٢/ ٦١٦ ، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٦٣٩، الكتاب الفريد ٣/ ٣٥٣ ، البحر المحيط ٦/ ١٩ ، الدر المصون ٦/ ١٥٩ ، النشر ٢/ ٢٨٢ ، إتحاف فضلاء البشر٢/ ١٠٥ .

(٢)انظر : معجم القراءات ٣/ ٥٠٣ .

(٣) شواذ القراءة (١١٣) آية سورة هود فقط ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٥٨/ ب) ذكر القراءة في السورتين عند آية سورة هود .

(٤)انظر : معجم القراءات ٤/ ٩٦ .

(٥)انظر: إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٩١ ، مشكل إعراب القرآن ١/ ٣٦٨ ، التبيان ٢/ ٧٠٥ .

(٣) **{ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثلَ ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد}** [١] هود/ ٨٩.

قرأ بها : مجاهد ، والجحدري ، وابن أبي إسحاق ، وأبو حيوة [٢]، ورويت هذه القراءة عن ابن كثير [٣] ، ونافع [٤].

وفي نصب (مثلَ) وجهان :

١- أن تكون (مثلَ) مبنية على الفتح في محل رفع فاعل ، وسبب البناء إضافة مثل إلى غير متمكن ؛ لأنه قد يجري مجرى الظروف [٥]، وقد اقتصر الزمخشري على هذا الوجه [٦].

٢- أن تكون (مثلَ) صفة لمفعول مطلق محذوف ، والتقدير: أن يصيبكم إصابةً مثلَ إصابةِ قومِ نوحٍ ، والفاعل ضمير يعود على العذاب ، وقد ذكر الوجهين : ابن عطية ، والعكبري ، والهمذاني ، وأبو حيان ، والسمين الحلبي [٧].

والوجه الأول أرجح ؛ لاتحاد الإعراب في قراءتي الرفع والنصب .

---

(١) مختصر ابن خالويه ٦١ ، الكامل (٢٠٤/ أ) ، شواذ القراءة (١١٤) ، الكشاف ٢/ ٤٢٢، المحرر الوجيز ٣/ ٢٠٢ ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٥٨/ ب) ، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٦٧٠ ، التقريب والبيان ٥٠/ ب ، الكتاب الفريد ٣/ ٥١٣ ، شرح التسهيل لابن مالك ٣/ ٢٦٢ ، البحر المحيط ٦/ ٢٠٠، الدر المصون ٦/ ٣٧٧ ، مغني اللبيب ٢/ ٥٧٠ ، المساعد ٢/ ٣٦٢ .

(٢) انظر : معجم القراءات ٤/ ١٢٦ .

(٣) انظر : مختصر ابن خالويه ٦١ .

(٤) انظر : الكشاف ٢/ ٤٢٢ .

(٥) انظر : المحرر الوجيز ٣/ ٢٠٢ .

(٦) انظر : الكشاف ٢/ ٤٢٢ .

(٧) انظر : المحرر الوجيز ٣/ ٢٠٢ ، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٦٧٠ ، الكتاب الفريد ٣/ ٥١٣ ، البحر المحيط ٦/ ٢٠٠، الدر المصون ٦/ ٤٥٧ .

سورة يوسف

(١){**وجاؤوا على قميصه بدم كذبًا**}[١] يوسف/ ١٨.

قرأ بها : زيد بن علي ، وابن أبي عبلة[٢].

وفي نصب (كذبًا) أربعة أوجه:

١- حال من واو الجماعة في (جاؤوا) ، أي: كاذبين ، وهو قول الزمخشري ، وأجازه : العكبري ، والهمذاني[٣].

٢- حال من النكرة (دم) على غير القياس، وهو قول الفراء ، وأجازه السمين الحلبي[٤].

٣- مفعول لأجله ، وأجازه : الزمخشري، والهمذاني، وأبو حيان ، والسمين الحلبي[٥].

٤- صفة لمفعول مطلق ، والتقدير: جاؤوا مجيئًا كذبًا ، وأجازه العكبري[٦].

والوجه الأول أرجح ؛ لوضوحه في المعنى .

---

(١) الكامل (٢٠٥/ ب) ، شواذ القراءة (١١٧) ، الكشاف ٢/ ٤٥١ ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٦٠/ أ) ، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٦٩٠ ، الكتاب الفريد ٣/ ٥٦٠ ، البحر المحيط ٦/ ٢٥٠ ، الدر المصون ٦/ ٤٥٧.

(٢) انظر : معجم القراءات ٤/ ٢٠٦ .

(٣)انظر : الكشاف ٢/ ٤٥١ ، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٦٩٠ ، الكتاب الفريد ٣/ ٥٦٠ .

(٤)انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٨ ، الدر المصون ٦/ ٤٥٧.

(٥)انظر : الكشاف ٢/ ٤٥١ ، الكتاب الفريد ٣/ ٥٦٠ ، البحر المحيط ٦/ ٢٥٠ ، الدر المصون ٦/ ٤٥٧.

(٦)انظر : إعراب القراءات الشواذ ١/ ٦٩٠ .

سورة الرعد

(١) {**الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحُسْنَ مآب**}[١] الرعد/ ٢٩.

قرأ بها : عيسى بن عمر الثقفي ، والبزي عن ابن محيصن ، ويحيى بن يعمر، وابن أبي عبلة[٢].

وفي نصب (حُسْنَ) ثلاثة أوجه:

١- معطوف على (طوبى) المنصوبة بفعل محذوف ، والتقدير: جعل لهم طوبى ، وجعل لهم حُسْنَ مآب ، وهو قول الزجاج ، والعكبري ، والهمذاني [٣].

٢- مصدر نائب عن فعله ، وهو وارد في الدعاء مثل: سقيًا لك ، وذهب إلى ذلك : الفراء ، وثعلب[٤] .

٣- منادى ، حذف منه حرف النداء ، والتقدير: يا حسنَ مآب ، وهو قول ابن الأنباري ، والعكبري [٥].

والوجه الأول أقرب إلى المعنى .

(١) مختصر ابن خالويه ٦٧ ، الكامل (٢٠٧/ ب) ، شواذ القراءة (١٢٤)، الكشاف ٢/ ٥٢٨ ، المحرر الوجيز (٣/ ٣١١ ، ٣١٢) ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٦٢/ أ) ،البيان ٢/ ٥١ ، التبيان ٢/ ٧٥٨ ، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٧٢٦ ، التقريب والبيان ٥٣/ أ ، الكتاب الفريد ٣/ ٦٧٨ ، البحر المحيط ٦/ ٣٨٦ ، الدر المصون ٧/ ٤٨ ، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ١٦٢.

(٢) انظر : معجم القراءات ٤/ ٤١٧ .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٨ ، التبيان ٢/ ٧٥٨ ، الكتاب الفريد ٣/ ٦٧٨ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٦٣ ، مجالس ثعلب ٢/ ٤٨٦ .

(٥) انظر : البيان ٢/ ٥١ ، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٧٢٦ – ٧٢٧ .

سورة إبراهيم

(١) {ومَثَلَ كلمةٍ خبيثةٍ كشجرةٍ خبيثةٍ}[١] إبراهيم/ ٢٦.

قرأ بها : ابن أبي عبلة ، ولم تنسب إلى غيره[٢] .

وفي نصب (مثلَ) وجهان :

١- معطوف على (مَثَلاً) في قوله : (ضرب الله مثلاً كلمةً طيبةً) إبراهيم/ ٢٤ ، وهوقول الهمذاني ، والسمين الحلبي[٣] .

٢- معطوف على (كلمةً طيبةً) ، وهو قول الزمخشري ، وأبي حيان[٤] .

والأوّل أَرجح ؛ لتشابه المعطوف والمعطوف عليه .

سورة النحل

(١) {إنما جَعَلَ السبتَ على الذين اختلفوا فيه}[٥] النحل/ ١٢٤ .

قرأ بها : أبو حيوة ، والحسن ، والنخعي ، واليزيدي ، والمطوعي[٦] .

و (السبتَ) مفعول به للفعل (جَعَلَ) المبني للمعلوم في هذه القراءة.

---

(١) الكامل (٢٠٨/ أ) ، شواذ القراءة (١٢٦) ، الكشاف ٢/ ٥٥٣ ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٦٢/ ب) ، الكتاب الفريد ٤/ ٣٠ ، البحر المحيط ٦/ ٤٣٣ ، الدر المصون ٧/ ١٠٠ .

(٢)انظر : معجم القراءات ٤/ ٤٨٣ غير منسوبة .

(٣) انظر : الكتاب الفريد ٤/ ٣٠ ، الدر المصون ٧/ ١٠٠ .

(٤)الكشاف ٢/ ٥٥٣ ، البحر المحيط ٦/ ٤٣٣.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ١١٤ ، مختصر ابن خالويه ٧٤ ، شواذ القراءة (١٣٥) ، الكشاف ٢/ ٦٤٤ ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٦٤/ ب) ، إعراب القراءات الشواذ ١/ ٧٧٣ ، البحر المحيط ٦/ ٦١٢ ، الدر المصون ٧/ ٣٠٢ ، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ١٩١ .

(٦)انظر : معجم القراءات ٤/ ٧٠٢ .

سورة الكهف

(١) {**هنالك الولاية لله الحقَّ**}[١] الكهف/ ٤٤.

قرأ بها : يعقوب عن عصمة عن أبي عمرو ، وأبو حيوة ، وزيد بن علي ، وعمرو بن عبيد ، وابن أبي عبلة ، وأبو السمّال[٢].

وفي نصب (الحق) وجهان :

١- مفعول مطلق ، التقدير: أَحُقُّ الحَقَّ ، وهو مؤكّد لمضمون الجملة مثل : هذا عبدالله الحقَّ لا الباطلَ ، وممن ذهب إلى ذلك : الفراء ، والزجاج ، والزمخشري[٣].

٢- مفعول به منصوب على التعظيم ، وهو قول العكبري[٤].

والوجه الأول أرجح ، وذهب إليه الأكثرون .

(٢) {**قال هذا فراقٌ بيني وبينَك**}[٥] الكهف/ ٧٨.

قرأ بها : ابن أبي عبلة[٦] ولم تنسب إلى غيره .

و(بينَك) معطوف على (بيني) ، و(بيني) منصوب على الظرفية ؛ لأن كلمة (فراقٌ) منونة في هذه القراءة ، وحرّك بالكسرة ؛ لإضافته إلى ياء المتكلّم ، قال بذلك الفراء ، والعكبري ، والهمذاني[٧].

---

(١) مختصر ابن خالويه ٨٠ ، الكامل (٢١٣/ ب) ، شواذ القراءة ١٤١ ، الكشاف ٢/ ٧٢٥ ، المحرر الوجيز ٣/ ٥١٩ ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٢٠ ، الكتاب الفريد ٤/ ٢٨٥ ، البحر المحيط (٧/ ١٨٢) ، الدر المصون ٧/ ٥٠٠ ، تحفة الأقران ١٤٥.

(٢)انظر : معجم القراءات ٥/ ٢٢٥ .

(٣)انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ١٤٦ ، معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٨٩ ، الكشاف ٢/ ٧٢٥ .

(٤)انظر : إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٢٠ .

(٥) الكامل (٢١٤/ ب) ، شواذ القراءة (١٤٣) ، الكشاف (٢/ ٧٤٠) ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٩٢/ أ)، التبيان ٢/ ٨٥٨ ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٣٠ ، الكتاب الفريد ٤/ ٣١٤ ، البحر المحيط (٧/ ٢١١) ، الدر المصون (٧/ ٥٣٦).

(٦)انظر : معجم القراءات ٥/ ٢٨١ .

(٧) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ١٥٦ ، التبيان ٢/ ٨٥٨ ، الكتاب الفريد ٤/ ٣١٤ .

(٣) {وأمّا من آمن وعمل صالحًا فله جزاءً الحسنى}[١] الكهف/ ٨٨.

قرأ بها : حمزة ، والكسائي ، وحفص عن عاصم ، وأبو بحرية ، والأعمش ، وطلحة ، وابن مناذر ، ويعقوب ، وخلف ، وحمّاد ، وأبو عبيد ، وابن سعدان ، وابن عيسى الأصبهاني ، وابن جبير الأنطاكي ، ومحمد بن جرير[٢].

وفي نصب (جزاءً) وجهان:

١- مفعول مطلق ، في موضع الحال ، التقدير : فله الحسنى مجزيًّا بها جزاءً ، وذهب إلى ذلك : الزجاج ، والأزهري ، وابن خالويه[٣].

٢- تمييز ، وذهب إلى ذلك : الفراء[٤]، (وفيه ضعف ؛ لأن التمييز يقبح تقديمه ، سيما إذا لم يأت معه فعل متصرّف ، وقد أجازه بعض النحويين على ضعفه[٥] ، واحتج له بقول الشاعر:

أتهجر ليلى للفراق حبيبها وما كان نفسًا بالفراق تطيب[٦])[٧]

---

(١) جامع البيان ١٦/ ١٣ ، معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٠٩ ، السبعة ٣٩٩ ، إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤٧١ ، معاني القراءات ٢٧٤، إعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٤١٦ ، الحجة لابن خالويه ٢٣٠ ، الحجة للفارسي ٥/ ١٧٠ ، المبسوط ٢٨٢-٢٨٣ ، مشكل إعراب القرآن ١/ ٤٤٧ ، التيسير ١٤٥ ، الكشاف ٢/ ٧٤٤ ، كتاب الإقناع ٢/ ٦٩٢ ، كشف المشكلات ٢/ ٦٨ ، المحرر الوجيز ٣/ ٥٤٠ ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٩٢/ أ) ، مفاتيح الأغاني ٢٦٢ ، الموضح ٢/ ٧٩٧ ، البيان ٢/ ١١٥ ، التبيان ٢/ ٨٦٠ ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٣٢ ، الكتاب الفريد ٤/ ٣٢٠ ، البحر المحيط ٧/ ٢٢٢ ، الدر المصون ٧/ ٥٤٢ ، النشر ٢/ ٣١٥ ، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٢٢٤.

(٢)انظر : معجم القراءات ٥/ ٢٩٢ .

(٣)انظر : معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٠٩ ، معاني القراءات ٢٧٤ ، إعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٤١٦ .

(٤)انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ١٥٩ .

(٥)أجاز تقديم التمييز على الفعل المتصرف: الكسائي ، والمازني ، والمبرد ، انظر : شرح الكافية الشافية ٢/ ٧٧٦.

(٦) نسب إلى المخبّل السعدي ، وإلى أعشى همدان ، وهو في ديوانه ٧٥ ، وإلى مجنون ليلى ،وليس في ديوانه. وهو في المقتضب ٣/ ٣٧ ، والأصول ١/ ٢٢٤ ، والخصائص ٢/ ٣٨٤.

(٧) الحجة لابن خالويه ٢٣٠.

وتقديم التمييز على العامل فيه إحدى مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، فقد منع البصريون تقديم التمييز على العامل فيه ، وأجازه الكوفيون إذا كان العامل متصرّفًا[١] .

قال العكبري بعد أن ذكر الوجه الأول:

(وقيل : هو مصدر على المعنى ، أي يجزى بها جزاءً)[٢] .

وهو يرجع إلى الوجه الأول ؛ لأنّ المقدّر في محل نصب حال.

سورة مريم

(١) **{إذا قضى أمراً فإنما يقول له كُنْ فيكونَ}** [٣]مريم/ ٣٥.

قرأ بها : ابن عامر ، وأبو عمران الجوني ، وابن أبي عبلة[٤] .

ووافق ابنُ أبي عبلة ابنَ عامر في نصب (فيكونَ) في هذا الموضع فقط ، وقد ردّ المبرّد، وابن مجاهد هذه القراءة[٥]،ولا يجوز ردّها ؛ لأن القراءة إذا ثبتت برواية صحيحة وجب قبولها ، وقد دافع أبو حيان عن هذه القراءة ، ومما قال:

(فالقول بأنها لحن من أقبح الخطأ المؤثم الذي يجر قائله إلى الكفر ؛ إذ هو طعن على ما علم نقله بالتواتر من كتاب الله تعالى)[٦] .

ونصب (فيكونَ) بأنْ المضمرة بعد الفاء ؛ وذلك لأحد وجهين :

١- لأنّه في سياق الطلب بلفظ (كُنْ)[٧] .

---

(١)انظر : الإنصاف ٢/ ٨٢٨ ، التبيين ٣٩٤ ،ائتلاف النصرة ٣٨ .

(٢) التبيان ٢/ ٨٦٠، وانظر : الكتاب الفريد ٤/ ٣٢٠ .

(٣) السبعة ٤٠٩ ، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٧ ، حجة القراءات ٤٤٤ ، التيسير ٧٦، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٩٣/ ب)، الموضح ٢/ ٨١٩،البحر المحيط ١/ ٥٨٦ ، النشر ٢/ ٢٢٠ ، ٣١٨ ، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٢٣٦.

(٤)انظر : معجم القراءات ٥/ ٣٦٧ .

(٥)المقتضب ٢/ ١٨ ، السبعة ٤٠٩.

(٦) البحر المحيط ١/ ٥٨٦.

(٧)انظر : حجة القراءات ١١١ ، الموضح ١/ ٢٩٧ .

٢- لوقوعه بعد إنّما ؛ لإجراء الحصر بها مجرى النفي [١].

وضعّف العكبري الوجه الأول لسببين:

١- أنّ (كُنْ) ليس بأمر على الحقيقة.

٢- أن جواب الأمر لابّد أن يخالف الأمر [٢].

ونسب ابن مالك الوجه الثاني إلى الكوفيين ، ومثل له بقولهم : إنّما هي ضربة من الأسد فتحطم ظهره [٣].

وبالرجوع إلى معاني القرآن للفراء نجده يقول عن قوله تعالى: {فإنما يقول له كُنْ فيكون}البقرة/ ١١٧: (رفع ، ولا يكون نصبًا ، إنما هي مردودة على يقول)[٤].

ولعل اختلاف رأي الفراء عن المنسوب إلى الكوفيين جعل أبا حيان يقول عن الرأي المنسوب إلى الكوفيين (وأجازه بعضهم)[٥].

ونصب (فيكونَ) بأن مضمرة بعد الفاء ؛ لوقوعه بعد (كُنْ) أرجح ؛ لإجرائه مجرى جواب الأمر .

(٢) **{إن كُلُّ مَنْ في السموات والأرض إلا آتٍ الرحمنَ عبدًا}**[٦] مريم/ ٩٣.

قرأ بها : عبد الله بن مسعود ، وابن الزبير ، وأبو حيوة ، وطلحة ، وأبو بحرية ، وابنُ أبي عبلة ، ويعقوب[٧].

و(الرحمنَ) مفعول به لاسم الفاعل (آتٍ).

---

(١)انظر : شرح الكافية الشافية ٣/ ١٥٥٥.

(٢)انظر : التبيان ١/ ١٠٩.

(٣)انظر : شرح الكافية الشافية ٣/ ١٥٥٥.

(٤)معاني القرآن للفراء ١/ ٧٤.

(٥) ارتشاف الضرب ٢/ ٤٢١.

(٦)مختصر ابن خالويه ٨٦ ، الكامل ٢١٦/ ب ، الكشاف ٣/ ٤٦ ، المحرر الوجيز ٤/ ٣٤ ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٦٠ ، الكتاب الفريد ٤/ ٣٩٥ ، البحر المحيط (٧/ ٣٠٣) ، الدر المصون ٧/ ٦٥٣.

(٧)انظر : معجم القراءات ٥/ ٣٩٩ .

سورة طه

(١) {**قال موعدُكم يومَ الزينة**}[١] طه/ ٥٩.

قرأ بها : الحسن ، والأعمش ، ومجاهد ، وأبو حيوة ، وابنُ أبي عبلة ، وقتادة ، والجحدري ، والمطوعي ، وعيسى ، والزعفراني ، والسلمي ، وهبيرة عن حفص، وحفص عن عاصم ، وأبو عمرو في رواية[٢].

و(يومَ) ظرف زمان متعلق بخبر المبتدأ ، التقدير: موعدُكم كائنٌ يومَ الزينةِ ، وذهب إلى ذلك : الزجاج ، والنحاس ، وابن جني[٣].

سورة الأنبياء

(١) {**ما يأتيهم من ذِكْر من ربهم مُحْدَثًا إلا استمعوه وهم يلعبون**}[٤] الأنبياء/ ٢.

قرأ بها : زيد بن علي[٥].

و(محدثًا) حال ، صاحبها (ذِكْر) وهو نكرة ، وسوّغ مجيء الحال من النكرة وَصْفها بالجار والمجرور (من ربّهم) ، وهناك مسوّغ آخر هو الاعتماد على النفي في قوله : (ما يأتيهم) ، فقد حكى ابن مالك أنّ من

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٦٠ ، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٢ ، المبسوط ٢٩٥ ، المحتسب ٢/ ٥٣ ، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٦٤ ، الكامل (٢١٧/ أ) ، شواذ القراءة ١٥٢ ، الكشاف ٣/ ٧١ ، المحرر الوجيز ٤/ ٤٩ ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٩٤/ ب) ، التبيان ٢/ ٨٩٤ ، التقريب والبيان ٦١/ ب ، البحر المحيط (٧/ ٣٤٨) ، الدر المصون (٨/ ٥٩).

(٢) انظر : معجم القراءات ٥/ ٤٤٦ .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٦٠ ، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٢، المحتسب ٢/ ٥٣ .

(٤) شواذ القراءة (١٥٦) ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٩٥/ ب) وذكرا لابن أبي عبلة في (محدث) ثلاث قراءات ، بالنصب والجر والرفع ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ١٠١، البحر المحيط ٧/ ٤٠٧، الدر المصون ٨/ ١٣١.

(٥) انظر : معجم القراءات ٦/ ٤ .

مسوغات مجيء صاحب الحال نكرة اعتماده على نفي تشبيهًا له بالمبتدأ الذي قد يأتي نكرة إذا اعتمد على نفي[1].

(٢) {وجعلنا من الماء كلَّ شيءٍ حيًا أفلا يؤمنون}[2] الأنبياء/ ٣٠.

قرأ بها : معاذ القارئ ، وابن أبي عبلة ، وحميد بن قيس[3].

في نصب (حيًّا) ثلاثة أوجه :

١- مفعول ثانٍ لـ (جعلنا)، وذهب إلى هذا الوجه : الفراء ، ومكي ، والزمخشري[4].

٢- صفة لـ (كلَّ) ، وذكر الوجهين الأول والثاني معًا : العكبري ، والهمذاني[5].

٣- حال ، وجَعَلَ بمعني (خَلَقَ) ، ذكر هذا الوجه السمين الحلبي ، واستبعده[6].

والوجه الأول أرجح ؛ لأنه أقرب إلى المعنى .

(٣) {وهذا ذكر مباركًا أنزلناه أفأنتم له منكرون}[7] الأنبياء/ ٥٠.

قرأ بها : ابن أبي عبلة ، ولم تنسب إلى غيره .

---

(١)انظر : شرح الكافية الشافية ٢/ ٧٣٧-٧٣٩ .

(٢) شواذ القراءة (١٥٧) ، الكشاف ٣/ ١١٤ ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٩٥/ ب) ، التبيان ٢/ ٩١٧ ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ١٠٦ ، الكتاب الفريد ٤/ ٤٨٥ ، البحر المحيط ٧/ ٤٢٥ ، الدر المصون ٨/ ١٤٩ ، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٢٦٣.

(٣)انظر : معجم القراءات ٦/ ١٦ .

(٤)انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٠١ ، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٧٩ ، الكشاف ٣/ ١١٤ .

(٥)انظر : التبيان ٢/ ٩١٧ ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ١٠٦ ، الكتاب الفريد ٤/ ٤٨٥ .

(٦)انظر : الدر المصون ٨/ ١٤٩.

(٧)شواذ القراءة (١٥٨) ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٩٦/ أ) ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ١٠٨.

و(مباركًا)حال من الهاء في(أنزلناه)، فالحال مقدّمة، وإلى ذلك ذهب: الفراء والعكبري[١].

سورة الحج

(١) {**ثم من مضغةٍ مخلقةً وغيرَ مخلقة**}[٢]الحج/ ٥.

قرأ بها : ابن أبي عبلة [٣]، ولم تنسب إلى غيره .

وفي هذه القراءة وجهان :

١ - (مخلّقةً) حال من (مضغة) ، وفيه مجيء الحال من النكرة بلا مسوّغ ، وهو مما أجازه سيبويه ، واستشهد على جوازه بقول العرب : عليه مائة بيضاً ، وبقولهم : مررت بماءٍ قعدةَ رجلٍ [٤]، ومجيء الحال من النكرة بلا مسوّغ قليل[٥] .

ونسب النحاس إلى الكسائي إجازة نصب (مخلّقة) على الفعل والقطع[٦] ، أي: على الحال ، والفعل والقطع من مصطلحات الكوفيين بمعنى الحال[٧].

وممن ذهب إلى النصب على الحال : الفراء ، وأبو حيان ، والسمين الحلبي[٨] .

٢- ذهب العكبري إلى أنّ نصب (مخلّقة) على موضع الجار والمجرور[٩]، فتكون صفة تابعة لمحل الجار والمجرور ، وهو النصب .

---

(١)انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٠٦ ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ١٠٨-١٠٩ .

(٢) شواذ القراءة (١٦١) ، المحرر الوجيز (٤/ ١٠٨) ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٩٦/ ب)، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ١٢٧ ، البحر المحيط (٧/ ٤٨٥) ، الدر المصون (٨/ ٢٣٠).

(٣)انظر : معجم القراءات ٦/ ٨٠ .

(٤) انظر : كتاب سيبويه ٢/ ١١٢ .

(٥)انظر : شرح عمدة الحافظ لابن مالك ٤٢٠.

(٦)انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٨٧.

(٧)انظر : المصطلح النحوي ١٦٨،١٧٠ ، دراسة في النحو الكوفي ٢٤٣، ٢٥٩ .

(٨)انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٢١٥ ، البحر المحيط ٧/ ٤٨٥ ، الدر المصون ٨/ ٢٣٠.

(٩)انظر : إعراب القراءات الشواذ ٢/ ١٢٧ .

والوجه الأول أرجح ؛ لأنه بيّن هيأة المجرور (مضغة) .

و(غيرَ) معطوفة بالواو على (مخلّقة).

(٢) {**الذي جعلناه للناس سواءً العاكف فيه والباد**} [١] الحج/ ٢٥

قرأ بها : حفص عن عاصم ، وجبلة عن المفضل عن عاصم ، وروح ، وزيد عن يعقوب ، وأبو الأسود الدؤلي ، والأعمش في رواية القطيعي عنه ، وإبراهيم النخعي ، وابن أبي عبلة[٢] .

في نصب (سواءً) ، ثلاثة أوجه :

١- مفعول ثانٍ لـ (جعل) ، أي : جعلنا المسجد الحرام مستويًا العاكف فيه والباد ، وذهب إلى هذا الوجه : النحاس ، وأبو زرعة ، والزمخشري[٣] .

٢- حال من الهاء في (جعلناه) ، أو من الضمير المقدّر مع حرف الجر في قوله : (للناس) ، ومفعول جعل الثاني الجار والمجرور (للناس) ، أو جعل متعدية لمفعول واحد ، وأجاز هذا الوجه : الفارسي ، ومكي ، وذهب إليه: الباقولي[٤] .

٣- مفعول مطلق ، لفعل محذوف بمعنى جعلنا ، والتقدير : سويناه للناس سواء ، وذهب إلى هذا الوجه : مكي ، والمهدوي ، وابن الأنباري [٥] .

والوجه الأول أرجح ؛ لأنه أقرب إلى المعنى .

---

(١)جامع البيان ١٧/ ١٣٨ ، السبعة ٤٣٥ ، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٩٣ ، معاني القراءات ٣١٥، إعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ٧٤ ، الحجة لابن خالويه ٢٥٣ ، الحجة للفارسي ٥/ ٢٧٠ ، المبسوط ٣٠٦ ، حجة القراءات ٤٧٥ ، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٩٠ ، شرح الهداية ٢/ ٤٢٩ ، التيسير ١٥٧ ، الكشاف ٣/ ١٥١ ، كتاب الإقناع ٢/ ٧٠٦ ، كشف المشكلات ٢/ ١٣٣ ، المحرر الوجيز ٤/ ١١٥ ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٩٦/ ب) ، مفاتيح الأغاني ٢٨٥ ، الموضح ٢/ ٨٧٧ ، البيان ٢/ ١٧٣ ، التبيان ٢/ ٩٣٩ ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ١٣٤ ، الكتاب الفريد ٤/ ٥٤٦ ، البحر المحيط ٧/ ٤٩٩ ، الدر المصون ٨/ ٢٥٧ ، النشر ٢/ ٣٢٦ ، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٢٧٣.

(٢)انظر : معجم القراءات ٦/ ١٠٠ .

(٣)انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٩٣، حجة القراءات ٤٧٥، الكشاف ٣/ ١٥١،

(٤)انظر : الحجة للفارسي ٥/ ٢٧٢ ، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٩٠ ، كشف المشكلات ٢/ ١٣٣ .

(٥)انظر : مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٩٠، شرح الهداية ٢/ ٤٢٩، البيان ٢/ ١٧٣ .

(٣) {**والمقيمي الصلاةَ ومما رزقناهم ينفقون**}[1] الحج/ ٣٥ .

قرأ بها : ابن أبي إسحاق ، والحسن ، وعباس ، وعبد الوارث ، وهارون ، ويونس ، ومحبوب كلهم عن أبي عمرو .[2]

و(الصلاةَ) مفعول به للمقيمين ، وحذفت النون للتخفيف ، كما تحذف من (الذين) فيقال فيها: (الذي) كقول الشاعر :

وإنّ الذي حانت بفلج دماؤهم   هم القومُ كلُّ القوم يا أمَّ خالدِ[3]

ومثل هذه القراءة في حذف النون تخفيفًا قول الشاعر :

الحافظو عورةَ العشيرة لا   يأتيهمُ من ورائنا نَطَفُ[4]

(٤) {**قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النارَ وعدها الله الذين كفروا**}[5] الحج/ ٧٢.

قرأ بها : ابن أبي عبلة ، وإبراهيم بن يوسف عن الأعشى ، وزيد بن علي ، وقتيبة عن الكسائي[6].

---

(١) معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٥٦ ، مختصر ابن خالويه ٩٥ ، المحتسب ٢/ ٨٠ ، سر صناعة الإعراب ٢/ ٥٣٨ ، الكامل (٢٢٠/ أ) ، شواذ القراءة ١٦٣ ، الكشاف ٣/ ١٥٧ ، المحرر الوجيز ٤/ ١٢٢ ، البيان ٢/ ١٧٥ ، التبيان ٢/ ٩٤٢ ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ١٣٨ ، التقريب والبيان ٦٤/ أ ، الكتاب الفريد ٤/ ٥٥٦ ، شرح التسهيل لابن مالك ١/ ٧٣ ، البحر المحيط ٧/ ٥٠٨ ، الدر المصون ٨/ ٢٧٤ ، المساعد ١/ ٤٦ ، ٢/ ٢٠٣.

(٢)انظر : معجم القراءات ٦/ ١١٣ .

(٣) قائله : الأشهب بن رميلة، فلج : موضع، والبيت في : كتاب سيبويه ١/ ١٨٧، مجاز القرآن٢/ ١٩٠، المقتضب٤/ ١٤٦.

(٤) قائله : عمرو بن امرئ القيس الخزرجي ، النطف: العيب ، والبيت في جمهرة أشعار العرب ٢/ ٦٧٥ ، كتاب سيبويه ١/ ١٨٦ ، المقتضب ٤/ ١٤٥ .

(٥)الكامل (٢٢١/ أ) ، شواذ القراءة (١٦٥) ، الكشاف ٣/ ١٧٠ ، ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٦٥/ ب) ، البيان ٢/ ١٩١ ، التبيان ٢/ ٩٤٨ ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ١٥١ ، الكتاب الفريد ٤/ ٥٧٨ ، البحر المحيط (٧/ ٥٣٦) ، الدر المصون (٨/ ٣٠٦) ، تحفة الأقران (١٠٤).

(٦)انظر : معجم القراءات ٦/ ١٤٤ .

و(النارَ) منصوب بفعل محذوف يفسّره الفعل الظاهر بعده ، فيكون من الاشتغال ، والتقدير: وَعَدَ اللهُ النارَ الذين كفروا وعدها ، وأجاز هذا الوجه : الفراء ، والنحاس ، والعكبري[(١)] .

ويجوز أن ينصب بفعل تقديره: أخصّ [(٢)]، أو أعني[(٣)] ، أو يكون محمولا على المعنى، أي : أعرِّفكم بشرّ من ذلكم النار[(٤)] .

سورة النور

(١) {**سورةً أنزلناها وفرضناها**}[(٥)] النور/ ١.

قرأ بها : عمر بن عبد العزيز ، ومجاهد ، وعيسى بن عمر الثقفي البصري ، وعيسى ابن عمر الهمذاني الكوفي ، وأبو رزين ، وابن أبي عبلة ، وأبو حيوة ، ومحبوب عن أبي عمرو ، وأم الدرداء ، وابن محيصن ، وطلحة بن مصرِّف[(٦)] .

وفي نصب (سورة) أربعة أوجه:

١ - منصوبة بفعل محذوف يفسّره ما بعده ، وتقديره: أنزلنا سورة أنزلناها ، فتكون من الاشتغال ، وذهب إلى هذا الوجه : الزجاج ، والنحاس ، وابن خالويه[(٧)] .

---

(١)انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٣٠ ، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٠٥ ، التبيان ٢/ ٩٤٨ .

(٢)انظر : الكشاف ٣/ ١٧٠ .

(٣)انظر : معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤٣٨ ، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٠٥ .

(٤)انظر : معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤٣٨ ، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٠٥ .

(٥)معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧ ، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٢٧ ، إعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ٩٩ ، مختصر ابن خالويه ٣٢ ، ١٠٠ ، ١٠٨، المحتسب ٢/ ٩٩ ، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٥٠٧ ، الكامل (٢٢٢/ أ) ، شواذ القراءة ١٦٩ ، الكشاف ٣/ ٢٠٨ ، المحرر الوجيز ٤/ ١٦٠ ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٦٦/ ب) ، التبيان ٢/ ٩٦٣ ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ١٧٠ ، التقريب والبيان ٦٥/ ب ، الكتاب الفريد ٤/ ٦٢٩ ، البحر المحيط (٨/ ٦) ، الدر المصون ٨/ ٣٧٨ ، تحفة الأقران ٩١ ، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٢٩١.

(٦)انظر : معجم القراءات ٦/ ٢٢١ .

(٧)انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧ ، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٢٧ ، إعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ٩٩ .

٢- منصوبة بفعل محذوف غير مفسّر بما بعده، وتقديره: اتلُ[(١)]، أواقرأ[(٢)]، أوتدبّر[(٣)]، ونحوها.

٣- منصوبة على الإغراء، أي: دونك سورةً، وأجازهذا الوجه: الزمخشري، والهمذاني[(٤)].

٤- منصوبة على الحال من الهاء في (أنزلناها) ، والهاء عائدة على الأحكام ، أي:أنزلنا الأحكامَ سورةً ، وذهب إلى هذا الوجه : الفراء[(٥)].

وأرجحها الوجه الأول ؛ لأن الفعل المذكور يدل على المقدّر .

(٢) {**الزانيةَ والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة**}[(٦)]النور/ ٢.

قرأ بها : عيسى بن عمر الثقفي ، ويحيى بن يعمر ، وعمرو بن فائد ، وأبو رزين ، وأبو جعفر ، وشيبة ، وأبو السمّال ، ورويس ، وأبو الجوزاء ، وابن أبي عبلة[(٧)].

و(الزانيةَ) منصوبة على الاشتغال ، أي : فاجلدوا الزانيةَ والزانيَ .

والنصب هو اختيار الخليل وسيبويه ؛ لأنّ الأمر بالفعل أولى[(٨)].

(٣){**ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافين عليكم**}[(٩)]النور/ ٥٨.

(١)انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧ ، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٢٧ .

(٢)انظر : المحتسب ٢/ ٩٩ ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ١٧٠ .

(٣) انظر : المحتسب ٢/ ٩٩ .

(٤)انظر : الكشاف ٣/ ٢٠٨، الكتاب الفريد ٤/ ٦٢٩ .

(٥)انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٤٤ .

(٦)كتاب سيبويه ١/ ١٤٤ ، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧ ، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٢٧ ، مختصر ابن خالويه ١٠٠ ، المحتسب ٢/ ١٠٠، شواذ القراءة ١٦٩ ، الكشاف ٣/ ٢٠٩ ، المحرر الوجيز ٤/ ١٦٠ ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٦٦/ ب) ، التبيان ٢/ ٩٦٤ ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ١٧٠ ، الكتاب الفريد ٤/ ٦٣١ ، البحر المحيط ٨/ ٧ ، الدر المصون ٨/ ٣٧٩.

(٧)انظر : معجم القراءات ٦/ ٢٢٣ .

(٨) انظر : كتاب سيبويه ١/ ١٤٤ ، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧ ، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٢٧ .

(٩) شواذ القراءة (١٧٣) ، المحرر الوجيز (٤/ ١٩٤) ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٦٧/ ب) ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ١٩١ ، البحر المحيط (٨/ ٦٩) ، الدر المصون (٨/ ٤٤٣).

قرأ بها : ابن أبي عبلة [1]، ولم تنسب إلى غيره .

و(طوافين) حال من الضمير في (عليهم).

وأجاز العكبري أن يكون صاحب الحال (الذين ملكت) في أول الآية[2] .

وكون صاحب الحال الضمير في (عليهم) أولى ؛ لأنه يشمل (الذين ملكت أيمانكم) ، و(الذين لم يبلغوا الحلم منكم) ، فتكون الحال من المماليك والصغار.

وذكر النحاس أنّ الفراء أجاز نصب (طوافين) حالاً من الضمير في (عليكم) ، ثم ذكر أنّ البصريين لا يجيزون أَنْ يكون حالاً من الضمير في (عليكم) ، أو في (بعضكم) ؛ لاختلاف العاملين ، فلا يجوز: مررت بزيد ونزلت على عمرو العاقلين ، على النعت لهما[3] .

وفي معاني القرآن للفراء بعد أَنْ ذكر وجه الرفع في قوله : "طوافون": (ولو كان نصبًا لكان صوابًا تخرجه من "عليهم" لأنّها معرفة)[4] .

وسبق أن أورد الفراء الآية عرضًا ، وذكر النصب دون ذكرصاحب الحال[5] .

فلا يرد اعتراض النحاس إلا أن يكون اطّلع على نسخة من معاني القرآن للفراء مختلفة عن التي وصلت إلينا.

سورة النمل

(١) **{قل لا يعلم منَ في السموات والأرض الغيبَ إلا اللهَ}**[6] النمل/ ٦٥ .

قرأ بها : ابن أبي عبلة ، ولم أجدها في غير شواذ القراءة .

---

(١)انظر : معجم القراءات ٦/ ٣٠٢ .

(٢)انظر : إعراب القراءات الشواذ ٢/ ١٩١ .

(٣)انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٤٧ .

(٤)معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٦٠ .

(٥)انظر : المصدر السابق ١/ ٣٠٩ .

(٦)شواذ القراءة (١٨٢) .

ولفظ الجلالة (اللهَ) منصوب على الاستثناء ، والاستثناء في هذه الآية تام غير موجب ، فيجوز في المستثنى وجهان: الإتباع ، والنصب.

والقراءة جاءت على النصب الذي وصفه ابن هشام بأنّه عربي جيّد[1] ،وقد أجاز النصب إعرابًا لا قراءة : الفراء ، والزجاج ، والنحاس[2] .

سورة العنكبوت

(١) {**وقال إنّما اتّخذتم من دون الله مودّةٌ بينكم في الحياة الدنيا**}[3] العنكبوت/ ٢٥ .

قرأ بها : الحسن ، وأبو حيوة ، وابن أبي عبلة ، وأبو عمرو في رواية الأصمعي، والأعمش عن أبي بكر ، وابن وثاب ، ومحمد بن حبيب الشموني عن الأعشى ، وعبد الحميد بن صالح البرجمي عن أبي بكر عن عاصم ، وابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، وعكرمة[4] .

و(بينكم) بفتح النون ، ظرف مكان منصوب ، متعلّق بـ (مودّة) ، أو صفة لـ (مودّة)[5] ؛ لأنّ (مودّة) غير مضافة ، وهي مرفوعة منونة في قراءة ابن أبي عبلة[6] .

---

(١)انظر : أوضح المسالك ٢/ ٢٥٨.

(٢)انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٩٨ ، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٢٧ ، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢١٨ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣١٥ ، السبعة ٤٩٩ ، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٥٤ ، معاني القراءات ٣٦٩ ، إعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ١٨٤ ، مختصر ابن خالويه ١١٥ ، الحجة لابن خالويه ٢٧٩ ، الحجة للفارسي ٥/ ٤٢٨ ، المبسوط ٣٤٤ ، حجة القراءات ٥٥٠ ، الكامل (٢٢٦/ أ) ، الكشاف ٣/ ٤٥٠ ، المحرر الوجيز ٤/ ٣١٣ ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٧٢/ أ) وقد نصّ على أنّ قراءة ابن أبي عبلة بحذف كلمة (أوثانًا) ، مفاتيح الأغاني ٣٢٠ ، البيان ٢/ ٢٤٢ ، التبيان ٢/ ١٠٣١ ، التقريب والبيان ٦٩/ أ،ب ، الكتاب الفريد ٥/ ١٦٤ ، البحر المحيط (٨/ ٣٥١).

(٤)انظر : معجم القراءات ٧/ ١٠٢ .

(٥)انظر : الحجة للفارسي ٥/ ٤٢٩ .

(٦)انظر : الكامل (٢٢٦/ أ) ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٧٢/ أ) ، البحر المحيط (٨/ ٣٥١).

سورة سبأ

(١) {**لقد كان لسبإٍ في مسكنهم آية جنّتين عن يمين وشمال**}[(١)] سبأ/ ١٥ .

قرأ بها : ابن أبي عبلة [(٢)]، ولم تنسب إلى غيره .

وفي نصب (جنتين) وجهان:

١- مفعول به لفعل محذوف ، تقديره: أعني [(٣)]، أو أمدح[(٤)].

٢- خبر كان، و(آية) اسم كان ، و(آية) نكرة ، واسم كان كالمبتدأ لابد من مسوّغ لتنكيره، والمسوّغ:(أنّه تخصّص بالحال المقدّمة عليه ، وهي صفته في الأصل ، ألا ترى أنّه لو تأخّر "لسبإٍ" لكان صفة لـ "آية" في هذه القراءة) [(٥)]، وذهب إلى هذا الوجه : الفراء ، والنحاس ، وأبو حيان [(٦)].

وزاد العكبري في قراءة (جنتين) بالياء وجهًا ثالثًا ، تكون به مجرورة ؛ لكونها تابعة لمجرور ، وهو أن تكون بدلا من (مسكنهم) ، بدل بعض من كل[(٧)] .

وأقرب هذه الأوجه نصب (جنتين) بأعني ؛ فهو مناسب للمعنى.

(٢) {**قل لكم ميعادٌ يومًا لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون**}[(٨)]سبأ/ ٣٠.

قرأ بها : ابن أبي عبلة ، واليزيدي [(٩)].

---

(١)الكشاف ٣/ ٥٧٥ ، المحرر الوجيز (٤/ ٤١٣) ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٣٢٦ ، الكتاب الفريد ٥/ ٢٨٧ ، البحر المحيط (٨/ ٥٣٤) ، الدر المصون (٩/ ١٧١).

(٢)انظر : معجم القراءات ٧/ ٣٥٣ .

(٣)انظر : إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٣٢٧ .

(٤) انظر : الكشاف ٣/ ٥٧٥ ، الكتاب الفريد ٤/ ٢٨٧ .

(٥)الدر المصون ٩/ ١٧١.

(٦) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٥٨ ، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٣٨ ، البحر المحيط ٨/ ٥٣٤ .

(٧) انظر : إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٣٢٦ .

(٨)مختصر ابن خالويه ١٢٢ ، الكامل (٢٢٩/ ب) ، شواذ القراءة (١٩٨) ، الكشاف ٣/ ٥٨٣ ، البحر المحيط (٨/ ٥٥٠) ، الدر المصون (٩/ ١٨٩).

(٩)انظر : معجم القراءات ٧/ ٣٧٤ .

وفي نصب (يومًا) وجهان:

١- ظرف زمان ، والعامل فيه مضاف محذوف ، أي: لكم إنجازُ وَعْدٍ في يومٍ ، وذهب إلى هذا الوجه : الفراء ، والنحاس [١] .

٢- مفعول به لفعل محذوف ، تقديره: أعني ، أو أريد ، وذهب إلى هذا الوجه : الزمخشري[٢] .

والوجه الأول أرجح ؛ لأن المعنى يدل على الظرفية .

(٢) **{قل إنّ ربّي يقذف بالحقّ علاّمَ الغيوب}**[٣] سبأ/ ٤٨ .

قرأ بها : عيسى بن عمر ، وابن أبي إسحاق ، وزيد بن علي ، وابن أبي عبلة ، وأبو حيوة ، وحرب عن طلحة ، وأبو رجاء [٤] .

وفي نصب (علاّم) أربعة أوجه:

١- نعت لاسم إنّ (ربّي) على اللفظ ، وذهب إلى هذا الوجه : سيبويه ، والفراء ، والمبرّد ، والزجاج [٥] .

٢- بدل من اسم إنّ ، وذهب إلى هذا الوجه : النحاس ، وأجازه : مكي ، وابن عطية [٦]، وقال السمين الحلبي بعد أن ذكر البدل : (على قلة الإبدال بالمشتق) [٧] .

---

(١)انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٦٢ ، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٨ .

(٢)انظر : الكشاف ٣/ ٥٨٣ .

(٣)كتاب سيبويه ٢/ ١٤٧ ، المقتضب ٤/ ١١٤ ، الأصول لابن السراج ١/ ٢٥١ ، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٥٤ ، مختصر ابن خالويه ١٢٢ ، التبصرة والتذكرة للصيمري ١/ ٢٠٩ ، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٥٩٠ ، الكامل (٢٢٩/ ب) ، شواذ القراءة (١٩٩) ، الكشاف ٣/ ٥٩١ ، المحرر الوجيز ٤/ ٤٢٥ ، التبيان ٢/ ١٠٧١ ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٣٣٧ ، الكتاب الفريد ٥/ ٣٠٨ ، البحر المحيط (٨/ ٥٦٣) ، الدر المصون ٩/ ٢٠١.

(٤)انظر : معجم القراءات ٧/ ٣٩٢ .

(٥)انظر : كتاب سيبويه ٢/ ١٤٧، معاني القرآن للفراء ١/ ٤٧٠ ، ٢/ ٣٦٤، المقتضب ٤/ ١١٤، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥٧.

(٦)انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٥٤ ، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٥٩٠ ، المحرر الوجيز ٤/ ٤٢٥ .

(٧)الدر المصون ٩/ ٢٠١.

٣- مفعول به لفعل محذوف ، تقديره :أعني ، أو أمدح ، وأجاز هذا الوجه : الزمخشري، وابن عطية ، والعكبري [(١)].

٤- منادى حذف منه حرف النداء ، والتقدير : يا علاّم الغيوب ، ذكر هذا الوجه : العكبري ، وقال (وهو بعيد) [(٢)].

وأرجح هذه الأوجه الوجه الأول ؛ لأنه مشتق ، ولايحتاج إلى تقدير .

سورة فاطر

(١) {**هل من خالق غيرَ الله يرزقكم من السماء والأرض**} [(٣)]فاطر/ ٣.

قرأ بها : الفضل بن إبراهيم النحوي [(٤)] .

و(غيرَ) منصوبة على الاستثناء ، قال الفراء :(ولو نصبت "غير" إذ أريد بها "إلا" كان صواباً) [(٥)]، وذهب إلى نصب (غير) على الاستثناء : الزجاج ، والنحاس ، ومكي [(٦)].

(٢) {**إليه يصعد الكلم الطيّب والعملَ الصالحَ يرفعه**} [(٧)] فاطر/ ١٠ .

قرأ بها : عيسى بن عمر ، وابن أبي عبلة [(٨)].

---

(١) انظر : الكشاف ٣/ ٥٨٣ ، المحرر الوجيز ٤/ ٤٢٥ ، التبيان ٢/ ١٠٧١ .

(٢)إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٣٣٧ .

(٣)مختصر ابن خالويه ١٢٣ ، شواذ القراءة (١٩٩) ، الكشاف ٣/ ٥٩٧ ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٣٤٣ ، البحر المحيط ٩/ ١٣ ، الدر المصون ٩/ ٢١٢.

(٤)انظر : معجم القراءات ٧/ ٤٠٨ .

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٦٦.

(٦)انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٦٢ ، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٦٠ ، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٥٩٣ .

(٧) معاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٤٢، مختصر ابن خالويه (١٢٣)، شواذ القراءة ٢٠٠، الكشاف ٣/ ٦٠٣، المحرر الوجيز ٤/ ٤٣٢، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٣٤٥، الكتاب الفريد ٥/ ٣١٧، البحر المحيط (٩/ ١٩)، الدر المصون (٩/ ٢١٨).

(٨)انظر : معجم القراءات ٧/ ٤١٧ .

ونصب (العملَ) على الاشتغال ، فهو مفعول به لفعل محذوف ، تقديره : يرفع ، وذهب إلى ذلك : الفراء ، والزمخشري ، وابن عطية [١].

و(الصالحَ) صفة لـ(العمل) منصوبة.

وذكر العكبري وجهًا آخر للنصب ، وهو أن يكون (العمل) معطوفًا على (الكلام) المنصوبة على قراءة واردة في أوّل الآية [٢]، وهي: (إليه يُصعِدُ الكلامَ الطيِّبَ). وقد نسب ابن خالويه هذه القراءة إلى : علي بن أبي طالب ، وابن مسعود ، والسلمي ، وإبراهيم النخعي [٣].

سورة يس

(١) {ياسينَ والقرآنِ الحكيمِ}[٤] يس/ ٢،١ .

قرأ بها : ابن أبي إسحاق ، وعيسى بن عمر ، والغنوي ، وأبو المتوكل ، وأبو رجاء، وابن أبي عبلة [٥].

وفي (ياسينَ) بفتح النون ثلاثة أوجه:

١- مفعول به لفعل تقديره: اذكرْ ، أو: اتلُ ، وهو غير منصرف للعلمية والعجمة ؛ لأنّه اسم للسورة أعجمي ، وذهب إلى هذا الوجه : سيبويه ، والزجاج [٦].

---

(١)انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٦٧ ، الكشاف ٣/ ٦٠٣، المحرر الوجيز ٤/ ٤٣٢ .

(٢)انظر : إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٣٤٥ .

(٣)انظر : مختصر ابن خالويه ١٢٣ .

(٤)كتاب سيبويه ٣/ ٢٥٨ ، معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٧١ ، ٣٩٦ ، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٨١ ، مختصر ابن خالويه ١٢٤ ، المحتسب ٢/ ٢٠٣ ، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٥٩٨ ، الكامل (٢٣٠/ ب) ، شواذ القراءة (٢٠١) ، الكشاف ٤/ ٣ ، المحرر الوجيز ٤/ ٤٤٦ ، البيان ٢/ ٢٩٠ ، التبيان ٢/ ١٠٧٨ ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٣٥٤ ، الكتاب الفريد ٥/ ٣٣٥ ، البحر المحيط ٩/ ٤٨ ، الدر المصون ٩/ ٢٤٤ ، تحفة الأقران ١٨٤ ، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٣٩٧.

(٥)انظر : معجم القراءات ٧/ ٤٥٦ .

(٦)انظر : كتاب سيبويه ٣/ ٢٥٨، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧٧ .

٢- مجرور بحرف القسم المحذوف ، وجرُّه بالفتحة ؛ لأنّه غير منصرف ، كما في الوجه الأول ، أو يكون منصوبًا على نزع الخافض بحذف حرف القسم ، وأجاز هذا الوجه : العكبري ، والسمين الحلبي [١].

٣- مبني على الفتح كـ (أينَ) و (كيفَ) ، وأجاز هذا الوجه : سيبويه ، وذهب إليه : الزمخشري ، و العكبري [٢].

والوجه الأول أرجح ؛ لأنه أولى من حذف حرف الجر ، ومن البناء .

(٢) {**والشمس تجري لا مستقرًّا لها ذلك تقدير العزيز العليم**}[٣] يس/ ٣٨.

قرأ بها : ابن أبي عبلة ، ولم أجدها في غير شواذ القراءة .

ووجه النصب أن يكون (مستقرًّا) اسمًا لـ (لا) النافية للجنس ، على تقدير : لامستقرًّا في الدنيا لها ؛ فإنّ في الآية قراءة أخرى ، هي : (لامستقرَّ لها) [٤]، قال عنها أبو حيان : (" لامستقرَّ لها " ، نفيًا مبنيًا على الفتح ، فيقتضي انتفاء كل مستقرٍّ ، وذلك في الدنيا ، أي هي تجري دائمًا فيها ، لاتستقرّ) [٥].

فـ(مستقر)اسم (لا)النافية للجنس في القراءتين ، وهو مبني في القراءة الأخرى ، منصوب في قراءة ابن أبي عبلة .

واسم (لا) النافية للجنس ينصب في حالتين:

١- إذا كان مضافًا ، نحو: لا صاحبَ بِرٍّ مذمومٌ.

٢- إذا كان شبيهًا بالمضاف ، وهو ما اتصل به شيء من تمام معناه ، نحو : لا راغبًا في الشرّ محمود[٦].

---

(١) انظر : إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٣٥٤ ، الدر المصون ٩/ ٢٤٤.

(٢)انظر : كتاب سيبويه ٣/ ٢٥٨، الكشاف ٤/ ٣ ، التبيان ٢/ ١٠٧٨ .

(٣) شواذ القراءة (٢٠٢).

(٤)انظر : معجم القراءات ٧/ ٤٨٥ .

(٥)البحر المحيط ٩/ ٦٧ .

(٦)انظر : شرح التسهيل لابن مالك ٢/ ٥٥ ،شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ١٨٦ ، أوضح المسالك ٢/ ١٤ .

يقول ابن مالك: (وإن كان اسم "لا" مضافًا أو شبيهًا به نصب بها ولم يبن ؛ لئلا يركّب أكثر من شيئين)[١].

والقراءة بالنصب من الشبيه بالمضاف .

سورة ص

(١) {إنَّ ذلك لحقٌّ تخاصُمَ أهلِ النار}[٢] ص/ ٦٤ .

قرأ بها : أبو الجوزاء ، وأبو الشعثاء ، وأبو عمران الجوني ، وابن أبي عبلة [٣].

وفي نصب (تخاصمَ) وجهان:

١- بدل من اسم إنَّ (ذلك) ، وذهب إلى هذا الوجه : العكبري ، وذكره : أبو حيان ، والسمين الحلبي [٤].

٢- مفعول به لفعل تقديره : أعني ، ذكر هذا الوجه : السمين الحلبي [٥].

وجعل الزمخشري (تخاصمَ) صفةً لـ (ذلك) [٦]، ولم يوافقه السمين الحلبي ؛ لأن أسماء الإشارة لاتوصف إلا بما فيه (أل) ؛ ولأن (تخاصمَ) ليس مشتقًّا [٧].

وعدّ السمين الحلبي من الأوجه في نصب (تخاصمَ) : أنّه عطف بيان ، ورد ابن هشام على الزمخشري، والسمين الحلبي بقوله:(ومن الوهم في ذلك قول الزمخشري في قراءة ابن أبي عبلة: "وإن ذلك لحقٌّ تخاصُمَ أهلِ النار" بنصب (تخاصمَ) إنه صفة للإشارة ، وقد ...اشترطوا في نعت الإشارة الاشتقاق كما

---

(١)شرح الكافية الشافية لابن مالك ١/ ٥٢٣.

(٢)الكامل (٢٣٣/ أ) ، شواذ القراءة (٢٠٩) ، الكشاف ٤/ ١٠٣ ، المحرر الوجيز (٤/ ٥١٢) ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٣٩٩ ، الكتاب الفريد ٥/ ٤٤١ ، البحر المحيط (٩/ ١٧١) ، الدر المصون (٩/ ٣٩٥).

(٣)انظر : معجم القراءات ٨/ ١١٩ .

(٤) انظر : إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٣٩٩ ، البحر المحيط ٩/ ١٧١ ، الدر المصون ٩/ ٣٩٥.

(٥)انظر : الدر المصون ٩/ ٣٩٥.

(٦) انظر : الكشاف ٤/ ١٠٣.

(٧) انظر : الدر المصون ٩/ ٣٩٥.

اشترطوه في غيره من النعوت ، ولا يكون (التخاصم) أيضًا عطف بيان ؛ لأنّ البيان يشبه الصفة ، فكما لا توصف الإشارة إلا بما فيه "أل" كذلك ما يعطف عليها) [1].

والوجه الأول أرجح ؛ لأنه لايحتاج إلى تقدير .

سورة الزمر

(١) {**تنزيلَ الكتابِ من الله العزيز الحكيم**}[2] الزمر/ ١.

قرأ بها : ابن أبي عبلة ، وزيد بن علي ، وعيسى بن عمر[3].

وفي نصب (تنزيلَ) وجهان:

١- مفعول به لفعل محذوف ، تقديره عند الكسائي : اتبعوا ، واقرؤوا [4]، وعند ابن خالويه ، والزمخشري ، والهمذاني : اقرأ ، والزم [5].

ومما يتّصل بهذا الوجه أن يكون النصب على الإغراء ، أي: عليك تنزيلَ الكتاب ، مثل قوله تعالى: (كتابَ الله عليكم) النساء/ ٢٤ ، وهو توجيه الفراء [6].

٢- مفعول مطلق ، أي: نزّله تنزيلَ الكتابِ ، والمصدر مضاف إلى المفعول ، وأجاز هذا الوجه : العكبري [7].

والوجه الأول أرجح ؛ لأنه أكثر اختصارًا في التقدير ، ولعل تقدير (الزم) أولى ؛ ليدخل توجيه الفراء في الوجه الأول .

---

(١)مغني اللبيب ٢/ ٦٣٦.

(٢) مختصر ابن خالويه (١٣١) ، الكامل (٢٣٣/أ) ، شواذ القراءة (٢٠٩) ،الكشاف٤/ ١١٠، المحرر الوجيز٤/ ٥١٧ ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٤٠٤ ، البحر المحيط (٩/ ١٨١) ، الدر المصون (٩/ ٤٠٦) .

(٣) انظر : معجم القراءات ٨/ ١٣٣.

(٤)انظر : معاني القرآن للكسائي ٢٢٢ .

(٥)انظر : مختصر ابن خالويه ١٣١ ، الكشاف٤/ ١١٠، الكتاب الفريد ٥/ ٤٤٦ .

(٦)انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٤١٤ .

(٧)انظر : إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٤٠٤ .

(٢) {ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورَجُلاً سِلْمًا لرجلٍ هل يستويان مثلاً}[١] الزمر/ ٢٩.

قرأ بها : سعيد بن جبير ، وعكرمة ، وأبو العالية ، ونصر[٢] ، وقراءة ابن أبي عبلة بنصب (رجلا) و(سِلْمًا) مع كسر السين ، وسكون اللام ، وقراءة القراء السبعة بالنصب ، فقد قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو : (ورجلا سالمًا) ، بألف بعد السين وكسر اللام ، والباقون بفتح اللام من غير ألف[٣] .

و(رَجُلاً) الثانية معطوفة على (رَجُلاً) الأولى ، و(رَجُلاً) الأولى بدل من (مثلاً) .

و(سِلْمًا) صفة لـ (رَجُلاً) منصوبة مثلها ، وهي مصدر وصف به مبالغة في الخلوص من الشركة ، وذهب إلى ذلك : ابن عطية ، وأبو حيان [٤].

أوعلى حذف مضاف، أي: ذا سِلْم، وذهب إلى ذلك : الزجاج، والزمخشري، والعكبري[٥] .

أو واقعة موقع اسم الفاعل ، أي : ورجلاً سالمًا ، وقد ذكر الأقوال الثلاثة السمين الحلبي[٦] .

والوصف بالمصدر على تقدير مضاف عند البصريين ، وعلى التأويل بالمشتق عند الكوفيين [٧] .

والجمع بين القولين الأول والثالث أرجح ، وهو أن تكون (سِلْمًا) مصدر وصف به على التأويل باسم الفاعل (سالمًا) ؛ لأن فيه جمعًا بين هذه القراءة (سِلْمًا) وقراءتي القراء السبعة : (سَلَمًا) و(سالمًا).

---

(١)معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٥٢، شواذ القراءة ٢١٠ ، الكشاف ٤/ ١٢٦ ، المحرر الوجيز ٤/ ٥٣٠ ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٧٩/ أ) ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٤٠٨ ، الكتاب الفريد ٥/ ٤٥٧ ، البحر المحيط ٩/ ١٩٨ ، الدر المصون ٩/ ٤٢٥.

(٢)انظر : معجم القراءات ٨/ ١٥٥ .

(٣)انظر : التيسير ١٨٩ .

(٤)انظر : المحرر الوجيز ٤/ ٥٣٠ ، البحر المحيط ٩/ ١٩٨ .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٥٢ ، الكشاف ٤/ ١٢٦، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٤٠٨ .

(٦)انظر : الدر المصون ٩/ ٤٢٥.

(٧) انظر : أوضح المسالك ٣/ ٣١٢.

(٣) {وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسمواتِ مطوياتٍ بيمينه}[١] الزمر / ٦٧.

قرأ بها : لم أجد مَنْ قرأ (السمواتِ) بالكسرة غير ابن أبي عبلة ، وقرأ (مطوياتٍ) بالكسرة : عيسى بن عمر ، وعاصم الجحدري ، والحسن البصري[٢] .

و(السمواتِ) مفعول به لفعل محذوف ، تقديره : ويقبض ، ويؤنس بتقدير هذا الفعل قول أبي حيان في توجيه قراءة نصب (مطوياتٍ) ، مع رفع (السموات) : ("مطوياتٍ" بالنصب على الحال ، وعطف " والسمواتُ" على"الأرض" ، فهي داخلة في حيّز "والأرض" ، فالجميع قبضته)[٣].

سورة غافر

(١) {إذا الأغلالُ في أعناقهم والسلاسلَ يَسْحَبون}[٤] غافر / ٧١.

قرأ بها : ابن مسعود ، وابن عباس ، وزيد بن علي ، وابن وثاب ، وابن يعمر ، وعكرمة ، وأبو الجوزاء ، وأبو رزين ، وأبو مجلز ، والضحاك ، وابن أبي عبلة[٥].

و(السلاسلَ) مفعول به للفعل (يَسْحَبون) ، المبني للفاعل في هذه القراءة ، وذهب إلى ذلك : الفراء ، والزجاج ، والنحاس[٦].

---

(١)شواذ القراءة (٢١١) ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٧٩/ أ).

(٢) انظر : معجم القراءات ٨/ ١٨٨ .

(٣)البحر المحيط ٩/ ٢٢١ .

(٤)إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٢ ، مختصر ابن خالويه ١٣٣ ، المحتسب ٢/ ٢٤٤ ، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٣٨، شواذ القراءة (٢١٣) ، الكشاف ٤/ ١٧٨ ، المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٩ ، الكتاب الفريد ٥/ ٤٩٨ ، البيان ٢/ ٣٣٤ ، التبيان ٢/ ١١٢٢ ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٤٢٤ ، البحر المحيط ٩/ ٢٧١ ، الدر المصون ٩/ ٤٩٥ ، تحفة الأقران ١٦٢.

(٥)انظر : معجم القراءات ٨/ ٢٥١ .

(٦)انظر : معاني القرآن للفراء ٣/ ١١ ، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٧٨ ، إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٢ .

وقال ابن جني : (فعطف الجملة من الفعل والفاعل على التي من المبتدأ والخبر)[١] ؛ فهو من عطف الجملة الفعلية على الجملة الاسمية ، وعطف إحدى الجملتين على الأخرى عطف نسق جائز[٢].

سورة فصلت

(١) {**وأمّا ثمودَ فهديناهم** }[٣] فصلت / ١٧.

قرأ بها : الحسن ، وابن أبي إسحاق ، والأعمش ، والمفضل عن عاصم ، والمطوعي بخلاف عنه ، وعيسى بن عمر الثقفي ، والأعرج بخلاف عنه ، وأبو زيد[٤].

ونصب (ثمود) على الاشتغال بفعل محذوف يفسِّره المذكور ، قال خالد الأزهري : (... إلا أنَّ الفعل المحذوف لا يقدر قبل "ثمود" كما يقدر قبل " زيد" في: زيدا ضربته لئلا يلزم الفصل بين "أما " والفاء بجملة تامة ، وذلك لا يجوز)[٥].

التقدير: وأما ثمود فهدينا هديناهم ، وحذف الفعل الأول ثم دخلت الفاء على الفعل الثاني.

وفاء الجزاء في هذه الآية لا تمنع ما بعدها أن يعمل فيما قبلها ، لأنها ليست في مركزها الأصلي[٦].

---

(١)المحتسب ٢/ ٢٤٤.

(٢) انظر : البسيط في شرح جمل الزجاجي ٢/ ٦٥٣.

(٣)كتاب سيبويه ١/ ١٤٨ ، معاني القرآن للفراء ٣/ ١٤ ، جامع البيان ٢٤/ ١٠٥ ، إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٥٥ ، مختصر ابن خالويه ١٣٣ ، التبصرة والتذكرة ١/ ٣٢٦ ، الأزهية ١٤٥ ، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٤١ ، شواذ القراءة ٢١٤ ، الكشاف ٤/ ١٩٤ ، المحرر الوجيز ٥/ ٩ ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٨٠/ ب) ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٤٢٧ ، الكتاب الفريد ٥/ ٥٠٧ ، شرح المفصل لابن يعيش ٢/ ٣٣ ، البحر المحيط ٩/ ٢٩٧ ، الدر المصون ٩/ ٥٢٠ ، مغني اللبيب ١/ ٦٠ ، ٢/ ٦٧٨ ، أوضح المسالك ٢/ ١٦٩ ، التصريح ٢/ ٣٧١ ، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٤٤٢.

(٤)انظر : معجم القراءات ٨/ ٢٧٢ .

(٥)التصريح بمضمون التوضيح ٢/ ٣٧٢.

(٦) انظر : التصريح بمضمون التوضيح ٢/ ٣٧٢.

و(ثمود) على هذه القراءة ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث ؛ لأنها اسم للقبيلة[١].

سورة الزخرف

(١) {سَنَكْتُبُ شهادَتهم ويسألون}[٢] الزخرف / ١٩.

قرأ بها : ابن عباس ، وزيد بن علي ، وأبو جعفر ، وأبو حيوة ، وابن أبي عبلة ، والجحدري ، والأعرج ، والسلمي ، وأبو رزين ، والقزاز ، والقاضي كلاهما عن هبيرة عن حفص عن عاصم ، وابن السميفع ، ومجاهد[٣].

و(شهادَتهم) مفعول به منصوب ؛ لأنّ الفعل الذي قبله مبني للفاعل في هذه القراءة.

ولابن أبي عبلة قراءة أخرى لهذه الآية ، هي: (سَنَكْتُبُ شهاداتِهم) بالجمع[٤]، ولم تنسب إلى غيره[٥].

وتوجيهها كتوجيه قراءة الإفراد.

---

(١)انظر : معاني القرآن للفراء ٣/ ١٤ ، إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٥٤ .

(٢)معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٤٠٧ ، مختصر ابن خالويه ١٣٥ ، الكامل (٢٣٥/ أ) ، شواذ القراءة ٢١٧ ، الكشاف ٤/ ٢٤٤ ، المحرر الوجيز ٥/ ٥٠ ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٨١/ أ) ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٤٤٢ ، التقريب والبيان ٧٧/ ب ، البحر المحيط (٩/ ٣٦٥) ، الدر المصون ٩/ ٥٨٠.

(٣)انظر : معجم القراءات ٨/ ٣٦١ .

(٤)الكامل ٢٣٥/ أ ، شواذ القراءة (٢١٧) ،الكشاف ٤/ ٢٤٤ ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٤٤٢.

(٥) انظر : معجم القراءات ٨/ ٣٦١ .

سورة الدخان

(١) {**فيها يَفْرُقُ كلَّ أمرٍ حكيم**}[١] الدخان/ ٤.

قرأ بها : الحسن ، والأعرج ، والأعمش[٢] .

و(كلَّ) مفعول به ؛ لأنّ الفعل الذي قبله مبني للفاعل في هذه القراءة ، والفاعل ضمير مستتر يعود على (الله) سبحانه ، أي: يَفْرُقُ اللهُ كلَّ أمر حكيم.

سورة الجاثية

(١) {**إن في السموات والأرض لآياتٍ للمؤمنين وفي خلقكم وما يَبُثُّ من دابة آياتٍ لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آياتٍ لقوم يعقلون**}[٣] الجاثية/ ٣-٥.

قرأ بها : بكسر التاء من (آياتٍ) في الموضعين الثاني ، والثالث : الأعمش ، والجحدري ، وحمزة ، والكسائي ، ويعقوب[٤] .

وفي نصب (آياتٍ) خمسة أوجه :

---

(١)مختصر ابن خالويه ١٣٧، شواذ القراءة ٢١٩ ، الكشاف ٤/ ٢٧١ ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٨١/ ب) ، البحر المحيط ٩/ ٣٩٧ ، الدر المصون ٩/ ٦١٥.

(٢)انظر : معجم القراءات ٨/ ٤١٧ .

(٣)معاني القرآن للفراء ٣/ ٤٥ ، المقتضب ٤/ ١٩٥ ، جامع البيان ٢٥/ ١٤٠ ، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٤٣١ ، الأصول لابن السراج ٢/ ٧٣ ، السبعة ٥٩٤ ، إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٣٩ ، معاني القراءات ٤٤٥ ، إعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ٣١١ ، الحجة لابن خالويه ٣٢٥ ، الحجة للفارسي ٦/ ١٦٩ ، المبسوط ٤٠٣ ، التبصرة والتذكرة ١/ ١٤٥ ، حجة القراءات ٦٥٨ ، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٥٩ ، شرح الهداية للمهدوي ٢/ ٥١٢ ، التيسير ١٩٨ ، الكشاف ٤/ ٢٨٤ ، كتاب الإقناع ٢/ ٧٦٤ ، كشف المشكلات ٢/ ٣٠٥ ، المحرر الوجيز ٥/ ٨٠ ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة (٨٢/ أ) ، مفاتيح الأغاني ٣٧١ ، الموضح ٣/ ١١٦٦ ، البيان ٢/ ٣٦٣ ، التبيان ٢/ ١١٥٠ ، الكتاب الفريد ٥/ ٥٨٤ ، البحر المحيط ٩/ ٤١٣ ، الدر المصون ٩/ ٦٣٤ ، مغني اللبيب ٢/ ٥٤٠ ، النشر ٢/ ٣٧١ ، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٤٦٥.

(٤)انظر : معجم القراءات ٨/ ٤٤٦ ، ٤٤٨ .

١- عطف (آياتٍ) على اسم إنّ (لآياتٍ) بالواو ، فقوله : (وفي خلقكم) معطوف على (في السموات) ، و(آياتٍ) معطوف على (لآياتٍ) ، وتقدّر (في) قبل (اختلاف الليل) ؛ لتقدّم ذكرها مرتين ؛ ولمجيئها في قراءة عبد الله بن مسعود : (وفي اختلاف الليل) [(١)].

والغرض من تقدير (في) ؛ لئلا يكون من العطف على معمولي عاملين مختلفين [(٢)]، عطف (اختلاف) على (خَلْق) المجرور بـ(في)، وعطف (آياتٍ) على اسم (إنّ) .

وممن ذهب إلى هذا الوجه : الكسائي ، والفراء ، وابن جرير [(٣)] .

٢- أن تكون (آياتٍ) الثانية والثالثة توكيدًا لفظيًا لـ(لآياتٍ) ، وممن ذهب إلى هذا الوجه : ابن السراج ، والصيمري [(٤)]، وممن أجازه : الفارسي ، ومكي، والمهدوي [(٥)].

٣- أن تكون (آياتٍ) اسمًا لـ(إنّ) مضمرة ، وذهب إلى هذا الوجه : العكبري، وابن مالك [(٦)].

٤- أن تكون (آياتٍ) الثانية بدلا من الأولى ، وذهب إلى هذا الوجه : ابن خالويه[(٧)]، ونسبه الباقولي ، وابن الأنباري إلى ابن السراج[(٨)]، وفي الأصول ذكر الوجهين الأول والثاني ، وذهب إلى الثاني ، كما سبق في الوجه الثاني .

---

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ٣/ ٤٥ .

(٢) عن مسألة العطف على معمولي عاملين ، انظر : الأصول لابن السراج ٢/ ٦٩ ، شرح المفصل لابن يعيش ٣/ ٢٧ ، شرح الكافية للرضي ق١ ٢/ ١٠٣٣ ، مغني اللبيب ٢/ ٥٣٩ .

(٣) انظر : معاني القرآن للكسائي ٢٣٠ ، معاني القرآن للفراء ٣/ ٤٥ ، جامع البيان ٢٥/ ١٤٠ .

(٤)انظر : الأصول لابن السراج ٢/ ٧٥ ، التبصرة والتذكرة ١/ ١٤٦ .

(٥)انظر : الحجة للفارسي ٦/ ١٧٣ ، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٦٠ ، شرح الهداية للمهدوي ٢/ ٥١٢ .

(٦) انظر : التبيان ٢/ ١١٥٠ ، شرح التسهيل ٢/ ٤٩ ، شرح الكافية الشافية ٣/ ١٢٤٣ .

(٧) انظر : إعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ٣١١ .

(٨) انظر : كشف المشكلات ٢/ ٣٠٦ ، البيان ٢/ ٣٦٤ .

٥- أن تكون (آياتٍ) منصوبة بفعل ، تقديره (أخصّ) ، ذكر هذا الوجه الزمخشري[١].

وأرجح هذه الأوجه الوجه الأول ؛ لضعف الأوجه الأخرى .

سورة محمد

(١) {**مثل الجنة التي وَعَدَ المتقين**}[٢] محمد/ ١٥ .

قرأ بها : ابن أبي عبلة ، ولم تنسب إلى غيره [٣].

و(المتقين) مفعول به ؛ لأنّ الفعل الذي قبله مبني للفاعل على هذه القراءة، والتقدير: وَعَدَ اللهُ المتقين ، وذهب إلى ذلك العكبري[٤] .

سورة القمر

(١) {**سيَهزِم الجمعَ ويولون الأدبار**}[٥] القمر/ ٤٥ .

قرأ بها : أبو حيوة ، وابن أبي عبلة [٦].

وقرأ (الأدبار) بالجمع : ابن أبي عبلة ، ولم تنسب إلى غيره [٧].

و(الجمعَ) مفعول به ، لأنّ الفعل الذي قبله مبني للفاعل على هذه القراءة، والتقدير : سيَهزِمُ اللهُ الجمعَ ، وذهب إلى ذلك : العكبري ، وأبو حيان ، والسمين الحلبي [٨].

---

(١)انظر : الكشاف ٤/ ٢٨٥ .

(٢)شواذ القراءة (٢٢٤) ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٤٨٦.

(٣)انظر : معجم القراءات ٩/ ١١ ، غير منسوبة .

(٤)انظر : إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٤٨٦ .

(٥)الكامل (٢٤٠/ أ) ، شواذ القراءة (٢٣٣) ، المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٠ ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٥٣٤ ، البحر المحيط (١٠/ ٤٧) ، الدر المصون (١٠/ ١٤٤).

(٦)انظر : معجم القراءات ٩/ ٢٣٧ .

(٧) انظر : معجم القراءات ٩/ ٢٣٨ ، غير منسوبة ، وهي في : الكشاف ٤/ ٤٤٠ ، شواذ القراءة (٢٣٤) ، البحر المحيط ١٠/ ٤٧ .

(٨)انظر : إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٥٣٤ ، البحر المحيط ١٠/ ٤٧ ، الدر المصون ١٠/ ١٤٤ .

سورة الرحمن

(١) {والحبَّ ذا العصفِ والريحانَ} [(١)] الرحمن/ ١٢ .

قرأ بها : ابن عامر ، وأبو حيوة ، وابن أبي عبلة ، والمغيرة [(٢)].

وفي نصب (الحَبّ) وجهان :

١-مفعول به لفعل محذوف ، والتقدير : وخَلَقَ اللهُ الحَبَّ ، وذهب إلى هذا الوجه : الفراء ، وابن خالويه ، والباقولي [(٣)].

وأجاز ابن خالويه أن يكون التقدير : وأَنْبَتَ الله الحبَّ [(٤)].

وأجاز الزمخشري نصب (الحبّ) بفعل تقديره (أخصّ)[(٥)] ، وتعقّبه السمين الحلبي بقوله: (وفيه نظر؛ لأنّه لم يدخل في مسمّى الفاكهة والنخل حتى يخصّه من بينها).[(٦)]

٢-عطف (الحبَّ) على (الأرض) في قوله: (والأرض وَضَعها للأنام) الرحمن/ ١٠ لأن (وَضَعها) بمعنى: خَلَقها ، وذهب إلى هذا الوجه : الأزهري ، والفارسي ، وأبو زرعة [(٧)].

---

(١)السبعة ٦١٩ ، معاني القراءات ٤٧٢ ، إعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ٣٣٣ ، الحجّة لابن خالويه ٣٣٨ ، الحجّة للفارسي ٦/ ٢٤٤ ، المبسوط ٤٢٣ ، حجّة القراءات ٦٩٠ ، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٠٤ ، شرح الهداية للمهدوي ٢/ ٥٢٤ ، التيسير ٢٠٦ ، الكامل (٢٤٠/ أ) ، كتاب الإقناع ٢/ ٧٧٨ ، كشف المشكلات ٢/ ٣٤٥، المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٥ ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة ٨٥/ أ ، مفاتيح الأغاني ٣٨٨ ، الموضح ٣/ ١٢٢٨ ، البيان ٢/ ٤٠٨ ، التبيان ٢/ ١١٩٨ ، الكتاب الفريد ٦/ ٦٣ ، البحر المحيط (١٠/ ٥٨) ، الدر المصون ١٠/ ١٥٩ ، تحفة الأقرآن (١٨٧) ، النشر ٢/ ٣٨٠ ، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٥٠٩ .

(٢)انظر : معجم القراءات ٩/ ٢٥٢ .

(٣)انظر : معاني القرآن للفراء ٣/ ١١٤ ، إعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ٣٣٣ ، كشف المشكلات ٢/ ٣٤٥ .

(٤)انظر : إعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ٣٣٣، وفيه خطأ مطبعي فـ (أَنْبَتَ) كُتبت: (أثبتَ)، الحجّة لابن خالويه ٣٣٨.

(٥)انظر : الكشاف ٤/ ٤٤٥ .

(٦)الدر المصون ١٠/ ١٥ .

(٧)انظر : معاني القراءات ٤٧٢ ، الحجّة للفارسي ٦/ ٢٤٥ ، حجّة القراءات ٦٩٠ .

والوجهان متقاربان .

و(ذا) صفة لـ (الحبَّ) .

و(الريحانَ) معطوفة على (الحبَّ) ، وقال الزمخشري : (ويجوز أن يراد : وذا الريحان ، فيحذف المضاف ويقام المضاف إليه مقامه) [١] .

سورة الواقعة

(١) **{إذا وقعت الواقعة *ليس لوقعتها كاذبة*خافضةً رافعةً}** [٢] الواقعة/ ١-٣.

قرأ بها : زيد بن علي ، والحسن ، وعيسى بن عمر الثقفي ، وأبو حيوة ،وابن أبي عبلة ، وابن مقسم ، والزعفراني ، وأبو موسى الأشعري ، وأبو عمر الدوري عن اليزيدي، واليزيدي في اختياره، وأبو رزين ، وأبو عبد الرحمن ، وأبو العالية [٣] .

وفي نصب (خافضةً رافعةً) وجهان :

١-حالان من (الواقعة) ، والجملة قبلها : (ليس لوقعتها كاذبة) حال ، فهو من تعدد الحال [٤]، وقد ذهب إلى أنهما حالان من (الواقعة) : الفراء، والزجاج، وابن جني [٥] .

وذهب الفراء ، والزجاج إلى تقدير فعل قبلها ، والتقدير: إذا وقعت وقعت خافضة رافعة ، وردّ ذلك النحاس [٦] .

---

(١)الكشاف ٤/ ٤٤٥ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ١٠٧ ، إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٢٢ ، إعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ٣٤٢ ، مختصر ابن خالويه ١٥٠ ، المحتسب ٢/ ٣٠٧ ، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧١٠ ، الكامل (٢٤١/ أ) ، شواذ القراءة ٢٣٦ ، الكشاف ٤/ ٤٥٦ ، كشف المشكلات ٢/ ٣٤٩ ، المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٩ ، البيان ٢/ ٤١٣ ، التبيان ٢/ ١٢٠٢ ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٥٤٩ ، التقريب والبيان ٨١/ أ ، الكتاب الفريد ٦/ ٧٩ ، البحر المحيط (١٠/ ٧٧) ، الدر المصون ١٠/ ١٩٣ ، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٥١٤.

(٣)انظر : معجم القراءات ٩/ ٢٨٩ .

(٤)انظر عن تعدد الحال : المحتسب ٢/ ٣٠٧ ، شرح المفصل لابن يعيش ٢/ ٥٦ .

(٥)انظر : معاني القرآن للفراء ٣/ ١٢١ ، معاني القرآن وإعرابه ٥/ ١٠٧ ، المحتسب ٢/ ٣٠٧ .

(٦)انظر : معاني القرآن للفراء ٣/ ١٢١ ، معاني القرآن وإعرابه ٥/ ١٠٧ ، إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٢٢ .

وذهب العكبري والبنا إلى أنهما حالان من الضمير في (كاذبة) [(١)].

٢-النصب على المدح ، ذكر ذلك الدكتور عبد اللطيف الخطيب [(٢)].

والوجه الأول أرجح ؛ لأن المعنى : إذا وقعت الواقعةُ صادقةَ الوقعةِ خافضةً رافعةً ، أي : رافعة أهل الجنة إلى عليين ، وخافضة أهل النار إلى أسفل السافلين.

سورة المجادلة

(١) **{ما يكون من نجوى ثلاثةً إلا هو رابعهم ولا خمسةً إلا هو سادسهم}** [(٣)]المجادلة/ ٧.

قرأ بها : ابن أبي عبلة ، ولم تنسب إلى غيره [(٤)].

و(ثلاثةً) بالنصب: حال ، والعامل في الحال أحد الأمور الآتية:

١- (نجوى) ؛ لأنها بمعنى متناجين ، وصاحب الحال الضمير المستتر في (نجوى) ، وذهب إلى ذلك : النحاس ، ومكي ، والهمذاني [(٥)].

٢- فعل مقدّر من معنى النجوى ، والتقدير: يتناجون ثلاثة ، وصاحب الحال واو الجماعة الواقعة فاعلا لـ(يتناجون) ، وذهب إلى ذلك : الزمخشري ، وأبو حيان ، والسمين الحلبي [(٦)].

٣- (يكون) التامة ، و(مِنْ) زائدة ، وصاحب الحال فاعل (يكون) المقدّرة ، وفي تقديره وجهان :

أ- على حذف مضاف ، أي : أهل نجوى ، أو ذوي نجوى .

---

(١) انظر : التبيان ٢/ ١٢٠٢ ، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٥١٤.

(٢)انظر : معجم القراءات ٩/ ٢٩٠ .

(٣)الكامل (٢٤١/ أ)، شواذ القراءة (٢٤٠) ، الكشاف (٤/ ٤٨٩) ، البحر المحيط (١٠/ ١٢٥) ، الدر المصون(١٠/ ٢٦٨).

(٤)انظر : معجم القراءات ٩/ ٣٦٦ .

(٥) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٧٥ ، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٢٣ ، الكتاب الفريد ٦/ ١١٣ .

(٦)انظر: الكشاف ٤/ ٤٨٩ ، البحر المحيط ١٠/ ١٢٥ ، الدر المصون ١٠/ ٢٦٨.

ب-على الوصف المصدر على سبيل المبالغة ، أي : أشخاص نجوى .

ذكر هذين الوجهين في قراءة جر(ثلاثة) : الزمخشري ، وأبو حيان ، والسمين الحلبي [١] .

والأرجح أن يكون العامل في الحال (نجوى) ؛ لأنه لا يحتاج إلى تقدير .

وقال الفراء : (ولو نصبت على أنها فِعْل لـ"كان" كان صوابًا) [٢] .

و(فِعْل) مصطلح يطلقه الفراء على الخبر ، وعلى الحال ، ومذهب الفراء نصب خبر الأفعال الناقصة على الحال [٣] .

و(خمسةً) بالنصب ، معطوفة على ثلاثة ، فلها حكمها.

سورة الصف

(١) {**وأخرى تحبونها نصرًا من الله وفتحًا قريبًا وبشّر المؤمنين**} [٤]الصف/ ١٣ .

قرأ بها : ابن أبي عبلة ، ولم تنسب إلى غيره[٥] .

في نصب هذه الكلمات ثلاثة أوجه:

١- (نصرًا) بدل ، وفي المبدل منه قولان :

أ- (أخرى) وهي مفعول به لفعل محذوف ، تقديره : يؤتكم ، وهو قول الزمخشري ، ونقله عنه : أبو حيان ، والسمين الحلبي[٦] .

ب-الهاء في (تحبونها) ، وهو قول العكبري[٧] .

و(فتحًا) معطوفة على (نصرًا) ، و(قريبًا) صفة لـ(فتحًا) .

---

(١)انظر : المصادر المذكورة في الحاشية السابقة.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٤٠ .

(٣)انظر : دراسة في النحو الكوفي ٢٥٧-٢٥٩ .

(٤)شواذ القراءة ٢٤٢ ، الكشاف ٤/ ٥٢٧ ، المحرر الوجيز (٥/ ٣٠٤) ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٥٨٤ ، الكتاب الفريد ٦/ ١٤٧ ، البحر المحيط (١٠/ ١٦٨) ، الدر المصون (١٠/ ٣٢٢).

(٥)انظر : معجم القراءات ٩/ ٤٤٦ .

(٦)انظر : الكشاف ٤/ ٥٢٨ ، البحر المحيط ١٠/ ١٦٨ ، الدر المصون ١٠/ ٣٢٢.

(٧)انظر : إعراب القراءات الشواذ ٢/ 584.

٢- (نصرًا) و(فتحًا) مفعولان مطلقان ، لبيان النوع ؛ لوصف (نصرًا) بـ(من عند الله) ؛ ولوصف (فتحًا) بـ(قريبًا) .

والناصب لهما فعل من لفظهما ، وفي تقديره قولان :

أ- ينصركم نصرًا ، وهو قول العكبري[1] .

ب-تنصرون نصرًا ، ويفتح لكم فتحًا ، وهو قول الزمخشري ، ونقله عنه : الهمذاني وأبو حيان ، والسمين الحلبي[2] .

٣- (نصرًا) مفعول به لفعل محذوف ، تقديره : أخصّ ، وقد أجازه الزمخشري ، ونقله عنه: الهمذاني ، وأبو حيان ، والسمين الحلبي[3] .

وقدّره العكبري : يوليكم نصرًا ، أو : أعني نصرًا[4] .

و(فتحًا) معطوفة على (نصرًا) ، و(قريبًا) صفة لـ(فتحًا) .

وأرجحها الوجه الأول ، وهو نصب (نصرًا) على البدل من (أخرى) ؛ لأنه لايحتاج إلى تقدير .

---

(١) انظر : المصدر السابق .

(٢)انظر: الكشاف ٤/ 528 ، الكتاب الفريد ٦/ ١٤٧ ، البحر المحيط ١٠/ ١٦٨ ، الدر المصون ١٠/ ٣٢٢

(٣)انظر: المصادر المذكورة في الحاشية السابقة.

(٤)انظر : إعراب القراءات الشواذ ٢/ 584.

سورة المنافقون

(١) { **لنُخْرِجنّ الأعزَّ منها الأذلَّ** }[١] المنافقون/ ٨ .

قرأ : الحسن ، وابن أبي إسحاق ، والمسيبي في اختياره ، وابن أبي عبلة[٢] .

و(الأعزَّ) مفعول به ، والفاعل ضمير مستتر تقديره: نحن.

وفي نصب (الأذلَّ) أربعة أوجه :

١- حال ، و(أل) زائدة ، مثل: دخلوا الأوّلَ فالأولَ.[٣]

وهو على التأويل بالنكرة ، أي: ذليلاً ، وذهب إلى هذا الوجه : الكسائي ، والفراء، وابن عطية[٤].

ومن هذا الوجه تقدير حال محذوفة ، لاتتعرف بالإضافة ، تكون مضافة إلى (الأذلّ) ، والتقدير: مثلَ الأذلَّ ، حُذِف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، وأعرب بإعرابه ، ذكر ذلك : الزمخشري ، والبنا[٥] .

٢- مفعول به لاسم فاعل محذوف منصوب على الحال ، التقدير: مُشْبِهاً الأذلَّ ، ذكر هذا الوجه : العكبري في توجيه قراءة أخرى فيها نصب (الأذلّ) ، هي : (ليُخْرَجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ) ، كما ذكره الهمذاني[٦] .

---

(١) معاني القرآن للكسائي ٢٤٣ ، معاني القرآن للفراء ٣/ ١٦٠ ، إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٣٥ ، مختصر ابن خالويه (١٥٧) ، وفيه:(أو) مكان (منها) ، الكامل (٢٤٣/ أ) ، شواذ القراءة (٢٤٤) ، الكشاف (٤/ ٥٤٣) ، المحرر الوجيز ٥/ ٣١٥ ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٥٩٠ ، شرح الألفية لابن الناظم ٣١٥ ، البحر المحيط (١٠/ ١٨٣) ، الدر المصون (١٠/ ٣٤٣) ، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٥٤٠.

(٢)انظر : معجم القراءات ٩/ ٤٧٥ .

(٣)انظر : كتاب سيبويه ١/ ٣٩٨.

(٤)انظر : معاني القرآن للكسائي ٢٤٣ ، معاني القرآن للفراء ٣/ ١٦٠، المحرر الوجيز ٥/ ٣١٥ .

(٥)انظر: الكشاف ٤/ ٥٤٣ ، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٥٤٠.

(٦)انظر : التبيان ٢/ ١٢٢٤ ، الكتاب الفريد ٦/ ١٥٧ .

٣- مفعول مطلق على تقدير مضاف ، أي: إخراجَ الأذلَّ ، حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وأعرب بإعرابه،ذكر هذا الوجه الزمخشري،ونقله عنه السمين الحلبي[١].

٤- نعت لـ (الأعزّ) ، قال العكبري: (ويجوز أن يكون "الأذلّ" نعتاً لـ "الأعزّ" ، أي: الأعزّ في نفسه الأذلّ عند الله) [٢].

ولو كان التقدير : الأذل عندنا ، لكان أقرب إلى قول المنافقين.

وأرجحها الوجه الأول لأنه لايحتاج إلى تقدير .

سورة الطلاق

(١) {**إنّ اللهَ بالغًا أمرهُ قد جعل الله لكل شيء قدرًا**}[٣] الطلاق/ ٣.

قرأ بها : المفضل[٤].

وفي نصب (بالغًا) وجهان:

١- حال ، وخبر (إنّ) قوله: (قد جعل الله).

و(أمرُه) فاعل لـ (بالغاً) ، والمفعول محذوف ، والتقدير : بالغًا أمرُه ما شاء ، وذهب إلى هذا الوجه الزمخشري ، ونقله عنه : الهمذاني ، وأبو حيان ، والسمين الحلبي[٥].

٢- خبر (إنّ) على لغة من ينصب بها الاسم والخبر[٦].

(١)انظر: الكشاف ٤/ ٥٤٣ ، الدر المصون ١٠/ ٣٤٣ .

(٢)إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٥٩٠.

(٣)شواذ القراءة (٢٤٤) ، الكشاف ٤/ ٥٥٦ ، الكتاب الفريد ٦/ ١٦٦ ، البحر المحيط ١٠/ ١٩٩ ، الدر المصون ١٠/ ٣٥٣.

(٤)انظر : معجم القراءات ٩/ ٥٠٣ .

(٥)انظر: الكشاف ٤/ ٥٥٦ ، الكتاب الفريد ٦/ ١٦٦ ، البحر المحيط ١٠/ ١٩٩ ، الدر المصون ١٠/ ٣٥٣.

(٦)انظر عن هذه اللغة : ارتشاف الضرب ٢/ ١٣١.

وقد جاء على هذه اللغة قول الشاعر:

إذا اسْوَدَّ جُنْح الليلِ فلتأتِ ولتكنْ   خُطاك خِفافًا إن حُرّاسَنا أُسْدًا [(١)]

وأجاز هذا الوجه: أبو حيان، والسمين الحلبي [(٢)].

والوجه الأول أرجح؛ لأن الشواهد التي ورد فيها نصب خبر إنّ يمكن تأويل النصب فيها على الحال، فقد اوّل السيوطي الشاهد المذكور على أنّ(أُسدًا) منصوب على الحالية، أي: تلقاهم أسدًا[(٣)].

سورة المعارج

(١) {كلا إنّها لظى*نزاعةً للشَّوَى} [(٤)]المعارج/ ١٥-١٦.

قرأ بها: حفص عن عاصم، وابن أبي عبلة، وأبو حيوة، وأبو رزين، والزعفراني، وابن مقسم، واليزيدي في اختياره، والسلمي، وعكرمة، والحسن، وهي رواية أبي عمرو عن عاصم، والمفضّل، ومجاهد، وعمر بن الخطاب [(٥)].

وفي نصب (نزاعةً) وجهان:

---

(١)ينسب إلى عمر بن أبي ربيعة، وليس في ديوانه.

وهو في مغني اللبيب ١/ ٣٦، همع الهوامع ٢/ ١٥٦، شرح شواهد المغني ١/ ١٢٢، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ١/ ٢٦٩، خزانة الأدب ٤/ ٢٩٤ ط بولاق، شرح أبيات مغني اللبيب ١/ ١٨٣.

(٢)انظر: البحر المحيط ١٠/ ١٩٩، الدر المصون ١٠/ ٣٥٣.

(٣)انظر: شرح شواهد المغني ١/ ١٢٢.

(٤)معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٢١، السبعة ٦٥٠، معاني القراءات ٥٠٤، إعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ٣٩٠، الحجة لابن خالويه ٣٥٢، الحجة للفارسي ٦/ ٣١٩، المبسوط، حجة القراءات ٧٢٣، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٥٧، شرح الهداية للمهدوي ٢/ ٥٣٨، التيسير ٢١٤، الكامل (٢٤٤/ أ)، الكشاف ٤/ ٦١٠، كتاب الإقناع ٢/ ٧٩٢، كشف المشكلات ٢/ ٣٨٤، المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٧، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة ٨٨/ أ، مفاتيح الأغاني ٤١٠، الموضح ٣/ ١٢٩٦، البيان ٢/ ٤٦١، التبيان ٢/ ١٢٤٠، الكتاب الفريد ٦/ ٢٢١، البحر المحيط (١٠/ ٢٧٤)، الدر المصون ١٠/ ٤٥٧، النشر ٢/ ٣٩٠، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٥٦١.

(٥)انظر: معجم القراءات ١٠/ ٨٢-٨٣.

١- حال ، وصاحب الحال أحد أمور ثلاثة:

أ- الضمير المستتر في (لظى)، ذكر ذلك : العكبري ، والهمذاني ، والسمين الحلبي[١].

ب- فاعل (تدعو) في قوله: (تدعو من أدبر وتولى) المعارج/ ١٧، قدمت الحال عليه ، ذكر ذلك : العكبري ، والهمذاني ، والسمين الحلبي [٢].

جـ- فاعل لفعل محذوف تقديره : تتلظّى ، دلَّ عليه (لظى) ، وقد أجاز ذلك: الزجاج ، والأزهري ، ومكي[٣] .

٢- مفعول به لفعل محذوف ، تقديره : أذمّ ، وذهب إلى ذلك : الزجاج ، والأزهري [٤].

أو : أعني ، وأجاز ذلك : الفارسي ، وابن أبي مريم ، والعكبري [٥].

أو : أخصّ ، وأجاز ذلك الزمخشري ، ونقله عنه : أبو حيان ، والسمين الحلبي[٦].

ونصب (نزاعةً) على الحال أرجح ؛ لأنه لايحتاج إلى تقدير .

---

(١)انظر : التبيان ٢/ ١٢٤٠ ، الكتاب الفريد ٦/ ٢٢١ ، الدر المصون ١٠/ ٤٥٧ .

(٢)انظر : مصادر الحاشية السابقة .

(٣)انظر : معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٢١ ، معاني القراءات ٥٠٤، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٥٧ .

(٤)انظر : معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٢١ ، معاني القراءات ٥٠٤ .

(٥)انظر : الحجة للفارسي ٦/ ٣٢٠ ، الموضح ٣/ ١٢٩٧ ، التبيان ٢/ ١٢٤٠ .

(٦)انظر: الكشاف ٤/ ٦١٠ ، البحر المحيط ١٠/ ٢٧٥ ، الدر المصون ١٠/ ٤٥٧.

سورة المدّثر

(١) {لوّاحةً للبشر}[١] المدثر/ ٢٩.

قرأ بها : عطية العوفي ، وزيد بن علي ، والحسن ، وابن أبي عبلة ، وابن مسعود ، وابن السميفع ، ونصر بن عاصم ، وعيسى بن عمر ، وحكاه أبو معاذ[٢].

وفي نصب (لواحةً) وجهان:

١- حال مؤكدة ، وصاحب الحال:

أ- سقر ، الأولى ، أو الثانية ، من قوله: (سأصليه سقر وما أدراك ما سقر) المدثر/ ٢٦، ٢٧ ، ذكر ذلك : العكبري ، والسمين الحلبي[٣].

ب- الضمير في (لا تبقي)، أو في (لا تذر) ، من قوله: (لا تبقي ولا تذر) المدثر/ ٢٨ ، ذكر ذلك : العكبري ، والهمذاني ، والسمين الحلبي[٤].

٢- مفعول به لفعل تقديره: أخصّ ، وذهب إلى ذلك : الزمخشري ، والهمذاني ، ونقله عن الزمخشري : أبو حيان ، والسمين الحلبي[٥].

ونصب (لواحةً) على الحال أرجح ؛ لأنه لايحتاج إلى تقدير .

---

(١)مختصر ابن خالويه ١٦٤ ، الكامل (٢٤٥/ ب) ، شواذ القراءة (٢٥٣) ، الكشاف ٤/ ٦٥٠ ، المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٦ ، التبيان ٢/ ١٢٥٠ ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٦٤١ ، الكتاب الفريد ٦/ ٢٦٤ ، البحر المحيط (١٠/ ٣٣٢) ، الدر المصون (١٠/ ٥٤٥).

(٢)انظر : معجم القراءات ١٠/ ١٦٣ .

(٣)انظر : التبيان ٢/ ١٢٥٠ ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٦٤١ ، الدر المصون ١٠/ ٥٤٥.

(٤)انظر : مصادر الحاشية السابقة ، و الكتاب الفريد ٦/ ٢٦٤ .

(٥)انظر: الكشاف ٤/ ٦٥٠ ، الكتاب الفريد ٦/ ٢٦٤ ، البحر المحيط ١٠/ ٣٣٢ ، الدر المصون ١٠/ ٥٤٥.

سورة المرسلات

(١) {**هذا يومَ لا ينطقون**}[1] المرسلات/ ٣٥.

قرأ بها : الأعمش ، والأعرج ، وزيد بن علي ، وابن أبي عبلة ، وعيسى بن عمر ، وأبو حيوة ، والمطوعي ، وأبو رجاء ، وعاصم في رواية يحيى بن سليمان عن أبي بكر عنه ، والقاسم بن محمد ، وابن محيصن[2] .

وفي فتحة (يومَ) رأيان:

١- (يومَ) معرب، وهو ظرف منصوب ، متعلّق بمحذوف خبر المبتدأ ، وهو رأي البصريين ، وكان معربًا ؛ لإضافته إلى معرب ، فلا يبنى الظرف إلا إذا أضيف إلى مبني[3].

٢-(يومَ) مبني ؛ لإضافته إلى الفعل ، في محل رفع خبر المبتدأ ، وهو رأي الكوفيين.

وعن عيسى بن عمر أنّ (يومَ) بُني ؛ لأنه جُعل مع (لا) اسمًا واحدًا ، وهي لغة سفلى مضر[4]، وقد ذكر الرأيين : النحاس ، ومكي، وابن عطية ، والعكبري ، والهمذاني[5] .

والرأي الأول أرجح ؛لأنه مضاف إلى معرب .

ومثل هذه القراءة قوله تعالى : (هذا يومَ الفصل)[6] المرسلات/ ٣٨.

---

(١)معاني القرآن للأخفش ٢/ ٧٢٦ ، إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٢١ ، مختصر ابن خالويه ١٦٧ ، المحتسب ١/ ٣١٦ ، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٩٣ ، الكامل (٢٤٦/ ب) ، شواذ القراءة (٢٥٧) ، الكشاف ٤/ ٦٨١ ، المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٠ ، التبيان ٢/ ١٢٦٥ ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٦٦٦ ، الكتاب الفريد ٦/ ٣١٦ ، البحر المحيط ١٠/ ٣٧٨ ، الدر المصون ١٠/ ٦٤٣ ، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٥٨٢.

(٢) انظر : معجم القراءات ١٠/ ٢٥١ .

(٣)انظر : إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٢١ .

(٤)انظر : البحر المحيط ١٠/ ٣٧٨ .

(٥)انظر : إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٢١، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٩٣ ، المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٠ ، التبيان ٢/ ١٢٦٥ ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٦٦٦ ، الكتاب الفريد ٦/ ٣١٦ .

(٦)معاني القرآن للأخفش ٢/ ٧٢٦ ، الكامل (٢٤٦/ ب) ، شواذ القراءة (٢٥٧) .

ومثلها كذلك القراءة رقم(٣٩) : (قال موعدكم يومَ الزينة) طه/ ٥٩ .

والفرق بين هذه القراءات التي فيها نصب (يوم) ، أنّ (يوم) مضافة في القراءة الأولى إلى جملة فعلية ، وفي القراءتين الأخريين أضيفت (يوم) إلى مفرد .

سورة عبس

(١) {**وما يدريك لعله يزّكى أو يذّكّرُ فتنفعَه الذكرى**}[1] عبس/ ٣،٤ .

قرأ بها : حفص عن عاصم في المشهور عنه ، والأعرج ، وأبو حيوة ، وابن أبي عبلة، ومجاهد ، وأبيّ بن كعب ، وابن أبي إسحاق ، وعيسى ، والسلمي ، وزر بن حبيش[2] .

(فتنفعَه) منصوب بأن المضمرة في جواب (لعلّ) ، وقد أجاز ذلك الكوفيون ، ومنعه البصريون[3] .

فقد حمل الكوفيون الترجي بـ (لعلّ) على التمني بـ (ليت) ، واحتجوا بهذه القراءة ، وبقراءة حفص عن عاصم في قوله تعالى : (لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلعَ إلى إله موسى) غافر/ ٣٦،٣٧ ، بنصب (فأطلعَ)[4] .

وذهب إلى هذا التوجيه : الفراء ، والزجاج ، والأزهري[5] .

---

(١)جامع البيان ٣٠/ ٥٢ ، معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٨٣ ، السبعة ٦٧٢ ، إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٤٩ ، معاني القراءات ٥٢٨ ، إعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ٤٣٩ ، الحجة لابن خالويه ٣١٥ ، ٣٦٣ ، الحجة للفارسي ٦/ ٣٧٦ ، المبسوط ٤٦٢ ، حجة القراءات ٧٤٩ ، التيسير ٢٢٠ ، الكامل (٢٤٧/ ب) ، الكشاف ٤/ ٧٠١ ، كتاب الإقناع ٢/ ٨٠٤ ، المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٧ ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة ٩٨/ أ ، مفاتيح الأغاني ٤٢٧ ، الموضح ٣/ ١٣٤٠ ، البيان ٢/ ٤٩٤ ، الكتاب الفريد ٦/ ٣٤١ ، شواهد التوضيح لابن مالك ١٥١ ، ارتشاف الضرب ٢/ ٤١١ ، البحر المحيط ٩/ ٢٥٩ ، (١٠/ ٤٠٧) ، الدر المصون ١٠/ ٦٨٦ ، النشر ٢/ ٣٩٨ ، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٥٨٨.

(٢)انظر : معجم القراءات ١٠/ ٣٠٣ .

(٣) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٤٩ ، شرح التسهيل لابن مالك ٤/ ٣٤.

(٤)انظر : السبعة ٥٧٠ ، البحر المحيط ٩/ ٢٥٨ ، ٢٥٩.

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٣٥ ، معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٨٣ ، معاني القراءات ٥٢٨ .

وقد ذكر أبو حيان توجيهاً للنصب يوافق منع البصريين النصب في جواب لعل، فقال: (وقد تأولنا ذلك على أن يكون عطفاً على التوهّم ، لأنّ خبر لعل كثيراً جاء مقروناً بأنْ ... فمن نصب توهّم أنّ الفعل المرفوع الواقع خبراً كان منصوباً بأنْ ، والعطف على التوهم كثير، وإن كان لا ينقاس ، لكن إن وقع شيء وأمكن تخريجه عليه خُرِّج)[1] .

ووجّه ابن عطية النصب على أنه في جواب التمني في المعنى[2] ، ووافقه على هذا التوجيه العكبري ، والسمين الحلبي[3] .

ونصب (فتنفعَه) بأن المضمرة في جواب (لعل) هو الأرجح ؛ لورود هذه القراءات ؛ ولقول النبي "صلى الله عليه وسلم" ((فإنّ أحدكم إذا صلّى وهو ناعس لا يدري لعلّه يستغفر فيسبَّ نفسه))[4] .

وهو أولى من العطف على التوهّم ؛ لأنه لايلجأ إلى العطف على التوهّم مع إمكان غيره .

سورة البروج

(١) {**ذا العرشِ المجيدَ**}[5] البروج/ ١٥.

قرأ بها : ابن أبي عبلة ، ولم أجدها في غير شواذ القراءة .

و(ذا) مفعول به لفعل محذوف ، والتقدير: أعني ، أو أمدح.

و(المجيدَ) صفة لـ (ذا) منصوبة مثله .

---

(١) البحر المحيط ٩/ ٢٥٩.

(٢)انظر : المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٧.

(٣) انظر: التبيان ٢/ ١٢٧١ ، الدر المصون ١٠/ ٦٨٦ .

(٤) رواه البخاري ٤- كتاب الوضوء ٥٣- باب الوضوء من النوم ، فتح الباري ١/ ٣١٣ .

(٥)شواذ القراءة (٢٦٣).

سورة الفجر

(١) {**التي لم نَخْلُق مثلَها في البلاد**}[١] الفجر/ ٨ .

قرأ بها : معاذ القارىء ، وعمرو بن دينار ، وابن الزبير[٢] .

و(مثلَها) مفعول به للفعل (نَخْلُق) فهو مبني للفاعل في هذه القراءة .

سورة الليل

(١) {**وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاءٌ وجهَ ربّه الأعلى**}[٣] الليل/ ١٩،٢٠.

قرأ بها : أبوحيوة ، وابن أبي عبلة [٤] .

و(وجهَ) مفعول به لـ (ابتغاءٌ) ؛ لأنه منوّن على هذه القراءة.

ورفع (ابتغاءٌ) على البدل من موضع (نعمة) .

سورة العلق

(١) {**كلاّ لئن لم ينتهِ لنسفعًا بالناصية ناصيةً كاذبةً خاطئةً**}[٥] العلق/ ١٥،١٦ .

قرأ بها : أبوحيوة ، وابن أبي عبلة ، وزيد بن علي[٦] .

---

(١)شواذ القراءة (٢٦٤) ، المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٨ ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٧١٠ ، البحر المحيط ١٠/ ٤٧٢ ، الدر المصون ١٠/ ٧٨٤.

(٢)انظر : معجم القراءات ١٠/ ٤٢٠ .

(٣)شواذ القراءة (٢٦٦).

(٤)انظر : المصدر في الحاشية السابقة .

(٥)معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٧٩ ، مختصر ابن خالويه ١٧٦ ، الكامل (٢٤٩/ أ) ، شواذ القراءة (٢٦٧) ، الكشاف ٤/ ٧٧٨ ، المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٣ ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٧٢٧ ، الكتاب الفريد ٦/ ٤٣١ ، البحر المحيط (١٠/ ٥١١) ، الدر المصون (١٠/ ٦١) ، تحفة الأقران (٧٣).

(٦)انظر : معجم القراءات ١٠/ ٥٠٩ .

وفي نصب (ناصيةً) وجهان :

١- حال من المعرّف بـ(أل) ، (الناصية) ، وذهب إلى هذا الوجه الفراء حيث قال: (ومن نصب "ناصيةً" جعله فِعْلا للمعرفة ، وهي جائزة في القراءة)[١].

و(فِعْل) من المصطلحات التي يطلقها الفراء على الحال ، كما سبق عند القراءة رقم(٧٢).

ونقل النحاس إجازة الفراء لقراءة النصب [٢].

وهذه الحال تعرف بـ(الحال الموطّئة) ، وهي اسم جامد ، موصوف بصفة هي الحال في الحقيقة ، كما في قوله تعالى : {إنّا أنزلناه قرآنًا عربيًا} يوسف/ ٢ [٣].

٢- (ناصيةً) مفعول به لفعل تقديره : أذمّ ، أو أعني ، وتقدير أذمّ عبّر عنه بالشتم : الزمخشري ، والهمذاني ، وأبو حيان ، والسمين الحلبي [٤].

وعبّر بالذمّ الرعيني [٥].

وتقدير أعني ذهب إليه العكبري [٦].

و(كاذبةً خاطئةً) صفتان لـ (ناصيةً) منصوبتان.

والراجح إعراب (ناصيةً) حال ؛ لأنه لا يحتاج إلى تقدير .

---

(١)معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٧٩ .

(٢) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٦٣ .

(٣)انظر : شرح الرضي لكافية ابن الحاجب ق١ ٢/ ٦٦٣ .

(٤)انظر : الكشاف ٤/ ٧٧٨ ، الكتاب الفريد ٦/ ٤٣١ ، البحر المحيط ١٠/ ٥١١ ، الدر المصون ١٠/ ٦١ .

(٥)انظر : تحفة الأقران ٧٣ .

(٦)انظر : إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٧٢٧ .

سورة المسد

(١) {**وامرأته حمالةَ الحطب**}[(١)] المسد/ ٤.

قرأ بها : الحسن ، وزيد بن علي ، والأعرج ، وأبو حيوة ، وابن أبي عبلة ، وابن محيصن ، وعيسى بن عمر ، وعاصم بخلاف عنه ، وابن أبي إسحاق[(٢)].

وفي نصب (حمالةَ) وجهان :

١- مفعول به لفعل محذوف تقديره : أذكر ، أو أعني ، أو أشتم ، أو أذمّ ، أو أعيب .

وقد اقتصر على هذا الوجه : سيبويه ، وأبو عبيدة ، والزجاج ، والأزهري ، وابن خالويه ، والفارسي ، وأبو زرعة ، والزمخشري ، وابن الشجري ، والباقولي، وابن أبي مريم ، وابن الأنباري[(٣)].

وذكر ابن أبي مريم أنه من النعت المقطوع[(٤)].

وقدّر الفعل (أذكر) : سيبويه ، والأزهري ، وابن أبي مريم .

وقدّر الفعل (أعني) : الزجاج ، والنحاس ، وابن خالويه ، وابن الشجري ، والعكبري .

---

(١)كتاب سيبويه ٢/ ٧٠ ، ١٥٠ ، معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٥٠ ، ٣/ ٢٩٨ ، مجاز القرآن ٢/ ٣١٥ ، معاني القرآن للأخفش ٢/ ٧٤٥ ، معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٧٥ ، السبعة ٧٠٠ ، إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٣٠٦ ، معاني القراءات ٥٦٨ ، إعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ٥٤٢ ، مختصر ابن خالويه ١٠٨، الحجة لابن خالويه ٣٧٧ ، الحجة للفارسي ٦/ ٤٥١ ، المبسوط ٤٨٠ ، حجة القراءات ٧٧٦ ، التيسير ٢٢٥ ، الكامل (٢٥٠/ أ) ، الكشاف ٤/ ٨١٥ ، كتاب الإقناع ٢/ ٨١٥ ، الأمالي الشجرية ١/ ٣٤٤ ، كشف المشكلات ٢/ ٤٢٩ ، المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٥ ، القراءات العشر المضاف إليها ابن أبي عبلة ٩٩/ ب ، الموضح ٣/ ١٤٠٩ ، البيان ٢/ ٥٤٤ ، التبيان ٢/ ١٣٠٨، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٧٥٧ ، الكتاب الفريد ٦/ ٤٨٣ ، البحر المحيط (١٠/ ٥٦٧) ، الدر المصون ١١/ ١٤٥ ، شرح شذور الذهب ٤٣٤ ، مغني اللبيب ٢/ ٧٠٣ ، النشر ٢/ ٤٠٤ ، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٦٣٦.

(٢)انظر : معجم القراءات ١٠/ ٦٣١ .

(٣) انظر : مصادر القراءة .

(٤)انظر : الموضح ٣/ ١٤٠٩ .

وقدّر الفعل (أشتم) : ابن خالويه .

وقدّر الفعل (أذمّ) : ابن خالويه ، وابن الشجري ، والباقولي ، وابن أبي مريم، وابن الأنباري.

وقدّر الفعل (أعيب) : ابن أبي مريم [1].

٢- حال من (امرأته) المعطوفة على فاعل { سيصلى} المسد/ ٣ ، وإضافة (حمالة) إلى (الحطب) إضافة لفظية لا تكتسب منها التعريف ، كقوله تعالى : {هديًا بالغ الكعبة}المائدة/ ٩٥[2]، وقد أجاز هذا الوجه : الفراء ، وعبّر عن الحال بـ(القطع) ، وهو من مصطلحات الكوفيين كما مرّ في القراءة رقم (٤٣) .

كما أجازه : الأخفش ، والنحاس [3].

وقدّر العكبري ، والهمذاني : تصلى النار مقولا لها ذلك [4]، ولا حاجة إلى هذا التقدير؛ لأنه يحتمل أن يكون المعنى : إنّ حالها يكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الشوك [5].

والأرجح إعراب (حمالةَ) مفعولا به لفعل محذوف تقديره : (أذمّ) ؛ لأنّ الآية في ذمّ امرأة أبي لهب ، وهذا الإعراب هو المناسب لهذا المعنى .

---

(١)انظر : الأفعال المقدرة في مصادر القراءة .

(٢)انظر : إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٧٥٧ .

(٣)انظر : معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٩٨ ، معاني القرآن للأخفش ٢/ ٧٤٥ ، إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٣٠٦ .

(٤)انظر : التبيان ٢/ ١٣٠٨ ، الكتاب الفريد ٦/ ٤٨٣ .

(٥)انظر : البحر المحيط ١٠/ ٥٦٨ ، الدر المصون ١١/ ١٤٥ .

الخاتمة

تحدثت في هذا البحث عن القراءات الشاذة ، واحتجاج النحويين بها، وعن ابن أبي عبلة ، فذكرت اسمه ونسبه، وروايته، والرواية عنه ، وقراءته ، ووفاته.

ثم عرضت القراءات التي قرأها ابن أبي عبلة بالنصب ، وعددها (٨٤) قراءة ، مع ذكر القراء الذين قرؤوا بقراءة ابن أبي عبلة ، والأوجه الإعرابية لكل قراءة ، وقد استعنت بكتب معاني القرآن وإعرابه وتفسيره ، وكتب القراءات وتوجيهها ، وكتب النحو .

وأهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث :

١- أنّ ابن أبي عبلة وافق بعض القراء السبعة في قراءات كثيرة .

٢- اتفق ابن أبي عبلة مع كثير من القراء في أغلب القراءات .

٣- أمكن – بحمد الله – ذكر أوجه إعرابية لكل قراءات ابن أبي عبلة ، وهذا يعني أنّ كل قراءات ابن أبي عبلة لها وجه في العربية .

٤- في أكثر القراءات تتعدد الأوجه الإعرابية ؛ لاختلاف أفهام العلماء واجتهاداتهم ، وقد رجّحت ما ظهر لي أنّه الأقوى مع التعليل .

٥- وجه (النصب على المفعولية) هو أكثر الأوجه استعمالا في هذا البحث.

أسأل الله أن يفيد به كل من قرأه أو اطّلع عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلّى الله وسلّم على محمّد وآله.

المسائل النحوية في البحث

رتبت القراءات على ترتيبها في المصحف ؛ لتجتمع توجيهات كل قراءة معها ؛ وليتيسّر للباحث عن قراءة معيّنة الوصول إليها .

وتيسيرًا على من يبحث عن مسألة نحويّة معيّنة رتّبت المسائل النحويّة التي وردت في البحث على ترتيب ألفيّة ابن مالك :

الباب	المسألة	رقم القراءة في البحث
المبتدأ والخبر	مسوّغات الابتداء بالنكرة	٥٢.
كان وأخواتها	اسم كان وخبرها	٥٢،٩.
(لا)النافية للجنس	عمل(لا)النافية للجنس	٥٨.
الاشتغال	النصب على الاشتغال	٤٦،٤٧،٤٨،٥٦،٦٤.
المفعول به	النصب على المفعولية	١،٢،٤،٨،١١،١٢،١٥،
		١٩،٢١،٢٣،٢٤،٢٥،
		٢٦،٢٧،٢٨،٣٣،٤٦،
		٤٧،٥٢،٥٣،٥٤،٥٧،
		٥٩،٦٠،٦٢،٦٥،٦٦،
		٦٨،٦٩،٧٠،٧٣،٧٤،
		٧٦،٧٧،٨٠،٨١،٨٢،
		٨٣،٨٤.
المفعول المطلق	نصب المفعول المطلق بعامل من	٤،٦،٢٠،٢٨،٧٣،٧٤.
	لفظه	٧،٣١.
المفعول فيه	المصدر النائب عن فعله	٣٤.
	المصدر المؤكّد لمضمون الجملة	٦٠،٧٣.
	المصدر المبيّن للنوع	٣٩،٥١،٥٣،٧٨.
	تعلّق الظروف	١٦،٥٠.
	الاســتثناء الموجــب ، وغــير	٢.
الاستثناء	الموجب	٢،٥٥.
	الاستثناء المنقطع	٤٩،٧٤،٨٤،١.
	الاستثناء بغير	٥ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٧
	تعريف الحال ، وتنكيرها	١١،٨٣.

المصادر والمراجــع

١- القرآن الكريم - مصحف المدينة النبوية.

٢- ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة - لعبد اللطيف الزبيدي (٨٠٢هـ)، تحقيق : د. طارق الجنابي ، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية ، بيروت ، ط ١ ١٤٠٧هـ .

الإبانة عن معاني القراءات = كتاب الإبانة .

٣- إتحاف فضلاء البشر (بقراءات القراء) الأربعة عشر - لأحمد بن محمد البناء (١١١٧هـ) تحقيق : شعبان محمد إسماعيل ، عالم الكتب ، بيروت ط١ ١٤٠٧هـ.

٤- ارتشاف الضرب من لسان العرب - لأبي حيان الأندلسي (٧٤٥هـ) ، تحقيق: مصطفى أحمد النمّاس ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ط١ ١٤٠٤ هـ.

٥- الأزهية في علم الحروف - لعلي بن محمد الهروي (٤١٥هـ) ، تحقيق: عبدالمعين الملّوحي ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ١٤١٣هـ.

٦- الأصول في النحو - لمحمد بن سهل بن السراج (٣١٦هـ) ، تحقيق: د.عبدالحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٥هـ.

٧- إعراب القرآن - لأبي جعفر النحاس (٣٣٨هـ) تحقيق: د. زهير غازي زاهد ، عالم الكتب ، بيروت ط٣ ١٤٠٩هـ .

٨- إعراب القراءات السبع وعللها - للحسين بن أحمد بن خالويه (٣٧٠هـ) ، تحقيق : د. عبد الرحمن العثيمين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ١ ١٤١٣هـ .

٩- إعراب القراءات الشواذ - لأبي البقاء العكبري (٦١٦هـ) ، تحقيق: محمد السيد عزوز ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ١٤١٧هـ .

١٠- الإغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني - لأبي علي الفارسي (٣٧٧هـ) ، تحقيق : محمد حسن إسماعيل ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، القاهرة ١٣٩٤هـ .

١١- الاقتراح قي علم أصول النحو - لجلال الدين السيوطي (٩١١هـ) ، تحقيق: صبحي فرات ، جامعة استانبول ، كلية الآداب ١٣٩٥هـ .

الإقناع = كتاب الإقناع .

١٢- الأمالي الشجرية - لهبة الله بن علي ابن الشجري (٥٤٢هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، مصورة طبعة حيدر أباد ١٣٤٩هـ.

١٣- الإنصاف في مسائل الخلاف - لأبي البركات عبدالرحمن بن محمد الأنباري (٥٧٧هـ) ، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة التجارية بمصر ١٣٨٠هـ.

١٤- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك - لجمال الدين ابن هشام (٧٦١هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار الجيل ، بيروت ط٥ ١٣٩٩هـ .

١٥- البحر المحيط - لأبي حيان الأندلسي (٧٤٥هـ) بعناية الشيخ عرفان العشا حسونة ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٣هـ .

١٦- البسيط في شرح جمل الزجاجي - لعبيد الله بن أحمد بن أبي الربيع (٦٨٨هـ) تحقيق: د. عياد بن عيد الثبيتي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ط١ ١٤٠٧هـ.

١٧- البيان في غريب إعراب القرآن – لأبي البركات بن الأنباري (٥٧٧هـ) ، تحقيق : د. طه عبد الحميد طه ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ .

١٨- التاريخ الكبير - لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ) ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ١٣٦١هـ .

١٩- التبصرة والتذكرة - لأبي محمد عبدالله بن علي الصيمري (القرن الرابع) ، تحقيق: فتحي أحمد علي الدين ، مركز البحث العلمي ، مكة المكرمة ط ١٤٠٢هـ.

٢٠- التبيان في إعراب القرآن -لأبي البقاء العكبري (٦١٦هـ) ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ط٢ ١٤٠٧هـ.

٢١- التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين – لأبي البقاء العكبري (٦١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن العثيمين ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١ ١٤٠٦هـ.

٢٢- تحفة الأقران في ما قرئ بالتثليث من حروف القرآن - لأبي جعفر الرعيني (٧٧٩هـ) ، تحقيق: د. علي البواب ، دار المنارة ، جدة ، ١٤٠٧هـ.
٢٣- التصريح بمضمون التوضيح - لخالد بن عبد الله الأزهري (٩٠٥هـ) ، تحقيق: د. عبد الفتاح بحيري إبراهيم ، الزهراء للإعلام العربي ، ط١ ١٤١٣هـ.
٢٤- تقريب التهذيب – لابن حجر (٨٥٢هـ) ، تحقيق : صغير أحمد الباكستاني ، دار العاصمة ، الرياض ، ط١ ١٤١٦هـ .
٢٥- التقريب والبيان في معرفة شواذ القرآن - لأبي القاسم الصفراوي (٦٣٦هـ) ، مخطوطة مصورة في مركز الملك فيصل برقم ٢٩٢٥.
٢٦- تهذيب التهذيب - لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ، باعتناء: إبراهيم الزيبق وعادل مرشد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ١٤١٦هـ.
٢٧- تهذيب الكمال في أسماء الرجال - ليوسف المزي (٧٤٢هـ) ، تحقيق: د. بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٥ ١٤١٥هـ.
٢٨- التيسير في القراءات السبع - لأبي عمرو الداني (٤٤٤هـ) ، تصحيح: أوتوبرتزل، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٢ ١٤٠٤هـ.
٢٩- جامع البيان عن تأويل آي القرآن -لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ط٢ ١٣٨٨هـ.
٣٠- الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي (٦٧١هـ) ، تصحيح : أحمد البردوني ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط٢ ١٣٧٣هـ .
٣١- جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام - لأبي زيد القرشي (أوائل القرن الرابع)، تحقيق: د. محمد علي الهاشمي ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠١هـ.
٣٢- الحجة قي القراءات السبع - للحسين بن أحمد بن خالويه (٣٧٠هـ) ، تحقيق: د.عبدالعال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٦ ١٤١٧هـ.
٣٣- الحجة للقراء السبعة - لأبي علي الفارسي (٣٧٧هـ) تحقيق: بدرالدين قهوجي وبشير جويجاتي ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ط١ ١٤٠٤هـ.

٣٤- حجة القراءات - لأبي زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة (بعد ٤٠٣هـ) تحقيق: د. سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥ ١٤٢٢هـ.
٣٥- خزانة الأدب ولُبّ لُباب لسان العرب - لعبدالقادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣هـ)، بولاق بمصر ١٢٩٩هـ.
٣٦- الخصائص - لأبي الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ،القاهرة ١٩٥٢م.
٣٧- دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء – للدكتور المختار أحمد ديرة، دار قتيبة، دمشق، ط٢ ١٤٢٤هـ .
٣٨- الدر المصون قي علوم الكتاب المكنون - لأحمد بن يوسف السمين الحلبي (٧٥٦هـ)، تحقيق: د. أحمد بن محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط١ ١٤٠٦هـ.
٣٩- ديوان أعشى همدان وأخباره (٨٣هـ)، تحقيق : د. حسن عيسى أبوياسين، دار العلوم، الرياض ١٤٠٣هـ.
٤٠- ديوان عمر بن أبي ربيعة (٩٣هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٨٠هـ.
- ديوان لبيد بن ربيعة = شرح ديوان لبيد .
٤١- ديوان مجنون ليلى (٦٨هـ)، تحقيق : عبدالستار أحمد فراج، دار مصر للطباعة، القاهرة ١٣٨٢هـ.
٤٢- رجال صحيح البخاري - لأحمد بن محمد الكلاباذي (٣٩٨هـ)، تحقيق : عبدالله الليثي، دار المعرفة، بيروت، ط١ ١٤٠٧هـ.
٤٣- رجال صحيح مسلم - لأحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني (٤٢٨هـ)، تحقيق: عبدالله الليثي، دار المعرفة، بيروت، ط١ ١٤٠٧هـ.
٤٤- السبعة في القراءات - لأحمد بن موسى بن مجاهد (٣٢٤هـ)، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط٣ تاريخ الايداع ١٩٨٨م.
٤٥- سر صناعة الإعراب - لأبي الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ)، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق ١٤٠٥هـ.

٤٦- سنن أبي داود - لأبي داود سليمان بن الأشعث (٢٧٥هـ) ، بإشراف: صالح آل الشيخ ، دار السلام ، الرياض ، ط١ ١٤٢٠هـ.
٤٧- السنن الكبرى - لأحمد بن شعيب النسائي (٣٠٣هـ) تحقيق: حسن عبدالمنعم شلبي، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط١ ١٤٢١هـ.
٤٨- سنن ابن ماجه - لمحمد بن يزيد بن ماجه (٢٧٣هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٧٢هـ.
٤٩- شذرات الذهب في أخبار من ذهب – لابن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ) ، تحقيق : محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط١ ١٤٠٨هـ .
٥٠- شرح أبيات مغني اللبيب - لعبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣هـ) ، تحقيق: عبدالعزيز رباح وأحمد يوسف دقاق ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ط٢ ١٤٠٧هـ.
٥١- شرح الأشموني لألفية ابن مالك - لأبي الحسن الأشموني (٩٢٩هـ) ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، بلا تاريخ.
٥٢- شرح ألفية ابن مالك - لبدر الدين ابن مالك (٦٨٦هـ) ، تحقيق: د. عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، بلا تاريخ.
٥٣- شرح التسهيل - لجمال الدين ابن مالك (٦٧٢هـ) ، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد ود. محمد بدوي المختون ، دار هجر ، القاهرة ، ط١ ١٤١٠هـ.
٥٤- شرح جمل الزجاجي – لابن عصفور (٦٦٩هـ) ، تحقيق : د. صاحب أبو جناح ، وزارة الأوقاف العراقية ، الموصل ١٤٠٠هـ .
٥٥- شرح الحدود النحوية – لجمال الدين الفاكهي (٩٧٢هـ) تحقيق : د. صالح العايد ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ١٤١١هـ .
٥٦- شرح ديوان لبيد بن ربيعة (٤١هـ)، تحقيق : د. إحسان عباس ، وزارة الإرشاد والأنباء ، الكويت ١٩٦٢ م .
٥٧- شرح الرضي لكافية ابن الحاجب - لمحمد بن الحسن الإستراباذي (٦٨٦هـ) ، تحقيق: د. حسن بن محمد الحفظي ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ط١ ١٤١٤هـ.

٥٨- شرح شذور الذهب - لجمال الدين ابن هشام (٧٦١هـ) ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، بلا تاريخ.
٥٩- شرح شواهد المغني - لجلال الدين السيوطي (٩١١هـ) ، تحقيق: أحمد ظافر كوجان، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٣٨٦هـ.
٦٠- شرح عُمدة الحافظ وعُدّة اللافظ - لجمال الدين بن مالك (٦٧٢هـ) ، تحقيق: عدنان عبدالرحمن الدوري ، وزارة الأوقاف العراقية ، بغداد ١٣٩٧هـ.
٦١- شرح الكافية الشافية - لجمال الدين بن مالك (٦٧٢هـ) ، تحقيق: د. عبد المنعم أحمد هريدي ، مركز البحث العلمي بمكة ودار المأمون للتراث ، دمشق ١٤٠٢هـ.
٦٢- شرح المفصل _ لابن يعيش (٦٤٣هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، بلا تاريخ.
٦٣- شرح الهداية - لأبي العباس المهدوي (٤٤٠هـ) ، تحقيق: د. حازم سعيد حيدر ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١ ١٤١٦هـ.
٦٤- شواذ القراءة واختلاف المصاحف - لرضي الدين الكرماني (القرن الخامس) ، مخطوطة مصورة في مركز الملك فيصل برقم ١٠٨١- ف.
٦٥- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح - لجمال الدين بن مالك (٦٧٢هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ١٣٧٦هـ.
٦٦- صحيح مسلم - لمسلم بن الحجاج (٢٦١هـ) ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٧٤هـ.
٦٧- علم القراءات _ للدكتور نبيل بن محمد آل إسماعيل ، دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، ط٢ ١٤٢٣هـ .
٦٨- غاية النهاية في طبقات القراء - لشمس الدين ابن الجزري (٨٣٣هـ) ، نشره: ج.براجستراسر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٣٥١هـ.
٦٩- فتح الباري بشرح صحيح البخاري - لأحمد بن علي بن حجر (٨٥٢هـ) ومعه صحيح البخاري ، بإشراف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، رئاسة إدارات البحوث العلمية ، الرياض ، بلا تاريخ.
- الفريد = الكتاب الفريد .

٧٠- القراءات العشر المضاف (إليها) ابن أبي عبلة - لم يذكر المؤلف ، وكتب على النسخة : لعله المبارك بن الحسن الشهرزوري (٥٥٠هـ) ، مخطوطة مصورة في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم ١٠٥ص.
٧١- الكامل في القراءات الخمسين - لأبي القاسم ابن جبارة الهذلي (٤٦٥هـ)، مخطوطة مصورة في مركز الملك فيصل برقم ١١٩٧- ١-ف.
٧٢- كتاب الإبانة عن معاني القراءات – لمكي القيسي (٤٣٧هـ) ، تحقيق : د. محيي الدين رمضان ، دار المأمون ، دمشق ، ط١ بلا تاريخ .
٧٣- كتاب الإقناع في القراءات السبع –لأحمد بن علي بن الباذش (٥٤٠هـ) ، تحقيق : د. عبد المجيد قطامش ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ط٢ ١٤٢٢هـ .
٧٤- كتاب سيبويه - لعمرو بن عثمان سيبويه (١٨٠هـ) ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، عالم الكتب ، بيروت ، ط٣ ١٤٠٣هـ.
٧٥- الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد – للمنتجب الهمذاني (٦٤٣هـ) ، تحقيق : محمد نظام الدين الفتيّح ، دار الزمان ، المدينة المنورة ، ط١ ١٤٢٧هـ .
٧٦- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - لجار الله الزمخشري (٥٣٨هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٣٦٦هـ.
٧٧- المبسوط في القراءات العشر – لأبي بكر بن مهران (٣٨١هـ) ، تحقيق : سبيع حمزة حاكمي ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، بلا تاريخ .
٧٨- مجاز القرآن - لأبي عبيدة مَعْمر بن المثنّى (٢١٠هـ) ، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ١٤٠١هـ.
٧٩- مجالس ثعلب (٢٩١هـ) ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ١٤٠٠هـ .
٨٠- مجلة بحوث جامعة حلب ، العدد السابع - ١٩٨٥م ، مقال بعنوان: موقف النحاة من القراءات القرآنية الشاذة وأثرها في النحو العربي ، للدكتور مصطفى صالح جطل ، ومحمود الصغير .

٨١- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها - لأبي الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ) ، تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرين ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ١٣٨٦هـ.

٨٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - لأبي محمد ابن عطية الأندلسي (٥٤٦هـ)، تحقيق : عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١ ١٤٢٢هـ.

٨٣- مختصر ابن خالويه (مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع) - لابن خالويه (٣٧٠هـ) ، عني بنشره: ج . براجستراسر ، المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٤م.

٨٤- المسائل الحلبيات - لأبي علي الفارسي (٣٧٧هـ) ، تحقيق: د. حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، دار المنارة ، بيروت ، ط١ ١٤٠٧هـ.

٨٥- المساعد على تسهيل الفوائد - لبهاء الدين بن عقيل (٧٦٩هـ) ، تحقيق: د. محمد كامل بركات ، مركز البحث العلمي بمكة ، دار الفكر ، دمشق ١٤٠٠هـ.

٨٦- مشكل إعراب القرآن _ لمكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ) ، تحقيق: د. حاتم الضامن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٤ ١٤٠٨هـ.

٨٧- المصطلح النحوي - لعوض حمد القوزي - جامعة الملك سعود، الرياض، ط١ ١٤٠١هـ.

٨٨- معاني القرآن - لأبي جعفر النحاس (٣٣٨هـ) تحقيق : محمد علي الصابوني ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط١ ١٤١٠هـ .

٨٩- معاني القرآن - لسعيد بن مسعدة الأخفش (٢١٥هـ) ، تحقيق: د. عبدالأمير الورد، عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ١٤٠٥هـ.

٩٠- معاني القرآن – لعلي بن حمزة الكسائي (١٨٩هـ) ، أعاد بناءه وقدم له : د. عيسى شحاته عيسى ، دار قباء ، القاهرة ، ١٩٩٨ م .

٩١- معاني القرآن - ليحيى بن زياد الفراء (٢٠٧هـ) ، تحقيق: محمد علي النجار وآخرين ، عالم الكتب ، بيروت ، ط٣ ١٤٠٣هـ.

٩٢- معاني القرآن وإعرابه - لأبي إسحاق الزجاج (٣١١هـ) ، تحقيق: د. عبدالجليل عبده شلبي ، دار الحديث ، القاهرة ، ط١ ١٤١٤هـ.

٩٣- معاني القراءات - لأبي منصور الأزهري (٣٧٠هـ) ، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ١٤٢٠هـ.

٩٤- معجم القراءات – للدكتور عبد اللطيف الخطيب ، دار سعد الدين ، دمشق ، ط١ ١٤٢٢هـ .

٩٥- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب - لجمال الدين ابن هشام (٧٦١هـ) ، تحقيق : د. مازن المبارك ومحمد علي حمدالله ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٦٩م.

٩٦- مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني _ لأبي العلاء الكرماني (بعد ٥٦٣هـ) ، تحقيق : د. عبد الكريم مدلج ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط١ ١٤٢٢هـ .

٩٧- المقتضب - لأبي العباس المبرّد (٢٨٥هـ) تحقيق: د. محمد عبدالخالق عُضيمة ، عالم الكتب ، بيروت ، إعادة لطبعة القاهرة ١٣٩٩هـ.

٩٨- الموضَح في وجوه القراءات وعللها - لابن أبي مريم (بعد ٥٦٥هـ) ، تحقيق: د.عمر حمدان الكبيسي، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، جدة، ط١ ١٤١٤هـ.

٩٩- الموطأ - لمالك بن أنس (١٧٩هـ) ، تحقيق: د. بشّار عوّاد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط٢ ١٤١٧هـ.

١٠٠-النشر في القراءات العشر - لشمس الدين ابن الجزري (٨٣٣هـ) ، أشرف على تصحيحه: علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بلا تاريخ.

١٠١- همع الهوامع - لجلال الدين السيوطي (٩١١هـ) ، تحقيق: د.عبدالعال سالم مكرم، دار البحوث العلمية ، الكويت ١٣٩٤ هـ.